# الأنبياء الملوك

## داود وسليمان عليهما السلام
## وهيكل سليمان المزعوم



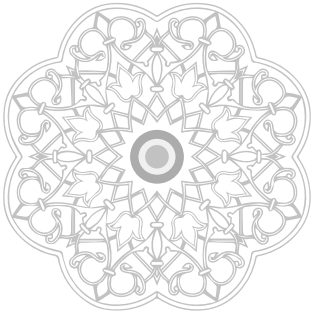
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

سورة النمل

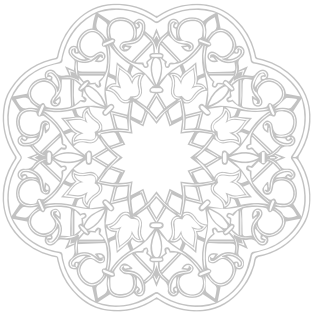
تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار ابن كثير



# الأنبياء الملوك
# داود وسليمان عليهما السلام،
# وهيكل سليمان المزعوم



الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

# الأنبياء الملوك
# داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم

تأليف

د.علي محمد محمد الصلابي

دار ابن كثير

دمشق ـ بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

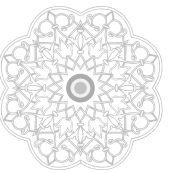
* إلى الرّاغبين والمتعطِّشين لمعرفة سِيَر الأنبياء الملوك؛ داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم.

* إلى الباحثين عن الحقيقة.

* إلى العقول النيِّرة، وأصحاب الفِطَر السليمة، والأفئدة الصَّافية.

* أهدي هذا الكتاب، سائلًا المولى عزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].



# تقديم


**بقلم**

**أ.د. علي محيي الدين القره داغي**

**الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين**


بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ كثيراً من العلماء الكبار قديماً وحديثاً تمنَّوا أن يكونوا قد صرفوا أعمارهم مع القرآن، والتدبر فيه، فلا غروَ في ذلك فهو كتاب مبارك، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

فهو مباركٌ في معناه، ومباركٌ في أحكامه، ومباركٌ لمن يتعايش معه، ومباركٌ لمن يتذكر آياته، ومباركٌ لمن يتدبر معانيه ودلالاته ومفاهيمه، ومباركٌ لمن يطبقه، ويُخرج دُرره، ويستنبط لآلئه، ومباركٌ لمن يطمئن إليه فيطمئن،

ولمن يلجأ إليه فيأمن، ويلوذ به فيتحصن، ويتمسك به فينجو، ويستفيد ويعيش معه فتنفتح له أبواب الحِكَم والأسرار ما لم يفتح به على غيره، ويصبح ثابت القلب عند الأزمات، وساكن النفس مهما عظمت النكبات؛ ولذلك قال عبد الملك بن عمير: «أنقى الناس عقولاً قراء القرآن» (١).

وقال بعض السلف: «ما رأينا شيئاً يغذي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى» (٢).

وإن من فضل الله تعالى على أخي العالم الجليل، فضيلة الدكتور علي الصلابي أنه أنعم عليه بالعيش مع القرآن الكريم، وخاصة مع أعظم قصصه، وأحسنها، حيث كتب موسوعة شاملة عن سيدنا آدم أبي البشرية، وعن أولي العزم من الرسل وهم سادتنا: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد المصطفى عليهم الصلاة والسلام جميعاً، فأجاد وأفاد، وجمع فيها من الخير الكثيرَ، وحوى من الفوائد والعِبَرِ ما تقرُّ بها الأعين، وتنشرح بها الصدور، وتتغذى عليها العقول، فجزاه الله خيراً، وقد انتشرت هذه الموسوعة، وتُرجمت إلى معظم اللغات العالمية والمحلية، وهذا من فضل الله تعالى، ومن البُشْريات العاجلة بالقبول بإذن الله تعالى.

وقد حرص المؤلف ـ حفظه الله ـ على أن أكتب لهذه الكتب الخمسة ـ ماعد السيرة النبوية ـ تقديماً علمياً، فلم تسعني مخالفته لصلتي الأخوية القوية به، ولأن هذه الكتب كانت مفيدةً لي أيضاً، في معلومات دقيقة،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٣٠٥٧٧).

(٢) يراجع البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٢٥).

ومعانٍ مباركة مع القرآن الكريم من جانب، ثم مع هؤلاء الأنبياء العظام من جانب آخر.

وهأنذا أقدِّم لكتابه الجديد الموسوم بـ (**الأنبياء الملوك: داود وسليمان عليهما السلام وهيكل سليمان المزعوم**)، حيث يجمع الكتابُ بين النبوة والحكم والملك لداود وسليمان عليهما السلام، ولم يتحقق هذا الجمع بين النبوة والملك لأحد قبل الرسول محمد ﷺ من الأنبياء عليهم السلام المتفق على نبوتهم حسب علمنا، وذلك لأن ذا القرنين ليس بنبيٍّ عند الأكثر، بل كان ملكاً صالحاً[١]، وقد ورد فيه حديث ضعيف لا ينهضُ حجة، وفيه «. . . . **لا أدري ذو القرنين نبياً كان أم لا**» [٢].

وورد بسند جيد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: «كان رجلاً أحبّ الله فأحبه، وناصَحَ لله، فناصحه» ثم قال: «لم يكن نبياً ولا ملكاً» [٣].

وأما سيدنا يوسف فلم يكن ملكاً، ولا حاكماً مستقلًا، وإنما كان وزيراً، ثم عزيز مصر تحت إمرة الملك[٤].

---

(١) يراجع تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وابن الجوزي، والرازي في تفسير الآية (٨٢) من سورة الكهف.

(٢) قال السخاوي في الأجوبة المرضية (٢/ ٨٥٧): غريب من هذا الوجه، وقبله قال مثله ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٩٥) أخرجه أبو داود مختصراً (٤٦٧٤)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٩١): «ضعيف».

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (٦/ ٤٤١): «. . . وسنده صحيح».

(٤) يراجع للمزيد: كتابنا: يوسف عليه السلام قدوة للمسلمين. . . . . ط. دار الفداء، إستانبول. ٢٠٢٠م.

ولذلك فإن هذا الكتاب يكتسب أهميةً أخرى، وهي حُكْم الأنبياء، كما أنه تضمَّن مقومات الحكم الرشيد، والصفات القيادية في داود وسليمان عليهما السلام التي تتوزع على الجوانب الإيمانية، والأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية، والإدارية، والسياسية، والرؤية الاستراتيجية.

ومن أهم مباحث الكتاب حديثه عن ثمرات الحكم العادل لداود وسليمان عليها السلام من النهضة الشاملة، والقوة.

ولم يخلُ الكتابُ من الحديث عن أهمية المسجد الأقصى، والأحاديث الواردة في فضائله، والفتح العمري، وتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي، خاتماً كتابه بالحديث عما يسمى: هيكل سليمان، فأثبت أنه مزعوم، وأن الأسفار التي تحدثتْ عن وجود الهيكل أسفار غير مقدسة، داعماً رأيه بعلم الآثار، وأقوال المؤرخين.

والكتاب ليس مجرَّد سرد للقصص، وجمعاً لحياة هذين النبيين الملكين العظيمين فقط، وإنما تضمن تحليلات جيدة، منها ما نقله عن ابن خلدون، والسيد محمد رشيد رضا من أن سبب امتناع بني إسرائيل عن القتال مع موسى عليه السلام ودخول الأرض المقدسة، وتخلّيهم عن رسولهم العظيم موسى عليه السلام، وقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، يعودُ إلى أن الشعوبَ التي تنشأ في عهد الاستبداد، وتستأنسُ بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها، وتذلّ نفوسها، ويذهبُ بأسها، وتضربُ عليهم الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنسُ

بالمهانة والخنوع، بل تصبحُ سجيةً إذا طال الأمد[١].

وكذلك يعدّ من فوائد الكتاب وقفاته مع الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، أو عن سيدنا موسى، أو عن داود وسليمان عليهم السلام، حيث يستنبط منها الأحكام والفوائد العامة والخاصة، والسنن المرتبطة بحياة الشعوب والأمم، التي تُعدُّ سنةُ التدافع من أهمها؛ لأنها مرتبطة بالتمكين والحكم والسلطان ارتباطاً وثيقاً.

وقام الباحثُ الكريم باستقراء شامل لملوك بني إسرائيل في سورة البقرة التي تخصُّ طالوت، وداود عليه السلام، ثم قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة ص، وفي سورة النمل، وفي سورة الأنبياء، وسبأ، فقام بتفسير هذه الآيات تفسيراً واضحاً معتمداً على المصادر القديمة والحديثة، ولم يكتفِ بذلك، بل عاد لاستخراج مجموعة طيبة من الصفات القيادية لسيدنا سليمان عليه السلام من الإيمان العميق، والعلم الدقيق، والتنظيم والضبط المحكم، والحزم والصرامة مع العدل، وحسن التصرف، والثبات على المبدأ ونحو ذلك، منتقلًا من ذلك إلى مقومات الحكم الرشيد الشاملة.

وبذلك ضمّ الكتابُ جزءاً كبيراً من السياسة الشرعية؛ التي يستفيد منها من يبحث عنها في الإسلام.

ومن المباحث القيمة أيضاً في نظري: المبحث الخاص بالهيكل، حيث أطال الباحثُ النفسَ فيه، وهو أمر مهمّ حيث يتشدق به الصهاينة المحتلون،

---

(١) يراجع: مقدمة ابن خلدون، ط. المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة (٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣) وتفسير المنار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، (٦/ ٢٧٩).

ويريدون هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، فأوضح الباحثُ الكريم أن هناك تناقضات واضحة، واختلافات فارقة بين الروايات اليهودية الواردة في الأسفار، وبين علماء اليهود وحاخاماتهم في تحديد المكان قائلًا: «وهذا دليلٌ دامغ وقوي على أن هيكلَ سليمان أكذوبة وأسطورة»، وأنه أقرب إلى الخيال من الواقع.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن المسجد الأقصى بُني قبل الهيكل المزعوم بزمن طويل، وأن الحفريات والآثار التي يبحث عنها الصهاينة المحتلون لا تدل على وجود الهيكل من قريب أو بعيد، ولكنهم اليوم يصرُّون على إعادة الهيكل في مكان المسجد الأقصى، من منطلق الوجدان اليهودي الديني السياسي(١).

والخلاصة أن الكتاب قيم في موضوعه لأنه يتعلَّق بالقرآن الكريم، وبنَبيَّينِ عظيمين هما سيدنا داود، وسيدنا سليمان عليهما السلام، وقد قيل: إن شرفَ العلوم بشرف موضوعاتها، فلا يوجد أشرفَ من القرآن الكريم، ومن الأنبياء عليهم السلام. وبالإضافة إلى ذلك فإن الكتاب يدخل في التفسير الموضوعي الشامل لنبيين عليهما السلام، وهذا نوع جديد ـ إلى حد كبير ـ من أنواع التفسير وعلوم القرآن، ومما ازدان به الكتاب أيضاً هو تحليلاته حول القصة بالكامل، واستخراجه منها الفوائد والعِبَر بقدر الإمكان.

وقد بذل الباحثُ الكريم فضيلة الدكتور علي محمد الصلابي جهوداً

(١) يراجع الكتاب ص: ٥٥١ وما بعدها.

طيبة في خدمة الموضوع، فحتى لو وُجدت ثغرات فإنها طفيفة تغرق في بحر حسناته؛ لأن الكمال لله تعالى.

لقد استمتعت حقاً بقراءة الكتاب، واستفدت من مباحثه صِدْقاً، ولذلك أنصح بقراءته قراءة شاملة، فهي نافعة للباحثين، وعامة المثقفين، وخاصة في الظروف التي تمر بها أمتنا، وبصورة أخص فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والمسجد الأقصى، ودعوى الصهاينة المحتلين في الهيكل ومكانه، حيث إنها تهدد قبلتنا الأولى بالهدم تحت أي ذريعة، ليست تحت الغطاء التوسعي للمحتلين، والقضاء على وجودنا التاريخي فَحَسْبُ، وإنما تحت الغطاء الديني أيضاً، فهذه أكبر مشكلة.

ومن هنا فإن مواجهة هذا الادعاء الصهيوني مطلوبةٌ عقلًا، وإن إبطاله فريضة شرعاً، وإن إقامة الحُجَج على زيغه ودَحْضه تاريخياً، ودينياً، وأثرياً واجب شرعي ووطني على القادرين. فالصهاينة احتلوا أرضنا تحت غطاء ديني مزيف، واليوم يحاولون هدم قبلتنا الأولى أيضاً تحت غطاء بعض الروايات المتناقضة في أسفارهم؛ ولذلك يجب التصدي لهم بجميع الوسائل المتاحة لدحض شبهاتهم.

وهذا الكتاب يحملُ في طياته غايةً نبيلة أخرى، وهي بيانُ أن المسلمين اليوم على الرغم مما يفعله الصهاينة بأهلنا في فلسطين وقبلتنا الأولى ومسرى رسول الله ﷺ، فإن موقفهم الثابت من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام؛ من الإيمان لهم، وحبهم لهم لم يتغير، وهذا يؤكد على أن ثوابتَ الإسلام لا تتغير بالعواطف وتصرفات الآخرين، في حين أن غيرهم تدور مواقفهم مع مصالحهم.

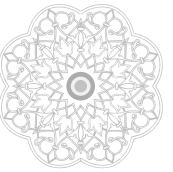
فجزى الله تعالى مؤلِّف هذا الكتاب عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء عما قدمه في دراسته هذه، وفي غيرها من المؤلفات النافعة، وتقبّل الله منه، وجعل عملَه خالصاً لوجهه الكريم، ووفَّقه للمزيد من المؤلفات النافعة، آمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**كتبه الفقير إلى ربه**

**أ. د علي محيي الدين القره داغي**

**الدوحة (١٥) جمادى الآخرة (١٤٤٤هـ)**



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الكتاب

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينُ به، ونَسْتهديه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

اللَّهمَّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهك، ولعظيم سلطانك، ولك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمدُ إذا رضيت، ولك الحمدُ بعد الرضا.

**أما بعدُ:**

فهذا الكتابُ الذي حَمَلَ اسم «**الأنبياء الملوك: داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم**» يأتي ضمن سلسلة كتب الأنبياء والمرسلين، وقد أكملتُ بفضل الله، وكرمه، وتوفيقه، موسوعةَ «نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام»، إذ تحدَّثتُ فيها بالتَّفصيل عن:

١ ـ مؤسِّسِ الحضارة الإنسانية الأولى، أبي البشرية، آدم وزوجته حواء عليه السلام، وعن خَلْق الجِنْس البشري، وقصَّته في الحياة، وعن وظيفته ومهامّه في الأرض، ومصيره، وطبيعته الماديَّة والروحيَّة والوجدانيَّة، وعن الحكمة من عداوة الشَّيْطان للإنسان، وعن المخلوقات التي خَلَقها الله عزَّ وجلَّ قبل الإنسان وعلاقته بها.

كلُّ ذلك كان من الرُّؤية القرآنية الصَّائبة، البعيدة عن الظُّنون والأهواء، ويا لها من قصّةٍ متماسكةٍ مليئةٍ بالدروس والمواقف والعِبر والفوائد!

٢ ـ مُؤسِّسِ الحضارة الإنسانية الثَّانية نُوح عليه السلام، وميلادِ الحضارة الإنسانيَّة الثَّانية، وقد بيَّنتُ في هذا الكتاب مرحلةً مهمَّةً من حياة الإنسان؛ التي حفظ الله تاريخَها وأبعادها، ودروسَها وسُنَنها في كتابه العزيز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأكَّدتْ قصةُ نوح عليه السلام أنَّ الأصلَ في فطرة الإنسان هو توحيد الله، وهو أصلُ دعوة الرسل والأنبياء لأقوامهم، واستقيتُ جُلَّ المادة التَّاريخية من القرآن الكريم، والتفاسير المتعدِّدة التي شرحتْ آياته، فالقرآنُ

هو القولُ الصَّادق، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وأَظهرتْ قصةُ نوح عليه السلام والطوفانُ العظيمُ الذي حَدَثَ لقومه إصرَاره على دعوة قومه للحق، وشَرحتْ مواقفَ نوح عليه السلام في دعوته لقومه إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، وما واجهه في دعوته من كُفْر وعنادٍ وتقليد أعمى، وكيف بدأتِ الحضارةُ الإنسانيةُ الثّانية مع بناء السفينة، وتجلّتْ في دعوته السُّنَنُ الرّبانية، ومنها سُنّة الله في التغيير، وسُنّة البناء، وسُنّة العمل الجماعي، وسُنّة الابتلاء، وسُنّة الأخذ بالأسباب، وسُنّة النصر والتّمكين، وصناعة السفينة، ونجاة نوح ومن معه بفضل الله ثم إيمانهم به، وفي تلك اللحظة كانت بدايةُ الحضارة الإنسانية الثّانية بالسّلام والبركات، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

وكان من أبرز عواملِ نشوءِ الحضارة الإنسانية في طورها الثّاني هو:

- العامل العَقديُّ.
- العامل الصناعيُّ والاقتصاديُّ.
- عامل البيئة.
- العامل الاجتماعيُّ.
- العامل الأخلاقيُّ.
- العامل السياسيُّ.

فحقّقتْ دعوةُ نوح عليه السلام خلافةَ الله في أرضه، وعمارةَ الكونِ، والقِيَمَ الإنسانية الرّاسخة كالرّخاء، والمحبة، والتّراحُم، والتّعاوُن، والتّضامن، والتّناصح، والتّطهر، والعدالة، والتّقدُّم الفكريّ والنفسيّ والروحيّ والماديّ.

٣ ـ إبراهيم خليل الله، داعية التّوحيد، ودِيْن الإسلام، والأُسْوة الحسنة، وهو الكتابُ الثّالثُ في موسوعة نشأةِ الحضارة الإنسانية.

بيَّنتُ المرحلةَ التّاريخيّة التي سبقت إبراهيم عليه السلام، وتناولْتُ الحياةَ الدينيّة، والمعتقدات القديمة في زمانه من عبادة الكواكب والنجوم والأصنام والملوك، وتقديم القرابين والنذور، وكذلك طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية، وطبقات المجتمع، وطقوس الزواج، والأسرة، والعادات، والتقاليد... إلخ.

ثم تكلّمتُ على المشاهد التي مرّ بها إبراهيم عليه السلام، عندما كان في العراق، ثم انتقاله للشام، ثم رحلته إلى مصر، ومِن ثَمّ إلى الحجاز، وعن شبابه وشيخوخته، وابتلاءاته العظيمة، وصبره الجميل، وحِلمه الكبير، وحرصه على هداية الناس.

وقد تتبَّعتُ قصةَ خليل الرحمن في القرآن الكريم، وبرهنت على كونه رمزاً من رموزِ دعوةِ التّوحيد، وإفراد الله بالعبادة، ومَعلماً عظيماً من معالم الطّريق الحقِّ، بيّنته الآياتُ القرآنية، فأصبح حاضراً في الذِّهن، لا ينساه المسلمُ أبداً؛ فهو قُدوته ومَثلُه الأعلى.

إنّ قصّةَ إبراهيم عليه السلام قصةٌ أصيلةٌ في القرآن الكريم، لا وجودَ لها في التوراة أو في الكتابات الإنجيلية، من ناحية الدقّة والصّواب، والبعد عن التحريف والتزييف والأباطيل.

فالقرآنُ الكريم، ومن ثَمّ الحديث الشريف، أظهرا لنا الأحداثَ الصّحيحةَ في قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام، وقيادتَه للإنسانيّة في جوانبِها العقائدية، والروحية، والأخلاقيّة، والابتلائية، والتّمكينية، وإمامتَه للناس، وخصائصَه، وفضائله الجليلة؛ كالإسلام، والحنيفيّة، والحلم، والصدّيقية، والشُّكر، والدُّعاء، والقُنوت، وسلامة القلب، وعمارة البيتِ الحرام، وإكرام الضَّيف، والخُلّة، والإمامة، والاجتباء، والاصطفاء، وإيتائه رشده، وجَعْل النُّبوة والكتاب في ذُرِّيّته، واتخاذ مقامه مُصلّى، وتقاربه الكبير مع نبيّنا محمد ﷺ، فهو قُربٌ لصيقٌ رغم بُعد الزّمان والمكان، حتى لكأنه الأبوّةُ المباشرة القريبة؛ ولذلك تلقّى إبراهيم ابنَه محمداً، في منازل الملأ الأعلى، ليلة الإسراء والمعراج، بترحاب الآباء بالأبناء، قائلًا له: «**مرحباً بالابن الصّالح، والنبيّ الصّالح**».

٤ ـ موسى عليه السلام كليم الله، عدوُّ المستكبرين وقائد المستضعفين، وهي القصّةُ الأطولُ في القرآن الكريم، حيث ذكرتُ قصةَ موسى عليه السلام بالتّفصيل، ولم أترك أيّ موضع لها في القرآن الكريم إلا ذكرتُه، واعتمدتُ على التفاسير الموضوعية للقصة، ودروسها، وعِبرها، وفوائدها، وأبعادها.

وتكلّمتُ على قصة موسى عليه السلام مع فرعون بالتّفصيل، وحواراته

العظيمة في إقامة الحُجّة، والتّصدِّي للكفر، وهزيمة الإلحاد، وحواراته مع السّحرة، ومع السّامريِّ، وحرصه على هداية قومه، وأُنسه بالله، وتكليم الله له، وطلبه من الله أموراً متعلِّقةً بالدّعوة والرِّسالة، وقد استجاب الله له كلّ ذلك.

وقد بيّنتُ أسبابَ هلاك فرعون وقومه؛ وهي الكفر بالله، والشِّرك، والظُّلم، والاستكبار، ودفع الحقِّ، وانتهاك الحرمات، والاستعلاء على الناس واحتقارهم، والاعتداء عليهم، والفخر بالملْك والسلطان والمال، والتكذيب للرّسل، وفساد الملأ، والتّرف، وسُنّة الله في المفسدين... إلخ. وكذلك نجاة موسى عليه السلام وقومه، وقصة التيه والعبد الصّالح ووفاته.

٥ ـ عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، إذ حفظَ اللهُ سبحانه وتعالى سيرةَ عيسى ابن مريم عليه السلام، التي تُعدّ من أبرز محطّات تاريخ الحضارة الإنسانية، وقد بسطتُ الحديثَ عن مراحل ولادته، ونشأته، وجذور أسرته، من ناحية والدته، ودعوته، ومعجزاته، فكانت ولادته من دون أب معجزةً خالدةً دالّة على قدرة الله المطلَقة، حيث قدّم القرآنُ الكريم قصةَ عيسى وأمه مريم عليهما السلام في أبهى صورة، وأروع بيان، وأصدق حقيقة، فكلُّ ما يُفيد الإنسانيةَ وحضارتها، فيما يتعلّق بعيسى ابن مريم، جاء في القرآن الكريم؛ فقُمتُ باستخراج الآيات الكريمة من المواضع التي ذُكر فيها عيسى وأمُّه عليهما السلام، وتتبّعتُ حديثَ القرآن عن جدّته لأمه، وعن أسرة آل عمران، ولماذا ذُكروا في سورة آل عمران، ومن هم آل عمران الذين اصطفاهم الله على العالمين.

وقد بيّنتُ ولادةَ مريم لعيسى عليه السلام من المنظور القرآني، ووضّحتُ دعاء امرأة عمران لله عزَّ وجلَّ، ومناجاتها، وتضرُّعَها، وانكسارَها بين يدي ربِّها، ومخاطبتَها إيّاه بأسمائه الحسنى: الربِّ، السميع، العليم، واستجابةَ الله لها، وقبولَ دعائها، وكيف جعل زكريا يتكفّل برعاية مريم، واصطفاء الله لها على العالمين، وبشارة الملائكة لها بعيسى عليه السلام.

وتكلمتُ على قصة عيسى ابن مريم عليه السلام في مهده، وشبابه، ومعجزاته، ورَفْع الله له، وتوضيح ما جرى ليلة القبض على الشّبيه، وترتيب أحداث مسلسل تلك الليلة، ممّا ذكره المؤرِّخُ الكبير والمفسِّر الشهير العلامة ابن كثير، وذكرتُ الآيات التي تحدّثتْ عن نَفي قتل عيسى، وصَلْبه، وإنّما الذي قُتل هو الشّبيه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧].

واستدلّ المصنِّفُ بآراء العلماءِ الرّاسخين، وتجلّت فيه حقائقُ مهمّةٌ متعلِّقةٌ بتاريخ الحضارةِ الإنسانية، في مرحلةٍ حسّاسة من مراحله، ردّتْ على الأكاذيب والخرافات، وبَيّنتِ الحقّ من الباطل، والهدى من الضّلال، والعِلمَ الرّاشد من الكذب الفاضح.

٦ ـ عهد النُّبوة وخاتم الرِّسالات وسِيْرة رسول العالمين محمد ﷺ، وكل ذلك في كتاب (**السِّيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**)، وكانت المرحلةُ الأخيرةُ من سلسلةِ نشأةِ الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

هذا النبيُّ العظيم، الخاتمُ للرِّسالات السّماوية، أنزل الله عليه القرآنَ الكريم؛ الذي حفظَ الله عزَّ وجلَّ فيه قصصَ وسِيَر قادةِ الإنسانية من الأنبياء والمرسلين، فكانت سيرتُه عليه الصّلاة والسلام قرآناً يمشي على الأرض في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والتشريع، وقد سار على نَهْج مَن سبقوه من دُعاة التّوحيد من الأنبياء والمرسلين.

أمّا هذا الكتابُ وهو جوهر الحديث: «**الأنبياء الملوك: داود وسليمان عليهما السلام**»، فهو حلقةٌ موصولةٌ بموكب الأنبياء والمرسلين وقادة الإنسانية، ويبحثُ في مرحلةٍ من مراحل تاريخ الإنسانيّة، التي حفظها القرآن الكريم، لتكون ميزاناً نرجعُ إليه، للوصول إلى الحقائق التي يتمُّ تزويرُها وتحريفها بأهواء طائفة من الكُتّاب، والمؤرِّخين، والسّاسة في عصرنا الحديث.

تضمَّن هذا الكتابُ مدخلًا ومباحثَ، فأما **المدخل** ففيه الحديثُ عن شجرة إبراهيم عليه السلام، وأنبياء الفرع الإسرائيلي، وخَتْم النبوّة بالفرع الإسماعيلي، وبداية تاريخ بني إسرائيل، من يعقوب عليه السلام، وموقف المسلمين من أنبياء بني إسرائيل، وحياة بني إسرائيل في مصر، ووفاة يوسف عليه السلام، وحُكْم الفراعنة لمصر، وهزيمة الهكسوس، وامتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدّسة، وفترة التّيه، ووفاة موسى عليه السلام، ومرحلة يوشع بن نُون، ودخول الأرض المقدّسة، ومخالفات بني إسرائيل فيما بعد، وعهد القضاة، والمدة الزمنية بين موسى وداود عليهما السلام.

في **المبحث الأول** كان الحديثُ عن قصة ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة، وهم طالوت وداود عليهما السلام، وتفسير الآيات الكريمة على نهج علماء التفسير الجهابذة، والفقهاء الرّاسخين، والمؤرِّخين الثِّقات، وبيان أهمِّ السُّنَن في حياة الأمم والشُّعوب، بدءاً من قصة طالوت وبداية المملكة القوية لبني إسرائيل، إلى نَزْع التّمكين وزواله عن الظّالمين.

وفي **المبحث الثّاني** تكلّمتُ عن قصة داود وسليمان، في سورة (ص)، وأهمِّ صفات داود عليه السلام، ورَفْض الإسرائيليات التي حاولت تشويه صورته عليه السلام، وقواعد الحُكْم التي أشارت إليها الآياتُ الكريمة، ومدى اتِّساع دولة داود عليه السلام، وحدودها، والأسس التي قامت عليها، وهبة الله لداود في ابنه سليمان عليهما السلام، وعُروضه العسكرية، وخيوله القتالية، وجمالها وروعتها وتجارتها، والفتنة التي تعرّض لها، وأهمِّ الدُّروس والعِبَر والفوائد من قصّتهما، من خلال سورة (ص)، كما ذكرها العلامة السعدي رحمه الله، وبيان مكانة داود وسليمان عليهما السلام في موكب الأنبياء والمرسلين.

وتحدّثتُ عن الزّبور الذي أُنزل على داود عليه السلام، وسبب تسميته، ومحتواه، وحديث المصادر الإسلامية عنه، وتاريخ نزوله، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في دولة داود عليه السلام، ووفاة داود عليه السلام.

وفي **المبحث الثّالث** ذكرتُ قصة داود وسليمان عليهما السلام كما وردتْ في سورة النمل، وقد قمتُ بتفسير الآيات الكريمة معتمداً على الله،

ثم على علماء التفسير المعتمدين، كالطّبري، وابن كثير، والقرطبي، وابن عطية، والشّعراوي، وأبي زهرة، والسّعدي، والزُّحيلي، وغيرهم.

وفي **المبحث الرّابع** كان الحديثُ عن قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة الأنبياء وسبأ، وعن اتّهام اليهود لسليمان عليه السلام بالسِّحر، ودفاع القرآن عن هذا النبيِّ الكريم، وبيان براءته ممّا نُسِبَ إليه من الكُفْر والسِّحْر، كما جاء في سورة البقرة.

ووقفتُ وقفات للتأمُّل والتدبُّر مع صفات نبيِّ الله سليمان عليه السلام، وشخصيته القيادية التي جاءتْ في القرآن الكريم، وأهمها: الإيمان، والعِلْم، والتنظيم، واليقظة، والمتابعة، والتّقدُّم، والحزم، والصّرامة، وقدرته على بناء العلاقات المتميِّزة، والكرم، وحسن الاستقبال، والتّواضُع، والعدل، وقبول العذر، والهيبة، والوقار، والتثبُّت من الأخبار، وحُسْن التصرُّف، والذّكاء، واختيار الصّادق، وتعزيز الثقة في الجنود، ومعرفة مواطن القوّة والضّعف واستثمارها، واختبار ذكاء وعقل ملكة سبأ، وسعةُ الصّدر، وحُسْن الاستماع، والتدرُّج في تحقيق الأهداف، وتوظيف المهارات والمواهب والإمكانات، والتّعالي فوق حُطام الدنيا، والثبات على المبدأ، وتشجيعه للمبادرات، وحِرْصه عليها، والاستماع لكبار مستشاريه، والقدرة على الحَسْم، والشِّدة مع المعانِد، وحبُّ الجهاد، وعدم الاغترار، والصّبر، والفهم، والحكمة، والبناء، والإبداع، وعلوّ الهِمّة، والانفتاح على الآخرين، والقدرة على التنفيذ والتخطيط... إلخ.

وبيّنتُ مقوِّماتِ الحُكْم الرّشيدِ في دولة سليمان عليه السلام، وهي:

ـ **المقوِّمات الاجتماعية**: كالتّنشئة الاجتماعية والعِلْميّة.

ـ **المقوِّمات الإدارية والاقتصادية**: كنظام الموارد البشرية، والإصلاح المالي والإداري، ووضوح الرُّؤية في السياسة الاقتصادية.

ـ **المقوِّمات التشريعية والسياسية**: كالشّفافية، وأداء الحقوق وسيادة القانون، والمشاركة في اتخاذ القرار، وحرية التعبير، والرُّؤية الاستراتيجية السياسية، ومراعاة الأعراف الدُّبلوماسية.

وتحدّثتُ عن أهمِّ ثمرات الحُكْم الرشيدِ في عهده، وهي:

ـ النهضة العِلْمية.

ـ النهضة الإعلامية.

ـ النهضة العمرانية.

ـ نهضة المواصلات والاتصالات.

ـ النهضة العسكرية.

ـ النهضة الصِّناعية.

ـ النهضة البحرية.

ـ النهضة التجارية.

ـ النهضة الحضارية القائمة على توحيد الله، وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشِّرْك.

وتكلَّمتُ على مُلك سليمان العظيم عليه السلام، وتجديد بناء المسجد

الأقصى، ومتى تمّ بناؤه، وكم كان من الزّمَن بينه وبين بناء الكعبة، وكيف كان حالُه في عهد سليمان عليه السلام، وفضائل المسجد الأقصى، كمَسْرَى رسول الله ﷺ، ومنطلق معراجه، وأُولى القِبْلتين، والندب لشدِّ الرِّحال إليه، وفضلِ الصّلاة فيه، وأنه مقرُّ الطائفة المنصورة كما جاء في الأحاديث الصّحيحةِ الشريفة عن رسول الله ﷺ، وذكرتُ حالَ المسجد الأقصى بعد الفتح العُمَري، وتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي والأمة الإسلامية من الصّليبيِّين.

وكان الحديثُ بيِّناً أيضاً عن بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام، وعن الحكم العراقي (الآشوريين والبابليين) لفلسطين والقدس، وعن السّبي البابليِّ لبني إسرائيل، والحُكْم الفارسي، وتحريف أحبار اليهود للتوراة، وعن التوراة ما بين وفاة سليمان وما قبل السّبي البابلي، وكيف أثنى القرآنُ الكريمُ على موسى عليه السلام والتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام باعتبارها نوراً وضياء، وكذلك بيان أنّ القرآنَ الكريمَ فصّل القولَ فيها، وعن اختلاف بني إسرائيل، وعن علاقة الفُرْس باليهود، وعن الحُكْم الإغريقي، وعن الحُكْم الرُّوماني، وعن اضطهاد اليهود للنصارى في عهدهم، ثم تغيُّر المواقف فيما بعد، وعن تدمير الرُّومان للقدس، ومنع اليهود من دخولها وتشريدهم، وعن سِمات عهد الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق المسيحية، وأضاف لها عقائدَ وثنيةً، وانقسام الإمبراطورية الرومانية، وحكم هرقل، وطَرْد الفُرْس للروم من القدس، ووَعْد القرآن الكريم بانتصار الرُّوم على الفُرْس في بضع سنين، وتحقيق ذلك، ووقوع الاضطهاد على اليهود الذين تحالفوا مع الفُرْس.

وكان الحديثُ عن هيكل سليمان عليه السلام المزعوم، وعن معنى الهيكليّة وجبل الهيكل، وعن الهيكل الأول، وعن معنى الهيكل الثّاني، وعن سبب حرص الكيان الصُّهيوني على بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى في وقتنا الحاضر، وعن مكانة الهيكل عندهم، وعن حائط البُراق، وعن عدم قُدسيّة الأسفار التي تحدّثتْ عن وجود الهيكل، والأخطاء التّاريخية التي أوردها العلماء، وعن علم الآثار، وادِّعاء وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى، وعن عقيدة أرض الميعاد، وعن رجال العقيدة اليهودية الصهيونية، وعن الدعم الأمريكي والأوربي لاحتلال اليهود الأراضي الفلسطينية، وعن تزييف الحقائق في ادِّعاء الحق اليهوديّ في قضية فلسطين، كالحقِّ التّاريخيِّ، والديني، والقومي، والإنساني، والإنشائي، والقانوني، ثم خلاصة الكتاب، وأهم الأفكار التي وردتْ، والنتائج التي توصّلتُ إليها.

هذا، وقد انتهيتُ من هذا الكتاب يوم الثلاثاء (١٠ ذي القعدة ١٤٤٤هـ/ ٣٠ مايو ٢٠٢٣م)، في تمام السّاعة السّادسة قبل موعد أذان المغرب بتوقيت العاصمة القطرية الدّوحة.

وإنّ الفضل لله عزَّ وجلَّ من قبلُ ومن بَعْدُ، فأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبّل هذا العمل قبولاً حسناً، وأن يُكرمنا برفقة النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصالحين.

ولا يسعني في مرحلة وضع اللّمسات الأخيرة على هذا الكتاب إلا أن

أقفَ بين يدي الخالق تبارك وتعالى بقلبٍ خاشعٍ مُنيبٍ، معترفاً بفضله وكرمه، ومُتبرِّئاً من حَولي وقوتي، وملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي، فاللهُ خالقي هو المتفضِّل عليّ.

وإن الله تعالى هو المعين والميسِّر والمنعِم، وهو إلهي العظيم، وهو الموفِّق، ولو تخلّى عني، ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبلّد منِّي العقلُ، وغابتِ الذاكرة، ويبستِ الأصابع، وجفّتِ العواطف، وتحجّرتِ المشاعر، وعجزَ القلمُ عن البيان.

اللّهمّ بصِّرني بما يُرضيك، واشرحْ صدري، وجنِّبني ما لا يُرضيك، واصرِفْه عن قلبي وبَصَري وتفكيري.

وأسألكَ اللّهمّ بأسمائك الحسنى، وصِفاتك العلا، أن تأجُرَني وإخواني الذين أعانوني قولاً، وفعلًا، ومشورةً على إنجاز هذا العمل.

راجينَ رحمتك، ومُبتغين رضوانَكَ، وأن تجعلَ عملَنا لوجهك الكريم خالصاً، ولعبادِكَ نافعاً، واطرَحْ فيه البركةَ والقَبولَ والنفع العظيم.

اللّهمّ إنِّي أسألُكَ بمنّتك وكَرَمك أن تغفرَ لي ذنوبي، وترحَمَ ضَعْفي، فأنتَ الغفور الرحيم الذي وسعتْ رحمتُك كلّ شيء.

اللّهمّ مُدّني بعونك وتأييدك، واحفظني بحفظِكَ، واغفِرْ لي جَدِّي وهَزْلي، وخَطَئي وعَمْدي، وكلُّ ذلك عندي.

وفي نهاية المطاف أدعو إخواني وأخواتي، وكلّ من يطّلع على هذا

الكتاب؛ ألا ينساني، أنا العبدُ الفقيرُ إلى عفو ربِّه ومغفرته ورحمته ورضوانه، من الدعاء.

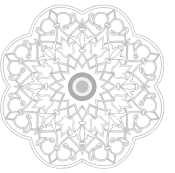
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

**د. عليّ محمد الصّلابيّ**

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

١٠ ذي القعدة ١٤٤٤هـ/ ٣٠ مايو ٢٠٢٣م



# المدخل

هذا الكتابُ محطّةٌ من المحطات الحضارية الكبرى التي مَرّت بها أمّةُ بني إسرائيل، وبيانٌ تفصيليّ لذلك في عهد النّبيّين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام. وكنتُ قد بيّنتُ في كتابي «**موسى كليمُ الله عدوُّ المستكبرين وقائد المستضعَفين**»، بأنّ بني إسرائيل ينتسبون إلى إسرائيل، وهو نبيُّ الله يعقوب بن إسحاق، حيث أشرتُ إلى المواضع التي وَرَدَ فيها اسم يعقوب عليه السلام في القرآن العظيم، ومواضع ذِكْر اسمه الثّاني عليه السلام إسرائيل، وتحدّثتُ في كتابي عن موسى عليه السلام بالتّفصيل، وعن شجرة النُّبوّة الإبراهيمية، وما تفرّعَ منها، وهي على النحو الآتي:

ـ **الفرع الإسماعيليُّ**: المتمثِّل في إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصّلاة والسلام، وهذا الفرعُ خُتم بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، سيِّد ولد إسماعيل، بل سيد ولد آدم، وأفضل المخلوقين جميعاً، وأحبُّهم إلى الله.

ـ **الفرع الإسرائيليُّ**: المتمثل بإسرائيل (يعقوب) حفيدِ إبراهيم عليهما الصّلاة والسلام، وهو أبو بني إسرائيل، وأصلُ أسباطهم، وكلُّ أنبيائهم من نَسْل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى عيسى ابن مريم هو من ذرِّية يعقوب بن إسحاق من جهة الأم؛ لأنه لا أبَ له عليه الصّلاة والسلام. ولهذا

الاعتبار وَرَدَ ذكر إسرائيل معطوفاً على إبراهيم عليهما السلام في الآية الكريمة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [مريم: ٥٨].

وقد صرّح القرآنُ بأن الله تعالى جَعَلَ النُّبوّةَ في ذرِّية كلٍّ من إبراهيم ويعقوب عليهما الصّلاة والسلام، إذ قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٦ ـ ٢٧].

فالله وَهَبَ لإبراهيم كلًّا من إسحاق ويعقوب[١] عليهم السلام، وكان ذلك بعد أن هاجرَ إلى الله، وغادرَ العراقَ إلى الأرض المقدّسة[٢].

### ١ ـ أنبياء الفرع الإسرائيلي:

جعل الله النُّبوّةَ والكتابَ في ذرِّية إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما الصّلاة والسلام، والراجحُ أنّ ضميرَ التّثنية في قوله ﴿فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ يعودُ إلى إبراهيم ويعقوب. ووجهُ التّرجيح في ذلك ما سبقَ أن قرّرناه من تفرُّع فرعي النُّبوّةِ من الشّجرة الإبراهيمية: الفرع الإسرائيلي، والفرع الإسماعيلي.

لقد استمرّت النُّبوّةُ في الفرع الإسرائيلي عدداً من القرون، حيث بَعَثَ الله أنبياءَ كُثراً إلى بني إسرائيل؛ أوّلُهم نبيُّ الله إسرائيل نفسه عليه السلام الذي كان نبيّاً لأبنائه، ثم ابنه نبيُّ الله يوسف عليه السلام، ثم الأنبياء

---

(١) يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم، كما مرّ آنفاً.

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق ـ الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، (٢/ ٦٠).

الآخرون من بني إسرائيل، مثل موسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى، وآخرهم عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسلام.

### ٢ ـ خَتْمُ النُّبوّة بالفرع الإسماعيلي:

خَتَمَ اللهُ النُّبوّةَ في الفرعِ الإسرائيلي بعيسى ابن مريم عليه السلام، وهو آخرُ أنبياء بني إسرائيل؛ الذي خلقه الله خَلْقاً مُعجِزاً دون أب، وأظهر على يديه الكثيرَ من المعجزات.

وقد شاء الله أن يَخْتِمَ النُّبوّةَ كلّها بنبيٍّ من الفرع الإسماعيلي، وهو أفضلُ الخلق جميعاً، وسيِّدُ الأولين والآخِرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ[1].

### ٣ ـ بداية تاريخ بني إسرائيل من يعقوب:

يبدأ تاريخُ بني إسرائيل من زمن يعقوب عليه السلام، وصِلَتُهم بإبراهيم كصِلتهم بإسماعيل عليهما السلام، أليس إسماعيل عمّاً ليعقوب؟ أليس هو شقيقُ أبيه إسحاق؟ فلماذا لا يجعلون تاريخَه تاريخاً لهم مع أنه عمٌّ لأبيهم؟!

لو كانوا بني إبراهيم لبدأ تاريخُهم من تاريخ إبراهيم، ولو كانوا بني إسحاق لبدأ تاريخُهم من تاريخ إسحاق.

ولأنهم بنو إسرائيل أي: بنو يعقوب، فإنّ تاريخهم يبدأ من تاريخ يعقوب عليه السلام، ولهم أن يتوقّفوا عند حياته وحياة أبنائه الاثني عشر؛

---

(١) المصدر نفسه، (٢/ ٦١).

وأن يعدّوا ذلك بدايةً لوجودهم وحياتهم وتاريخهم، هذا لمن ثبت أصلُه ونسبُه ليعقوب(١).

### ٤ ـ نحن نُؤمن بأنبياء بني إسرائيل:

نحن نُؤمن بأنبياء بني إسرائيل الذين أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنهم، ونُحبُّهم، ونُصلِّي عليهم ونقتدي بهم، ونُنزِّههم عن كلِّ نقص وظُلْم وتَشْويه، لا فرقَ عندنا بين أنبياء العرب مثل: هود وصالح وشعيب عليهم السلام، كما في الحديث الصّحيح، وأنبياء بني إسرائيل مثل: يعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم الصّلاة والسلام، ونعتقدُ أننا أولى بهؤلاء الأنبياء من بني إسرائيل، كما علّمنا رسولُ الله ﷺ.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بيْنَما يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً له أُعْطِيَ بهَا شيئًا، كَرِهَهُ، أَوْ لَمْ يَرْضَهُ، قالَ: لا، وَالّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام علَى البَشَرِ، قالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قالَ: تَقُولُ: وَالّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام علَى البَشَرِ وَرَسولُ اللهِ ﷺ بيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قالَ: فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ: يا أَبَا القَاسِمِ، إنّ لي ذِمّةً وَعَهْدًا، وَقالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟**» قالَ: قالَ يا رَسولَ اللهِ: وَالّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام علَى البَشَرِ، وَأَنْتَ بيْنَ أَظْهُرِنَا! قالَ: فَغَضِبَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتّى عُرِفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ، ثُمّ قالَ: «**لا تُفَضِّلُوا بيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ؛ فإنّه يُنْفَخُ في**

(١) المصدر السابق، الخالدي، (٢/ ٦٢).

**الصُّورِ، فَيُصْعَقُ مَن في السّمَوَاتِ وَمَن في الأَرْضِ إلّا مَن شَاءَ اللهُ، قالَ: ثُمّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى، فأكُونُ أَوّلَ مَن بُعِثَ، أَوْ في أَوّلِ مَن بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عليه السلام آخِذٌ بالعَرْشِ، فلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يَومَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إنّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِن يُونُسَ بنِ مَتّى عليه السلام»** (١).

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النّبيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَومَ عاشُوراءَ، فَقالَ: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا يَوْمٌ صَالِحٌ؛ هذا يَوْمٌ نَجّى اللهُ بَنِي إسْرَائِيلَ مِن عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى. قالَ: «**فأنَا أحَقُّ بمُوسَى مِنكُمْ**»، فَصَامَهُ، وأَمَرَ بصِيَامِهِ(٢).

«نحن أولى بموسى منهم»: شعارٌ دائمٌ، وقاعدةٌ عامة يعتقدها المسلمون دائماً، ويعدّون أنفسَهم أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود أنفسهم، ونعتقدُ أنّ كلّ مَن أنكر نبوةَ أحدٍ مِنْ هؤلاء فقد كفر، وكلّ مَنْ أبغضَه أو انتقصه وذمّه فقد كفر، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢] (٣).

---

(١) موسى كليم الله، عدو المستكبرين وقائد المستضعفين، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

وإنّ صراعنا مع اليهود (الصّهاينة) اليوم، والذين يَدّعون الانتسابَ إلى أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام مخالِفين منهجَهم ومعتقداتِهم وقيمَهم الرُّوحيةَ والإنسانية، والتي حُرِّفتْ بمرور الزّمن، وإنّ المسلمين هم أَولى بأنبياء الله تعالى مِن حيثُ دقةُ الاتِّباع، وهم السّائرون على ملّة إبراهيمَ والأنبياءِ الذين من ذرِّيته جميعاً، قال الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

## ٥ ـ حياة بني إسرائيل في مصر:

بدأتْ قِصّةُ بني إسرائيل في مصر بعد مجيء يوسف عليه السلام إليها، ودعوةِ والده وإخوته للمقام فيها، بعدما تمكّن في الحُكْم، وأصبح الرجلَ الثّاني فيها، وقصّتْ علينا سورةُ يوسف الأحداثَ العجيبةَ والمثيرة التي جَرَتْ ليوسف عليه السلام منذ أن كان طفلًا صغيراً، يكرهُه إخوتُه الكبارُ، ويَغارون منه، إلى أن صار رجلًا عظيماً محفوفاً برعاية الله عزَّ وجلَّ، وقد ذكرت ذلك في كتابي: «**النّبيّ الوزير يوسف الصديق من الابتلاء إلى التّمكين**».

ولقد هاجر يعقوب عليه السلام ومَنْ معه من الأبناء وزوجاتهم والأحفاد إلى مصر بدعوةٍ من مَلِكِها، ومن نائبه يوسف عليه السلام، وذلك في القَرْنِ السّادس عشر قبل الميلاد، وكان عُمْرُ يعقوب مئةً وثلاثين سنة، وقد استقبله ابنُه يوسفُ استقبالاً حافلًا، ثم استقبله ملكُ مصر ـ وكان من الهكسوس ـ، ورحّب الملكُ بوالد يوسف وإخوته أجملَ ترحيب، وعاش يعقوبُ في أرض مصر مُعزّزاً مُكرّماً سبع عشرة سنة، حتى صار مجموعُ عمره مئةً وسبعاً

وأربعين سنةً، كما تذكر بعضُ كتب التّاريخ، ثم حضرته الوفاةُ.

وكان قد أوصى أبناءه بالوصية، التي أخبر القرآنُ عنها، في اللحظات الأخيرة من حياته عليه السلام، وكان ذلك في مصر، ويعقوب بين أولاده، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

## ٦ ـ وفاة يوسف عليه السلام:

عاش بنو إسرائيل في مِصْرَ محفُوفين بالتّكرمة وصُنُوف الامتيازات، وطاب العيشُ لهم في أرض الكِنانة، وكان يوسف عليه السلام يَحظى باحترامٍ كبيرٍ في مصر، وذكر اللهُ لنا في كتابه العزيز دعاءً ختاميّاً ليوسف عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى وفاة يوسفَ عليه السلام على لسان مؤمن آل فرعون، عندما خاطب قومَه، ودعاهم إلى التّوحيد، فجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤].

لقد عاش نبيُّ الله يوسفُ عليه السلام في مصر داعياً إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، وإفراده بالعبادة في سِجْنه، وفي قصره، ووظّفَ منصبَهُ الكبير توظيفاً دعويّاً، وقدّم الآياتِ البيِّنات على نبوّته، والبراهين على دعوته، فآمن به مَنْ هَدَاهُ الله إلا قليلاً من الناس: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ﴾ وعبّر المصريُّون عن معارضتِهم دعوة يوسف عليه السلام بعد وفاته وهلاكه، فما أن توفِّي حتى قالوا: لن يبعثَ اللهُ من بعده رسولاً، وكأنّهم ارتاحوا لأنهم تخلّصوا منه ومن دعوته[1]. ولعلّ القرآن الكريم عبّر عن موت يوسف بالهلاك؛ لأجلِ عدم استجابةِ أهل مِصْرَ لدعوة يوسف عليه السلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولا تتحدّثُ النصوصُ القرآنيةُ والحديثية عن بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام، ولا تُشيرُ إلى ما جرى لهم في هذه الفترة من قرب عهدِ موسى عليه السلام، ولا تُبيِّن كم بقي بنو إسرائيل في مصر في تكريمٍ وإعزازٍ، ولا تُحدِّد الفترةَ التي بدأ فيها اضطهادُ الفراعنة لهم، وتعذيبهم[2].

### ٧ ـ حُكْم الفراعنة لمصر وهزيمة الهكسوس:

استطاع الفراعنةُ بقيادة أحمس أن يهزموا الهكسوس، وأن يُطهِّروا بلادهم منهم، ويطردُوهم من مصر، فتغيرت الأحوالُ على بني إسرائيل، ودخلتْ مصرُ في طورٍ جديدٍ من الحُكْم الفرعوني، الذي قام على اضطهاد بني إسرائيل وتعذيبهم لأنّهم اعتبروا الإسرائيليين أعواناً للهكسوس

(١) القصص القرآني، (٢/ ٢٥٥).

(٢) موسى كليم الله عليه السلام، ص٧٠.

المستعمرين الغزاة، ولهذا صَبُّوا غَضَبَهُم عليهم، ونسي الفراعنةُ فَضْلَ يوسف عليه السلام عندما وُلِّي أمرهم، وحَكَم مصرَ في أثناءِ أزمة اقتصادية حادّة، بقيت سبع سنوات عجاف قاحلة، وخرج منها شعبُ مصر، بتدبير يوسف عليه السلام، بسلامٍ وأمانٍ.

وكان بنو إسرائيل في مصر مؤمنين بالله، مُوحِّدين له، بينما كان المصريونَ كافرين مشركين بالله، يعبدونَ الأوثانَ والأصنام، وخضعوا لفرعون خضوع عبادة، فقد ادّعى فرعون أنه إله. وهذا من أسبابِ العداوةِ بين الطرفين؛ فريق الإسرائيليين المؤمنين بالله العابدين له، وفريق المصريين المشركين بالله العابدين لفرعون.

وقد أشارتْ آياتُ القرآن إلى مظاهرِ فسادِ حُكْم فرعون، وذكَرَتْ نماذجَ من اضطهاده وتعذيبه لبني إسرائيل[١]، وقد بَيّنتُ ذلك في كتابي «**موسى كليم الله عدوّ المستكبرين وقائد المستضعَفين**».

### ٨ ـ بَدْءُ نجم الإسرائيليين بالأفول:

أصبح الإسرائيليون جماعةً غيرَ مرغوب في بقائهم، فأذاقهم المصريُّون شتّى ألوانِ العذاب، واتّخذوا منهم عبيداً في بيوتهم، وأُجرَاء في أراضيهم، وأجبروهم على تعبيدِ الطُّرق، وشقّ التُّرع، وبناء المعابد والمقابر[٢].

وفي وسط هذا البلاء المبين؛ الذي أحاط ببني إسرائيل، منّ الله عليهم

---

(١) المصدر نفسه، ص٧١.

(٢) العقيدة اليهودية، د. سعد الدين صالح، دار الصفا، الطبعة الثَّانية، ١٩٩٠م، ص٥٧.

بالنِّعمة الكبرى، وهي ولادةُ نبيِّ الله موسى، ونجاته من جُنْدِ فرعون، بل وتربيته في بيت فرعون نفسه. وقد ذكرتُ في كتابي «**موسى كليم الله**» تفاصيلَ قصّة هذا النّبي الكريم التي تُعَدُّ أطولَ قصّةٍ في القرآن الكريم غَنيّةٍ بالدُّروس والعِبَر والفوائد، وبيّنتُ المراحلَ التي مرّ بها موسى عليه السلام، وهي:

ـ نشأته وشبابه.

ـ هجرته.

ـ رجوعه إلى مصر، ووحي الله له بالرِّسالة، وذهابه إلى فرعون، وإقامة الحُجّة عليه، وانتصاره على سَحَرة فرعون، وانتقام الله من فرعون وقومه حين كَذّبوا موسى، فأرسل عليهم الجرادَ والقُمّلَ والضّفادعَ والطُّوفانَ والدّم؛ حتى طلبوا من موسى أن يُرْفَعَ عنهم هذا البلاء، وشُقّ البحرُ أمام أعيُنهم نصفين بضربةٍ من عصا موسى، بعد أن كاد فرعونُ أن يلحقَ بهم، وغرق فرعونُ وقومه أمام أعينهم، بعد أن لَفَحَهُم الحرُّ في صحراء سيناء، وهم بلا مأوى ولا بيوت، فشكَوا إلى موسى ما يَلقَونَ من العَناء، فدعا موسى ربّه، فساق الغَمامَ إلى ذلك المكانِ ليظلّهم، وبعد أن كادَ طعامُهم أن ينتهيَ طلبوا من موسى المأكلَ والمشربَ، فأرسل الله لهم الرِّياحَ تحملُ لهم المنّ والسّلوى[1].

وبعد أن شعروا بالظّمأ دعا موسى ربّه فاستجاب له، وأخرج الماءَ من

---

(١) **المنُّ**: مادة تظهر على أوراق الشجر، يميل طعمها إلى الحلاوة. **والسَّلوى**: هي طائرُ السُّمانى.

بين الصُّخور الصّمّاء، ومن عجيبِ قُدرَةِ الله أن يتفجّرَ الماءُ اثنتي عشرة عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل، لكلِّ جماعةٍ منهم عينٌ محدّدةٌ؛ حتى لا يَجورَ بعضُهم على بعض[1]. وهناك تفاصيلُ كثيرةٌ في قصّة موسى عليه السلام التي تُعدُّ من أهم المراحل الحضارية التي مرّتْ بها بنو إسرائيل، ومن أراد التّوسُّعَ في قراءتها، يمكنه مراجعةَ كتابي: **(موسى كليم الله؛ عدوّ المستكبرين وقائد المستضعَفين)**.

## ٩ ـ امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدّسة في تلك الفترة ومرحلة التيه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

هذا الحوار بين موسى عليه السلام وقومه، الذي وَرَدَ في سورة المائدة،

(١) المصدر السابق، صالح، ص٦٥.

ونزلتْ آياتُه في الفترةِ المدنيةِ يتحدّث عن مرحلةٍ متقدِّمةٍ في حياة موسى مع قومه، وهم على أبوابِ الأرضِ المقدّسة التي وعدهم الله بها، وموقفهم كذلك من ميثاق ربِّهم معهم، وكيف نَقَضُوه، وكيف كان جزاؤهم على نَقْضِ الميثاق(١).

هذه الآياتُ الكريمةُ تُبيِّن موقفَ بني إسرائيل من نبيِّ الله موسى عليه السلام؛ الذي أرسله الله إليهم، وخَلّصَهم على يديه من ظُلْم فرعون ـ الذي كان يُذبِّح أبناءهم، ويَسْتَحْيِي نساءهم ـ وطُغْيانِه، وأنعم الله عليهم؛ إكراماً لموسى عليه السلام نِعَماً جليةً جليلة، كتظليل الغَمام، ونبع الماء من الحَجَرِ، وإنزالِ المنّ والسّلوى، وفوقَ كلِّ ذلك أنزل عليهم التوراةَ نوراً وهداية.

ومع كل هذه النِّعَم وقفوا مع نبيِّ الله موسى موقفَ الجُحُودِ والخذلان؛ عندما طَلَبَ إليهم أن يجاهدوا في سبيل الله، ويدخلوا الأرضَ المقدّسة، وقبل أن يطلبَ إليهم ذلك ذكّرهم ببعض نِعَمِ الله عليهم(٢).

أ ـ وقد علّق ابنُ خلدون رحمه الله على حِكْمَة الله في التِّيه، فقال: إن حِكْمَةَ ذلك التِّيه مقصودةٌ، وهي إفناءُ أبناءِ الجيل الذين خرجوا من قبضة الذُّلِّ والقهر والقوة، وتخلّقوا به، وأفسدوا من عصبيتهم، وحتى نشأ في ذلك التِّيه جيلٌ آخر عزيز لا يعرف الذل والقهر، فنشأت لهم بذلك عصبيّةٌ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، (٢/ ٨٦٨).
(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، (٢/ ٢٨٣).

أُخرى، اقتدوا بها على المطالبة والتّغلُّب، ويظهر لك من ذلك أن الأربعينَ سنةً أقلُّ ما يأتي في فناء جيل ونشأة آخر، سبحان الحكيم العليم[١].

ب ـ وقال محمد رشيد رضا رحمه الله تعليقاً على هذه القصّة: إنّ الشُّعوبَ التي تنشأ في عهد الاستبداد، وتُساسُ بالظُّلم والاضطهاد، تفسُدُ أخلاقُها، وتَذِلُّ نفوسُها، ويذهبُ بأسُها، وتُضربُ عليهم الذِّلّةُ والمسْكَنة، وتألف الخضوع، وتأنسُ بالمهانة والخضوع، وإذا طال عليها أمدُ الظُّلم تصيرُ هذه الأخلاق موروثةً ومُكتسَبةً حتى تكون كالغرائز الفِطرية، والطّبائع الخُلُقية، إذا أخرجتَ صاحبَها من بيئتها، ورفعتَ عن رقبته نِيْرها، ألفيته ينزعُ بطبعه إليها، ويتفلّت منك ليقتحمَ فيها[٢].

وقال أيضاً: فعلينا أن نعتبرَ بهذه الأمثال التي بيّنها الله تعالى لنا، ونتعلّم أن إصلاحَ الأمم بعد فسادها بالظُّلم والاستبداد إنّما يكونُ بإنشاء جيلٍ جديدٍ، يجمعُ بين البداوة واستقلالها وعزّتها، وبين معرفة الشّريعة والفضائل والعمل بها، وقد كان يقوم بهذا ـ بعد خَتْم النُّبوّةِ ـ ورثةُ الأنبياء، الجامعون بين العِلْم وسُنَن الله في الاجتماع، وبين فترة البصيرة والإخلاص والصِّدق في حُبِّ الإصلاح، وإيثاره على جميع الأهواء والشّهوات، ومَن يُضللِ الله فما له من هادٍ.

---

(١) مقدِّمة ابن خلدون، للعلَّامة عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمَّد بن خلدون، ط المكتبة التِّجارية الكبرى ـ القاهرة، دون تاريخ، (٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٢) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، (٦/ ٢٧٩).

وهكذا انفصل موسى وأخوه هارون عليهما السلام بمن أطاعهما واتّبعهما من بني إسرائيل، انفصلا وافترقا عن الأغلبية الضّالّة الفاسقة من بني إسرائيل، وتاه بنو إسرائيل الفاسقون في صحراء سيناء، وصاروا يتخبّطُون بين شِعابها ووديانها في حَيْرة وتِيْه وضَلال وضَياع، لا يعرفون ماذا يفعلون، ولا أين يَسِيرون، وهذا ما جَنَوْهُ على أنفسهم، وما ظلمهم اللهُ، ولكن كانُوا أنفسهم يظلمون(١).

وبدأ أفرادُ ذلك الجيل يموتون تباعاً، ويخرجون من هذه الدنيا مُجلّلين بالذُّلِّ والضّعف والهوان.

وهكذا تنتهي حياةُ موسى عليه السلام مع هذا الجيل من بني إسرائيل، بعد محاولاته المستمرّة للارتقاء بهم، لكنهم لم يتجاوبُوا معه؛ لتنتهي حياتُه معهم بيأسه منهم، والتوجُّه لتربيةِ أبنائهم على الخشونة والشِّدة والجهاد، وأما هم فقد غادروا هذه الدنيا تائهين، حَيارى، ضَائعين(٢).

ويتركُهم السِّياقُ القرآنيُّ هنا في التِّيه، لا يَزيدُ على ذلك، وهو موقفٌ تجتمعُ فيه العِبرةُ النّفيسةُ إلى الجمال الفنِّي، على طريقة القرآن في التّعبير، وكانت هذه بعض آثار المنهج القرآنيِّ في التربية بالقَصَص عامّةً، وبعض جوانبِ الحِكْمَةِ في تفصيلِ قصّة بني إسرائيل(٣).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٢٩٢).

(٢) موسى كليم الله، ص١٠٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٦٤.

**١٠ ـ وفاة موسى عليه السلام:**

كان موسى عليه السلام من أُولي العَزْم من الرسل، الذين حقّقوا التّوحيد وإفراد الله بالعبادة، وحارب فرعونَ ونظامَهُ الظّالمَ بالعقل والحِكْمَة والحُجَج والبراهين، وجعله الله سبباً في إنقاذ بني إسرائيل من النظام الاستبدادي الفرعوني، وقد تميّزت شخصيتُه العظيمةُ بصفاتٍ جميلة، وأخلاقٍ كريمة، فقد كان كثيرَ الدعاء لله عزَّ وجلَّ، والتّضرُّع بين يديه، وشديد الخوف منه، ومتوكِّلًا عليه، وصابراً على تكاليف الدّعوة ومَشاقِّها، صادقاً مع ربِّه، شجاعاً لا يخافُ إلا الله، عالماً وحكيماً وأميناً وقويّاً ورحيماً ومُعيناً للمُستضعفين، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والصِّفات الكريمة؛ التي عاش بها وسطَ الناس، ودعا إليها وعلّمَها لمن استجاب لدعوته.

وقد أسهمتْ تلك المنظومةُ الأخلاقيّةُ المتينةُ في التأسيس الأخلاقيّ والمنهج الرّباني؛ الذي سار عليه الموحِّدون لله عزَّ وجلَّ في عهده وبعد وفاته.

ومن أهمِّ تلك الأخلاق والصِّفات: الإخلاصُ والصّبر، والعبوديّةُ لله، وتعظيمه لربه وخوفه منه عزَّ وجلَّ، والتّوكُّل على الله، والشُّكر له، والإحسان، والعِلْم، والقوة الإيمانية، وكثرة الدُّعاء والتّواضع، والاعتراف بالخطأ، والشّهامة، ومساعدة الضّعفاء، والعزيمة، فقد استمرّ بنو إسرائيل في التِّيه بسيناء، وواصل موسى عليه السلام مسيرتَه في الإعداد لدخول الأرض المقدّسة وتربيتهم على قيمِ الجهاد، وخلالَ هذه الفترة توفِّي نبيُّ الله هارون عليه السلام، فقد كان حيّاً مع بداية التِّيه.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥ ـ ٢٦]، ولم يردْ له ذِكْرٌ في القرآن، ولا في الحديث الصّحيح بعد ذلك.

وتحدّثتِ الإسرائيلياتُ كثيراً عن وفاة هارون عليه السلام، وفصّلت في ذلك، فذكرَتْ اتهامَ بني إسرائيل لموسى عليه السلام بقتل هارون، ودفاع هارون عن نفسه، وحدّدتِ المكانَ الذي دُفن فيه هارون، لكننا لن نركنَ إلى تلك الإسرائيليات، بل نبقى مع الآيات والأحاديث الصّحيحة.

ثم إنّه بعد وفاة هارون استمرّ موسى عليه السلام يُربِّي الجيلَ الجديدَ من بني إسرائيل، ويساعدُه في ذلك فتاه الصّالح يوشع بن نون.

وأخيراً حان أجلُ موسى عليه السلام، وقدّر الله أن تنتهيَ حياته المقدّرة التي عاشها في الابتلاءات والمحن، والتخلُّق بالصّبر والثبات والاحتمال، وبذل جهده في تربية بني إسرائيل والارتقاء بِهِمَمِهم وعزائمهم، وجاءه الأجلُ، وهو يربِّي الجيلَ الجديدَ من قومه، ويُعدُّهُم لدخول الأرض المقدّسة(١).

فَعَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، في حديث الإسراء والمعراج، قوله: «**مررتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلي فِي قَبْرِهِ**» (٢).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه مسلم، رقم ٢٣٧٥.

أي: أنّ رسولَ الله شاهدَ موسى عليه السلام قائماً يُصلّي في قبره عند الكَثِيْبِ الأحمر، وهو في طريقه من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقْدِس، في رحلةِ الإسراء والمعراج[١].

قال الشّيخُ صلاح الخالدي: إن طريقَ الإسراء كانت هي الطّريق ما بين الحجاز وبلاد الشام، فلعلّ الكثيبَ الأحمرَ المذكورَ في الحديث في منطقة مُعان جنوبيّ الأردن، أو منطقة وادي عَرَبة، أو منطقة شرقِ نهر الأردن. ويدلُّ الحديث على أن موسى عليه السلام حيٌّ في قبره، وحياتُه خاصّةٌ لا تُقاس بمقاييس حياتنا الدنيا؛ لأنه غادر هذه الحياة، إنّما حياتُه حياةٌ برزخيّةٌ تليقُ به.

ومعلومٌ أن الأنبياء أحياءٌ حياةً خاصّةً ـ في قبورهم ـ وأن الأرضَ لا تأكلُ أجسامَهم.

وصلاة موسى عليه السلام في قبره هي صلاةٌ خاصّةٌ، وذكْرٌ لله وثناءٌ عليه، وليست تكليفاً، لأنه لا تكليفَ بعد الموت[٢].

**والخلاصةُ**: لا يمكننا تحديدُ المكان الذي دُفِنَ فيه موسى عليه السلام، فكلُّ ما ذكره الحديثُ أن قبره بجانب الطّريق عند الكثيبِ الأحمر، كما أنّ هذا القبرَ والكثيبَ الأحمر ليسا في الأرض المقدّسة، وإنّما هما على مشارفها، على بُعد رميةِ حَجَرٍ منها؛ لأن موسى عليه السلام تُوفّي قُبيل دخول قومه الأرضَ المقدّسة، وهم دَخَلُوها بعد دَفْنه، وكانوا بقيادة خليفته

(١) القصص القرآني، مرجع سابق، (٣/ ٣٤٠).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٣٤١).

يُوشع بن نُون، ولم يأخذوه معهم، ولم يدفنوه في الأرض المقدّسة، لأن كلّ نبيٍّ يُدفَن في المكان الذي تُوفّي فيه[١].

ودليلُ ذلك ما رواه أحمد والترمذي عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنّ أصحابَ النّبيِّ ﷺ لم يَدْرُوا أين يقبرون النّبيّ ﷺ، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «**لن يُقْبَرَ نبيٌّ إلا حيث يموت**»[٢].

وروى ابنُ ماجه: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِن حيثُ يُقبضُ**» [٣]؛ وهذا معناه أن موسى عليه السلام دُفِنَ في المكان الذي قُبِضَ فيه، ولم يُدْفَنْ في الأرض المقدّسة، ولم ينْقَلْ إليها، والله أعلم.

وهكذا انتهتْ حياةُ موسى عليه السلام، التي عاشها لله، ومع الله، وبالله، وفي سبيل دعوةِ التّوحيد، وتعليم الناس عبادة الله وشَرْعه، وإنقاذ المستضعفين، وإقامة الحُجّة على الفراعنةِ الجاحدين.

لقد استطاع موسى عليه السلام أن يُرْسيَ قواعدَ حضارةٍ ربانيّةٍ أُسِّست على تقوى الله وتوحيده، واكتملَتْ تلك الحضارة بعد وفاته في عهد طالوت وداود وسليمان عليهم السلام، فأصبحت لبني إسرائيل دولةُ داود ثم دولة سليمان عليهما السلام، بعدما كانوا مُستضعَفين تحت حُكْم الفراعنة[٤].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٤١).

(٢) مسند أحمد، رقم ٢٧، وهو حديث قوي بطرقه.

(٣) سنن ابن ماجه، رقم ١٦٢٨.

(٤) موسى كليم الله عليه السلام، ص١٢٥٩.

## ١١ ـ يوشع بن نون ودخول الأرض المقدّسة:

كان يوشع بن نون من قادة الجيل الجديد الذي اهتمّ موسى عليه السلام بتربيته وإعداده، ونال يوشع بن نون من موسى عليه السلام رعايةً خاصة، حيث لازم النبيّ موسى في الحضر والسّفَر، والحِلِّ والتّرحال، وتميّز بين أقْرانِه بالعِلْم والأخلاق، والتمسُّك بشرع الله عزَّ وجلَّ، وبعد وفاة موسى عليه السلام تولّى يوشعُ قيادةَ بني إسرائيل، وكان من صالحيهم، واختلف العلماءُ في نبوّته، فذهب بعضُهم إلى أنه نبيّ، وتوقّف آخرون في القول بنبوّته؛ لعدم وجود حديثٍ صريحٍ بذلك، وأما عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم يعتقدون أنه نبيٌّ، واسمه عندهم (يشوع)، وله سِفْر خاصٌّ هو السِّفْر السّادس من أسفار العهد القديم، الذي يُسمُّونه (سفر يشوع) [١].

### أ ـ حُجّة من قالوا بنبوّة يوشع:

إن الذين قالوا بنبوّة يوشع اعتمدوا على حديث في الصّحيحين، إذ روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتّبعني رجلٌ مُلِّكَ بُضعَ امرأةٍ، وهو يُريد أن يبنيَ بها ولما يَبْنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً لم يرفعْ سقوفها، ولا أحدٌ اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظرُ أولادَها، فَغَزا فَدَنا من القرية صلاةَ العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنّك مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللّهمّ احْبِسْها علينا، فحُبِسَتْ حتى فتح الله عليه، فَجَمَعَ الغنائمَ فَجاءَتْ ـ يعني النار ـ لتأكُلَها فلم تطعَمْها، فقال: إنّ فيكم غُلُولًا، فَلْيُبايعْني من كلِّ قبيلة رجلٌ، فلزقتْ يدُ**

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٦٢).

**رجل بيدِه، فقال: فيكم الغُلُولُ فَلْتُبايعْني قبيلتُك، فَلَزِقَتْ يدُ رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلولُ، فجاؤوا برأسٍ مثلِ رأسِ بقرةٍ من الذّهب، فوضعها، فجاءت النّارُ فأكلَتْها»** (١).

**ب ـ من قال بعدم نبوّة يشوع:**

هذا الفريقُ رأى أن الحديثَ النبويّ في الصّحيحين إنّما أَبهَمَ اسمَ النّبيِّ واسمَ القرية واسمَ القوم، فذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنّ هذا النّبيّ هو يوشع بن نون، وأن القومَ هم بنو إسرائيل. وذهب بعضُهم إلى أن المرادَ بالقرية بيتُ المقْدِس، وأبقى علماءُ آخرون الإبهامَ في الحديث على ما هو عليه، فلم يُعيِّنوا اسمَ النّبيِّ ولا اسمَ القرية، لأنه لم يُعيّن في الحديث، ولا تُوجدُ أحاديثُ صحيحةٌ غير هذا الحديث تُبيِّن ذلك. وتُزيلُ الإبهامَ، ونحن مع الفريق الثّاني، فلا بُدّ أن يعتمدَ الذين قالوا بنبوّة يوشع، من خلال الحديثِ، على حديثٍ آخر صريح صحيح.

إنّنا لا نَملكُ حديثاً صحيحاً مرفوعاً للنبي ﷺ يُصرِّحُ أن النّبيّ المذكور هنا هو يوشع بن نون، أو يُصرِّح أن يوشع نبيٌّ، ولو وجدنا ذلك لقُلْنا به.

وقد قال الدكتور الخالدي رحمه الله: الرّاجحُ إذاً أن يوشعَ بن نون ليس نبيّاً، لعدم وجودِ حديثٍ صريح مرفوع بذلك، فهو رجلٌ صالح؛ كان متابعاً لموسى عليه السلام، ومِنْ أصلَحِ وأفضَلِ بني إسرائيل. ولما توفِّي موسى عليه السلام تولّى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل، وحَكَم فيهم على أساس التّوراة، وطبّق فيهم شرعَ الله.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٦٦).

تولّى يوشعُ قيادةَ بني إسرائيل قبل دخولهم الأرض المقدّسة، وقام بإعدادهم للجهاد، ليدخلوا الأرض المقدّسة مجاهدين، ودخل يوشعُ ببني إسرائيل الأرضَ المقدّسة، وقاتلوا الكافرين الذين وُجِدوا فيها، ونَصَرَهم الله على أولئك الكافرين، ومكّن لهم، وصار يوشع يفتتحُ المدن والقرى في تلك المنطقة[1].

**ج ـ يوشع بن نون المجاهد الصّالح:**

إن يوشع بن نون الرجل الصّالح كان مثالَ القائد الشجاع، والمؤمن المجاهد، القويّ العادل، وكان جهادُه للكفار في الأرض المقدّسة جهاداً إيمانياً، قائماً على نصرِ الحقِّ.

وقد صوّرتِ الإسرائيلياتُ يوشعَ بأنه سفّاكٌ للدماء؛ يبيدُ كلّ ما يجده أمامه من مدن وقرى الأرض المقدّسة إبادةً، يُبيد كلّ الرِّجالِ والنساءِ والأطفالِ، ويُبيد المواشيَ والحيوانات.

و(سفر يشوع) هو السِّفْرُ السّادس من أسفار العهدِ القديم، ويستحقُّ أن يُسمّى (سفر المذابح والمجازر)، وقد وضعه وكتبه أحبارُ اليهود الكاذبون الإرهابيُّون، ونَسَبُوا إلى يوشع تلك المذابح والمجازر اللاإنسانية.

ويُعدُّ (سفر يشوع) من المواد الأساسية في التربية اليهودية، فيُربي اليهودُ أولادَهم عليه، ويُلقِّنونهم إياه، ويَدعونهم للاقتداء بيشوع في التعامل مع

(١) البخاري، رقم ٥١٥٧، ومسلم رقم ١٧٤٧، والأحاديث الصَّحيحة، رقم ٢٣٦.

خصومهم، وما مذابحُ اليهود المعاصرة ضدّ أهل فلسطين والعرب إلا نتاجُ التربية اليهودية وفق سِفْرِ يشوع الإرهابي.

أما يوشعُ بن نون ـ زعيم الجيل الجديد بعد موسى عليه السلام ـ فإنّه بريءٌ من كلِّ ما ألصقه به أحبارُ اليهود من مذابح ومجازر، فما كان إلا مؤمناً صالحاً، ومجاهداً شجاعاً، وكانت فتوحاتُه في الأرض المقدّسة نَشْراً للحقِّ، ومحاربةً للباطل، وكان يتعاملُ مع الآخرين وَفْق أحكام شريعة الله، ولم يفتحْ يوشعُ كلّ مدن وقرى الأرض المقدّسة، وإنّما افتتح بعضَها، ورتّب إقامةَ بني إسرائيل فيها(١).

ويرى الأستاذ محمد علي دولة رحمه الله وهو ممّن يرى أن يوشعَ بن نون نبيٌّ، بأنّ بني إسرائيلَ بعد دخولهم الأرض المقدّسة كانوا يُساسون من الأنبياء ـ ابتداءً من النّبيّ يوشع، وحتى النّبيِّ صمويل؛ الذي أقام لهم أوّلَ ملكٍ، تلبيةً لرغبتهم، وهو الملك (طالوت) الذي تُسمِّيه أسفارُهم (شاؤول) ولقد بقي هذا الجيل الذي قاده يوشعُ بنُ نون إلى الفتح على جادّة الاستقامة، مُتمسِّكاً بأحكام التوراة وهدي الأنبياء مدة بقاء يوشع فيهم، وهي ستٌّ وعشرون سنة ـ وبعد أن انتقل يوشعُ هو وجيلُ الكبار الذين كانوا معه إلى جِوار ربِّهم بدأ الانحرافُ السّريعُ في سلوك القوم، وهانتْ عليهم الذُّنوبُ فاقترفوا صغارَها، ثم تجرّؤوا على كِبارها.

وهكذا عمّ الفسادُ معظمَ جنبات هذا المجتمع الذي رُبِّي على أعين الأنبياء ليقومَ بمهمّة التبشير بدِيْن الله، وانتشر في بني إسرائيل العُلوُّ

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٦٦).

والكبرياء، وكثرت الإساءات للأقوام الذين فتحوا بلادَهُمْ، والذين أوصتِ التّوراة بحُسْن معاملتهم، والإحسان إليهم[١].

ويصفُ صاحبُ (قصّة الحضارة) ما فعله بنو إسرائيل بالكنعانيين قائلًا: كانت هزيمةُ العبرانيين للكنعانيين مثالاً واضحاً لانقضاضِ جموعٍ جياعٍ على جماعة مُستقرِّين آمنين، وقد قَتَلَ العبرانيون من الكنعانيين مَن استطاعوا قَتْلَهم، وسَبَوْا ما بقي من نسائهم، وجرتْ دماءُ القتلى أنهاراً، وكان هذا الفعلُ ـ كما تقول نصوصُ الكتاب المقدّس ـ فريضةَ الشّريعة التي أمر بها ربُّ موسى، وزكاةً للرّبِّ.

ولمّا استولَوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً، وأحرقوا وصلبوا حاكمَها.. ولسنا نعرفُ من تاريخ الحروب مثلَ هذا الإسراف في القتل، والاستمتاع به.

وطبّق يوشعُ قانونَ الطبيعة الذي يقول: إن أكثر الناس قتلًا هو الذي يبقى حياً، وبهذه الطّريقةِ التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهودُ على الأرض الموعودة[٢].

وقد علّق الدكتور الخالدي رحمه الله على (سفر يوشع)، وما نُسب فيه

---

(١) كلام في اليهود، مجموعة مقالات في اليهود وفي دولتهم المعاصرة، محمد علي دولة، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠١٣ م، ص٤٦.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم محيي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، (٢/ ٣٢٦)، باختصار.

إليه من الفظائع، وبيّن بطلانَ ما نسبوه ليوشع بن نون عليه السلام، ويبدو أن صاحبَ قصّةِ الحضارة (ول ديورانت) وَقَعَ في المحظور في نِسْبة الأكاذيب والأباطيل إلى يوشع بن نون.

**د ـ مخالفات بني إسرائيل بعد يوشع بن نون عليه السلام:**

توفي يوشعُ بن نون، وتولّى قيادةَ بني إسرائيل آخرون، واستقرُّوا في المناطق المفتوحة من الأرض المقدّسة، ولا يَعنينا هنا الحديث عنهم في هذه المرحلة.

كل ما نقولُه أنهم لم يكونوا جادِّين في الالتزام بشرع الله، ولا ثابتين على الحقِّ، وإنّما كانت تغلبُ عليهم طبيعتُهم القائمة على التفلُّت والتمرُّد والمخالفة والعصيان، وقد أورد القرآنُ مثالاً لتمرُّدهم ومخالفتهم، بعدما استقرُّوا في الأرض المقدّسة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨ ـ ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٢].

**وخلاصةُ معنى هذه الآيات**: أنّ الله يُخبرنا عن بعض مخالفات بني إسرائيل، إذ لمّا مَنّ الله تعالى عليهم بالنصر على أعدائهم، أمرهم بشُكره على تلك النِّعمة، وذلك بأن يدخلوا بابَ القرية ساجدين شاكرين له، وأن يطلبوا منه وَضْعَ ذنوبهم وحَطّها ومغفرتها، فإن فعلوا ذلك فإنّ الله سيستجيب لهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويحطُّ عنهم سيئاتهم.

ولكن طبيعتهم المتفلِّتة المتمرِّدة تأبى عليهم الالتزامَ بأوامر الله، فلما نصرهم الله على أعدائهم لم يدخُلوا من باب القرية ساجدين، وإنّما دخلوا يزحفون على مُؤخِّراتهم، كما يفعل الأطفالُ الصغار، وبَدَلَ أن يقولُوا حِطّة قالوا: حَبّةٌ في شَعْرة، وبهذا بدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، وتمرّدوا على الأمر الرّبانيِّ وحرّفوه وغيّروه، وبذلك استحقُّوا العذابَ من الله.

ونرى أن الآيات أبهمتْ اسمَ القرية، لكنها قريةٌ في الأرض المقدّسة، وكان الحديثُ عنها في مرحلة لاحقة من مراحل إقامة بني إسرائيل في الأرض المقدّسة، بدليل أن الله عاجَلَهم بالرِّجْز والعذاب عقاباً لهم، ولم يكن ذلك العذابُ في عهد يوشع بن نون، والله أعلم[1].

**هـ ـ تبديل بني إسرائيل أوامر الله قولًا وفعلاً، والحديث النّبويّ في ذلك:**

وضّح الرسولُ ﷺ مخالفتَهم لأمر الله تلك المخالفة التي أشارتْ إليها الآياتُ، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٦٨).

ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل**: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨] **فبدّلوا، فدخلوا يَزحفون على استاههم، وقالوا: حَبّةٌ في شَعْرة**». متّفق عليه.

إنّ المخالفةَ كانت عندهم هدفاً بحدِّ ذاته، وإلا فما معنى (حبة في شعرة)؟ لا معنى لهذا الكلام؛ المهمُّ هو ألا يدخلوا باب القرية ساجدين، وألا يقولوا «حِطّة».

قال الإمام ابن حجر في شرح الحديث: قال الحسن: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾: أي احْطُطْ عنّا خطايانا، وفي: مسألتنا حِطّة، فبدّل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم، وقالوا: حبة في شعرة، وأكثر الرواة على رواية: (حبة من شعرة).

وفي رواية الكُشْمِهيني: (حبة من شعيرة)، أي: من الشّعير. والحاصل أنهم خالَفُوا ما أُمِروا به من القول والفعل، فإنّهم أُمِروا بالسُّجود عند انتهائهم من الفتح، شكراً لله، وأُمِروا بأن يقولُوا حِطّة، فبدّلوا السُّجودَ بالزّحفِ، وقالوا: حِنْطَةٌ بدلَ حِطّة، أو قالوا حِطّة، وزادوا فيها حبة في شعيرة[1].

**و ـ الله يُعاقب بني إسرائيل بالرِّجز والطاعون:**

لمّا بدّل بنو إسرائيل أمرَ الله قولاً وفعلًا أوقع الله بهم العذابَ، فأنزل

(١) صحيح البخاري، (٦/ ٣١٢)، وانظر فتح الباري، (٨/ ٢٢٩). وانظره في تفسير ابن كثير، (١/ ١٨٠).

عليهم الرِّجْز: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

وكان العقابُ لهم فورياً وسريعاً، بدلالة الفاء في قوله ﴿فَأَنزَلْنَا﴾؛ التي تدلُّ على الترتيب مع التعقيب الفوري، أي أنّ إنزالَ الرِّجْز عليهم كان بعد تبديلهم فوراً، والرِّجْز: هو العذاب.

قال الإمامُ الرّاغبُ: أصلُ الرِّجْز: الاضطرابُ، ومنه قيل: رَجَزَ البعيرُ رجزاً، وناقته رَجْزَاء: إذا تقارب خَطْوها واضطربَ، لضعف فيها[١]، وسُمِّي العذابُ رجزاً، لأنه يقودُ إلى اضطراب، وزلزلة، وحركة القوم المعذّبين، والرِّجْزُ في الآية مُبْهَمٌ، وقد بيّنه رسولُ الله ﷺ بأنّه الطّاعون؛ إذ روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطّاعونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيل، وعلى مَنْ كان قبلَكم، فإذا سمعتُمْ به بأرضٍ فلا تَقدموا عليه، وإذا وَقَعَ بأرضٍ وأنتم فيها فلا تَخرجُوا فراراً منه**» [٢].

ولم يُفصِّل الحديثَ في تعذيبهم بالطّاعون، وإنّما أبقاه مُجْمَلًا، فلا نعرف تفصيلاته، ولا نخوض في ذلك.

وهكذا كانت إقامةُ بني إسرائيل في الأرض المقدّسة تقومُ على المخالفة والمعصية، وكان الله يعاقبهم بأنواع العذاب، بسبب فِسْقِهِم وظُلْمِهم، ويُوقع بهم غضبَه، ويُحِلُّ عليهم لعنته[٣].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٦٩).
(٢) البخاري، رقم ٣٤٧٣. وانظر: صحيح مسلم، رقم ٢٢١٨.
(٣) القصص القرآني، (٣/ ٣٧٠).

### ١٢ ـ عهد القضاة:

بقي رجالُ بني إسرائيل في الأرض المقدّسة (فلسطين)، وذلك بعدما عَبَرُوها مع فتى موسى عليه السلام، قائدهم يوشع بن نون، وبذلك انتهت حياةُ البداوةِ والخشونةِ والتّرحالِ إلى شبه حياةٍ حضارية مُستقِرّة، فسكنوا المدنَ والقصور بعد الخيام في الصحراء، وكانوا مع ذلك في حروبٍ دائمةٍ مع مَنْ جاورهم من الفلسطينيين، وحروبٍ داخلية مع أسباطهم الاثني عشر، كما كانت تسودُهم الفوضى والانتكاسُ في العبادة أيضاً[١].

ويبدأ عصرُ القضاة بموتِ يوشع بن نون، وينتهي بقيام الملكيةِ على يد طالوت (شاؤول في التّوراة)، وهناك نوعان من القضاة:

#### أ ـ النّوع الأول:

وهم الذين يَفصلُون في الدّعوى بين المتخاصمين، فقد كان موسى عليه السلام يقضي للشعب وحده من الصّباح إلى المساء، فنصحه (يثرون) بأن يُعَلِّمَ الشعبَ الفرائضَ والشرائعَ، ثم يختار من ذوي القدرة والخوف من الله والمبغِضين للرشاوى؛ ليقيمَهُم على الشّعْب رؤساء ألوفٍ ومئاتٍ وعشراتٍ فيقضُوا في الدعاوى الصغيرة، أما الدعاوى الكبيرة فيأتون بها إلى موسى عليه السلام، ليقول فيها القول الفصل.

والقضاة من هذا النّوع كان عَدَدُهم كبيراً جدّاً، وهم متواجدون منذ بداية التّيه مع موسى عليه السلام وبعده.

---

(١) داود في الأسفار اليهودية، مي المدهون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ١٤٢٠ ـ ١٤٢١هـ، ص ٦١٥.

**ب ـ النّوع الثّاني:**

وهو بمعنى المخلِّص، وهو ما وَرَدَ في سِفْرِ القضاة (وأقام لهم الرّبّ قُضاةً، فخلّصوهم من يدِ ناهبيهم). وهذا النّوعُ بمعنى المخلِّص هم الذين وَرَدَ ذِكرُهم في فترة القضاة.

وفي عهد القضاة تذكرُ كتبُ التّاريخ؛ التي اعتمدتْ على سفر القضاة وغيرها من الكتب؛ بأن بني إسرائيل ارتدُّوا عن عبادةِ الله سبع مرات، وعبدوا الأصنام، وهو ما كان سبباً في تسليطِ الأعداء عليهم، وكان من قُضاتهم من يُلِمُّ شَعْثَ المتفرِّقين، ويجمعُ شَمْلَهم، وكان منهم من يقومُ بردِّ غارة، أو دَفْع عدوٍّ عنهم، ومنهم من تولّى الحُكْم طوال حياته، ومنهم من فَسَد في حكمه، وولّى أولادَه في القضاء. ولقد سطّر سِفْرُ القضاةِ سِيرَتهم، وأحوالَهم، وما أصابهم من نَكَبات وقعتْ بهم، وأقضّت مضجعَهم.

ومِنْ قراءة عهد القضاة، من خلال سِفْر القضاة؛ نستخلصُ أن عهدَ القضاة أسوأ عهودِ بني إسرائيل، ففيه انتشرتِ الرّذائلُ والمنْكَرات بينهم، وعبدوا الأصنام، وقَتَلوا الصّالحين، وفشا بينهم الزِّنا، وترتّبَ على ذلك أنّهم تعرّضوا خلال عهد القضاء لنكباتٍ وغاراتٍ كان لها وقعٌ عظيم.

وقد تحدّثتْ كتبٌ كثيرةٌ عن أسماء القضاة، وسِيَرهم، وعَهْدِهم وسِماته، ومُدّته، واختلفوا في ذلك اختلافاً بيِّناً، ومِنْ أهم هذه الكتب:

ـ بنو إسرائيل منذ دخولهم فلسطين وحتى الشّتات الرُّوماني في عام (١٣٥م)، للدكتور محمد بيومي مهران.

ـ المدخلُ لدراسة التّوراة والعهد القديم، لمحمد علي الباز.

ـ دراساتٌ في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود عبد العزيز الخلف.

ـ دراساتٌ في اليهودية والمسيحية في أديان الهند، للدكتور محمد ضياء الأعظمي.

ـ دراساتٌ تاريخيةٌ من القرآن في بلاد الشام، للدكتور محمد بيومي مهران.

ـ التّاريخُ العسكريُّ لبني إسرائيل من خلال كُتبهم، قراءة جديدة للعهد القديم، للّواء الركن المتقاعد الدكتور ياسين سويد.

أما أرجحُ الأقوال، فيما يتعلّق بمدّة عهدِ القضاة، فيُمكِننا أن نستعينَ بما ذكره ابنُ خلدون في مقدمته حين قال: إنّ للدولة أعماراً طبيعية كالأشخاص، وذكر قياس عمود النّسب قائلًا: يجري على ألسنة الناس في المشهور أن عُمْرَ الدولة مئة سنة، فاعتبرْه، واتّخِذْ منه قانوناً يُصحِّح لك عَدَدَ الآباء في عمود النّسَبِ؛ الذي تريدُه من قبل معرفة السِّنين الماضية، إذا كنتَ قد اقتربتَ في معرفة عددهم، وكانت السِّنونُ الماضية منذ أوّلهم مُحصّلة لديك، فَعُدّ لكلِّ مئة من السنين ثلاثةً من الآباء، فإن نفّذتَ هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح، وإن أنقصتَ عنه بجيلٍ، فقد غلط عَدَدُهم بزيادة واحد في عمود النّسَب، وإن زادت بمثله فقد سقط واحد، وكذلك تأخُّر عدد السنين من عددهم، إذا كان مُحصّلًا لديك فتأمّلْه تجدْه صحيحاً، والله يقدّر[1].

(١) مقدمة ابن خلدون، ص١٧١/ ١٧٢.

وعليه فتكون مدةُ عهد القضاة (١٢٠ ـ ١٣٠) عاماً، والله أعلم[١].

ولا شكّ في أن كُتُبَ العهدِ القديم، المتعلِّقة بِسِفْرِ يشوع وسِفْرِ القضاة، تعرّضتْ لمبالغاتٍ وأكاذيب بعيدةٍ عن الدِّقة والحقيقة والمصداقية، كما أنها تعرّضتْ للتحريف والتبديل بسبب الأهواء، فقد حاولوا إقناعَ الناس، من خلال تزويرِ حقائقِ التّاريخ، أن جذورَهُم التّاريخية في الأرض المقدّسة استمرّت قروناً عدة، مضى معظمُها في حروبٍ وتناوُشٍ مع سكان الأرض الأصليين ـ الفلسطينيين ـ وإن شيّدوا فيها أعظمَ مملكة لهم، ولكنها كانت قائمةً على التّوحيد الخالص لله، ومع ذلك لم تصمدْ أكثر من قرنٍ من الزّمان ـ ملك داود وسليمان عليهما السلام ـ لِرَدّتهم وتمرُّدهم وعِصْيانهم، فأشركوا بالله، وعبدوا الأصنامَ والأوثان، فسلّط عليهم مَنْ مزّق مُلْكَهم بما كسبت أيديهم، والله عزيز ذو انتقام[٢]، وإنّ في إزالتهم سُنّة لله في الاستخلاف والعمارة والتّمكين في الأرض.

### ١٣ ـ المدة الزمنية بين موسى وداود عليهما السلام:

تُوفِّي موسى عليه السلام في التِّيه، وأجمع العلماءُ على أن فترة التِّيه كانت (٤٠) سنة، كما نصّ عليها القرآنُ الكريمُ، وسبق أن وَضّحنا استنتاجاً أنّ مدّة عهدِ القضاة (١٢٠) سنة، وذكرتْ كُتُبُ العهدِ القديم أن زَمَنَ حُكْم شاؤول استمرّ سنتين، وبعدها تولّى الملكَ داود عليه السلام، فتكون الفترةُ الزمنيةُ بين وفاة موسى عليه السلام وتولِّي داود عليه السلام الملك كما يأتي:

---

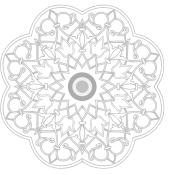
(١) داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، ص١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٤٠) عاماً التّيه، و(١٢٠) عاماً عهد القضاة، وسنتان ملك شاؤول، وهي ما تعادل (١٦٢) عاماً، أي أكثر من قرن ونصف القرن تقريباً، والله أعلم، وهو مخالفٌ لما ذكره العلامةُ المفسِّر ابنُ كثير رحمه الله من أن المدة بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة[١].

* * *

(١) المصدر نفسه، ص١٦٢.



# المبحث الأول

## ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة طالوت وداود عليه السلام

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥٢].

تقصُّ هذه الآياتُ الكريمةُ مرحلةً من حضارة بني إسرائيل، وقصصُ بني إسرائيل من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، لأسباب عدة، ذكرتُ بعضَها في كتابي: (**موسى كليم الله عدوّ المستكبرين وقائد المُستضعَفين**)، منها أنّ الله عزَّ وجلَّ عَلِمَ أن أجيالاً من هذه الأمة المسلمة ستمرُّ بظروفٍ كالتي مرّ بها بنو إسرائيل، وتقفُ من دينها وعقيدتها مواقفَ شبيهةً لمواقف بني إسرائيل، فعرض لها مزالقَ الطّريق، مُصوّرة في تاريخ بني إسرائيل؛ لتكون لها عظةً وعِبْرة، ولترى صُورتَها في آيات الذِّكْر الحكيم، قبل الوقوع في تلك المزالق، أو اللّجاج فيها على مَدار الطّريق.

إن هذا القرآنَ ينبغي أن يُقرأ، وأن تتلقاه أجيالُ الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يُتدبّر على أنه توجيهاتٌ حيةٌ تتنزّل، لتُعالجَ مسائلَ اليوم، ولتُنيرَ الطّريقَ إلى المستقبل، لا على أنه مجرّد كلامٍ جميل يُرتّل، أو على أنه سِجِلٌّ لأحداث وظواهرومواقف مَضَتْ، ولن تعود.

ولن ننتفعَ بالقرآن الكريم حتى نقرأه، ونلتمسَ عنده توجيهاتِ حياتنا الواقعة في يومنا وفي غدنا، وحين نقرأ القرآنَ بهذا الوعي سنجد عنده

ما نريد، وسنجد فيه عجائبَ لا تخطرُ على البال السّاهي[1].

إن هذه الآياتِ الكريمةَ تُحدِّثنا عن تجربةِ حياةِ بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، وبعدما ضاع مُلْكُهُم، ونُهبتْ مقدّساتهم، وذلُّوا لأعدائهم، وذاقوا الويلَ بسبب انحرافهم عن هُدى ربِّهم، وتعاليم نبيِّهم، ثم انتفضتْ نفوسُهم انتفاضةً جديدة، واستيقظتْ في قلوبهم العقيدةُ، واستفاقوا للقتالِ في سبيل الله، فقالوا لنبيٍّ لهم: ابعثْ لنا مَلِكاً لنقاتل في سبيل الله.

ومن خلال هذه التجربة ـ كما يعرضُها السِّياقُ القرآني ـ تبرزُ جملةُ حقائق، تحملُ إيحاءاتٍ يستفيدُ منها كلُّ جيلٍ حتى يرثَ الله الأرضَ، ومن عليها، والعِبرة الكلية التي تبرزُ من القصّة كلِّها هي أن هذه الانتفاضةَ ـ انتفاضة العقيدة ـ على الرغم من كلِّ ما اعتراها أمام التجربةِ الواقعةِ من نقصٍ وضعفٍ، ومن تخلِّي القوم عنها فوجاً بعد فوج في مراحل الطّريق.

على الرغم من هذا كله فإن ثباتَ قِلّةٍ قليلةٍ من المؤمنين عليها قد حقّق لبني إسرائيل نتائجَ ضخمة جدّاً، فقد كان فيها النّصرُ والعِزُّ والتّمكين بعد الهزيمة المنكَرة، والمهانة الفاضحة، والتّشريدِ الطويل، والذُّلِّ تحت أقدامِ المتسلِّطين، ولقد جاءت لهم بِمُلك داود ثم مُلْكِ سليمان عليهما السلام، وهذه أعلى قمّةٍ وصلت إليها دولةُ بني إسرائيل في الأرض، وهي عهدُهم الذهبيُّ الذي يتحدّثون عنه، والذي لم يبلغوه من قبل، وكان هذا النّصرُ كلُّه

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٢).

ثمرةً مباشرة لانتفاضة العقيدة من تحت الرُّكام، وثبات قِلّةٍ قليلة عليها أمام جَحَافل جالوت[1]، وإليكم **تفسير الآياتِ السّابقة**:

**أولاً: قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]:

**شرح الآيات الكريمة:**

١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾:

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ الخطابُ هنا للرسول ﷺ، وخطابُ زعيم الأمة خطابٌ له وللأمة، لأنها تتبعُ له، أو أنه خطابٌ لكلِّ من يتوجّه له الخطابُ، فيكونُ عامّاً، بمعنى: ألم ترَ أيها المخاطَب، و(ترى) هل المراد تنظرُ، أو تسمعُ، أو تعلم؟ الفعل هنا عُدِّي بـ (إلى) فتعيّن أن يكونَ من رؤية العين، ولو عُدِّي بنفسه لأمكنَ أن يكونَ المرادُ بالرُّؤية العِلْم؛ فإذا كان كذلك فإنّه يلزمُ أن يكونَ المعنى: تَعلَمْ تر شأنَ بني إسرائيل، لأنّه من المعلوم أنّنا نحن، بل والرسول ﷺ ـ لم نشاهد شأن بني إسرائيل؛ ويمكن أن نقولَ: إنها عُدِّيت بـ(إلى)؛ وهو بمعنى النظر؛ لأن الإخبارَ بها جاء من عند الله، وما كان من عند الله كالمرئيِّ بالعين، بل أشدُّ وأبلغ، والاستفهامُ هنا الظّاهر أنه للتشويق ـ يعني: يُشوِّقنا أن ننظرَ إلى هذه القصّة لنعتبرَ بها، لأن التقريرَ إنّما

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٢).

يكونُ في أمرٍ كان معلوماً للمخاطب، فيُقِرُّ به، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وأما هذا فهو أمرٌ ليس معلوماً للمخاطب إلا بعد أن يُخبَر به فيكون للتّشويق، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وما أشبهها.

وأما لو كان يُخاطِبُ من كان عالماً بها لقلنا: إنّ الاستفهامَ للتقرير[(١)].

- ﴿ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أي الأشراف والوجهاء الذين يملؤون العيونَ والنفوسَ بمظهرهم وشارتهم، وقد كشفت الآياتُ الكريمةُ عن أبطال القصّة، وعيّنت زمانهم، فهم من بني إسرائيل الذين عاشُوا بعد عهد موسى عليه السلام[(٢)].

- ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾: بيانٌ لزمانِ تلك الحقبة، فذكر أنه من بعد موسى، ولم يبيِّن الزَّمانَ بالتّعيين، وذِكْر كونه من بعد موسى للإشارة إلى أن تلك الحقبة كانت بعد أن أخرجهم موسى من ذُلِّ فرعون الذي كان يُذَبِّح أبناءهم، ويَسْتَحْيِي نساءَهم، وبعد أن ظهر منهم الضّعف، حتى إن موسى عليه السلام لما دعاهم لأن يدخلُوا الأرضَ المقدّسة ظهر خَوَرُهُم وضَعْفُهم فتاهُوا في الأرض أربعين سنة، استردُّوا فيها بأسَهم، وذهب عنهم خَورُ العزيمة، ثم بعدَ ذلك نزلَ بهم ما نزل، فقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ فيه إشارةٌ إلى تلك التجاربِ الشّديدة التي كانتْ تنزلُ بهم، فهم ذلُّوا في مصر، ثم

---

(١) قصص القرآن، محمد بن صالح بن عثيمين، ص١٧٥.
(٢) التفسير الموضوعي، (١/ ٣٦٧).

أعزّهم الله بموسى، فلم يعودُوا إلى حياة العِزّة وتكاليفها؛ من جهاد ونضال إلا بعد أن تعوّدوا حياةَ الشِّدّة، والبأس في الصحراء، ثم بعد هذه العِزّة دخلوا الأرضَ المقدّسة، ثم أُخرِجُوا منها بعد أن اسْتَنامُوا إلى الدّعَة والرّاحة، وفي هذه التجارب بيانٌ لأطوارِ الأممِ بأنها إنِ استنامتْ إلى الرّاحة، واسْتَمْرأتِ الحياةَ الرغيدة غُلِبتْ على أمرها، ثم كان من وراء ذلك ذهابُ سُلْطانها، حتى إذا أحسّتْ بمرارةِ الهزيمة، وذاقتْ وَبَالَ الرّاحة، استيقظتْ فيها القوى الكامِنة، واستفاقتْ من سُبات الغَفْلة وسَكْرة النِّعْمة، فعملتْ على استرداد أمرها، ومقاومة عدوِّها[1].

٢ ـ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

إنّ بيانَ موضوعِ القصّة، ومكان الالتفات، والاتجاه بالنظر والقلب يوكّد أن المعنى: ألم تنظر وتتفكّرْ وتعتبر في أمر بني إسرائيل عندما قالوا لنبيٍّ لهم: ابعثْ لنا مَلِكاً نقاتل في سبيل الله؟[2].

لقد اجتمع الملأُ من بني إسرائيل، من كُبَرائهم وأهل الرّأي فيهم إلى نبيٍّ لهم، ولم يُذكَر في السياق اسمه، لأنه ليس المقصودَ بالقصّة، وذِكْرُه هنا لا يزيدُ شيئاً من إيحاء القصّة، وقد كان لبني إسرائيل كثيرٌ من الأنبياء يتتابعون في تاريخهم الطويل.

لقد اجتمعوا إلى نبيٍّ لهم، وطلبوا إليه أن يُعيِّنَ لهم مَلِكاً يقاتلون تحت

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، (٢/ ٨٨٤).

(٢) المصدر نفسه، (٢/ ٨٨٤).

إمْرَتِه (في سبيل الله)، وهذا التّحديدُ منهم لطبيعةِ القتال، وأنه في (سبيل الله) يدلُّ على ترسّخ العقيدة في قلوبهم، ويقظةِ الإيمان في نفوسهم، وشعورهم بأنهم أهلُ دِيْنٍ وإيمان وحقّ، وأنّ أعداءهم على ضَلالة وكُفْر وباطل، وأنّ الطّريقَ أمامهم واضحٌ للجهاد في سبيل الله، وهذا الحسمُ هو نصفُ الطّريق إلى النّصر، فلا بُدّ للمؤمن من أن يتّضح في حسِّه أنه على حقٍّ، وأن عدوّه على باطل، ولا بُدّ من أن يتجرّد في حسِّه الهدفُ في سبيل الله، فلا يُغَشِّيه الغَبَشُ الذي لا يدري معه إلى أين يَسير، وقد أراد نبيُّهم أن يستوثقَ من صدْق عزيمتهم، وثباتِ نيّتهم، وتصميمِهم على النُّهوض بالتّبِعة الثقيلة، وجدِّهم فيما يَعرضُون من الأمر[1].

٣ ـ ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾:

المعنى: ألا يُنتظر أن تجبنوا عن القتال إنْ فرض عليكم؟ فأنتم الآن في سَعَة، فأما إذا استُجيب لكم، فتقرّر القتالُ عليكم، فتلك فريضةٌ إذاً مكتوبة، ولا سبيلَ بعدها إلى النُّكُول عنها، إنها الكلمةُ اللائقةُ بنبيٍّ، والتأكُّد اللائق بنبيٍّ، فما يجوزُ أن تكونَ كلماتُ الأنبياء وأوامرهم موضعَ تردُّدٍ أو عَبَثٍ أو تَراخٍ، وهنا ارتفعت درجةُ الحماسة والفَوْرة، وذكر الملأُ أن هناك من الأسباب الحافزة للقتال في سبيل الله ما يجعلُ القتالَ هو الأمرَ المتعيّن الذي لا تردُّد فيه[2].

---

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٦).

(٢) المصدر نفسه، (١/ ٢٦٦).

٤ ـ ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾:

أي: نجدُ بأن الأمرَ واضحٌ في حِسِّهم، ومقرّر في نفوسهم، وإن أعداءهم أعداءٌ لله، ولدين الله، وقد أخرجوهم من ديارهم، وسَبَوْا أبناءَهم، فقتالهم واجبٌ، والطّريقُ الواحدةُ التي أمامهم هي القتال، ولا ضرورةَ إلى المراجعة في هذه العزيمة أو الجدال، ولكنّ هذه الحماسةَ الفائرةَ ساعةَ الرّخاء لم تَدُمْ، ويُعجِّل السِّياقُ بكشفِ الخطوةِ التّالية[1].

٥ ـ ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

هنا نطَّلع على سِمةٍ خاصّة من سِمات أغلبية هؤلاء في نَقْض العهد والنّكث بالوعد، والتفلُّت من الطاعة، والنُّكُوص عن التكليف، وتَفرق الكلمة، والتولي عن الحق البيِّن، ولكن هذه كذلك سِمةُ كلِّ جماعة، لا تنضجُ تربيتها الإيمانية؛ فهي سِمةٌ بشريةٌ عامة لا علاج لها إلا التربية العالية الطويلة الأمدِ العميقة التأثير، وهي سِمةٌ ينبغي للقيادة أن تكونَ منها على حَذَرٍ، وأن تحسبَ حسابها في الطّريق الوَعْر، كيلا تُفاجأ بها، فيتعاظمها الأمرُ، فهي مُتوقّعة من الجماعات البشرية التي لم تَخْلُصْ من الأوشابِ، ولم تَطهُرْ من هذه العَقابيل[2].

ـ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: لقد صَبَرَ القليلُ من بني إسرائيل، وهؤلاء

(١) المصدر نفسه، (١/ ٢٦٦).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٢٦٧).

الصّابرون كانوا فئة الله الغالبة، وسرى دمُ الحياة في الأمة بعد انتصار تلك الفئةِ القليلة، فقادها من بعد ذلك نبيُّ الله داود إلى مواطن النّصرِ والظّفر(١).

ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين يُعرِضون عن تنفيذ أمره، ويظلمون أنفسَهُم بمعصيته. ودَلّتِ الآياتُ على كمالِ علمه تعالى، وأنه سبحانه يعلمُ ما يكونُ قبل أن يكونَ؛ عَلِمَ تعالى أن أكثرهم لن ينقادَ لأمره، ولن يستسلم لشَرْعه، ومع ذلك استجاب تعالى لطلبهم، وكلّفهم بالجهاد، وهيّأ لهم أسبابَه، ابتلاءً لهم، وإظهاراً لفَضْلِ القِلّة القليلة الصّالحةِ المستسلمة لأمره الشرعي، وحُكْمه القَدَري جلّ وعلا(٢).

**ومن فوائدِ الآية الكريمة:**

ـ تحريمُ تركِ الجهاد في سبيل الله.

ـ أنه لا بُدّ للجيوش من قائدٍ يقودها.

ـ أنه لا بُدّ من طاعة القائد.

ـ أن مرتبةَ النُّبوّة أعلى من مرتبة المُلْك، لأنهم طلبوا من نبيِّهم أن يبعثَ لهم مَلِكاً.

ـ امتحانُ المدّعي للشيء لتستبينَ حقيقةُ دعواه.

ـ استنهاضُ الهِمَم للجهاد في سبيل الله بذِكْر حال المظلومين.

ـ أنّ بعضَ من يدّعُونَ فِعْلَ الخير لا يثبتون عليه إذا جاء وقت الجِدِّ.

---

(١) زهرة التفاسير، (٢/ ٨٨٨).

(٢) التفسير الموضوعي، (١/ ٣٦٩).

ـ أن من مبيحاتِ القتال: رَفْع الظلم عن المظلومين، وإعادتهم إلى ديارهم، واستنقاذ ذُرِّيّاتهم من أيدي الظّالمين.

ـ ابتلاءُ الله لعباده بفعل الواجباتِ وتركِ المحرّمات.

ـ أن من العبادة الثّبات عند الابتلاء.

ـ الإشارةُ إلى أنه لا تصحُّ الاستهانةُ بالأعداء وتمنِّي مقاتلتهم؛ لأنّ كثيراً ممّن يدّعي الشجاعة والثّبات ربما يفرُّ إذا لاقاهم؛ ولذلك قال النّبيُّ ﷺ: «**لا تتمنّوا لقاءَ العدوِّ، وسَلُوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتُموه فاصبِرُوا**» (١).

ـ أن تركَ القيام بما أوجبه الله ظُلْمٌ.

ـ أنّ الأخذَ بالأسباب لملاقاة الأعداء، والإعداد لجهادهم واجبٌ، من أجل تحرير بلاد المسلمين، وإنقاذ أسراهم. وهذا يختلفُ عن التمنّيات والادِّعاءات الفارغةِ القائمةِ على الاستهانة بالعدوّ، والاغْتِرار بالنفس.

ـ الحذرُ من تغيُّر النِّيات، وانحلال الهمم والعزائم في فِعْل الخير.

ـ سَبْيُ الأبناء أشدُّ على النفس، لأجل الحاجةِ إليهم حالاً ومستقبلاً.

ـ أن العلماءَ يضبطون حماسَ العامّة ويُوجِّهونهم.

ـ إيقافُ المدّعي على حقيقةِ نفسه.

ـ الحياةُ تهونُ في نظر المظلوم المقهور المسلُوب، فيكون أكثرَ استعداداً للقتال.

---

(١) رواه البخاري، رقم ٢٩٦٦، ومسلم، رقم ١٧٤٢.

ـ لا تنافيَ بين الجهاد في سبيل الله وبين استرجاع الدِّيار المسلوبة والذُّرية المأخوذة، بل يُستثمرُ الثّاني لتعزيزِ الاندفاعِ إلى الأول[١].

**ثانياً: قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]:

**تفسير الآية الكريمة:**

١ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾:

ذَكَر الله سبحانه وتعالى حالَهم عند القتال الذي طلبوه ليبيِّن المفارقةَ بين القولِ والعملِ، عند الذين غلبتْ عليهم الذِّلّةُ، واستولتْ عليهم شهواتُهم، ومن ثَمّ أَخَذَ سبحانه يذكر بقيةَ القصّة والعِبرة، أي أن الله سبحانه قد أخرجَ من صفوفكم، وهو العليمُ الخبيرُ بأحوالكم، شخصاً قد استوفى كلّ أسباب الرِّياسة، وجَعَلَه مَلِكاً عليكم.

وفي التعبير إشارةٌ إلى أنه أمْثَلُهم وأقواهم على تحمُّل أعباء الحُكْم، لأن (بعث) تتضمّن معنى الإثارةِ والفحصِ، ثم الإخراج والملك، المراد به هنا، فيما يظهر، مالك أمرهم، والمتولِّي عليهم، وليس المراد منه المعنى المتعارف، وهو من يتولّى بالسُّلالة، فإنّه سيتبيّن أنه لم يُخْتَرْ لسُلالته، بل

(١) تفسير الزهراوين البقرة وآل عمران، محمد صالح المنجد، دار العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠١٦م، ص٤٠٨.

اختير لعِلْمِه وحِكْمته وقوّته، ولم يستمرّ الملكُ في ذُرِّيته، بل آل من بعده لنبيِّ الله داود عليه السلام.

وكما تدلُّ على ذلك أخبارُ داود التي ذَكَرها القرآن الكريم؛ فقد آتاه الله المُلْكَ والحُكم، واختاره بما أوحى به لنبيِّه، ولم يكنْ باختيارهم حتى لا يتنافسوا، فيكون بأسُهم بينهم شديداً، بدل أن يكونَ على عدوِّهم.

فلا دلالةَ في الآية على أن النظامَ الملكي الذي نعرفه في عصرنا مطلوبٌ؛ لا بالعبارة ولا بالإشارة، لأنها ليست مَلَكيةَ الوراثة والسُّلالة، بل رئاسة العِلْم والقدرة والحِكْمَة، فما اختير طالوت لسلالته ونسبه، بل اختير لصفاتٍ شخصية فيه.

كان مقتضى ما طلبوه من نبيِّهم أن ينفذوا من غير تردُّد، لأنهم فوّضُوا الأمرَ إلى نبيِّهم، ولأن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختاره، وما كان لهم الخيرة بعد اختيار الله سبحانه وتعالى، ولأن الله عزّ وجلّ قد اختاره لأجلهم ولمصلحتهم، ولذا عبّر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾، فالتعبير بـ (لكم) إشارةٌ إلى أنه في مصلحتكم، وأنكم ستنتفعون بحكمته وقوّته في هزيمة أعدائكم، ولكنهم بَدَل أن يُطيعوا ويأخذوا الأهبةَ، أثاروا اللُّجاجةَ التي تعوّدوها؛ ولذلك قال سبحانه حكايةً عنهم:

٢ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾:

تمرَّدوا على نبيِّهم بذلك الاعتراض، ولقد أكّدوا اعتراضَهم بعد أن

فوّضوا الأمر، فناقضوا أنفسَهم، وبَنَوا الاعتراضَ على أسبابٍ جَعَلُوها مناطَ المُلْكِ، وليست هي السّبب للرئاسة الصّالحة، وظنُّوا أن سَبَبَ الملك أحدُ أمرين:

ـ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: من أيِّ جهةٍ استمدّ الملك، أي أنه ليس في عروقه دمٌ ملكيٌّ يستحقُّ تولِّي الملكَ من خلاله، وليس هو ذا نَسَبٍ رفيعٍ، بل أي واحدٍ منّا أحقُّ بالملك منه، لأنه ليس من الأشراف، ولئن تجاوزنا شرفَ النّسب وكَرَم الولادة لنجدنّ أنه فقيرٌ، لا يملك المال، فقد سُلِب منه سببا السيادة وهما: النّسب والمال.

وهكذا يكونُ تفكيرُ الجماعات التي سيطرتْ عليها الأهواء، وغُلِبَتْ على أمرها، وهي تتّجهُ إلى المادِّيات فتُحَكِّمُها، وتفقدُ تقديرَ المعنويات؛ وبذلك تختلُّ مقاييسُ التقدير، فأول ما تُبتلى به الجماعاتُ الضّعيفةُ أن تختلّ مقاييسُ العظمة فيها؛ فإنّه إذا اختلّ مقياسُ العظمة غُمِر العظماءُ، ولم يظهروا إلا بالمصادفات أو المواقف الصّعبة، والعظماءُ في الأمم هم القِمَمُ العاليةُ التي تَهدي إلى مواطن القوة، وتُثير العِزّة من مكامنها.

وإن أردتَ أن تعرفَ مقياساً ضابطاً لرُقيِّ أمة من الأمم، فَخُذْه من مقياس العظمة فيها، وقد كان بنو إسرائيل، في وقتِ هذه القصّة، في ذروة مرحلة الانهيار الخُلُقي، ويدلُّ على ذلك مقياسُهم للعظمة بالسُّلالة والمال. وفي هذه الجملة مباحثُ لفظية نشيرُ إليها:

ـ **أولها**: قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أنّى: تُستعمل بمعنى كيف، وقد تُستعمل بمعنى من أين، وهي هنا يجوزُ أن تكون بمعنى كيف،

ويكون المعنى: كيف يكون له الملكُ علينا، وعلى أي حال يَسوغُ ذلك؟ فهو استفهامٌ المقصودُ منه الاستبعادُ المطلقُ، أي أنه لا يُتصوّر أن يكون مثلُه مَلِكاً؟ أي أنه ليس فيه من الصِّفات، ولا في بيته من المحتِدِ، ما يسوغُ له أن يكون ملكاً، فالمقصودُ من الاستفهام استبعادُ أن يكون فيه سببٌ من الأسباب المسوِّغة للمُلك.

ـ **ثانيها**: قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾؛ أصلُ السّعة أن تكون في المكان وفي الفعل وفي الحال، والسّعةُ في الحال أن يكونَ على حال من القدرة أو المال، بحيث لا يكونُ مُضيّقاً عليه، أو لا يكون في ضيق، فلما كَنَى عن قلة المال بالضِّيق كنَى عن كثرته بالسّعة.

٣ ـ ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾؛ لقد اعترضوا على اختيار طالوت بأنه ليس خيراً منهم سُلالةً ومَحْتِداً، وأنه ليس ذا مالٍ وفير، فردّ نبيُّهم قولَهم بأمرين:

**أولًا**: الله تعالى اصطفاه؛ أي اختاره من الصّفوة وأهل الهِمّة والنُّبْل، وقال: ﴿ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾، ولم يقلْ منكم، مع أنه منهم، للإشارة إلى فَضْله عليهم، واستعلائه بما منحه الله من خواصّ وصِفاتٍ، وإنه كان يكفي اصطفاءُ الله له ليسكنوا ولا يعترضوا، لأنه ليس فوق إرادة الله إرادةٌ، وليس لهم الخِيَرةُ فيما اختاره الله؛ ولأنّهم فوّضُوا أمرَ اختيار المِلكِ إلى النبيِّ، وقد اختاره الله ربُّهم وربُّ النبيِّ.

**ثانياً**: ردَّ نبيُّهم على اعتراضهم ببيانِ المقياس الصّحيحِ لعِظَم الرِّجال ومكانتهم، واستعدادهم لقيادة الشُّعوبِ إلى مواطن العِزّة والشرف، وقد

عدُّوا المالَ والنّسب مقياسَ العظمة، فبيّن لهم مقياسها الصحيح الحقيقي.

ثم قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾؛ أي أنه أعظم منكم جميعاً؛ لأنّ الله سبحانه زاده عليكم في الأمرين اللّذين هما سَبَبُ القيادة والحِكْمَة، وهما:

أ ـ قوةُ العقل، وسَعَةُ العِلْم، وكثرةُ التجارب.

ب ـ قوة الجسم؛ أي: القوة والمتانة، وخَصّ بعضَهم بالكفايةِ فيه، فإذا كان المُلْكُ أعلى المناصب، وإذا كانت الرِّياسةُ الكبرى أعظمَ الأعمال، فليس الذي يُؤهِّل للمناصب السّعَة والمال، بل الكفايةُ لها، والقدرةُ عليها، ففي الآية الكريمة إشارةٌ إلى مقياسِ العظمة، وإلى مقياسِ الاختيار الأمثل للأعمال والمناصب.

وإنّ البَسْطَةَ في العِلْم معناها الاتِّساع في الأفق والتّجارب، وقوّة العقل، والتّدبير، والإحكام في التّفكير، فالبَسْطَةُ معناها الاتِّساع، وإذا أُضيفتْ إلى العِلْم فمعناها الاتِّساعُ والإحاطة بكلِّ ما يُوجِّه العقلَ إلى التّفكير المستنير مع سلامةِ العقلِ ذاته.

وإنّ بسطةَ الجسم: اتِّساعُه، لا بمعنى كثرة اللّحم والشّحم؛ بل بأن يكون سَبْطَ العظام، ومديدَ القامة، وبعيد ما بين المنكبَيْن، فهذا بَسْط الجسم حقيقةً، والمقصود أن منظره يلقي الرعبَ في قلوب الأعداء، والهيبة في قلوب الأولياء. أو يُراد ببسطة الجسم: مُطْلَق القوة، لأن طويلَ العظام، عريض ما بين المنكبين يكونُ في جميع الأحوال قويّ الجسم، فأُطلق ذلك، وأُريد مُطْلَق القوة.

ويُلاحَظُ أنه قُدِّمتْ بسطةُ العلم على بسطةِ الجسم بمقدار الحاجة إلى قوة الرّأي، والتّدبير، وسَعَة العلم، وكثرة التجارب.

٤ ـ ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾؛ ذَيّل الله سبحانه هذه الآيةَ الكريمةَ بهذه الجملةِ للدّلالة على أمرين:

**أولًا**: أن الأمورَ كلّها بيده سبحانه وتعالى، وأنه فَعّالٌ لما يريد، وأن ما شاء في هذا الكون يقعُ، وما لا يشاء لا يقع، وأنه سبحانه يُؤتي الملكَ في الدُّنيا لمن يشاء، وأنه هو المسيطِرُ عليه؛ ولذلك أُضيفَ الملكُ إليه، فقال: ﴿مُلۡكَهُۥ﴾ فهو إذ يُعطيه لمن يُعطيه هو الغالبُ على أمره، ويستطيع أن يسلبَهُ في أيِّ وقتٍ شاء، فهو مالكُ الملك، يُؤتي الملكَ من يشاء، ويَنزعُ الملكَ ممّن يشاء، وهو القاهرُ فوق عباده.

**ثانياً**: أن كلَّ شيء في الوجود تحت سُلْطان الله تعالى، وهذا معنى أن الله واسع؛ أي محيطٌ بكلِّ شيء، وقد وسع كلّ شيء برحمته وقدرته، وأنه يُدبِّر الأمورَ على مقتضى العلم الواسع الشّامل؛ فهو يربطُ الأسبابَ بالمسبِّبات، وهو يُعْطي لحِكْمَةٍ يَعلمها، ويمنعُ لحِكْمَةٍ يعلمها، وهو يبتلي الأممَ بالقوة والضّعف، والعِزّة والذِّلّة، والهزيمة والانتصار، والبأساء والضّرّاء، ثم النّعماء والسّرّاء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وعلى الأمم المغلوبة أن تتّخذَ الأسبابَ بجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وتحرير النفوس من رِبْقةِ الأهواء والشّهوات، ولا تستسلم

للضّعف، ولا تستخذي، بل تعمل وتناضل، وتكافح وتصابر، وتتوكّل على الله، وإلى الله مصيرُ الأمور[١].

**ومن فوائد هذه الآية:**

ـ تعظيمُ الأنبياء لربهم، وحُسْن أدبهم معه، وسَعْيهم في طاعة الناس له.

ـ وجوبُ السّمع والطّاعة لله ورسله.

ـ في الآية مراعاةُ الدِّين والبدن في اختيار القائد، وفيها أنه كلّما كان الخليفةُ والملكُ ذا صفاتٍ ومزايا أعلى، كان ذلك أعوَنَ له على الحُكم، وانقياد الرعية له.

ـ أن فضائلَ النّفس مقدّمة على المال.

ـ أن مَلِكَ العباد هو في الحقيقة مُلكٌ لله، وأنّ الله يؤتيه المُلْكَ، ابتلاءً واختباراً.

ـ من الناس من ينخدعُ بالأمور المادية الدُّنيوية المحسوسة، ويغفلُ عن الحقائق، والفضائل النفسية والمعنوية.

ـ أن العلمَ أفضلُ من قوة البدن، لأنه عزَّ وجلَّ قدّمه بالذِّكر في الآية.

ـ أن الإمامةَ لا تُستحقُّ بالإرث ولا بالغِنى.

ـ أنه لا يُشترطُ في ولاةِ الأمر أن يكونوا أغنياء.

ـ أن قوةَ الرّأي اللازمة للقيادة تنبعُ من العلم.

ـ حُسنُ الإجابة عن الاعتراضات وإزالة الشُّبُهات، فإنّهم لما اعترضُوا

---

(١) زهرة التفاسير، (٢/ ٨٩٣).

على نبيِّهم، وألقَوا بشبهاتهم، ردّ عليهم، وفنّد كلامَهم، فأخبرهم أولاً أن القصّة اصطفاءٌ من الله الذي يجبُ له الطاعةُ، والتسليمُ، والانقيادُ لحكمه.

ـ ثم لَفَتَ نظرَهم إلى أن هذا الرجلَ الصّالحَ فيه من الميزاتِ ما هو أولى من نَسَبِ الملكِ، وسَعَة المال.

ـ ثم بيّن لهم أن الله أعلم بمن يصلحُ للمُلك، وأن اصطفاءه عزَّ وجلَّ لِحِكْمَةٍ.

ثم ذكر لهم من صفاتِ الله ما يناسبُ الحال والمقال[١]، فقال:

ـ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي ذو سَعَةٍ في جميع صفاته، وواسع في علمه وفضله، وكرمه وقدرته، وقوته محيطة بكلِّ شيء، وجميع صفاته وأفعاله منزَّهة عن النقص[٢]. فالله تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ أي عليمٌ بكلِّ شيء، وعليمٌ بأحوال خلقه، وبما يصلحُ لهم[٣].

**ثالثاً: قال تعالى:** ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]:

**تفسير الآية الكريمة:**

يبدو أن القومَ ظلُّوا على عنادهم، ولم يُذْعِنوا لحكم الله وشرعه،

---

(١) تفسير الزهراوين، ص٤٠٨.

(٢) القصص القرآني، ابن عثيمين، ص١٨٢.

(٣) التفسير الموضوعي، (١/ ٣٧٠).

فاضطرّ نبيُّهم أن يسألَ الله تعالى أن يُجريَ على يديه معجزةً محسوسةً، تجْعَلهم ينقادون لحكمه، ويستسلمُون لِشَرْعه، فاستجاب الله له، وحدثتِ المعجزة.

١ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾:

أي: إن علامةَ مُلْكِ طالوت.

٢ ـ ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾:

وهو صندوقٌ كانوا يَضَعُون فيه قِطَعاً من ألواح التّوراة، التي أنزلها الله على موسى، وظلُّوا يتوارثونها، ويحافظُون عليها حتى انتزعها أعداؤهم منهم عندما تَغَلّبوا عليهم، وكانت سبب سكينتهم واطمئنانهم، فيستبشرون بالنّصر عندما يكونُ الصُّندوقُ معهم، ولهذا قال في وَصْفِه:

٣ ـ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾:

فيه بعضُ الأشياءِ المتوارَثةِ من آثار النّبيّين الكريمَين موسى وهارون عليهما السلام، وقد ذَكَر كثيرٌ من المفسِّرين أنه كان يوجَدُ في الصُّندوق عصا موسى عليه السلام وثيابه وعِمامة هارون عليه السلام، ولا شكّ في أن آثارَ الأنبياء التي باشروها بأنفسهم مباركة، وقد صَحّ أن الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يتبرّكُون بآثار النّبيِّ ﷺ، كوضوئه وبُصاقه وشَعره، وقَدَحه الذي كان يشربُ فيه، والأحاديثُ النبويةُ الدالّةُ على هذه الآثار كثيرةٌ وصحيحة.

وقد أخبرنا تعالى في قصّة يوسف عليه السلام عن شأن قميصه، وكيف

ردّ تعالى بَصَرَ يعقوب عليه السلام عندما ألقي القميصُ على وجهه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣] (١).

- ﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ **السّكينةُ**: هي الطُّمأنينةُ والهدوءُ والوَقارُ، والرّاجحُ أن هذه السكينةَ أمرٌ معنويٌّ، وليست شيئاً ماديّاً محسوساً، كما قال رواة الإسرائيليات والأساطير(٢).

فوجودُ التّابوت بينهم يُحقِّق لهم السكينةَ والطُّمأنينةَ لما يرمزُ إليه من معنىً دينيٍّ مقدّس، فعندما يشاهدُونه عندهم يَطمئنُّون ويرتاحُون ويتفاءلون بحُسْنِ العاقبةِ، فيندفعون للقتالِ ضدّ الأعداء.

ويقال: سَكَنَ فلانٌ إلى كذا؛ إذا اطمأنّ إليه، وسكنتْ نفسُه عنده. والدّليلُ على أنّ السّكينةَ نفسيةٌ معنويةٌ تتمثّل بوجودِ التّابوت عندهم، أنها لم تَرِدْ في القرآن إلا بهذا المعنى النّفسيِّ.

والشيءُ بالشيءِ يُذكَر، فقد أنزل الله السّكينةَ على الصّحابة رضوان الله عليهم، عندما بايعوا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الرِّضْوان تحت الشّجرة في صُلْح الحُدَيبية، فقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

وبينما كانتْ قريش في الحديبيةِ تتصرّفُ انطلاقاً من حَمِيّةٍ جاهلية، لأنّ

(١) المصدر نفسه، (١/ ٣٧١).
(٢) القصص القرآني، (١/ ٣٨٢).

تصرُّفها كان حادّاً متوتّراً انفعالياً عصبيّاً، فقد كان الصّحابةُ يتصرّفون انطلاقاً من تلك السّكينة، فيبدو تصرُّفهم هادئاً موضوعيّاً، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وإنّ هذه السّكينةَ التي أنزلها الله على الصّحابة معنويةٌ نفسيّةٌ، وهذا يدلُّ على أن السّكينةَ كانت تحصلُ لبني إسرائيل عندما يشاهدون التّابوتَ عندهم، فيهدؤون ويطمئنّون، وفي ذلك التّابوت أشياءُ ماديةٌ مقدّسة؛ لذا كانوا يحتفظُون بها، ويحرصُون عليها(١).

٤ ـ ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾:

هذه جملةٌ حاليةٌ في محلِّ نصبٍ حال، تُبيِّن حالةَ وكيفيةَ مجيء التّابوتِ إليهم، تحمله الملائكةُ وهُمْ عالمٌ غيبيٌّ خُلِقوا من نور، والآية تدلُّ على أن التّابوتَ كان كبيراً(٢).

ولا شكّ في أنّ الذي تحملُه الملائكةُ كان شيئاً عظيماً، يُوجِبُ العنايةَ الفائقة، ونلحظ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾؛ أنّه سبحانه قد نَسب الإتيانَ إلى التّابوت، فهل كان من ضِمنِ العلامة أن يـأتيهم التّابوتُ، وهم جالسون ينتظرون؟!

---

(١) القصص القرآني، الخالدي، (٣/ ٣٨٣).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٣٨٣).

ولمّا كان التّابوتُ تحملُه الملائكة، فلن يراهم القوم لأنهم كائناتٌ غير مرئية، وإنّما سيرى القومُ التّابوتَ آتياً إليهم، ولذلك أسندَ الحقُّ أَمْرَ المجيء للتابوت. وهذا المشهدُ يخلعُ القلوب، ويجعلُ أصحابَ أشدِّ القلوب قساوةً يخِرّون سُجّداً لله عز وجل، ويقولون: «يا طالوت أنتَ الملكُ» (١).

٥ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

إنّ في رُجُوع التّابوت بهذه الطّريقةِ المعجزةِ لآية لكم، دالّة على صِدْق نبيِّكم فيما أخبركم به من تعيينِ طالوت ملكاً، هذا إن كنتُم مؤمنين بالله ورُسُله، فكلّما تمّ الإيمانُ كان انتفاعُ الإنسان بآياتِ الله أكثرَ، وفَهْمُه لها أعظم(٢).

ويدلُّ السِّياقُ القرآنيُّ على أنّ الله عزَّ وجلَّ أقام عليهم الحُجّة، وبَهَتَهمْ بالآيةِ، فَقَبِلُوا بطالوت مَلِكاً، فقام طالوت بتنظيم شؤون الحرب، وقسّم الجنودَ ورتّبهم، وكلُّ هذه التفاصيل لم تذكرها الآياتُ، لكنها معروفةٌ في الواقع العمليّ لكلِّ قائد ناجح، ومسؤول عسكري يؤدّي واجبَه على أكمل وجه.

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٣م، (٢/ ١٠٥٠).

(٢) قصص القرآن، محمد صالح بن عثيمين، ص١٨٧.

**رابعاً: قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]:

**تفسير الآية الكريمة:**

١ ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾:

هنا يتجلّى لنا مصداقُ حِكْمَةِ الله من اصطفاء هذا الرجل، إنه مُقْدِمٌ على معركة، وكان معه جيشٌ من أُمةٍ مغلوبةٍ، وقد عرفتِ الهزيمةَ والذلّ في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجهُ جيشَ أمةٍ غالبةٍ، فلا بُدّ من إنماء قوةٍ كامنةٍ في ضمير الجيش تقفُ به من جديد على أهبة الاستعداد. أما القوةُ الظّاهرةُ الغالبةُ فلا تكون إلا بالإرادة؛ الإرادة التي تضبطُ الشّهوات والنّزوات والأهواء، وتصمدُ إزاء الحرمان والمشاقِّ، وتستعلي على الضّرورات والحاجات، وتُؤْثِر الطاعةَ وتحتملُ تكاليفها، فتجتازُ الابتلاءَ بعد الابتلاء بجدارةٍ واقتدار، فلا بُدّ للقائد المختار إذاً من أن يَبْلُوَ إرادة جيشه، ويختبر صموده وصبره:

**أولًا**: صموده أمام الرّغبات والشّهوات.

**وثانياً**: صبره على الحرمان والمتاعب.

واختار هذه التجربةَ، وهم كما تقول الروايات عِطاشٌ، وذلك ليعلمَ من

يصبرُ معه ممّن ينقلبُ على عقبيه، ويُؤْثِرُ العافية. وقد صَحّتْ فراسةُ القائدِ المدبِّر.

٢ ـ ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾:

شَربوا وارتَوَوا، فقد أباح لهم أن يغترفَ غرفةً بيده؛ فيتناول شربةً تبلُّ الظمأ، لكنّهم خالفوه فشربوا وانفصلوا؛ لأنهم لا يَصلحون للمُهِمّة الملقاة على عاتقهم، وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرةُ ضَعْف وخذلان وهزيمة، والجيوش ليست بالعدد الضّخم، ولكن بالقلب الصّامد، والإرادةِ الحازمة، والإيمانِ الثّابتِ المستقيمِ على الطّريق.

وقد دَلَّتْ هذه التجربةُ على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بُدّ من التجربة العملية، ومواجهةِ واقع الطّريق إلى المعركة قبل الدُّخول فيها، ودلّ كذلك على صلابةِ عُودِ القائد المختار، الذي لم يَهُزّه تخلُّفُ الأكثريةِ من جنده عند التجربة الأولى، بل مضى في طريقه، وهنا كانت التجربةُ قد غَرْبَلَتْ جيشَ طالوت، وأفرزت الصادق من الكاذب.

٣ ـ ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾:

هم صاروا قِلّة، وهم يعلمون قُوّة عدوِّهم وكثرة عدده بقيادة جالوت، وهم مؤمنون لم ينكثوا عهدَهم مع نبيِّهم، ولكنهم أمام الواقع الذي يَرَوْنَه بأعينهم، فيُحِسُّون أنهم أضعفُ من القدرة على مواجهته، وإنها التجربةُ الحاسمةُ؛ تجربةُ الاعتزاز بقوةٍ أخرى أكبر من قُوّةِ الواقع المنظور. وهذه

لا يصمدُ لها إلا مَنِ اكتمل إيمانه، واتصل بالله قلبُه، وكذا كان حالُ الفئة المؤمنة المختارة، التي عرفت الموازين الربانية، فكان ثباتُها مضربَ الأمثال[١]!

٤ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

هكذا هو الميزان الذي لا يختلّ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾، فهذه هي القاعدةُ في الذين يُوقنون أنهم مُلاقو الله.

**القاعدة تقول**: أن تكونَ الفئةُ المؤمنة قليلة؛ لأنها هي التي ترتقي الدّرَجَ الشّاقّ حتى تنتهي إلى مرتبةِ الاصطفاء والاختيار، ولكنها تكون الغالبةَ لأنها تتصلُ بمصدر القوى، ولأنها تُمثِّلُ القوةَ الغالبة، وقوة الله الغالب على أمره القاهر فوق عباده: مُحطِّمُ الجبّارين، ومُخْزِي الظّالمين، وقاهِرُ المتكبِّرين.

وهم يقولُون: هذا النّصرُ من الله، بإذْنِ اللهِ، ويُعلِّلونه بعلّته الحقيقية، بأن الله مع القوم الصّابرين، فيدلُّون بهذا كلِّه على أنّهم المختارون من الله لمعركة الفصلِ بين الحقِّ والباطلِ[٢].

**٥ ـ حِكْمَةُ التعبيرِ عن الشُّرب بالطّعم:**

إن الماءَ قد يُطعَم إذا كان مع شيء يُمْضَغُ، ولو قال: ومن لم يشربه؛ لكانَ يقتضي أنه يجوزَ تناولُ الماء الكثير إذا كان في طعام، فلما قال:

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٦٩).

(٢) المصدر نفسه، (١/ ٢٦٩).

﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ بين أنه لا يجوزُ تناولُه لا شُرباً وحده ولا مع الطعام، إلا إذا كان غرفةً باليد[١].

وإن خُلاصةَ الكلام أن طالوتَ نهى عن شُربِ الماء وحده في قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، ونهى عن شرب الماء ممزوجاً مع الطعام في قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾. وهو أن الطعم قد يرد بمعنى الذوق، وليس بمعنى الأكل والطعام، تقول: طعمت الأكل، أي: ذقته، وطعمت الماء: أي ذقته.

هنا أراد طالوتُ ألا يذوقوا الماءَ إلا غرفةً يغرِفُها أحدُهم بيده، وذلك عِلْماً بأن الماء قد يكون مطعوماً، وقد يُغني صاحِبَهُ عن الطّعام ـ إلى حين ـ إذا لم يجدْ إلا هذا الماء، فسدّ الماءُ مسدّ الطعام والشّراب في هذه الحالة[٢].

**٦ ـ عَدَدُ الثّابتين مع طالوت بعدد الصّحابة في بدر:**

روى البخاريُّ عن البراء في قوله: «كُنّا أصحابَ محمد ﷺ نتحدّثُ أنّ عدّةَ أصحابِ بدرٍ على عِدّةِ أصحابِ طالوتَ الذين جاوزوا معه النّهْرَ، ولم يُجاوِزْ معه إلا بضعةَ عشرَ وثلاثمئة» [٣].

وهذا كلامُ البراء رضي الله عنه، فهو موقوفٌ عليه، وليس مرفوعاً إلى الرسول ﷺ؛ لأن البراء لم يصرِّحْ برفعه[٤].

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ٢٦٩).
(٢) القصص القرآني، (٣/ ٣٨٧).
(٣) البخاري، رقم ٣٩٥٨.
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٣٩٢).

**٧ ـ أنواع الصّبر:**

ومن فوائد الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: الترغيبُ في الصّبر، وهو على ثلاثة أنواع:

**الأول**: الصّبرُ على طاعة الله، بأن يَحْبِسَ الإنسانُ نفسه على الطّاعة، فيقومُ بها من غير مَلَل ولا ضَجَر.

**الثاني**: الصّبرُ على محارم الله، بأن يَحْبِسَ نفسَهُ عمّا حَرّم الله عليه من قول أو عمل.

**الثالث**: الصّبرُ على أقدار الله المؤلمة، بأن يَحبسَ نفسَه عن التّسخُّط على ما يُقدِّره الله من المصائبِ العامة والخاصّة[1].

**٨ ـ مراحلُ تَقْصِية جيشِ بني إسرائيل:**

تَمّتْ تقصيةُ جيش بني إسرائيل على أربع مراحل:

**الأولى**: أنّ كثرتهم قد تولّت بمجرد أن كُتب عليهم القتالُ، ولم يتبقّ إلا قِلّةٌ مُستمسِكةٌ بعهدها مع نبيِّها.

**الثانية**: سقوطُ معظم الجند، أمام الامتحان الأول الذي أقامه لهم قائدُهم، وضعفهم، وعدم صبرهم.

**الثالثة**: استمرّ طالوتُ في السّير نحو المعركة، معتمداً على الله عزَّ وجلَّ، وأخذ معه الأقليةَ الصّالحة، وجاوز بها النّهرَ. وهذا القليلُ لم يثبت إلى

---

(١) قصص القرآن، محمد بن عثيمين، ص١٩٤.

النهاية، فأمام كثرة الأعداء، وقوتهم، وعددهم تهاوتِ العزائم، وتزلزلتِ القلوب، فانقسم المؤمنون القلائلُ الذين عبروا النهرَ مع طالوت إلى قسمين: قسم نكصوا على أعقابهم، وتركوا القتالَ، إذْ هابوا خوضَ المعركة، وهؤلاء لم يُحْسِنوا النظرَ إلى حقيقة القوى وميزانها في المعركة؛ وقسمٌ آخر استعدوا لملاقاة العدو، متمسكين بالصبر، معتمدين على الله عزَّ وجلَّ.

**الرابعة**: قبل خوضِ المعركة الفاصلة، إذْ حَدَثَ في الجيش فرزٌ شديد، فثبتَ أقلُّ القليل[١].

**خامساً:** ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]:

نمضي مع القصّة، فإذا الفئةُ القليلةُ الواثقةُ بلقاء الله تستمدُّ صبرَها كلّه من اليقين بهذا اللِّقاء، وتستمدُّ قوتَها كلّها من أمر الله، وتستمدُّ يقينَها كلّه من الثقة بنَصْر الله، وأنه تعالى مع الصّابرين؛ إذاً هذه هي الفئةُ القليلةُ الواثقة الصّابرة والثابتة، التي لم تُخِفْها كثرةُ العدو ولم تزلزلها قوته، مع ضعفها وقِلّتها... إذاً هذه الفئة هي التي تقرِّر مصيرَ المعركة، بعد أن تجدِّد عهدها مع الله، وتتّجه بقلوبها إليه، وتطلب النّصرَ منه وحده، وهي تُواجِهُ الهولَ الرهيبَ[٢].

---

(١) السنن الاجتماعية في القرآن، محمد المحزون، دار طيبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، (٣/ ٨٢).

(٢) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٩).

١ ـ ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾:

دخلُوا أرضَ المعركة البارزة الواضحة المستوية المكشوفة، وذلك استعداداً لملاقاة الجيش الكافر وقتاله(١).

٢ ـ ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾:

تعبيرٌ يُصوِّرُ مَشْهَدَ الصّبر فيضاً من الله يُفْرِغُهُ عليهم، فيَغمُرُهم، ويَنسكِبُ عليهم سكينةً، وطمأنينةً، واحتمالاً للهَوْل والمشقّة.

٣ ـ ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

فهي في يده ـ سبحانه ـ يُثبِّتها فلا تتزحزحُ ولا تتزلزلُ ولا تميدُ ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فقد وَضحَ الموقفُ: إيمانٌ تجاه كُفْرٍ، وحَقٌّ إزاء باطلٍ، ودعوةٌ إلى اللهِ لينصرَ أولياءه المؤمنين على أعدائه الكافرين، فلا تلجلُجَ في الضمير، ولا غبشَ في التّصوُّر، ولا شكّ في سلامةِ القصد، ووضوح الطّريق(٢).

وقال الدكتور صلاح الدين الخالدي رحمه الله: وهناك لفتةٌ في ترتيب جُمَل الدُّعاء الثلاث: الصّبر، وتَثْبيت الأقدام، والنّصْر على الكافرين؛ وإنّ هذه الجملَ الثلاث مرتبةٌ ترتيباً مرحليّاً، وكلُّ واحدةٍ مبنيةٌ على ما قبلها، وأولُ ما يحتاجه المجاهدون هو الصّبر، ولهذا قال هؤلاء المجاهدون: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾، والصّبرُ بمفهومه الشّامل، ومنه الصّبرُ على

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٩٣).

(٢) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٩).

مواجهةِ الأعداء وقتالهم، والصّبر في المعركة مقدّمٌ على ثباتِ الأقدامِ فيها، وهو سلاحٌ معنويٌّ نفسيٌّ ضروريٌّ للمجاهدين، وهو السلاحُ الإيمانيُّ المعنويُّ، وإنه مقدّمٌ على السِّلاح الماديِّ.

وإننا نلاحظُ أن هؤلاء المجاهدين استعلوا على متاع الدُّنيا، وطلبوا ما عند الله، فعندما رأوا النهرَ، وهم في أمسِّ الحاجة إلى الماء اكتفى كلٌّ منهم بأن يغترفَ غَرْفةً واحدةً بيده، يبلُّ بها ريقَه، وهم في الحقيقة يحتاجون إلى الصبر أكثر من احتياجهم للماء، ولذلك طلبوا من الله أن يفرغَه عليهم إفراغاً، ويصبّه عليهم صبّاً، ليشملَ كيانهم، ويستغرقَ حياتهم، ويستوعب محيطهم؛ لأن إفراغ الصّبر عليهم يقودُ إلى ثباتِ أقدامهم في الميدان، وتمكين استبسالهم في الجهاد، وعدم الهرب من ساح الحرب: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، فلن تثبتَ إلا أقدامُ الصّابرين، أما الجبناءُ الخائفون الجزِعُون فلن تثبتَ أقدامُهم في الميدان، ولهذا يُولُّون الأدبار، وإذا ما صبر المجاهدون، وثبتت أقدامُهم في الميدان؛ فإنّهم يكسبون المعركة لصالحهم، وينتصرون على الأعداء؛ ولهذا طلبوا من الله النّصر في آخر الأمر ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

إنّ النّصرَ في المعركة نتيجةٌ لما قبله، ولن يتحقّقَ إلا إذا تحقّقَ ما قبلَه، فلن ينتصرَ إلا الصّابرون على مواجهة أعداء الله وأعدائهم، الثّابتون في المعركة، فلا تتحرك أقدامُهم إلا نحو النصر.

وقد طلبَ المجاهدون من الله أن يُنْعِمَ بالأمور الثلاثة، وهي: إفراغُ الصّبر، وتثبيتُ الأقدام، والنصرُ على الكافرين، ولهذا أُسندتِ الأفعالُ إلى الله: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وإنّ

طَلَبهم هذه الخطوات الضّرورية الثّلاث من الله دليلٌ على قُوّة إيمانهم بالله، وقوة اعتمادهم وتوكُّلهم عليه، وهم في هذا الموقفِ الإيماني الجهادي العظيم مُقْتَدُون بإخوانهم المجاهدين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨] (١).

وقد علَّق الشيخُ الشّعراوي رحمه الله على قولِ الله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ فقال: هذه هي الشُّحنةُ الإيمانيةُ لمن يريدُ أن يُواجِهَ عدوّه، فهو ينادي قائلًا: ﴿ رَبَّنَآ ﴾ إنه لم يقل: يا الله، بل يقول (ربّنا)؛ لأنّ الرّبّ هو الذي يتولّى التربيةَ والعطاء، بينما مطلوبُ (الله) هو العبودية والتكاليف؛ ولذلك يُنادي المؤمنُ ربّه في الموقفِ الصّعب (يا ربنا) أي يا مَنْ خلقتنا وتتولانا وتَمدُّنا بالأسباب، وقد قال المؤمنون مع طالوت ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾، وعندما نتأمّلُ كلمة: ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ فإنها تُفيدُنا أنهم طلبوا أن يملأ الله قلوبَهم بالصّبر، ويكون أثرُ الصّبرِ تثبيتَ الأقدام، ويأتي نصرُ الله للمؤمنين على القوم الكافرين، وتأتي النتيجةُ للعزم الإيماني والقتال في قوله الحق (٢).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٩٥).

(٢) تفسير الشعراوي، (٢/ ١٠٥٦).

**سادساً: قال تعالى:** ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]:

**تفسير الآية الكريمة:**

١ ـ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:

لما صدَقوا وصبروا ولجؤوا إلى الله تعالى بالدُّعاء، استجاب الله لهم، ولمّا التحموا مع القومِ الكافرين ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ أي: كَسَر المؤمنون الكافرين، وغَلَبُوهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره، وإرادته، وتقديره[1]، وكانت النتيجةُ هي التي ترقّبوها، واستيقنوها: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

ويُؤكِّد النّصُّ هذه الحقيقةَ: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ليعلمها المؤمنون، أو ليزدادوا بها علماً، وليتّضح التّصوُّر الكامل لحقيقةِ ما يجري في هذا الكون، ولطبيعةِ القوة التي تُجريه. إن المؤمنين ستارُ القدرة، يفعلُ الله بهم ما يُريد، ويُنفِّذ بهم ما يختار، بإذنه وإرادته، ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول ولا قُوّة، ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يُريده بإذنه، وهي حقيقةٌ خليقةٌ بأن تملأ قلبَ المؤمن بالسّلام والطمأنينة واليقين.

إنه عبدُ الله، اختاره الله لمُهمّةٍ، وهذه مِنّةٌ من الله وفضل، وهو يؤدِّي هذه المُهمّة المختارَ لها، ويحقِّق قَدَرَ الله النافِذ، ولولا فضلُ الله ما فعل، ولولا فضلُ الله ما أُثيب.

---

(١) تفسير الزهراوين، ص٤١٣.

ثم إنه مستفيضٌ من نُبل الغاية، وطهارة القَصْد، ونظافة الطّريق، فليس له في شيء من هذا كلِّه أربٌ ذاتيٌّ، إنّما هو مُنفّذٌ لمشيئة الله الخيِّرة، قائم بما يريدُ، استحقّ هذا كلّه بالنية الطّيبة، والعَزْم على الطّاعة، والتوجُّه إلى الله في خُلُوصٍ تام.

٢ ـ ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ (١):

كان داود فتىً صغيراً من بني إسرائيل، وجالوتُ كان مَلِكاً قويّاً، وقائداً مخوفاً، ولكن الله شاء أن يُري القومَ وقتذاك أن الأمورَ لا تجري بظواهرها، وإنّما تجري بحقائقها، وحقائقُها مرهونةٌ بعلمه وحدَهُ، ومقاديرها في يده وحدَهُ، فليس عليهم إلا أن ينهضُوا هم بواجبهم، ويَفُوا الله بعهدهم، ثم يكون ما يريدُه الله بالشّكل الذي يريدُه.

وقد أرادَ أن يجعلَ مصرعَ هذا الجبّار الغَشوم (جالوت) على يد هذا الفتى الصّغير (داود)، وذلك ليرى الناسُ أن الجبابرةَ الذين يُرهِبُونهم ضِعافٌ، يَغلبهم الفتيةُ الصِّغار متى شاء الله ذلك.

وكانت هناك حِكْمَةٌ أخرى مُغيّبة يريدها الله؛ فلقد قدّر أن يكونَ داود هو الذي يستلمُ الملكَ بعد طالوت، ويَرِثُه من بعده ابنُه سليمان، فيكون عهدُه هو العهدَ الذهبيّ لبني إسرائيل في تاريخهم الطّويل، جرّاء انتفاضةِ العقيدةِ في نفوسهم بعد الضّلال والانْتِكاس والشُّرور(٢)، ويتأسّس بذلك عهدُ الأنبياء الملوك عليهم السلام.

---

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٢٧٠).

(٢) المصدر نفسه، (١/ ٢٧٠).

**٣ ـ ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾:**

كان داود مَلِكاً نبيّاً، علّمه الله صناعةَ الزُّرود، وعدّةِ الحرب، ممّا فَصّله القرآنُ في مواضعَ أخرى. وكان أوّلَ مَنْ جمع بين الملك والنُّبوّة هو داودُ عليه السلام[١].

**أ ـ معنى داود:**

هذا اللفظ عربيٌّ قديم، من (الوداد) و(المودة) و(الرحمة) و(الود)؛ وهو العلاقةُ التي فيها أَخْذٌ وعطاء. و(داود) بطبيعته لا يَظلمُ، ولا يَطغى، إنه مهيّأٌ من الله ليكونَ خليفةً في الأرض؛ ليحكمَ بين الناس بالحقِّ، ويهدي إلى سَواء السّبيل[٢].

**ب ـ قال الشّيخُ محمد بن عثيمين رحمه الله:**

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ ضميرُ المفعول به يعود إلى ﴿دَاوُۥدُ﴾ أي: أعطاه الله ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ فصار مَلِكاً، وآتاه ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ فصار رسولاً، وجمعَ له ما فيه صلاحُ الدِّين والدنيا، والشّرع والإمارة ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أي: أنّ الأنبياءَ عليهم الصّلاة والسلام ليس عندهم من العلمِ إلا ما علّمهم الله لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، فالنّبيُّ نفسُه لا يَعلمُ الغيبَ، ولا يَعلَمُ من الشّرعِ إلا ما آتاه الله سُبحانه وتعالى، ومثلُ ذلك قول الله تعالى لنبيِّه

(١) قصص الأنبياء، عمرو خالد، ص ٣٧٩.

(٢) أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها، خالد محمد، نور حوران للنشر والتوزيع، دار العرب للدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ٢١٥.

محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وفي ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾؛ إثباتُ المشيئة لله، ولكن اعلَمْ أنّ مشيئةَ الله تابعةٌ لحكمته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩ ـ ٣٠].

**ج ـ قال الشّيخُ محمد أبو زهرة رحمه الله:**

وقد ذكر سبحانه العناصرَ التي تُرشِّحُ للسُّلطان وحُكْمِ الناس، فكانت قُوّةَ الجسم والحِكْمَةَ والعلمَ؛ ولذا قال سبحانه في داود بعد ذِكْر قتله لجالوت: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، والحِكْمَةُ هي: وَضْعُ الأمور في مواضعها، والتّدبيرُ المُحْكمُ على وَفْق العلم، فالحِكْمَةُ تقتضي صِفتين ذاتيتين في الشّخص:

ـ عقلًا مدركًا نافذًا بصيرًا يرى بواطنَ الأمور، ويتغلغلُ في أعماقها.

ـ وإرادةً مُحْكَمَةً تجعلُ العملَ يَتلاقى مع الفكرِ الصّحيح والإدراك السّليم.

ـ فلا يكونُ سلطانٌ يعارضُ دواعيَ العقل، وأحكامَ الفكر السّليم، فليس بحكيم من يُبادرُ بالحُكْم على الأشياء من غير دراسةٍ عميقةٍ مستقصيةٍ، وليس بحكيم من يكونُ عملُه على غير ما تقتضيه قواعدُ الفكرِ المستقيم.

وذَكَر سبحانه أنه علّم داودَ علمًا كثيرًا واسعًا ممّا شاء أن يُعلِّمه، فقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَشَآءُ﴾ يُشيرُ إلى سَعَةِ العلم، وأنه كثيرٌ مُتشعِّبٌ لا تحدُّه إلا مشيئةُ الله وإرادتُه.

فعلّمه الله سبحانه سياسةَ الملك، وأحوالَ الناس، ومنازِعَ النفوس، وأحوالَ البلدانِ، وما تُنتجُه من خيرات، وغير ذلك، وكان تعليمُ الله سبحانه وتعالى له بالنُّبوّة التي أفاضها سُبحانه وتعالى عليه، والتجاربِ التي ساقها الله إليه، والذّخيرةِ التي بين يديه من أحوالِ الحاكمين السّابقين، والهداةِ المرشدين، وما أُوتيه من عِلْم التّوراة، والأخبارِ الصِّحاح عن النّبيّين السّابقين، وفي كلِّ ذلك هدايةٌ وإرشادٌ إلى أقوم مناهجِ الحُكْمِ الصّحيح.

إنّها عناصرُ الحُكْم الصّالح، ولا بُدّ من أن يكونَ الحاكمُ قويّاً في جسمه، بحيث لا يخذلُ جسمُه إرادتَه، فكثيراً ما يكون ضعفُ الإرادة من ضعفِ الجسم، وضعفُ التّدبير من تخاذلِ القوى البدنية عن الاحتمال، ولكنْ قد تكونُ الإرادةُ القويةُ، والعزيمةُ الماضيةُ في جسمٍ ضعيف، وفي هذه الحال قد يستغني عن ذلك العنصر، وذلك إن لم يوجدْ شخصٌ تتوافر فيه قُوّةُ النفس وقوةُ الجسم معًا، فالاعتبارُ الأول لقوة النفس، وقوةُ الجسم خادمةٌ لقوة النفس، وليست مقصودةً لذاتها.

وإن العنصرَ الثَّاني هو الحِكْمَةُ: وهي كما رأيتَ جَعْلُ العملِ يسيرُ مع العقل، فلا تتحكّم الأهواءُ والشّهوات بالإنسان، وآفةُ الحُكْمِ الصّالحِ هوى الحاكم، فإنْ غَلبتْ رغبتُه عقلَه غلبَ الفسادُ حُكْمَهُ، فلْيختبِرْ كلُّ حاكمٍ نفسَه، فإنْ رأى أهواءه هي المسيطرة فلْيَعْلَمْ أن الشر قد استحكم، وأنه أولى به ثم أولى أن يعتزل، وإن وجد عقله هو المسيطر فلْيعْلمْ أن الله أجرى عليه التوفيق. والعنصرُ الثّالثُ الإحاطةُ التّامة بمصالحِ الناس وأحوالهم: فإنّ الحُكْمَ عَمَلٌ للمصلحة، وليس سيطرةً وتحكماً، ومن ظنّه سيطرةً

وتحكماً فهو ممّن طَمَسَ الله بصيرتَه، وغلبتْ عليه شَهْوته، ثم غلبتْ عليه شقوته.

إن الفرقَ ما بين الحُكْمِ الصّالحِ وغير الصّالح دقيقٌ في معناه، وإن كان الأثرُ كبيرًا في مَبناه، فالحكمُ الصّالح أساسُه أن يكونَ الحُكْمُ قائماً لمصلحة المحكوم وإجابةً لرغبته، والحكمُ غير الصّالح أساسُه أن يكونَ الحُكْمُ تحكُّماً في المحكوم، فمَن تحكّمَ في الرّعيةِ، ولو باسم مصلحتها، فقد سَلَكَ سبيلَ الفساد، لأن التحكُّم ينبعثُ من الرّغبة في السّيطرة، ولو لبسَ لَبُوسَ المصلحة. كما أن السّيطرةَ تسلُّطٌ، والتسلُّطُ في ذاته فسادٌ يؤدِّي لا محالةَ إلى فساد، ويُؤدِّي إلى موتِ الإراداتِ في الجماعة، وفي ذلك إضعافٌ لقوتها.

وأما الحُكْمُ المنبعثُ من إرادة الجماعة؛ الذي يقودُها لمصلحتها، فهو يُؤدِّي إلى الصّلاح لا محالة، وإن تعثّر في أخطاء أحياناً، لأن من الخطأ يتعلّمُ الناسُ الصّوابَ، ومن الخطِّ المعوجِّ يُعرفُ الخطُّ المستقيم[1].

٤ ـ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]:

عقّبتِ الآياتُ على المعركة ونتيجتها، وذلك بذِكْر سُنّة من سُنَن الله، وهي سُنّة المدافعةِ بين الناس؛ التي ينتجُ عنها ذهابُ الضعيف وبقاءُ القوي، ومعنى هذه الجملةِ القرآنيةِ المعجزة، كما ذكر محمد رشيد رضا: لولا أن الله تعالى يَدفعُ أهلَ الباطل بأهلِ الحق، وأهلَ الفساد في الأرض بأهلِ

(١) زهرة التفاسير، (٢/ ٩١٠).

الإصلاح، لغلبَ أهلُ الباطل والإفساد في الأرض، وبَغَوْا على الصّالحين، وأوقَعُوا بهم، حتى يكون لهم السلطانُ وحدَهم، فتفسد الأرضُ بفسادهم، فكان من فَضْل الله على العالمين، وإحسانه إلى الناس أجمعين، أنْ أَذِنَ لأهل دينه الحق، المصلحين في الأرض؛ بقتالِ المفسدين فيها من الكافرين والبغاةِ المعتدين، فأهلُ الحق حربٌ لأهل الباطل في كلّ زمان، والله ناصرهم ما نَصَرُوا الحقّ، وأرادوا الإصلاحَ في الأرض[1].

وقال الشّيخُ محمد أبو زهرة رحمه الله في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: وقد دلّ ذلك الختامُ الكريمُ على ثلاثةِ أمور:

**أولها**: أن ذلك التنظيمَ الحكيمَ هو من فضلِ الله ورحمته، وإنعامِه على خَلْقه، وليس ذلك بواجبٍ عليه سبحانه؛ وذلك لأنه خَلَقَ الناسَ، وخَلَقَ معهم عقولاً يعرفون بها الخيرَ والشر، فإن ساروا في طريق الخيرِ والفلاحِ فلهم ما قصدوا إليه، وإن ساروا في طريق الشّر والفساد فإلى الهاويةِ يَسيرون، وعليهم وَبالُ أمرهم، وعاقبةُ عملهم، وذلك من فضل الله على عباده، وقد دلّ على ذلك الاستدراكُ بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ﴾ وصف ذلك بأنه فَضْلٌ من ربِّ العالمين خالقِ الناسِ أجمعين.

**الأمر الثّاني**: فَضْلُ الله سبحانه وتعالى كثيرٌ، وقد دلّ على كثرةِ الفضل التنكير في قوله تعالى: ﴿ذُو فَضۡلٍ﴾أي ذو فضلٍ كثير، لاَ يُدْرَكُ قَدرُهُ، ولا يُعرفُ كُنْهُهُ، ولا يُحدُّ بمقدار، حتى يُعرّفُ ويعيّن بالتعريف.

**الأمر الثّالث**: أن النِّعمةَ التي أنعم الله بها على خَلْقه من دَفْع الفساد يَنْعَم

(١) تفسير المنار، (٢/ ٩١٣).

بها المؤمنون والمشركون، والأشرارُ والأبرارُ، لأنّ الفسادَ إذا عَمّ لا يسلم منه أحد، والخير إذا تحقّقَ عمّ الجميعَ.

وقد دلّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلم يقلْ على المؤمنين أو المتّقين، بل عمّ الخير على الناس أجمعين؛ للإشارةِ إلى ذلك المعنى الجليل.

هذه قصّةُ بني إسرائيل الذين غُلِبوا على أمرهم، ثم بُدِّلوا من الذِّلّة عِزّة، وهي قصّةٌ تكشفُ عن سُنَنِ الاجتماع والحروب، وأمثَلِ طُرقِ الحكم(١).

**٥ ـ قال تعالى:** ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

أخبر اللهُ نبيّه محمداً ﷺ بقصّةِ طالوت وجالوت، وأوردها في آياتِ القرآن، وهذا يدلُّ على أن القرآنَ كلامُ الله، وأن محمداً هو رسولُ الله ﷺ. ووجهُ دلالتها على ذلك أن محمداً ﷺ رجلٌ عربيٌّ أمِّيٌّ، لم يطّلعْ على أخبار السّابقين، ولم يتعلّمْ عند أهل الكتاب.

وإنّ تفاصيلَ قصّةِ طالوت لا يعلمُها إلا أهلُ الكتابِ، وليس عند العرب عِلمٌ بها، فلو لم يكنْ محمدٌ ﷺ نبيّاً يتلقّى الوحيَ لما علم بها، فإيرادُها في القرآن دليلٌ على أن الله هو الذي أوحى بها إلى رسوله الذي أرسله لهدايةِ الخَلْقِ.

وبانتهاء المعركةِ الفاصلة، وانتصارِ طالوت وأتباعه، وقَتْل داودَ

---

(١) زهرة التفاسير، (٢/ ٩١٣).

لجالوت، تنتهي قصّةُ طالوت، الذي ملّكه الله على بني إسرائيل(١).

وجاء التعقيبُ بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

أي: أن تلك الآياتِ العالية المقام، البعيدة الغايات، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾، تحملُ معها الحقّ، ويتلوها مَنْ يملك حقّ تلاوتها وتنزيلها، وجَعلها دستوراً للعباد، وليس هذا الحقُّ لغير الله سبحانه، فكلُّ من يَسُنُّ للعبادِ منهجاً غيرَها إنّما هو متجاوِزٌ حقّ الله، ظالمٌ لنفسه وللعباد، مدّعٍ ما لا يملك، مبطلٌ لا يستحقُّ أن يُطاعَ، فإنما يُطاعُ أمرُ الله، أو أمر من يهتدي بهدي الله دون سِواه. ومن ثَمّ نتلو عليك هذه الآية، فنزوِّدُك بتجارب البشرية كلِّها في جميع أعصارِها، وتجارب الموكبِ الإيماني كلِّه في جميعِ مراحله، ونُورِثُك ميراثَ المرسَلين أجمعين(٢).

**٦ ـ أهمُّ السُّنَن في حياة الأمم والشُّعوب من قِصّة طالوت:**

حاول الشيخُ محمد رشيد رضا رحمه الله أن يتأمّل في هذه القصّة، ويستنبطَ منها أهمّ السُّنَن الإيمانية في حياةِ الأمم والمجتمعات والشُّعوب، وذَكَر منها:

**(السُّنة الأولى)** أنّ الأممَ إذا اعْتُدِي على استقلالها، وأوقع الأعداءُ بها

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٩٨).

(٢) في ظلال القرآن، (١/ ٢٧١).

فهضموا حقوقَها؛ تتنبّه مشاعرُها لدفع الضّيم، فتتوجّه لطلبِ الزعيمِ العادل، والقائدِ الباسل، حتى تجدَهُ، كما وقع من بني إسرائيل بعد تنكيلِ أهلِ فلسطين بهم.

**(الثانية)** أن شعورَ الأمة بوجوب حِفْظِ حقوقها، وصيانةِ استقلالها إنّما يكونُ على حقيقته وكماله في خواصِّها، فمتى كَثُر هؤلاء الخواصُّ في أمة؛ فإنّهم هم الذين يطلبون الرّئيسَ الذي يُملّكُ عليهم، كما علمتَ من إسنادِ طلبِ الملكِ إلى الملأ من بني إسرائيل، وهم شيوخُهم، وأهلُ الفضل فيهم.

**(الثالثة)** متى عَظُم الشعورُ في نفوس خواصِّ الأمة بوجوب حِفْظِ استقلالها، ودَفْع ضَيْم الأعداء عنها؛ فإنّه لا يلبثُ أن يسريَ إلى عامتها، فيَظُنُّ الناقصُ أن عنده من النّعرة والحميّة للأمة ما عندَ الكامل، حتى إذا خرجتْ من طور الفكر والشعور إلى طَوْرِ العمل والظهور، انكشف عَجْزُ الأدعياء المدّعين، ولم ينفعْ إلا صِدْقُ الصّادقين.

**(الرابعة)** أنّ مِن شأن الأممِ الاختلافَ في اختيار الرئيسِ الذي يكونُ له الملكُ عليها، والاختلافُ مدعاةُ التفرُّق، فيجبُ أن يكونَ هناك مُرجِّحٌ يَقبلُهُ الجمهورُ من الأمة؛ لذلك لجأ الملأُ من بني إسرائيل إلى نبيِّهم وطلبوا منه أن يختارَ لهم رجلًا يكون مَلِكاً عليهم، وقد جعل الإسلامُ المرجّحَ لاختيار إمام المسلمين مبايعةُ أولي الأمر لمن يختارونه من أنفسهم، وهم أهلُ الحلِّ والعقدِ والمكانةِ في الأمة.

**(الخامسة)** أن الناسَ لا يتّفقون على التقليد أو الاتّباع فيما يرونه مُخالِفاً

لمصلحتهم الاجتماعية؛ ولذلك اختلف بنو إسرائيل على نبيِّهم في جَعْل طالوت مَلِكاً عليهم، واحتجُّوا على ذلك بما لا ينهضُ حُجّة إلا في ظَنِّ المنكِرين.

ومن عجيبِ أمرِ النّاس أن كلًّا منهم يحسبُ أنه يعرفُ الصّوابَ في السِّياسة، ونظام الاجتماع في الأممِ والدُّول.

**(السادسة)** أن الأممَ في طَوْر الجهل ترى أن أحَقَّ الناسِ بالملكِ والزّعامة أصحابُ الثّروة الواسعة، كما عُلم من قول المنكِرين على مُلْكِ طالوت.

**(السابعة)** أن الشُّروطَ التي تُعَدُّ في اختيار الرجل في الملك هي ما استفدناه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾، وهي:

ـ **الاستعدادُ الفطري للشّخص**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾.

ـ **السّعَةُ في العِلم الذي يكونُ به التّدبير**: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

ـ **بسطةُ الجسم المعبّر بها عن صِحّته**، وكمالِ قُواه، المستلزم ذلك صحّة الفكر ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

ـ **توفيقُ الله تعالى بإيجادِ الأسباب له**، وهو المعبّر عنه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾.

**(الثامنة)** هي ما أفاده قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ كما بيّنّاه مُعزّزاً بالشواهد من الكتاب العزيز، على أن مشيئَتَه تعالى إنّما تنفذُ

بمقتضى سُنَنِهِ العامة في تغييرِ أحوالِ الأمم بتغيير ما في أنفسهم، وفي سَلْب مُلْك الظّالمين، وتوريث الأرض للصّالحين، وتأويل هذه الآيات وأمثالها مشاهَدٌ في كلِّ زمان، فأين المبصِرون؟!

**(التاسعة)** أن طاعةَ الجنود للقائد، في كلِّ ما يأمر به وينهى عنه، شَرْطٌ في الظّفر، واستقامة الأمر. وقوانينُ الجندية في هذا الزّمان مبنيةٌ على طاعةِ الجيش لقُوّاده في المنشَط والمكرَه، والمعقول وغير المعقول.

**(العاشرة)** أن الفئةَ القليلةَ قد تغلب بالصّبر والثّبات وطاعة القُوّاد، الفئةَ الكثيرة التي أعوزها الصّبرُ والاتِّحاد، مع طاعةِ القُوّاد؛ لأن نَصْرَ الله مع الصّابرين.

**(الحادية عشرة)** أن الإيمانَ بالله تعالى، والتّصديقَ بلقائه من أعظمِ أسبابِ الصّبر والثّبات في مواقف الجِلادِ والقتال.

**(الثانية عشرة)** أن التّوجُّه إلى الله تعالى بالدُّعاء مفيدٌ في القتال، كما يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إذ عَطفها بالفاء على آيةِ الدُّعاء، وذلك معقولُ المعنى؛ فإن الدُّعاءَ هو آيةُ الإيمان بالله، والتصديق بلقائه.

**(الثالثة عشرة)** دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض من السُّنَن العامة، وهو ما يُعبّر عنه في هذا العصر بتنازع البقاء، ومُلخّصه: أن الحربَ طبيعيةٌ في البشر؛ لأنها من فروع سُنّة تنازعِ البقاء العامة.

وأنت ترى أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ليس نصّاً فيما يكونُ بالحرب والقتال

خاصّة، بل هو عامّ لكلِّ نوعٍ من أنواع التنازعِ بين الناس؛ الذي يقتضي المدافعةَ والمغالَبة(١).

إنّ السُّنَنَ الرّبانيةَ ثابتةٌ في الكون، وتقع على الإنسان في كلِّ زمان ومكان، وسُنّةُ التّدافُع من السُّنَن التي تتعلّق بالتّمكين تعلُّقاً وثيقاً، ولقد شاء الله ربُّ العالمين أن يُجريَ أمر هذا الدِّين ـ بل أمر هذا الكون ـ على السُّنَن الجارية لا على السُّنَن الخارقة، وذلك حتى لا يأتي جيلٌ من أجيال المسلمين فيتقاعس ويقول: لقد نُصِر الأولون بالخوارق، ولم تَعُدِ الخوارقُ تنزل بعد ختم الرِّسالة، وانقطاع النُّبوات(٢).

إنّ سُنَّةَ التّدافُع مرتبطةٌ بالتّمكين والحكم والسلطان ارتباطاً وثيقاً، فالله تعالى يعلمُ أن الشّرّ مُتبجِّحٌ، ولا يمكن أن يكونَ مُنصِفاً، ولا يمكنُ أن يدعَ الخيرَ يعلو ـ مهما يسلك هذا الخيرُ من طرقٍ سليمة مُوادِعة ـ فإن مجرّدَ نموِّ الخير يحمل الحَظْر على الشّرِّ، ومجرّد وجودِ الحقِّ يحملُ الخطر على الباطل، ولا بُدّ أن يجنحَ الشّرُّ إلى العدوان، ولا بُدّ من أن يدافعَ الباطلُ عن نفسِه بمحاولة قَتْل الحقِّ وخَنْقه بالقوة.

فمن هنا يقعُ التّدافُعُ بين الحقِّ وأهله من جهةٍ، والباطل وأعوانه من جهةٍ ثانية، وتلك سُنّةُ الله، ولن تجدَ لسُنّةِ الله تبديلًا(٣). وهي سُنّةٌ فطريةٌ جاريةٌ

---

(١) تفسير المنار، (٢/ ٣٩٨ ـ ٤٩٢).

(٢) واقعنا المعاصر، لمحمَّد قطب، مؤسَّسة المدينة للصَّحافة، والطِّباعة، والنَّشر ـ جدَّة، الطَّبعة الثَّانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ص ٤١٤.

(٣) في ظلال القرآن، (٣/ ٧٤٢).

بين الناس حفظاً لاستقامة حال العيش، واعتدالاً لميزانِ الحياة[١].

لقد وَرَدَ تقريرُ هذه السُّنّة الرّبانية في القرآن الكريم بصفةٍ عامة، ولكن جاء التنصيصُ عليها في آيتين كريمتين هما[٢]:

**الأولى**: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

**الثانية**: قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وإنّ الملاحَظَ هو أن آيةَ البقرة تأتي بعد ذِكْر نموذجٍ من نماذج الصِّراع بين الحقِّ والباطل، والمتمثِّل هنا في طالوت وجنوده المؤمنين، وجالوت وأتباعه.

ويُذيِّلُ الله ـ تعالى ـ الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ومن ثَمّ فإنّ دَفعَ الفسادِ بهذا الطّريق إنعامٌ يَعمُّ الناس كلّهم[٣].

---

(١) التَّمكين للأمَّة الإسلاميَّة في ضوء القرآن الكريم، لمحمَّد السيد حمد يوسف، دار السَّلام ـ مصر، الطَّبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، ص ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٩.

(٣) التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرَّازي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، (٣/ ٥١٤).

وتأتي آيةُ الحجِّ بعد إعلان الله تعالى أنّه يدافع عن أوليائه المؤمنين، وبعد إذنه لهم ـ سبحانه ـ بقتال عدوِّهم، وتختتمُ الآية بتقرير الله تعالى لقاعدةٍ أساسية: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

إنّ من الضّروريِّ للأمة الإسلامية أن تَعيَ سُنّةَ الله ـ تعالى ـ في دَفْعِ الناس بعضهم ببعض: «لِتُدْرِكَ أن سُنّةَ الله ـ تعالى ـ في تدمير الباطل بأن يقومَ في الأرض حقّ يتمثّلُ في أمة، ثم يقذفُ الله ـ تعالى ـ بالحقِّ على الباطل فيدمغُه، فإذا هو زاهق» (١).

**٧ ـ بداية المملكة القوية لبني إسرائيل:**

هي المملكةُ القويةُ والراشدةُ والغنيةُ التي تولّى حُكمَها الملكُ طالوت، ثم النّبيُّ داود، ثم ابنه النّبيُّ الملكُ سليمان عليهما السلام.

وقد أسّسها النّبيُّ الذي ذَكَره الله في القصّة: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾. وتذكر قصصُ التّاريخ أن اسمه «صمويل»، وهو الذي أقام لأسباط بني إسرائيل ـ تلبيةً لطلبهم ـ أوّل ملكٍ قادهم للقتال في سبيل الله، وكان هذا الملكُ هو طالوت الذي اصطفاه الله على لسان نبيِّه، وزاده بَسْطَةً في العلم والجسم، ثم جاء بعده النّبيُّ الملكُ العابد المجاهد داود عليه السلام(٢).

ولقد ذكرتِ الإسرائيلياتُ وروايات العهدِ القديم، وفصّلت في أحداثِ قصّة طالوت بعد المعركة، والصِّلة بين طالوت وداود عليه السلام، وكيف انتهت بالعداوةِ الشّديدة، والحربِ الطّاحنة بينهما، إلى أن تغلّبَ

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٩١).

(٢) كلام اليهود، محمد علي دولة، ص ٤٤٤.

داودُ عليه السلام على طالوت وقتله، ولكننا لا نرى العودةَ إلى الإسرائيليات، وذِكْر شيء منها في تفسير كلام الله، فنكتفي بما أخبرتْ عنه آياتُ القرآن من قصّة طالوت، ونقولُ بما قالت به، ونسكتُ عمّا سكتت عنه(١).

ومن أراد التّوسُّعَ في فَهْم قصص العهد القديم، وما نُسِبَ فيها من خلاف بين طالوت وداود عليه السلام، فليراجع:

- دراسات تاريخية في القرآن، محمد بيومي مهران.
- بنو إسرائيل والحضارة، محمد بيومي مهران.
- عجائب وأسرار داود وسليمان عليهما السلام، عادل حامد.
- داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، مي حسن المدهون.
- القصص القرآني، لأحمد الكبيسي.

وبعد أن تولّى داود عليه السلام المُلْكَ عَمِلَ على توحيد مملكته، والتّوسُّع في بنائها على أُسس العدل والمساواة، وإقامة الحقِّ بين الناس.

**٨ ـ نزع التّمكين وزواله من الظّالمين:**

نَزَعَ الله تعالى مُلْكَ جالوتَ الظّالم، ومكّن لداود عليه السلام الصّالح المصلِح، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ

(١) القصص القرآني، (٣/ ٣٩٨).

﴿ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وإنّ من أعظم ما تدلُّ عليه الآيةُ الكريمةُ من وجوه النّفع العظيم؛ هو نَزْعُ الله تعالى الملكَ ممّن آتاه إياه بعد أن ظلم وجار، وذلك حتى لا تخلدَ النفوسُ الظّالمةُ الجائرةُ في وَهْم الأمان من هذا النّزع، بعدما صاروا في غيبوبة سُكْر الملك، أو السُّلطان الجائر.

وفي هذا أيضاً بشاراتٌ للمظلومين، وأنه تعالى ناصرُهم على مَنْ ظلمهم وتجبّر عليهم، وأن عليهم الأخذَ بأسباب دَفْع الظُّلم عنهم، والصّبر والمصابرة أثناء دَفْع الظّالم ليزولَ عنهم ظلمه(١).

**٩ ـ وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم:**

قال الإمامُ القرطبي: وفي قول طالوت: مَن يَبرُزُ له ـ أي لجالوت ـ ويقتله فإني أزوِّجه ابنتي، وأحكّمه في مالي، معناه ثابتٌ في شرعنا، وهو أن يقولَ الإمام: مَنْ جاء برأسٍ ـ أي برأس كافرٍ في الحرب ـ أو أسير فله كذا(٢).

وعلى هذا يجوزُ لولاة الأمور وَضْعُ الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم

(١) سنن التَّمكين وأثرها على السياسة الشرعية، إبراهيم المبارك، دار اليسر، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص ١٥٠.

(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٢٧٤.

بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين، سواء كان ذلك في حالة السِّلم أو الحرب[١].

**١٠ ـ اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم:**

ورد اسم «داود» عليه السلام في القرآن ستّ عشرة مرة، وذِكْره في القرآن وَرَد على صور مختلفة:

ـ فأحياناً يرد اسمه فقط دون الإشارة إلى قِصّته، كما في سورة الأنعام، حيث ذُكر ضمن مجموعةٍ من الأنبياء الكرام عليهم الصّلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ـ وأحياناً يُذكر مقروناً مع تفضيل الله له بإنزال الزّبور عليه.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ـ وأحياناً يُذكر اسمُه في سياق بدء أمره، بعدما قَتَل قائد أعدائه جالوت، كما مرّ معنا في المبحث السّابق.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ـ وأحياناً يُذكَر باسمه في سياق لَعْن الكفّار من بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

وفي سُور البقرة، والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء، ذُكِرَ داود عليه السلام مرةً في كلِّ سورة. وفي سورة الأنبياء ذُكِرَ مرتين:

ـ مرةً في الإشارة إلى حُكمه وقَضَائه في الغَنَم التي أتلفتِ الزّرعَ، واستدراك ابنه سليمان عليه السلام في الحكم القضائي: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

ـ ومرةً ثانية في الإشارة إلى تسبيح الجبال والطّير معه: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

**وفي سورة النمل ذُكر مرتين أيضاً:**

ـ مرة في الإشارة إلى ما مَنَحَه الله من العلم مع ابنه سليمان: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ [النمل: ١٥].

ـ ومرة في الإشارة إلى وراثة ابنه سليمان له: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾ [النمل: ١٦].

**وفي سورة سبأ ذُكِر مرتين كذلك:**

ـ مرة في الإشارة إلى فَضْل الله عليه في تسبيح الجبال والطّير معه ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

ـ ومرة بتكليف آل داود شكرَ الله على نِعَمِه: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وحازت سورة (ص) قصبَ السّبق في عدد المرات التي ذُكر فيها اسمُ داود، فقد ورد خمس مرات:

ـ مرة في دعوة النبي محمد ﷺ للاقتداء بداود في ميدان الصّبر: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

ـ ومرة في ذكر نبأ الخَصم إذ تسوّروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢].

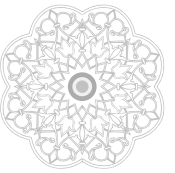
ـ ومرة في ذكْر ظنِّ داود أنه فُتن في مسألة من مسائل القضاء: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

ـ ومرة في ذكْر جَعْله خليفة، وأمْره بالحكم بالحق والعدل والبعد عن الهوى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

ـ ومرة في الإشارة إلى سليمان الذي وهبه الله لداود: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] (١).

* * *

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٠٤).



# المبحث الثاني

## قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة (ص)

قال تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾

فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ١٧ ـ ٤٠].

**تفسير الآيات الكريمة:**

**أولاً: قال تعالى:** ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾:

١ ـ ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾:

أ ـ ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾:

يقول الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك ممّا تكره، فإنّا ممتحنوك بالمكاره، وقد امتحنا سائرَ رسلنا قبلك، ثم جاعِلُو العلوّ والرِّفعة والظّفر لك على من كذّبك، ورَفَضَ اتِّباعك[1]، كما هو الحالُ في الرُّسل الذين أرسلناهم قبلك، فمنهم عبدنا داود، فالله عزَّ وجلَّ أمَرَ محمداً ﷺ ـ على عظمة قدره ـ أن يقتديَ في الصّبر على طاعة الله بداود عليه السلام، وذلك تشريفٌ عظيم، وإكرامٌ لنبيِّ الله داود عليه السلام، حيث أمر الله أفضلَ الخلق محمداً ﷺ أن يقتديَ به في مكارم الأخلاق.

---

(١) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (٢٣/ ١٣٦).

ب ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا﴾:

وصف اللهُ عزَّ وجلَّ داود عليه السلام بقوله ﴿عَبۡدَنَا﴾ وهذا وصفٌ مُشعِرٌ بتحقيق تمامِ العبودية بالاجتهاد في الطّاعة(١).

وكان داود عليه السلام من أعبد الناس، وقد أخبرنا رسولُنا الكريم ﷺ عن صلاته وصيامه، حيث روى البخاريُّ ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الصِّيام إلى الله صيامُ داود، كان يصومُ يوماً ويُفْطِر يوماً، وأحبُّ الصّلاة إلى الله صلاةُ داود، كان ينام نصفَ اللّيل، ويقومُ ثلثه، ويَنامُ سدُسَه، ولا يفرُّ إذا لاقى**» (٢).

ولهذا الحديثِ الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مناسبةٌ، وضّحها عبد الله بن عمرو نفسُه في حديث آخر، فقد روى البخاريُّ ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: كنتُ أصومُ الدّهر، وأقرأُ القرآنَ كلّ ليلة. قال: فإمّا ذكرتُ للنبيِّ ﷺ، وإما أرسل إليّ فأتيتُه. فقال لي: «**ألم أُخْبَر أنّكَ تصومُ الدّهرَ وتقرأُ القرآنَ كلّ ليلة؟**» فقلت: بلى يا نبيّ الله! ولم أُرِدْ بذلك إلا الخيرَ. قال: «**فإنّ بحَسْبِكَ أن تصومَ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام**».

قلت: يا نبيّ الله! إنِّي أطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**فإنّ لزوجِكَ عليكَ**

(١) الثناء في القرآن الكريم، هتون سامي عبد الرحمن فلمبان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص ٣٣٧.

(٢) البخاري، رقم: ٣٤٢٠؛ ومسلم، رقم: ١١٥٩.

**حقاً، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقاً، ولجسدك عليك حقّاً، فَصُمْ صَومَ داود نبيِّ الله ﷺ، فإنّه كان أعبدَ النّاسِ»**.

قال: قلتُ: يا نبيّ الله! وما صومُ داود؟ قال: «**كان يصومُ يوماً ويُفْطِر يوماً**» قال: «**واقرأ القرآنَ في كلِّ شهر**».

قال: قلتُ: يا نبيّ الله! إنِّي أُطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**فاقرأْهُ في كلِّ عشرين**».

قال: قلتُ: يا نبيّ الله! إنِّي أطيقُ أفضلَ من ذلك. قال: «**فاقرأه في كلِّ عشر**».

قال: قلت: يا نبيّ الله! إنِّي أطيقُ أكثرَ من ذلك. قال: «**فاقرأه في كلِّ سبع، ولا تزدْ على ذلك؛ فإنّ لزوجِكَ عليك حقاً، ولزَوْرِكَ عليك حقاً، ولجسدكَ عليك حقاً**».

قال: فشدّدتُ، فشدّد عليّ. قال: وقال لي النّبيُّ ﷺ: «**إنّكَ لا تدري لعلّك يَطولُ بكَ عُمْرٌ**».

قال: فصرتُ إلى الذي قال لي النّبيُّ ﷺ. فلما كبرتُ وددتُ أنِّي كنتُ قبلتُ رخصةَ نبيِّ الله ﷺ[1].

وفي هذا الحوارِ التّربويِّ بين رسولِ الله ﷺ وعبد الله بن عمرو بن العاص يُصرِّحُ رسولُ الله فيه أنّ داود عليه السلام كان أعبدَ الناس[2].

---

(١) رواه البخاري، رقم ٦١٩، ومسلم، رقم: ١١٥٩.

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٢١).

ج ـ ﴿ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ ﴾ :

ذا القوّةِ والبطشِ الشّديد في ذات الله، والصّبر على طاعته[١].

أي: الأيد: القوةُ العظيمةُ على العبادةِ والطاعةِ في البدنِ والقلبِ، والقوّة في العلمِ والعملِ على أداء الأمانةِ، والقيامِ بأعباءِ الدّعوة، ومجانبة الضّعفِ والوَهَنِ، وتلك قُوّةٌ محمودةٌ إذا كانت على الحقِّ والخيرِ؛ ابتغاء نَصْر دينِ الله[٢].

وقد كان داودُ عليه السلام قويّاً في كلِّ ما يأتي من الأمور[٣].

د ـ ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ :

أي: كثيرُ الرُّجوعِ إلى الله في جميعِ الأمورِ، ومُنيبٌ إليه بالحبِّ والطاعةِ، والخوفِ والرجاءِ، وكثرةِ التّضرُّعِ والدُّعاءِ، ورجّاعٌ إلى الله تعالى عندما يقعُ منه بعضُ الخَللِ والتّقصيرِ؛ بالإقلاعِ عن الذَّنبِ، والتّوبةِ النّصوحِ[٤].

قال السّعديُّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾: مدحٌ عظيمٌ من الله لهذينِ الوصفَين: قُوّةُ القلبِ والبدنِ في طاعةِ الله، والإنابةُ باطناً وظاهراً إلى الله المستلزمةُ لمحبّته وكمالِ معرفتِه.

وإنّ هذين الوصفَين للأنبياءِ على وجهِ الكَمالِ، ولمَن بَعدَهم من أتباعِهم على حسبِ أتباعِهم، والثَّناء من الله عليهما يَقتَضي الحثّ على جميعِ

(١) جامع البيان، الطبري، (٢٣/ ١٣٦).
(٢) الثناء في القرآن الكريم، ص ٢٢٧.
(٣) القصص القرآني، (٣/ ٤٣٣).
(٤) الثناء في القرآن، ص ٣٣٧.

الأسبابِ التي تُعينُ على القوّةِ والإنابةِ، وأن يكونَ العبدُ رجّاعاً إلى اللهِ في حالِ السّرّاء والضّرّاء، وفي جميع الأحوال(١).

٢ ـ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾:

**العشي**: من وقتِ العصرِ إلى اللّيلِ، و**الإشراقِ**: وقت الضُّحَى.

وكان داود إذا سبّح سبّحَت معه الجبالُ في مختلف الأزمنة ليلًا ونهاراً، فذكْرُ الله تعالى يُحصِّل الذاكرُ منه السكينة والطمأنينة، ويشعر بقوة الله، وأهمية طاعته، وتكرار الأوراد بقلب صادق، ونفس خاشعة؛ إقراراً بالعبودية، ورجاء المغفرة(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: أي: إنّه تعالى سَخّرَ الجبالَ تُسبِّح معه عند إشراقِ الشمسِ وآخر النّهارِ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]، وكذلك كانتِ الطّيرُ تُسبِّحُ بتسبيحِه، وتُرجِّع بترجيعِه، إذا مرّ به الطّيرُ وهو سابحٌ في الهواءِ، فسمعَه وهو يترنّم بقراءةِ الزّبور، لا يستطيعُ الذّهابَ، بل يقفُ في الهواءِ، ويُسبِّح معه، وتُجيبُه الجبالُ الشّامخات تُرجِّعُ معه، وتُسبِّحُ تبعاً له(٣).

قال الرّازيُّ رحمه الله: واحتجُّوا على شرعيّةِ صلاةِ الضُّحَى بهذه الآيةِ.

عن أمِّ هانئ قالت: «دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ، فدعا بوَضوءٍ فتوضّأ، ثم صلى صلاة الضُّحَى، وقال: «**يا أمّ هانئٍ هذه صلاةُ الإشراق**».

---

(١) قصص القرآن، جمع فايز السريح، ص ٢٠٢.

(٢) جامع البيان، (٢٣/ ١٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير، دار طيبة، الطبعة الثّانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، (٧/ ٥٧).

وعن طاووس عنِ ابنِ عبّاسٍ قال: «هل تَجِدون ذِكْرَ صلاةِ الضُّحَى في القرآن؟ قالوا: لا، فقرأ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقال: كان يُصلِّيها داود عليه السلام. وقال: لم يزلْ في نفسي شيءٌ من صَلاة الضُّحَى حتّى وجدتُها في قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١).

قال المراغيُّ رحمه الله: وتَخصيصُه هذين الوَقتَين بالذِّكْر يدلُّ على اختصاصِهما بمزيدِ شرفِ العبادةِ فيهما؛ فإنّ لفضيلةِ الأزمنةِ والأمكنةِ أثراً في فضيلةِ ما يقعُ فيهما من العبادات(٢).

قال ابنُ جرير الطّبري رحمه الله: وسخّرنا الطّير يُسبِّحْنَ معه محشورةً، بمعنى: مجموعةً له. ذُكر أنّ داودَ عليه السلام كان إذا سبّح أجابتْه الجبالُ، واجتمعتْ إليه الطّيرُ، فسبّحتْ معه. وحشرُها: هو اجتماعُها إليه.

قوله ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ يقول: كلٌّ ذلك له مطيعٌ رجّاعٌ إلى طاعته وأمرِه، ويعني بالكلِّ: كلّ الطّير. وقال آخرون: المعنى: كلٌّ ذلك كان لله مُسبِّحاً(٣).

**تسبيحُ الجبالِ والطّير على الحقيقة:**

وَهَبَ الله داود عليه السلام صوتاً جميلًا، فكان يتألّقُ ويزدادُ جمالاً عندما يَتلو الزّبورَ. ومن روعةِ جمالِ صوتِ داود، وإخلاصِه لله، وتفانيه في

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٦/ ١٨٧).

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م، (٢٣/ ١٠٦).

(٣) جامع البيان، (٢٣/ ١٣٧ ـ ١٤١).

الذِّكرِ والتّسبيح، والحمد والثّناء على الله، أنّه كان حين يذكر الله ويُسبِّحه يتأثّر ما حوله من الجبال والطُّيور، فكانتْ تُسبِّح معه، فقد سخّر الله الجبالَ والطّير، وأمرها أن تُسبِّح مع داود عندما يسبح الله، وأن تشاركه هذه العبادة، والجبالُ خاضعةٌ لأمر الله تنفذُ أمرَهُ ولا تتمرّد عليه، ولهذا قامتْ بالتّسبيح مع داود عليه السلام بإرادة الله ومشيئته.

وللطّير لغةٌ خاصّةٌ في عبادتها لله تعالى، فتصدرُ أصواتاً معيّنةً، وهي تنفِّذُ أمرَ ربِّها بطواعيةٍ مطلقةٍ، فقد تلقّتْ أمرَ خالقها بالقَبول، وكانت تشاركُ داود عبادته، وتسبيحه. كذلك للجبال لغةٌ خاصّة، تُسبِّح بها الله، رغم أنها جماداتٌ، لكنها القدرةُ الإلهية والمشيئة الربانية التي تُنْطِق الحجر، وتجعله يُغرِّد بتسبيح خالقه عزَّ وجلَّ[١].

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالآيةُ الكريمةُ تبيِّن أنّ كلّ من في السموات السّبع والأرض يُسبِّح لله، سواء كان مخلوقات عاقلة، أو مخلوقات غير عاقلة، أو جمادات، فما من شيءٍ في الوجود إلا يُسبِّح بحمد الله إلا أنّنا لا نفقَهُ لغتَها، أو لا نسمعُ صوت الجمادات ولا نفقه لغتها؛ لأننا لا نفقه إلا لغتنا نحن البشر[٢].

والذي عليه أهلُ العلم أنّ الجبالَ والطيورَ كانت تُسبِّح مع داود عليه السلام على الحقيقة، وليس هذا على الله بعزيز، فالذي أنطقَ البشرَ ليس

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٢٥).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٤٢٦).

بعاجز أن يُنْطِقَ الطّير والجبال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال سبحانه عن أثر القرآن الكريم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وكذلك ذكر الله تعالى الحجارة، وشبّه القلوب القاسية بها فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم مَدَحَ الحجارةَ في مقابل ذلك، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، مع أنها حجارةٌ، ولكن الله جل وعلا يجعلُ فيها هذا الإحساس، فتستطيعُ أن تُخْرِج الماء من جوفها، وأنْ تُسبِّح؛ ولذلك كان النّبيُّ ﷺ يُخْبِرُ عن حَجَرٍ كان يُسلِّمُ عليه[1]. والجذع أنّ وبكى لفراق النّبيِّ ﷺ له لمّا وُضِعَ له المنبرُ صلوات الله وسلامه عليه، والهدهد أيام ملكة سبأ يذكر أنها عبدتْ غير الله عزَّ وجلَّ، فأنكر عليها فِعْلَها.

فنحن نُؤمنُ بهذا ونُصدِّقه، ونقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، كيف لا، وأيدي الكافرين وجلودُهم، يوم القيامة، سوف تنطق بما كانوا يعملون، فيعجب الكافر من جلده ويدِه ورجلِه لمَ شهدتُّم علينا؟![2]. فتقول له: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

---

(١) رواه مسلم، رقم ٢٢٧٧.

(٢) رواه مسلم، رقم: ٢٩٦٩، ٢٩٨٦.

إن الله عزَّ وجلَّ أنعم على عبده ونبيِّه داود عليه السلام ممّا آتاه من الفضل المبين، وجَمَعَ له بين النُّبوّة والملك المتمكِّن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومَنَحَه من الصّوت الرّخيم الذي كان إذا سبّح تُسبِّح معه الجبالُ الرّاسيات، والصُّمُّ الشّامخات، وتقفُ له الطيورُ السّارحات والعاديات والرّائحات، وتجاوبه بأنواعِ اللغات[1].

وقد جاءت هذه الأخبار في ثلاث سور: الأنبياء وسبأ و(ص).

ففي سورة الأنبياء أخبر تعالى عن تَسْبيحها مع داود عليه السلام فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وأخبر في سورة سبأ عن تأويبها معه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] أي أن تسبيحها كان تأويباً، وترجيعاً، وترديداً بعد تسبيحه هو.

وأما في سورة (ص) فقد جاءت زيادة وإضافة مفيدة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٨ ـ ٢٠].

**والعَشِيُّ**: وقت المساء، عند غروب الشمس.

**والإشراق**: وقت الصباح، عند شروق الشمس.

وقد سخّر الله له الجبال، وجَعَلَها مُسَبِّحة في الصّباح وفي المساء، وحَشَر له الطّيرَ، وجَعَلَها تُسبِّح وهي مجموعةٌ في الصّباح والمساء أيضاً.

---

(١) فبهداهم اقتده «قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء»، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص ٢٩٥.

وجملة: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ في محل نصب حال، وصاحب الحال هو الجبال، أي إنّا سخّرنا الجبال معه مسبِّحةً بالعشي والإشراق.

و﴿مَحْشُورَةً﴾ حال منصوب، وصاحب الحال هو «الطّير»، والطّير مفعول به لفعل محذوف مفهوم من السِّياق، والتقدير: وسخّرنا الطّيرَ محشورةً مُسبِّحةً بالعشي والإشراق.

وكأنّ الجبالَ والطّيرَ مخلوقاتٌ عاقلة، وهي تختار أصفى الأوقات للتسبيح، أي عند شُروق الشمس، وعند غُروبها، وتخيّل منظرَها وهي تُسبِّح عند الصّباح والمساء، إنه منظرٌ جميلٌ لطيفٌ مُؤثِّر، تتفاعلُ معه النفوس(١).

وما من شيء في الوجود إلا هو مُسبِّح لله، فقد أخبرنا الله بذلك(٢)؛ كذلك قال رسولُ الله ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود**»(٣).

فقد كان صوتُ أبي موسى من أجمل الأصوات بين الصحابة، فشبّه ﷺ صوته ـ حين سمعه يقرأ القرآن ـ بصوت داود عليه السلام.

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ عبد الله بن قيس أو الأشعريّ أُعطي مِزْماراً من مزامير آل داود**»، وفي رواية أخرى عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «**لو رأيتني وأنا أستمعُ لقراءتك البارحة، لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود**»(٤).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٢٩).
(٢) تفسير سورة الإسراء، أحمد نوفل، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م، ص ٣١١.
(٣) رواه البخاري، رقم: ٥٠٤٨.
(٤) رواه مسلم، رقم: ٧٩٣.

وإذا كانت الأحاديثُ السّابقةُ تذكر (آل داود) فإنّ المرادَ بها داود نفسه عليه السلام، كما قال الخطابي وابنُ حجر، فهناك روايةٌ مرفوعةٌ، فيها التصريحُ بداود، وليس آل داود.

ولا يُراد بالمزمار في الحديث آلة العَزْف الموسيقية، وإنّما يُراد به الصوتُ الحسنُ الجميل عند القراءة، فعندما يقرأ كان يُحسِّن ويجمِّل صوته، ويجوِّد الكلمات الخارجة من فمه، فكأنه يَعزفُ على المزمار.

ولا بُدّ من القول: إنّ المزاميرَ المنسوبةَ إلى داود عليه السلام، والمذكورةَ في العهد القديم، ليست هي الزّبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام، ولا هي ممّا كان داود عليه السلام يُناجي به ربّه!!

والسِّفر التّاسع عشر من أسفار العهد القديم اسمه (المزامير)، وقد سجّل أحبارُ اليهود فيه مئة وخمسين مزماراً، ومعظم هذه المزامير منسوبةٌ إلى داود، وبعضها منسوبٌ إلى غيره. ولكننا نقول: هذه المزاميرُ ليست الزّبور، وكلماتها لا تتفق مع أدب داود عليه السلام مع الله، وهي من وَضْع أحبار اليهود فيما بعد، ونحن نعلمُ أن بعضَ أحبار اليهود حرّفوا التّوراة كما حرّفوا أسفار العهد القديم.

**٣ ـ قوله تعالى**: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾:

**أ ـ** ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾:

شدّ الله ملك داود عليه السلام وقَوّاه وثبّته، ومَنَحه كلّ ما يحتاج مُلكُه من وسائل القوة والتثبيت والتمكين، من المال والرجال والعَتَاد والسِّلاح

والدُّروع والتشريع، كما قال الإمام ابن كثير: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾؛ أي جعلنا له مُلْكاً كاملًا من جميع ما يحتاجُ إليه الملوك. ومن مظاهر شدِّ الله لملكه: ما آتاه من الحِكْمَة وفَصْل الخطاب.

ب ـ ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾:

قال بعضُ العلماء: الحكمة: الفهم والعقلُ والعدل والصّواب، وقالوا: كتاب الله واتِّباع ما فيه. وقال البعضُ الآخر: الحِكْمَة: التّوراة.

وهذه الأقوالُ الثلاثة متقاربة، وهي من الحِكْمَة، فالنُّبوّة من الحِكْمَة، وكتاب الله من الحِكْمَة، واتِّباع وتطبيق ما فيه من الحِكْمَة، وقد أُوتي داود عليه السلام الزّبور، ومنّ الله عليه بالشّريعة.

ونتج عن النُّبوّة والشّريعة وكتاب الله: فَهْمُ داود عليه السلام، وفِطْنته، وحُكمه بالعدل، وقولُه الحقّ والصّواب[١]. وإن الحِكْمَةَ هبةٌ ومِنْحة من الله تعالى لبعض الناس، وخاصّة الأنبياء والمرسلين، وعلى الأخصِّ عند اجتماع النُّبوّة والملك والقضاء، لمعرفة الحقِّ، وإقامته، والقضاء به، وتنفيذه، والالتزام به، وهذا ما وهبه الله تعالى لداود عليه السلام[٢].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وبما أنّ الله آتى داود عليه السلام الحِكْمَة، فقد كان حكيماً في نفسه يتمتّعُ بالفِطْنة والفهم والذّكاء والفقه والعلم، وكان حكيماً مع قومه يقضي بينهم بالحِكْمَة،

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٤٠).

(٢) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠١٨م، (٣/ ٤٤١).

ويحكم فيهم بالحق والصّواب، وقد كان حكمه وقضاؤه يمنع الفساد، ويُحقِّق الخيرَ والصّلاحَ[١].

ج - ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾:

**القطع والجزم**، تقول: فَصَلَ كذا؛ إذا منعه.

وتُبيِّن هذه الآيةُ الكريمةُ أن الله تعالى آتى داود عليه السلام فَصْلَ الخطاب، وكان هذا ثمرةً للحِكْمَة التي مَنّ الله عليه بها، فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

وهذه شهادةٌ من الله تعالى لنبيِّه داود عليه السلام بموهبته في الحُكم والقضاء، حيث كان يحكُم بين الناس بشرعِ الله، ويقضي بين المتخاصمين والمتنازعين بالحِكْمَةِ التي آتاه الله إياها.

وكانت أحكامُ داود وأقضيتُه عليه السلام صائبةً صحيحة، كيف لا وهو النّبيُّ المؤيد من الله تعالى، وهو المعصومُ بعصمة الله له، وكانت أحكامُه وأقضيتُه تُؤدِّي إلى فَصْلِ الخطاب، وقَطْعِ الخلاف، وإنهاءِ النزاع[٢].

قال مجاهد والسُّدِّي: فصلُ الخطاب هو إصابةُ القضاء وفَهْمُ أحكامه[٣]، وقد كان يساعده في أقضيته وأحكامه ابنُه سليمان عليه السلام، الذي آتاه الله الحِكْمَةَ والعلمَ أيضاً، فأضاف حكمتَهُ إلى حِكْمَةِ أبيه، وعِلْمَه إلى عِلْمِه، وإذا دعتِ الحاجةُ إلى الاستدراك على أبيه في حكمه كان يفعل

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٤١).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٤٤٢).

(٣) تفسير ابن كثير، (٤/ ٣٢).

ذلك بأدب مع أبيه، وصولاً إلى إقرار الأحكام الصائبة؛ التي تعيد الحقوق كاملة إلى أصحابها. وكان أبوه يتقبّل ذلك برضا، ويُمْضِي حُكْم ابنه وقضاءه(١).

إن هذه النتيجةَ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ من أسبابِ تحقيقِ مفهوم العبودية الشّامل في التّسبيح والذِّكر والطاعة والجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، والحرصِ على تنفيذ شرعه، والتّصدِّي للمُوبقات والمنكَرات والكبائر... إلخ.

**ثانياً: قوله تعالى:** ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢١ ـ ٢٥]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ** ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾:

**أ ـ** ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾:

الخطابُ من الله تعالى لرسوله محمدٍ ﷺ، و﴿۞ وَهَلْ﴾ هنا ليست

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٤٢).

للاستفهام، بل للتحقيق، بمعنى أتاك، فالله أخبره بقصةِ الخصمَيْن مع داود عليه السلام، وبذلك أتاه خَبَرُهما[١].

وهذه القصّةُ من الأمور العجيبةِ الخاصّةِ بداود عليه السلام، لا عِلْمَ لنبيِّنا ﷺ بها لولا الوحي، وأفاد الاستفهامُ التّشويقَ والتعجُّب[٢].

ب ـ ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾:

أي خَبرُ الرّجلَين المتخاصمَين. والمرادُ به الملكانِ اللّذان أتيا داود عليه السلام في صورة رجلَين متخاصِمَيْن مختلفَين.

وعبّرتِ الآيةُ عن الرّجلين الخصمَين بالمفرد، ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ لأن الخَصْمَ مصدر، والمصدرُ لا يُثنّى ولا يُجمَع، ويُخْبَرُ به عن المفرد والمثنى والجمع، والمذكّر والمؤنّث[٣].

ج ـ ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾:

كانت بدايةُ حادثة الخصمَيْن مع داود عليه السلام أنهما تسوّرا عليه المحرابَ.

و﴿إِذْ﴾ ظرفٌ للزمان الماضي في محلِّ نصبٍ مفعول فيه، متعلِّق بكلمة ﴿نَبَؤُاْ﴾، والتقدير: قد أتاك نبأ الخصم وقتَ تسوّرهم المحرابَ.

---

(١) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠٠).
(٢) المصدر نفسه، (٧/ ٢٠٠).
(٣) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٤).

ومعنى ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ تعلّقوا بالسُّور، وظَهروا عليه، ثم نزلُوا عنه، يقال: تسوّر الرّجلُ السورَ: إذا علاه وتسلّقه.

و﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: مكان العبادة، وهو أفضلُ جزءٍ من البيت لتخصيصه بذِكْر الله، وعبادته، والصّلاة له[١].

وللإمام الرّاغب توجيهٌ لطيفٌ لتسمية مكانِ الصّلاة محراباً، لأنه مشتقٌّ من (الحرب)، وقد رَبَطَ الرّاغبُ بين الحرب والمحراب، فقال: ومحرابُ المسجد: قيل سُمِّي بذلك لكون حقِّ الإنسان فيه أن يكونَ حربيّاً متخلِّصاً من أشغالِ الدُّنيا، ومن توزُّع الخواطر.

وقيل: الأصلُ فيه أنّ محرابَ البيت: صدرُ المجلس، ثم اتُّخذت المساجدُ فسُمِّي صَدْر المسجد به.

وقيل: بل المحراب أصلُه في المسجد، وهو اسم خُصّ به صدرُ المجلس، فيُسمّى صَدْر البيت محراباً تشبيهاً بمحرابِ المسجد، وكأنّ هذا أصحُّ[٢].

ومعنى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾: عندما تسلّق الخصمان الملكان سُورَ المحراب، وظَهَرا عليه، ونزلا عنه دخلا من السُّور، ولم يدخلا من الباب. وكان داود عليه السلام في هذه اللّحظة في محرابه، وهو مكانُ عبادته وصلاته وذِكْره المخصّص، مشغولاً بمناجاة الله وذِكْره.

---

(١) المصدر نفسه، (٣/ ٤٥٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٢٥.

وفاعل تسوّروا: واو الجماعة، وقد تكرّرتْ هذه الواو في الأفعال التّالية: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، ﴿دَخَلُواْ﴾، و﴿قَالُواْ﴾ لأنّ أقلّ الجمع اثنان؛ ولهذا قال: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ ولم يقل (تسوّرا) [١].

**٢ ـ قوله تعالى**: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾:

**أ ـ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾:**

﴿إِذْ﴾ ظرفُ زمانٍ للماضي في محل نصب مفعول فيه، وهو متعلِّق بفعل ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ والتقدير: تسوّروا المحرابَ وقت دخولهم على داود عليه السلام، وكان داود عليه السلام في محرابه عابداً لله، مُستغرِقاً في مناجاته، والأبوابُ مغلقةٌ، والحرسُ على الأبواب، ولا يسمحونَ لأحدٍ بالوصول إلى داود عليه السلام في الداخل، وفجأة ينظرُ أمامه، فيرى رجلَين داخلَيْن عليه، نازلَيْن من سُور المحراب.

**ب ـ ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾:**

خافَ منهم؛ لأنّهم دخلُوا عليه بغير إذنه.

**ج ـ ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾:**

طمأناه، وذلك حين ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب[٢].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٢٥٦).

(٢) النظم القرآني في قصة داود وسليمان، أحمد خورشيد، ص ١٠١.

د ـ ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ :

أي : خَصْمان تعدّى وظَلَمَ بعضُنا بعضاً، وجئناكَ لتقضيَ بيننا[١] .

هـ ـ ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ :

أي : ولا تَجُرْ في حكمك، من الشّطَط : وهو مجاوزةُ الحدِّ، وتخطِّي الحقِّ[٢] .

و ـ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ :

لا تَظْلِم ولا تُسْرِف في حُكْمِكَ، ولا تَمِلْ مع أحدٍ ضدّ صاحبه .

و﴿ تُشْطِطْ ﴾؛ مضارع من الفعل الماضي الرباعي (أشطّ) بمعنى جاز وظلم في حُكْمِه، وابتعد عن الصواب والعدل[٣] .

ز ـ ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ :

أرشِدْنا إلى وسط الطّريقِ ومَحَجّته . والمرادُ : عَيْنُ الحقِّ وصَرِيْحُه[٤] .

٣ ـ **قوله تعالى** : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ :

أ ـ ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى ﴾ :

اعتبره أخاً له رغم خلافِه معه، وهذا يدلُّ على لباقة الخصمَين في

---

(١) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠١).
(٢) المصدر نفسه، (٧/ ٢٠١).
(٣) المصدر نفسه، (٧/ ٢٠١).
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٦).

الحديث، حيث لم تُثِرْ هذه الخصومةُ ضغينتَهما، وخروجهما عن الجادة في الكلام الحَسَن؛ لقوله: (أَخِي) مع أنه قال في الأول: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾، لكن هذا البغي لم تذهبْ معه الأخوّة[١].

ب ـ ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾:

ذَكَرَ عَدَدَ النِّعاج التي عنده، والنّعجة معروفة، وهي أُنثى الضّأن. فقال:

أخي هذا يملكُ تسعاً وتسعين نعجة، وأنا لا أملك إلا نعجةً واحدةً، ولم يكتفِ بنعاجه الكثيرة، وإنّما تطلّعتْ نفسُه إلى نعجتي، وطمع فيها، وأراد أَخْذَها وضَمّها إلى نعاجه، بغياً منه وظُلْماً.

ج ـ ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾:

قال لي: ضُمّ نعجتَكَ إلى نعاجي، لأكونَ كافلًا لها. و(أكفلْ) فعل أمر من الكفالة. وضمير الهاء يعودُ على النعجة، أي: أكفِلْني نعجتك واجْعَلْها عندي[٢].

د ـ ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾:

غَلَبني في الكلام والجِدال، وقَهَرَني، وظَلَمني. قال الإمامُ الرّاغبُ: عزّه: غَلَبه. ومعنى قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾: غَلَبني.

وقيل معناه: صار أعزّ مني في المخاطبة والمخاصمة، وهذا اعترافٌ من المتكلِّم بأن خَصْمَه أقوى منه، ولذلك يَقهرُه ويَظلمُه، وهو أقوى منه في الكلام أيضاً، ولذلك يغلبه في حُجّتِه.

---

(١) ليدبروا آياته، المجموعة الأولى، ص ٢٠٥.

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٧).

يسمع داود عليه السلام كلامَ المشتكي صاحبِ النّعجة الواحدة، فإذا به مظلومٌ معتدًى عليه، وإذا بخصمه ظالمٌ متعدّ، فكيف يريدُ أخذَ نعجتِه الوحيدة؟! ولماذا لا يكتفي بالنِّعاج التي عنده؟! هذا طمعٌ يستحقُّ العِقابَ.

لم يطلبْ داود عليه السلام من المشتكى عليه الحُجّةَ، ولم يتركْ له فرصةً للكلام، وظنّ داود أن الأمرَ قد انتهى، وأنه لا يحتاجُ إلى سماع كلامِ الظّالم المعتدي، ولذلك سارع داود عليه السلام بإصدار حُكْمِه قائلًا:

٤ ـ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾:

أ ـ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ﴾:

أي: ظَلَمَك خَصْمُك عندما طلب منك ضمّ نعجتك إلى نعاجه، وهو إنسانٌ ظالمٌ لهذا السّبب.

و(سؤال) بمعنى طَلَب. والمعنى: عندما سألك وطَلَب منك أن تضمّ نعجتَك إلى نعاجه كان ظالماً لك. ولم يتّبع طريقَ الحقِّ والرشاد، بل جَنَح عن الاستقامة، وجارَ عليك. وتابع داود عليه السلام كلامه قائلًا:

ب ـ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

وإن الخلطاءَ هم الشُّركاء، وكأنّ داود عليه السلام يُقرِّر قاعدةً عامة في موضوع الشّراكة، ويُواسي المشتكي المظلوم؛ ولذلك قال له: ليس صاحِبُك أوّل مَنْ بغى وظلم، فكثيرٌ من الخلطاء والشُّركاء يبغي بعضُهم على

بعض، ويظلمُ بعضُهم بعضاً، ويأكل بعضُهم مالَ بعض[١].

ج ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾:

استثنى من الشُّركاءِ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، فهؤلاء شركاءُ صادقون، تقومُ شراكتُهم على العدل والأمانة والإحسان، ويردعُهم إيمانُهم عن البَغي والعدوان، ولكنّ هؤلاء الشُّركاء المؤمنين قلائلُ بالقياس إلى الأكثرية الظّالمة، والرّاجح أنّ (ما) من قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾، اسمٌ موصولٌ بمعنى (الذين)، والتقدير: وقليلٌ الذين هم، أي: وقليل الذين هم آمنوا وعملوا الصّالحات، وقليلٌ هم الذين لا يبغي بعضُهم على بعض[٢].

وكلامُ داود عليه السلام عن ظُلْم الشُّركاء بعضهم لبعض حقٌّ وصواب، ويُصدِّقه التّاريخُ والواقع، ولا يوجدُ شركاءُ أُمناء عُدول إلا إذا كانوا مؤمنين صالحين.

وبعدما أنهى داود عليه السلام كلامَهُ، فكّر، فعرفَ حِكْمَةَ هذه الحادثة، وأنه مقصودٌ بها.

د ـ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾:

ومعنى (ظنَّ) هنا: أيقن وأدرك وعلم. ومعنى (فتناه): ابتليناه وامتحنَّاه واختبرناه. أيقن داود عليه السلام أن الله فَتَنَه وامْتحنه بهذين الرّجلين الواقفين أمامه، وأنّهما ليسا رجلين حقيقيّين، بل ملكان متحوِّلان إلى رجلَيْن، وأنه ليس بينهما شراكةٌ حقيقيةٌ، وإنّما ذكرا له قصّةً رمزيةً تمثيلية،

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٨).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٤٥٩).

كما عَلِمَ أنه تعجّل في حُكْمه على المشتكى عليه قبل أن يسمعَ كلامه، وبعدما عرف داود عليه السلام هدفَ الحادثة كلِّها، وأنه هو المقصودُ بها، لجأ إلى الله مباشرةً واستغفره، وسجد له، طاعة وخضوعاً واستسلاماً.

ـ ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾؛ طَلَب من ربه أن يغفرَ له.

ـ ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ سجدَ لله، فلا يُرادُ هنا الرُّكوعُ المعروف في صلاتنا، بدليل كلمةِ (خرّ)؛ لأنها لا تستعملُ إلا في السجود.

قال الإمامُ الرّاغبُ: معنى خرَّ: سقط سقوطاً يُسْمَع منه خرير. والخَرِير: يقال لصوت الماء والرِّيح وغير ذلك ممّا يسقطُ من علوّ.

وقوله تعالى: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾، استعمال الخرِّ تنبيهٌ على اجتماع أمرين:

السُّقوط، وحصولُ الصَّوت منهم بالتَّسبيح، وقولُه من بعده: ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، فتنبيهٌ على أنّ ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمدِ الله لا بشيءٍ آخر(١).

ـ ﴿وَأَنَابَ﴾؛ استسلم داود إلى ربه، ورجعَ إليه. والإنابةُ إلى الله: الرجوعُ إليه بالتّوبة بإخلاصِ العمل. وهذه الحركةُ العمليةُ التي قام بها داود سريعة مباشرة لا تأخيرَ فيها: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾؛ دليلٌ على حرصه على رجوعه إلى الله، وإحسان ذِكْره وشُكْره وعبادته، وهي تطبيقٌ عمليٌّ لشهادة الله له بأنه أوّابٌ رَجّاع إلى ربِّه؛ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧](٢).

---

(١) المفردات، ص ٢٧٧.

(٢) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠٣).

**٥ ـ قال تعالى:** ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾:

ـ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ﴾؛ أي: فغفرنا له ما استغفر منه، وحتى لا يُسيء أحدٌ الظّنّ بنبيٍّ كريم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾؛ أي: إن له عندنا مكانةً عاليةً، وحُسْنَ مرجعٍ ومصيرٍ وهو الجنة[١].

وقد جعل الله لداود عليه السلام زُلْفى وحُظْوة عنده، فأعلى منزلته عنده، كما جَعَل له حُسْن مآب ومرجع ومصير ومُنقلَب، وهذا ثناءٌ من الله على داود عليه السلام، وهذا دليلٌ على أنه لم يكنْ مُذنباً في الحقيقة، واستغفاره لم يكنْ عن ذنب وقع منه، وإنّما هو ذِكْرٌ منه لربِّه[٢].

**٦ ـ رفض الإسرائيليات قصّة الخصمين:**

ذكرتِ الرواياتُ الإسرائيلياتُ المكذوبة، وروايات العهد القديم الباطلة، قصةً مُزيفةً عن سببِ قدوم الخصمَين لداود عليه السلام، وفيها اتِّهامات لداود بالميل المنحرفِ للنساء، والنّظَر إليهنَّ بشهوةٍ عارمةٍ، والافتتان بهنّ، وأنه تزوّجَ بإحداهنّ بعدما أُعْجِبَ بجمالها، وهي تغتسلُ عارية، وعملَ على قَتْلِ زوجها في إحدى المعارك، فنزل ملكان في صُورة خصمَيْن يُعاتبانه بشأنها، فعرف جريمته، فسجدَ باكياً نادماً، وبقي ساجداً عَشَرات السِّنين.

وقد أُعْجِبَ بعضُ المفسِّرين بهذه التفاصيل الإسرائيلية المكذوبة، فسجّلوها في تفاسيرهم، وفسّروا بها آيات القصّة، ونَسُوا أنهم يتحدّثون عن

---

(١) المصدر السابق، (٧/ ٢٠٣).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٣).

نبيٍّ رسولٍ كريمٍ عَصَمه الله تعالى وحفظه، فكان أتقى وأفضلَ الناسِ في زمانه، ولا يتحدّثون عن رجل شهواني (زير نساء) يرتكبُ المحرّمات، ويقتل الآخرين ليُحقِّق مصلحته، ويُشْبِعَ شهواته. وداود عليه السلام في الحقيقة منزّه عن هذه الأكاذيب[١].

أما المفسِّرون والمؤرِّخون المنهجيُّون، فقد رفضوا تلك الإسرائيليات، ثم تهيّبوا الخوضَ في أحداث القصّة، واكتفَوا بذِكْر المعنى الإجماليِّ لآياتها[٢].

من هؤلاء المفسِّرين والمؤرِّخين: الإمام ابن كثير، حيث قال في (قصص الأنبياء)، الذي هو جزءٌ من تاريخه «البداية والنهاية»: وقد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين من السّلف والخَلَف، هاهنا، قصصاً وأخباراً أكثرُها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوبٌ لا محالةَ، تركنا إيرادَها في كتابنا قصداً، اكتفاءً واقتصاراً على مجرّد تلاوة القصّة من القرآن الكريم، والله يهدي من يشاء إلى صِراطٍ مستقيم[٣].

وقد توسّعتْ بعضُ الكتب في ردّ هذه الأكاذيب والروايات؛ التي اتُّهم بها نبيُّ الله داود عليه السلام، ومنها:

ـ تنزيهُ نبيِّ الله داود عليه السلام عن مَطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات، للدكتور فتحي محمد الزغبي.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٥٣).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٤٥٣).
(٣) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ٤٣٢.

ـ التوبة في ضوء القرآن الكريم، د. آمال بنت صالح نصير.

ـ فتنة داود عليه السلام، للأستاذة نوال بنت عبد السلام.

إنّ داود عليه السلام أكثرُ أنبياء بني إسرائيل وروداً في القرآن بعد موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصّلاة والتّسليم، وقد صرّح الله بتفضيله، وميّز كتابَه الزّبور بالذِّكْر في أكثر من موضع، وهذا يدلُّ على أنه من أفضل الأنبياء، بعد أُولي العَزْم من الرُّسل(١).

لقد خاضتْ بعضُ كتب التفاسير في هذه الحادثة بسبب التّأثُّر بالإسرائيليات، ونسبوا لداود عليه السلام ما يتنافى مع عِصْمة الأنبياء. إنّ علماءَ أهل السنة يجمعون على أن الأنبياء معصومون من الكبائر(٢).

**٧ ـ داود عليه السلام لم يُخطئ في تخصيص اللّيل لعبادةِ الله تعالى:**

بقي أن نقولَ: هل أخطأ داود عليه السلام فيما فعل؟ هل أخطأ في احتجابه عن النّاس في الليل، وذهابه إلى المحرابِ ليناجي ربّه؟ الجوابُ بالنفي. لقد جَعَلَ النّهارَ للحكمِ والقضاءِ بين الناس، وجَعَلَ الليلَ لعبادةِ الله ومناجاته، ولذلك مَنَعَ دخولَ أحدٍ من الناس عليه إلا بإذنه.

وهذا الفعلُ منه صوابٌ ولا خطأ فيه، ولكن كان الأولى والأفضل

---

(١) فتنة داود عليه السلام، نوال عبد السلام، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٤، ص ٣١٩.

(٢) فقه النصر والتَّمكين في القرآن الكريم، علي محمّد الصلّابي، بيروت، دار المعرفة، ط٥، ٢٠٠٩م، ص ١٢٥.

والأكمل ألا يُغلِقَ بابَهُ أمام أحدٍ، في أي ساعةٍ من ساعاتِ الليل والنهار، وعليه أن يسمعَ شكوى أيِّ مشتكٍ، أو مُتظلِّم حتى ولو كان عابِداً في محرابه.

وأرسل الله الملكين في صُورةِ رجلين، وتسوّروا عليه المحرابَ، وعرضا عليه قضيةً مثيرةً، وذلك لإرشادهِ إلى أنه ترك الأولى والأفضلَ والأكملَ، ودعوه إلى عدم الاحتجابِ عن أحد، عن طريق مجيئهما ليلًا.

إذاً فِعْلُه صوابٌ وصحيحٌ، ولا خطأ فيه، ولكن الله أرشده إلى ما هو أولى وأفضل، وقد وعى هذا التّوجيه عليه الصّلاة والسلام[١].

ـ قال السّعديُّ رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ الذي صَدَر منه، وأكرمه الله بأنواعِ الكرامات، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: منزلة عالية، وقُربة منّا، ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: مرجع.

وهذا الذّنْبُ الذي صدر من داود عليه السلام، لم يَذكره اللهُ لعدمِ الحاجةِ إلى ذِكْرِه، فالتعرُّضُ له من باب التكلُّف، وإنّما الفائدةُ ما قصّه الله علينا من لُطْفِه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محلُّه، فكان بعد التوبة أحسنَ منه قَبْلها[٢].

ـ وقال الدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله في قصّة الخصْمَيْن: اختلف المفسِّرون في الذي استغفر داود عليه السلام منه على أقوال، أُرجِّحُ منها

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٦٥).

(٢) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الدمام، دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ، ص ٩٥٥.

قولَ من قال: إنه عليه السلام حَكَمَ لأحدِ الخصْمَيْن في الدعوى التي دَفَعَها إليه قبل أن يستمعَ إلى حُجّة الخصم الآخر، وإنّما اكتفى باستماعِ ادِّعاءِ المتظلِّم المدّعي فقط[١].

وقال: يُستفادُ من قصّة الخصْمَيْن مع داود: أن على الدُّعاة أن يعرفوا ما يريدون عَرْضَه من أمور الدّعوة على الناس بشكل مُشوِّقٍ إلى استماعه، فعلى الدّاعي عند عَرْضه موضوعاً ما في خطبته، أو في درسه على الناس أن يبدأه بما يشدُّ السّامعين إليه، ويجلبُ انتباههم، ويُشوِّقهم إلى سماع تفاصيلِ هذا الموضوع، وقد يكون التشويقُ بذِكْر مثل، أو بطرح سؤال جوابه معروف، وطرحه يُثيرُ اهتمام السّامعين بما عسى أن يكونَ الجواب غير الذي يعرفونه، وألا يُعجّل في إصدارِ الأحكامِ في القضايا التي تُرفعُ ـ إلى أصحاب الشّأن من القضاة ـ للبتِّ فيها، وإنّما على القضاة الوقوفُ على جميعِ جوانبِ القضية، واستماع ما له علاقة بها، وإذا آلَ الأمرُ في نظر قضية ما إلى تحديدِ المسؤولية لمحاسبة الشّخص المسؤول عن هذه القضية، أو من يُمثِّلها أن تسمعَ حُجّته ودفاعه عن نفسه، فإنَّ من قواعد الإسلام (البيِّنةُ على مَنِ ادّعى، واليَمينُ على مَنْ أنكر) [٢].

### ٨ ـ حُكْمُ سجدةِ التلاوة في سورة (ص):

روى البخاريُّ عن العوّام قال: سألتُ مجاهداً عن سجدة سورة (ص) فقال: سألتُ ابنَ عباس: من أين سجدتَ ـ أي ما الدليل على السجود

(١) المستفاد من القصص القرآني، ص ٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

فيها؟ ـ قال ابنُ عباس: أوَما تقرأ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، وقول الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فكان داود ممّن أُمر نبيُّكم ﷺ أن يقتديَ به، فسجدها رسولُ الله ﷺ[(١)].

وهذه السّجدةُ سُنّة، وليست واجبة كباقي سجدات التّلاوة الأربع عشرة في القرآن، فمن سَجَدها نال الأجر والثواب، ومن لم يسجدها فلا شيء عليه؛ ودليلُ ذلك ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر سورة (ص)، فلما بلغ السّجدةَ نزل فسجد، وسجد معه الناس.

فلما كان يومٌ آخر قرأها، فلما بلغها تَشَزّنَ الناس للسجود، فقال ﷺ: «**إنّما هي توبةُ نبيٍّ، ولكن رأيتكم تشزّنتُم، فنزل وسَجَد**»[(٢)]. ومعنى (تشزّن الناسُ للسجود): تهيّؤوا واستعدُّوا للسجود.

وقد اختلف العلماءُ في سجدة (ص) في اعتبارها من عزائم السُّجود أم لا، فمذهبُ الشّافعي رحمه الله أنها ليست من عزائم سجود التلاوة، قال: لأنها توبةُ نبيٍّ فلا تُوجبُ سجدةَ التلاوة.

وقال أبو حنيفة: هي من عزائم سُجود التلاوة.

وعن أحمد روايتان.

---

(١) رواه البخاري، رقم ٣٤٢١، وانظر: الأحاديث الصَّحيحة، رقم: ٢٤٤.

(٢) سنن أبي داود، رقم: ١٤١٠، وانظر: الأحاديث الصَّحيحة، رقم: ٢٤٦.

وقد ثبت أن النّبيَّ ﷺ سجد فيها[١]. وفي الحديث الشريف: عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: ليست (ص) من عزائمِ السجود، ورأيتُ النّبيّ ﷺ يسجدُ فيها[٢].

وبعد قصّة الخصْمَيْن أخبرت الآيات في تعقيبها الأول على قصّة ابتلاء داود عليه السلام بالنِّداء الذي أوحاه الله إليه، وخاطبه به[٣]:

**ثالثاً: قوله تعالى:** ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]:

والغرضُ من هذا الاستخلاف الخاصِّ ليقضيَ بين الناس بالعدلِ، ويحكمَ بينهم بالحق، ولا يتّبع الهوى في قضائه وحكمه، بل يتريّث ويتثبّت، ولا يستعجل في إصدار الحُكْم قبل السّماع من الخصوم جميعاً، ولا يتعجّل فيأخذ بظاهر قولٍ واحدٍ قبل أن يمنحَ الخصمَ فرصةً للإدلاء بحُجّته، فقد يتغيّر وجهُ المسألة كلُّه أو بعضُه، وينكشف أن ذلك الظّاهر كان خداعاً، أو كذباً مشوّهاً[٤].

وإن الخلافةَ المقصودةَ هنا هي الخلافة بمعناها الخاص، وليس بالمعنى

---

(١) لباب التأول في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الخازن، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م، (٥/ ٢٧٤).

(٢) رواه البخاري، رقم: ٣٤٢٢.

(٣) التفسير الموضوعي، (٣/ ٣٠١٨).

(٤) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠١٨).

العام الذي تحقّق لآدم وذرِّيته في الأرض. إنه خليفةٌ بالمعنى الشّرعي المتمثِّل بإيجاد نظام حُكْم على هَدْي الشّرع، والحُكْم بين الناس بأحكام شريعته، وهذا ما صرّحت به الآيةُ الكريمة[١]: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾. ولكن لماذا التّركيزُ على تحكيم الشّرع بين الناس في جميع شؤون حياتهم الخاصّة والعامّة؟

إنّ شريعةَ الله تعالى للناس طرفٌ من سُنَنِه في خَلْق الكون، وإن كتابه المنزل بيانٌ للحق الذي يقومُ عليه نظام السُّنَن، وإن العدلَ في الحُكْم، وفي تسيير شؤون الحياة قاطبةً الذي يُطالَبُ به الخُلَفاءُ في الأرض، والحُكّام بين الناس، إنّما هو طرف من الحقِّ الكلِّي لا يستقيم أمرُ الناس إلا حين يتناسقُ مع بقيةِ الأطراف، وإن الانحرافَ في الحُكْم، إنّما هو انحرافٌ عن نظام السُّنَن الذي قامتْ عليه السّماء والأرض، وهو أمرٌ عظيمٌ إذاً وشرٌّ كبير[٢]، ينتجُ عنه مشكلات وأزمات لا حَصْرَ لها في حياة الناس، هي في النِّهاية تُعيقُ عجلة التّقدُّم والارتقاء بالحياة إلى الكمال المقدّر لها على سطح هذه الأرض، بل إن الانحرافَ عن منهج الله الذي ارتضاه للعالمين ـ والاستخلافُ الخاصُّ هو آليةٌ تطبيقية ـ يُؤدِّي في النهاية إلى اصطدام الظّالمين الطُّغاة مع سُنَن الله والفِطْرة الإنسانية، فيتحطّم كيانُهم، ويتلاشى وجودُهم.

وبما أنّ الخلافةَ بالمعنى الشّرعي لا بُدّ لها من شروطٍ وأدواتٍ حتى

---

(١) القصص القرآني، صلاح الخالدي، (٣/ ٤٠٨).
(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠١٩).

تُحقِّق الأهدافَ المنوطة بها، فإنّ الله تعالى زوّد داود عليه السلام بالصِّفات والوسائل التي تساعدُه على القيام بأعباءِ الاستخلاف(١).

- **فآتاه الملكَ**: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥١].
- **وآتاه العِلمَ**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].
- **وآتاه الحِكْمَةَ**: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].
- **وآتاه الفَضْلَ**: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠].
- **وآتاه الزّبورَ**: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].
- **وألان له الحديدَ**: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

وإنّ من الملاحظ أن الآيات الكريمة قد حرصتْ على التعبير عن الإنعام على داود بصفات العِلم والحُكْم، وإغْداق المِنَحِ الإلهيةِ عليه من الفضل، وإعطائه الملك المتمكِّن، والقدرة على فَتْل الحديد بيده مثل الخيوط، وتكريمه بالنُّبوّة باستعمال فعل (آتى) خمس مرات، وآتى في اللغة معناه أعطى، وعطاء الله عزَّ وجلَّ مُطْلق متدفِّقٌ غير مَحْظُور: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] (٢).

لكن لماذا كان داود عليه السلام أوّل نبيٍّ خليفةٍ بالمعنى الشّرعي؟ ذلك لأنه أول نبيٍّ رسول يجمعُ بين النُّبوّة والملك، فالأنبياء قبلَه لم يكن أحدٌ منهم مَلِكاً، ولم يحكمْ أحدٌ منهم قومه بالمعنى الخاص للحُكْم، ولم ينشئ

(١) السنن الاجتماعية، المخزون، (٣/ ١٢٧)؛ القصص القرآني، الخالدي، (٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

أحدٌ منهم دولةً مدنيةً منظّمة، ينطبقُ هذا المعنى على نوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وهارون ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، ولهذا فإنّ داود عليه السلام هو مُؤسِّسُ (المملكة الإسلامية الإيمانية)، ولعلّه أوّلُ خليفة مسلم في التّاريخ بالمعنى الشّرعي الخاص، أي: أول خليفةٍ بنى دولةً، وأنشأ مملكة، وأوجد نظامَ الخلافةِ على أساسٍ شرعيٍّ[١].

**١ ـ قواعدُ الحُكْم:**

خاطَبَ الله تعالى داود عليه السلام بأن جَعَلَه حاكماً بين النّاس في الأرض، فله الحُكْمُ والسُّلْطة، وعليهم السّمع والطّاعة، ثم بيّن الله تعالى له قواعدَ الحُكْم تعليماً لغيره من الناس:

**أ ـ ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾:**

أي: فاقضِ بين الناس بالعدل، الذي قامتْ به السّموات والأرض. وهذه أولى وأهمُّ قواعدِ الحُكْم.

**ب ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾:**

**أي:** لا تقتدِ بهواك المخالِف لأمرِ الله[٢].

ويلاحَظُ في قوله تعالى لنبيِّه عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ ملاحظتان:

**الملاحظة الأولى:** أنّ النّهيَ انصبّ على اتِّباع الهوى، وليس على وجوده في النفس، وهذا يُشْعِر بأن المطلوبَ من المسلم مخالفةُ هوى

(١) المصدر نفسه، (٣/ ٤٠٩).

(٢) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٧٣.

النفس، وليس المطلوب منه محوَ الهوى، وإزالته من النفس، فإن هذا قد يكونُ من قبيل التكليفِ بما لا يطاق ممنوعٌ، وغيرُ وارد في الشّرع.

**الملاحظة الثّانية**: أنّ النّهيَ عن اتِّباع الهوى جاء مُطْلَقاً عن تقييد الهوى بكونه مخالفاً للشّرع، وهذا يعني أن الغالبَ في هوى النفس مخالفته للشّرع، فيكون إطلاقُ الهوى والنّهيُ عن اتِّباعه يعني: النّهيَ عن هوى النفس المخالفِ للشّرع.

والدليلُ على الملاحظتين المذكورتين أنّ آيات الكتاب العزيز المتعلِّقة بالهوى جاءتْ تَنْهى عن اتِّباعه، وليس عن وُجُوده، كما أنها نَهَتْ عن الهوى مُطْلَقاً دون تقييده بكونه مخالفاً للشّرع، وذلك لغلبةِ مخالفته للشّرع، فإطلاقُه يعني أن المرادَ به هو الهوى المخالف للشّرع، والمطلوبُ عدم اتِّباعه، والآيات التي تنهى عن اتِّباع الهوى لا عن وجوده ودون تقييده بالمخالفة للشّرع، وتذم من يتبع هوى نفسه، أو هوى غيره كثيرة، منها:

- ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].
- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].
- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].
- ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ـ ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٩].

**٢ ـ ما يترتّب على اتّباع الهوى:**

إنّ اتِّباعَ الهوى مزلقةٌ ومدعاةٌ إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦].

أي إنّ اتِّباعَ الهوى سببٌ في الوقوع في الضّلال، والانحراف عن جادّة الحقِّ، وعاقبته الخذلان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

أي إنّ الذين يتنكّبون طريق الحقِّ والعدل، لهم عقابٌ شديد يوم القيامة والحساب الأخرويِّ، بسبب نسيانهم أهوالَ ذلك اليوم، وما فيه من حساب شديدٍ دقيق لكلِّ إنسان، بسبب تركهم العملَ لذلك اليوم، ومنه القضاء بالعدل.

والعِبرةُ من هذا الموضوع: الوصيةُ من الله عزَّ وجلَّ لولاة الأمور أن يحكموا بين النّاس بالحق، ولا يَحيدوا عنه، فيَضِلُّوا عن سبيل الله، وقد توعّد الله مَنْ ضَلّ عن سبيله، وتَناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد، والحساب الشّديد[1].

إن الآيةَ الكريمةَ تُبيِّن أن الحُكْمَ بين الناس مرتبةٌ دينية، تولاها رُسُلُ الله، وخواصُّ خلقه، وأنّ وظيفةَ القائم بها الحُكْمُ بالحقِّ، ومجانبة الهوى، فالحُكْمُ بالحق يقتضي العلمَ بالأمور الشّرعية، والعلمَ بصورة القضية

(١) التفسير المنير (٢٣/ ١٨٨).

المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحُكْم الشّرعي، فالجاهلُ بأحد الأمرين لا يصلحُ للحُكْم، ولا يحلُّ له الإقدام عليه، وتبيّن كذلك أن الحاكمَ ينبغي له أن يحذرَ الهوى، وينأى عنه، على الرغم من أنّ النفوس لا تخلو منه؛ بل يجاهد المرءُ نفسه، ويكون الحق مقصودَه[١].

ولا شكّ في أن إخبارَ الآيات بالخطاب الذي وجّهه الحقُّ إلى داود عليه السلام، وأمره فيه أمراً لازماً صريحاً بأن اتِّباع الهوى هو المؤدِّي إلى الجور والظُّلم، لا شكّ في أنه خِطابٌ موجّهٌ في الحقيقة إلى جميع القُضاةِ والحكّام، وما أخبر الله به إلا ليعتبر أمثالُهم، فهم محتاجون إليه أكثر من نبيِّ الله داود؛ الذي أكرمه الله بعصمة النُّبوّةِ من الزّلل والخطأ.

ولا ضمانة للقضاة والحكّام من الجور والظلم، إلا إن التزموا بأحكام دِيْن الله وشريعته المستمَدّة من الكتاب المنزل على خاتم أنبيائه ورسله، مع الشُّعور برقابةِ الله عليهم، ومسؤوليتهم عن أعمالهم يوم الحسابِ والجزاء.

فهذا الخبرُ ضمانةٌ لإقامةِ العدل، وعدم الجور والظلم؛ ولهذا قاله تعالى في تعقيبه الثّاني على قصّة ابتلاء داود عليه السلام، يُقرِّر هذه الحقيقة ويُؤكِّدها[٢].

**٣ ـ دولةُ داود عليه السلام ومدى اتِّساعها:**

لا ريبَ في أنّ داود عليه السلام قد كُتب له نجاحٌ بعيد المدى في

---

(١) تفسير السعدي الذي جمع في مجلد واحد، ص٦٦٠.

(٢) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠٧).

تخليص قومِه الإسرائيليين من جالوت وجنوده، وفي تحقيق الاستقلال التّام لهم، وإيجاد نفوذ في بلاد الشّام له ولقومه.

وتذكر كتبُ التّاريخ المتخصِّصة أنه تمّ تتويج داود عليه السلام، وهو من سبط يهوذا، ملكاً على بني إسرائيل، وذلك في عام (١٠١٠ ق.م)، وظلّت (حبرون ـ الخليل) عاصمة له لأكثر من سبع سنين؛ حتى فتح القدس حوالي عام (١٠٠٣ ق.م)، وسميت مدينة (داود).

وقد استولى داود عليه السلام خلال حُكْمه على أراضي الفلسطينيين (المؤابيين) و(الآراميين) [١].

وأُشير هنا إلى أن مملكته عليه السلام قد بلغتْ أقصى اتِّساعها، كما روى بعضُ المؤرِّخين، فامتدّتْ من جبل الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً، وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً، وإلى الصّحراء شرقاً[٢]. وعلى الرغم من كلِّ هذا، فلم يستطعِ الإسرائيليون أن يفتحوا فلسطينَ كلّها، إذ ظلّ الفلسطينيون محتفظين بالمناطق السّاحلية الخصبة[٣].

وقد قال بعض المؤرِّخين: إن داود وسليمان عليهما السلام قد أقاما دولةً تشملُ جميعَ بلاد الشّام، والجزيرة العربية كلّها[٤]. وقد تضاربتِ

---

(١) العنصرية اليهودية، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، (١/ ١٩٨).

(٢) تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، ص ١٥.

(٣) العنصرية اليهودية، (١/ ١٩٨).

(٤) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، (٣/ ٦٥).

الأقوالُ في حدود مملكة داود وسليمان عليهما السلام، ولا شكّ في أنّها كانت مملكة عظيمة في الاتِّساع، والنفوذ، والرِّسالة، والاقتصاد، والأهداف، والمؤسسات.

ويمثّل حُكْم داود وسليمان عليهما السلام فترة رخاء وازدهار على المستوى الإنساني في الأرض، وقد سادتْ قيمُ الحقِّ والعدل والرحمة والإحسان في حُكْم هذين النّبيّين الكريمين عليهما السلام.

**رابعاً: قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٧ ـ ٢٩]:

عند تقرير مبدأ الحقّ في خلافة الأرض، وفي الحُكْم بين الناس، وقبل أن تمضيَ قصّةُ داود إلى نهايتها يتّجه السِّياق إلى ردّ هذا الحقّ إلى أصله الكبير، أصله الذي تقومُ عليه السّماء والأرض وما بينهما، أصله العريق في كيان هذا الكون كله، وهو أشملُ من خلافة الأرض، ومن الحُكْم بين الناس، وهو أكبرُ من هذه الأرض، كما أنه أبعد مدى من الحياة الدُّنيا؛ إذ يتناولُ صميمَ الكون، كما يتناولُ الحياةَ الآخرة، ومنه وعليه جاءتِ الرِّسالةُ الأخيرة، وجاء الكتابُ المفسِّر لذلك الحق الشّامل الكبير.

وهكذا في هذه الآيات الثّلاث، تتقرّر تلك الحقيقةُ الضّخمةُ الهائلة الشّاملة الدقيقة العميقة، بكلِّ جوانبها، وفروعها، وحلقاتها.

إنّ خَلْقَ السّماء والأرض وما بينهما لم يكن باطلًا، ولم يَقُمْ على

الباطل، وإنّما كان حقّاً، وقام على الحقِّ، ومن هذا الحقِّ الكبير تتفرّعُ سائرُ الحقوق:

- الحقُّ في خلافة الأرض.
- والحقُّ في الحُكْم بين الخلق.
- والحقُّ في تقويم مشاعر الناس وأعمالهم.

فلا يكون الذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض، ولا يكون وزنُ المتّقين كوزن الفُجّار، والحقُّ هو الذي جاء به الكتابُ المباركُ الذي أنزله الله ليتدبّر الناسُ آياته، وليتذكّرَ أصحابُ العقول ما ينبغي أن يتذكّروه من هذه الحقائق الأصيلة، التي لا يتصوّرها الكافرون؛ لأن فطرتهم لا تتّصل بالحقِّ الأصيلِ في بناء هذا الكون، ومِن ثَمّ بسوء ظنِّهم بربِّهم، ولا يذكرون من أصالة الحقّ شيئاً: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص: ٢٧].

إنّ شريعةَ الله للناس طرفٌ من نامُوسه في خَلْق الكون، وإن كتابه المنزّل بيانٌ للحقِّ الذي يقومُ عليه الناموس، وإنّ العدلَ الذي يُطالَبُ به الخلفاءُ في الأرض والحُكّام بين الناس إنّما هو طرفٌ من الحقّ الكلِّي، لا ينتظم أمرُ الناس إلا حين يتناسقُ مع بقية الأطراف، وإن الانحرافَ عن شريعة الله والحقِّ في الخلافة والعدل في الحُكْم إنّما هو انحرافٌ عن الناموس الكوني؛ الذي قامتْ عليه السّماءُ والأرض، وهو أمرٌ عظيمٌ إذاً وشرٌّ كبير، واصطدام مع القوى الكونية الهائلة، فلا بُدّ من أن يتحطّم في النهاية ويَزهق، فما يمكنُ أن يصمدَ باغٍ منحرفٌ عن سُنّة الله، وناموس الكون، وطبيعة الوجود، وما يمكن أن يصمدَ بقوته الهزيلةِ الضئيلة أمام تلك القوى

السّاحقة الهائلة، وأمام عَجَلة الكون الجبّارة الطّاحِنةِ، وهذا مَنْ ينبغي أن يتدبّره المتدبِّرون، وأن يتذكّره أولو الألباب[١].

١ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا . . ﴾:

أ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾:

أي: ما خَلَقنا السماءَ والأرضَ خلقاً باطلًا لا حِكْمَةَ فيه، أو ما خلقناهم للباطل الذي هو اتِّباعُ الهوى، والميلُ إلى اللّعب والشّهوات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

ب ـ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ **أي**: ذلك ظنُّ الذين يُنكِرون يومَ القيامة، فإنّ إنكارَهُمْ إنكارٌ لحِكْمَة الخالق جل وعلا، وأما المؤمنون المتفكِّرون في قدرة الله تعالى، وباهِر حكمته في خَلْقه؛ فإنّهم يُؤمنون بها، وقد قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ج ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ **أي**: فهلاكٌ لهم بسبب إنكارهم يوم الحسابِ والجزاء.

ـ **(وَيْلٌ)**؛ وادٍ في جهنم[٢].

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٠١٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ، (١٠/ ٥٥٣).

كما بَيّنتِ الآياتُ أنّ يومَ الحساب ضروريٌّ للتمييز بين المصلحين والمفسدين في المصيرِ والجزاء[١].

**٢ ـ قوله تعالى**: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]:

**أ ـ** ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إن عَدَمَ البعثِ للحساب والجزاء يقتضي التّسويةَ بين الفريقين المتفاضلَيْن، بين المؤمنين الأبرار والكفرة المفسدين، وهو محالٌ. والاستفهامُ للإنكار يقتضي نَفْيَ التسويةِ بين الفريقين؛ لتقرير البعثِ والجزاءِ، وتأكيده.

**ب ـ** ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾: هذا انتقالٌ واضح وإضرابٌ جَلِيّ إلى إثباتِ يوم البعث، لإنكارِ مُحالٍ آخر أظهر من الأول، وهو استحالةُ التسويةِ بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة، فلا يُعْقَلُ أن يكونَ مصيرُهما واحداً، وهو الموت، فلا بُدّ إذاً من بعثٍ بعد الموت، وحسابٍ وجزاء يُثابُ فيه المطيع ويُعاقَبُ فيه الفاجر. وقد أكّد سبحانه وتعالى هذا المعنى في مواضع كثيرة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

---

(١) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠٧).

**٣ ـ قوله تعالى:** ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]:

**أ ـ** ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾؛ أي: هو كتابٌ أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآنُ الكريم، الذي أقسم به تعالى في أول السُّورة: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾. وهو كتابٌ مباركٌ كثيرُ المنافع والفوائد في الدِّين والدُّنيا.

**ب ـ** ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: ليتفكّر الناسُ في آياته، فيعرفوا فيتّبعوا ما فيها من الأحكام والشّرائع والمواعظ والعِبَر والأخبار التي ينتفعُ بها أصحابُ الألباب، وهي العقولُ الزاكية الطّيبة المريدةُ للحق، وما زيادةُ الظلمِ والجور والإجرامِ في المجتمعات البشرية المعاصرة إلا نتيجة ابتعادِها عن شريعة الله، وعدم تدبّرها مقاصدَ كتاب الله تعالى، وانسلاخها عن الشُّعور برقابته والمسؤولية أمام الخالق يوم الحساب والجزاء.

فالتفكُّرُ في آيات التّنزيل الحكيم أمرٌ مطلوب مبتغى مقصود، وقد أكّده سبحانه في قوله في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]؟!

وما أكّده سبحانه، وحثّ عليه إلا لِيتبيّن الناسُ صِدْقَهُ، وأنه كلامُ الله الذي يدلُّ على صِحّة نبوّة رسولِ الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

فالتّدبُّر في آيات الكتابِ يدلُّ على أنه كلامُ الله المستحق وحده النّظَر فيه، والتفكر في معانيه؛ لأنه الأصل في إقامة حُكم الله في الأرض،

وضرورة ملحّة للإنسان كي يستوي على طريق الاستقامة. وكل ما فيه من أخبار عن مغيّباتٍ ما كان ﷺ يَعْلَمُها، دليلٌ على أنه وحيٌ من عند الله، وليس للنبي ﷺ فيه إلا التّبليغ.

وقد حثّ العلماء على تدبُّر آياته، والتفكُّر فيها؛ لمعرفة ما احتوت عليه من تكاليف وأحكام وشرائع، وتطبيقها.

قال الحسن البصري رحمه الله: واللهِ ما تدبّر مَنْ حفظ حروفه، وأضاعَ حدوده، حتى إنّ أحدهم ليقول: قرأتُ القرآن كلّه، وما يُرى له القرآنُ بيّناً في خُلُق ولا عَمَل[1].

ثم ذكرتِ الآياتُ، بعدما سردتْ فيضاً من أخبار داود عليه السلام، بعضَ أخبارِ ابنه سليمان عليه السلام، وهو أيضاً نبيٌّ كريم، جَمَعَ الله له النُّبوّةَ والملك[2].

**خامساً: قوله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٠ ـ ٣٣]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ** ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾:

لقد وَهَبَ الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السلام سليمانَ رحمةً منه تعالى، لأنه

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصَّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، (٣/ ٢٠٢).

(٢) التفسير الموضوعي، (٧/ ٢٠٨).

تعالى هو الوهّاب الذي يُعطي الهبة بلا عِوَض، ولا مقابل، ولا مَنّ، وهو يُعطي ما يشاء لمن يشاء. وهِباتُ الله عزَّ وجلَّ ونِعَمه وعطاياه كثيرة، لا يُدوِّنها قلمٌ، ولا يُحصيها حسابٌ، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقد وَهَبَ سبحانه لداودَ ولده سليمان عليهما السلام تفضُّلًا، وكرماً، وجوداً، وأثراً من أثر اسمه الوهّاب(١).

أ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾:

وإن التعبيرَ بالهبة في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ﴾: إشارةٌ إلى أنها عطاءٌ خالصٌ من الله تعالى، وإضافةُ الهبةِ إلى ضمير العظمة (نا) يدلُّ على كمالها(٢).

وهنا نسألُ عن السِّرِّ في تخصيصِ سليمان عليه السلام بالذِّكْر على الرغم من أن داود عليه السلام رُزِقَ بأولاد آخرين، والجواب: لأنّ هذه الهبةَ، مع كونها ولداً صالحاً، ولكنّ الله اختصه بمقام النُّبوّة، أي: أن الله عزَّ وجلَّ وَهَبَ لداود سليمان عليهما السلام، فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾؛ أي: في النُّبوّة، وإلا فقد كان لداود بَنُون غيره(٣).

---

(١) صفات الأنبياء من قصص القرآن «إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط»، عقيل حسين عقيل، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١١م، ص ٢٣٢.

(٢) تأملات في سورة مريم، د. عادل أحمد الرويني، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ص ٢١٠.

(٣) تفسير ابن كثير، (٧/ ٦٤).

وإنّ معنى (سليمان) هو الكاملُ المكمّل التّامُّ في جميع المجالات؛ في الخَلْق والخُلُق، والرّأي والرُّؤية، وهو سليمُ الطّوية، وهو للحق لا يتغيّر، فلقد آتاه الله تعالى الحِكْمَة؛ لذا تقول العرب: سليمان الحكيم[١].

ويشتمل اسم سليمان على معنى الاستقامة، التي هي مهمّتُه في المستقبل، ولديه دائماً المبادرةُ والإعداد بكلِّ ما أُوتي من القوة ومن رِباط الخيل.

ـ ولفظة (سليمان): تعني السّليم؛ أي السّالم من الآفات.

ب ـ ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾:

إن داود عليه السلام كان له كثيرٌ من الأبناء والأولاد، إلا أن الله خَصّه عليه السلام بالابن الصّالح النّبيّ الملك سُليمان عليه السلام، وأثنى عليه في كتابه بكونه أوّاباً إلى الله، كثير الطّاعةِ، والعبادةِ، والإنابةِ إلى الله سبحانه في أكثر الأوقات، ومِنْ مزيدِ فَضْل الله على عبده داود أنْ وهبه سليمانَ الذي ورث عن أبيه الملكَ والنُّبوّةَ والحِكْمَةَ، إذ أكرمَ الله تعالى سليمان عليه السلام بالملك والنُّبوّة[٢]، وأعطاه الفَهمَ العميق، والنَّظر الثّاقب، والرّأيَ السّديد، ورجاحَةَ العقل.

ـ ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: نِعم: تُقال للمَدح، وورد المدحُ هنا بالصفة العَقديّة، وهي العبوديةُ لله تعالى[٣]، فقد اتّصف بما يُوجِبُ المدحَ، وهو

(١) أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها، ص ٢٢٣.
(٢) فقه النصر والتَّمكين، ص ١٢٧.
(٣) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٢٩).

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ أي: رجّاع إلى الله في جميع أحوالِه بالتألُّه، والإنابة، والمحبّة، والذِّكْر، والدُّعاء، والتّضرُّع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كلِّ شيء[١].

وقد سار سليمان عليه السلام على طريقِ أبيه، وتمسّك بطاعةِ الله، وأقام الحقّ والعدل بين الناس ما وَسِعَه إلى ذلك السبيل[٢].

**٢ ـ قوله تعالى**: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾:

**أ ـ** ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ للزّمان الماضي في محلِّ نصبٍ مفعول فيه لفعلٍ محذوفٍ تقديره: اذكُرْ.

**ب ـ** ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ بمعنى: أُبرزتِ الجِيادُ حتى نَظَر إليها، مِنْ عَرَضَ يَعرض عرضاً، أي أظهرَ يُظهر إظهاراً، والفعل في الآية الكريمة مبنيٌّ للمجهول[٣].

**ج ـ** ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: هو من العصر إلى آخر النهار[٤].

**د ـ** ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾: الخيلُ الجيِّدة، ولم ترِدْ هذه الكلمةُ: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ في غير هذا الموضعِ في القرآن. **والصّافناتُ**: جمع صافِن، والجياد: جمع جواد.

قال الإمامُ الرّاغبُ: الصّفْنُ: الجمعُ بين الشّيئين ضامّاً بعضَهما إلى

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٥٦.

(٢) التفسير الموضوعي، (٧٢٠٨).

(٣) من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، (٢/ ٧٦٥).

(٤) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، همام حسن سلوم، ص ١٩٩.

بعض. ويقال: صَفَنَ الفرسُ قوائمَهُ، قال تعالى: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

وورد في «المعجم الوسيط»: (صَفَنَ الفرسُ): يصفنُ صفوناً: قام على ثلاثِ قوائم، وطرف حافر الرّابعة. وصفنَ الرّجلُ: صفَّ قدمَيهِ.

أمّا الجيادُ فهي مشتقّةٌ من الجُود. قال الرّاغب: الجود: بذل المقتنيات، مالاً كان أو علماً، يقال: رجل جَواد، ويقال: فَرس جواد: يجودُ بمُدّخر عَدْوِه، والجمع جِياد، قال تعالى: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ (١).

وورد في «المعجم الوسيط»: يُقال: جاد الفرس: صار جواداً، ويقال: جادَ الفرس في عَدْوِه؛ إذا أسرع. والجواد: النّجيبُ من الخيل. والجمع: جِياد، قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

**والصّفْنُ**: حركةٌ لطيفةٌ للفرس عند وقوفها، حيث تقفُ على ثلاثٍ من قوائمها الأربع، أما الرّابعةُ من قوائمها فإنّها ترفعُها وتَثنيها، وتجعل طرفَ حافرها على الأرض، وهي بهذا تجمعُ بين رفعها وبين الوقوف عليها، فلا هي رَفَعَتْها عن الأرض، ولا هي وقفتْ عليها، وهذه حركةٌ لطيفةٌ جميلةٌ، يُدْرِك جمالَها مَن استمتع بمنظر الفرسِ وهي صافنةٌ.

**والخيلُ الجيادُ**: هي الخيلُ النّجيبةُ التي تجودُ في سيرها وعَدْوها، فهي تبذلُ جهدها وطاقتها في عَدْوها وتَجودُ بذلك، ولا تضنُّ منه بشيء، فيأتي عَدْوها سريعاً. ومنظرُ الخيل الجياد التي تجودُ بطاقتها في عَدْوِها جميلٌ لطيف مُؤثِّر، وهذان الوصفان يدلان على حركتين لطيفتين.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٨٤).

وكان سليمان عليه السلام يُدْرِكُ تمام الإدراك ما في الصافنات من خير، عندما قال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾.

وأخبرنا رسولُنا ﷺ عن هذا الخير الجميلِ الملازمِ لها، حين قال ﷺ: «**الخيلُ مَعقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة**» (١).

**٣ ـ قال تعالى**: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾:

لما عُرِضَتِ الصّافناتُ الجيادُ بحيويتها وجمالها وسرعتها، وقتَ العَشيِّ على سليمان عليه السلام، حَمد الله على ما أنعم به عليه، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾.

وإن المعنى: أحببتُ الخيلَ حبّاً كثيراً، لما فيها من خيرٍ، وحبّي لها صادرٌ عن ذِكْر ربي، وهو سَبَبٌ لذِكْر ربِّي.

فكأنه ذاكرٌ لربِّه عندما يحبُّ الخيلَ؛ إذ يحمدُ الله ويَشْكُره على إنعامه عليه بها، فكلما رآها شكر ربّه وذكره، كما أن إشرافه عليها صورةٌ من صور عبادته وذِكْره لربِّه.

ـ ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾:

الكلامُ هنا على الخيل التي أحبّها، ومعنى ﴿تَوَارَتۡ﴾ اختفت. والحجابُ: هو شيء كان يَحجبُها عن سليمان، كأن يكونَ جبلًا أو تلًّا. وتدلُّ الجملةُ

(١) البخاري، رقم: ٢٨٥٠؛ ومسلم، رقم: ١٨٧١.

على أنّ سليمان عليه السلام كان يراقبُ خيلًا ويُشرفُ عليها، ويُمرِّنُها على الجري والعَدْو، لتكونَ دائماً جاهزةً للجهاد.

ويبدو أنه أمر بإركاضِ الخيل وعَدْوِها، فلما رآها تجري وتَسبَحُ في الميدان حمدَ الله على ذلك، وعَدّ حبّه للخيل صورةً من صور ذِكْره وشُكْره لله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾.

وبقي ينظرُ إلى الخيل السّابحةِ في الميدان مُعْجَباً، حتى توارتْ واختفتْ وراء الجبل الذي حَجَبها. ولما توارتْ وغابتْ عن ناظريه، قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾، ومعنى ذلك: أعيدوها إليّ، فأعادُوها إليه، ولمّا رآها أمامه صار يمسَحُ عليها: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾.

**والسُّوق**: جمعُ ساقٍ، والمرادُ بها: سيقانُ الخيل، والأعناقُ: جمع عُنُق. والمعنى أنّ سليمان صار يمسحُ على سيقان الخيل وأعناقها، ويُمرِّر أصابعه عليها برقّة، ملاعبةً منه للخيل، وتكريمًا لها، وإظهارًا لاهتمامه بها، ومحبّته لها.

ومعلومٌ أن الخيلَ تحبُّ هذه الحركةَ اللّطيفةَ من صاحبها، وتأنسُ به عندما يمسحُ على سوقها وأعناقها وأعرافها وجسمها، فتزداد وفاءً له، وتعلُّقًا به، كما تزدادُ إقدامًا في الجهاد وساح الوغى.

هذا هو الفَهمُ السّليم للحادثة كما عرضَتْها آياتُ القرآن، عندما نستبعدُ الإسرائيليات التي سجّلت الاتِّهام لسليمان عليه السلام، بانشغاله بالخيلِ عن ذِكْر الله، ثم ندمه بعد ذلك وقَتْله لتلك الخيل[1].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٨٧).

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾:

هناك من العلماء من يقولُ: إن الخيل هي التي توارتْ بالحجاب، وهناك من يقول: إن التي توارت بالحجاب هي الشمسُ.

ـ **القول الأول**: اختاره ابنُ جرير والرّازي وغيرهما، ومفادُه أنه: ما فاتته صلاةٌ ولا شيءٌ أبداً، وإنّما عُرِضَتْ عليه الخيلُ، وتوارت: أي: الخيل، وتبقى هنا إشكالية ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ قالوا: عن بمعنى من، فهي من ذِكْر ربِّي، واستدلُّوا على هذه بأدلة، منها:

**أولًا**: قالوا: الخيلُ مذكورةٌ: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾. والصافناتُ الجيادُ: هي الخيل، ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أي: الخيل ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ أيضاً الخيل. ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ أيضاً الخيل، فأين ذُكِرَتِ الشمس؟! لا ذِكْرَ للشمس في الآيات أبداً، فمِن أين أتيتُم بقصّة الشمس؟!

**ثانياً**: لا يليقُ بالأنبياء أن يُؤخِّروا الصّلاة، أو أن تشغلهم الدُّنيا أو النظر إلى الخيل عن أداءِ الواجبات.

**ثالثاً**: الأصلُ أن يعودَ الضميرُ إلى أقربِ مذكور: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ الخيل ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ أي: الخيل. ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ أي: الخيل.

**رابعاً**: إذا فاتته الصّلاةُ فلماذا يُعاقِبُ الخيلَ ويَقتلُها؟ وما ذَنْبُ الخيل؟ لأنه هو الذي فاتته الصّلاة، بل كان عليه أن يتوبَ إلى الله تبارك وتعالى.

**خامساً**: وأمّا مَسْحُه عليها فإمّا كان تشريفاً لها، وتكريماً، أو أنه مَسَحَ

صلوات الله وسلامه عليه لتواضعه مع أنه الملك، أو أنه كان عليماً بأحوال الخيل، فكان ينظرُ إليها هل هي مريضةٌ حتى يطمئنّ عليها[١].

**القول الثّاني**: قالوا: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ الخيل، ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ الخيل، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي الشّمس، ﴿بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فقتَل الخيلَ.

واستدلُّوا بقول الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾؛ ذِكْرُ العَشِيّ له معنى، فالعَشِيُّ: وقتُ الزّوال، فلما ذُكر العَشِيُّ ثم توارت بالحجاب، أي الشمس؛ لارتباط الشمس بالعشي، ثم كذلك قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ (عن) على ظاهرها، والأصل أنها عن ذِكْر ربي، وليس من ذِكْر ربي، فهي شَغَلته عن ذِكْر ربِّه تبارك وتعالى، قالوا: ويحتملُ أنها صلاة العصر، ويحتملُ أيّ ورد كان يؤدّيه، وليس شرطاً أن يكونَ ترك واجباً، لكن من الممكن أن يكونَ تَرَكَ أمراً مُستحَبّاً.

وإن الأصلَ أن تُؤخذ الآيةُ على ظاهرها: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، فلماذا قتلها إذاً؟ قالوا: قتلَها وأمر الناسَ أن يأكلوها، ولماذا فَعَلَ ذلك؟ قالوا: لئلا تشغلَه مرة ثانية. ولذلك جاء عن عُمَر رضي الله عنه أنه لمّا تأخر عن الصّلاة تبرّع ببستانه لئلا يشغلَه مرة ثانية عن الصّلاة، قالوا: وقد يكونُ هذا سائغاً في شريعتهم، لأن الشّرائعَ تختلفُ.

بل قد جاء في شريعتنا ما يُؤيِّد ذلك، وذلك لما ذهب النّبيُّ ﷺ إلى

---

(١) فبهداهم اقتده، عثمان الخميس، ص ٣١٣.

تبوك، ومرُّوا بمدائنِ صالح؛ طبخوا في القدور لَحْمَ حُمُرٍ أهْليَّةٍ، فأمر ﷺ بكسرِ القُدُور وإراقة الطّعام، حتى قالوا له: أو نغسلها ولا نكسرها؟ فقال: «**اغسلُوها**» لكن أمر بإراقة الطعام، لأنّه نزل حينها تحريمُ أكله، ومع هذا أمر بكسرِ تلك القدور[١].

والدليل على ذلك أنّ من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه، ولذلك جاءتِ الآيةُ التي بعدها أن الله عوّضه بالرِّيح: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾. فلما ترك الخيلَ لله عزَّ وجلَّ عوّضه الله بالرِّيح، وهي أقوى من الخيل وأسرع، ولا تحتاج مؤونةً ولا كُلْفةً ولا عِناية، فعوّضه الله خيراً من الخيل لما تركها لله جل وعلا.

وقد قال الشّيخُ عثمان الخميس: فالقصدُ أن كلا الأمرين محتملٌ، يحتملُ أنه أراد حتى توارت بالحجابِ الشمس، ويحتملُ حتى توارتْ بالحجابِ الخيل، والعلمُ عند الله عزَّ وجلَّ[٢].

وذَهَبَ الدكتور صلاح الخالدي إلى ترجيحِ أن الخيلَ هي التي توارتْ بالحجاب، فقال: إننا نعلمُ أن سليمان عليه السلام كان رجلَ جهادٍ، وأنه خاضَ معاركَ إيمانيةً ضدّ الكفار، وكانت الخيلُ من أسلحة الحرب المعروفة؛ ولذلك كان سليمانُ مُحبّاً للخيل؛ وهذا الهدفِ الجهاديِّ العظيم، الذي يُحقِّقُ له الخير، وكان يعدّ حبّه للخيل وإعدادها للجهاد صورةً من صُوَرِ ذِكْرِه لربِّه[٣].

---

(١) مسند أحمد رقم: ٥٩٤٨.

(٢) مسلم، رقم: ٢٩٨١.

(٣) القصص القرآني، (٣/ ٤٨٧).

## ٤ ـ القولُ الرّاجحُ في المسحِ بالسُّوق والأعناق:

إنّ ما وَرَدَ عن نبيِّ الله سليمان عليه السلام من روايات، تُنْسَبُ إليه أنه قطع أعناقَ الخيل وأرْجُلَها، لا يثبتُ منها شيءٌ بالدليل من الكتاب والسُّنّة.

يقول صاحب كتاب «محاسن التأويل»: إن الإمامَ ابنَ حزم سبق الإمامَ الرّازيّ في هذا الرّأي، يقول ابنُ حزم: تأويلُ الآية على أنه قَتَلَ الخيلَ إذ شُغِل بها عن الصّلاة خرافةٌ موضوعةٌ مكذوبةٌ سخيفةٌ باردة، قد جمعتْ أفانينَ من القول، لأن فيها معاقبةُ خيلٍ لا ذَنْبَ لها، والتمثيلُ بها، وإتلافُ مالٍ مُنتفَعٍ به بلا معنى، ونسبةُ تضييعِ الصّلاة إلى نبيٍّ مُرسَل، ثم يُعاقِب الخيلَ على ذنبه لا على ذنبها.

وإنّما معنى الآية أنه أخبر أنه أحبّ حُبّ الخير، وذلك من أجل ذِكْر ربِّه حتى توارتِ الشمسُ أو تلك الصّافنات بحجابها، ثم أمر بردِّها، فطفق مَسْحاً بسُوقها وأعناقها بيده، برّاً بها، وإكراماً لها، وإنّ هذا هو ظاهرُ الآية الذي لا يحتملُ غيره. وليس فيها إشارةٌ أصلاً إلى ما ذكروه من قَتْل الخيل، وتَعْطِيل الصّلاة. وكل هذا قد قاله ثقاتُ المسلمين[١].

إن المسحَ بالسُّوقِ والأعناقِ يجبُ صرفُه على الحقيقة لا المجاز، فالمسحُ كان باليد حبّاً لها، وتكريماً؛ لأنه الأليقُ بما يعدُّه لأعدائه من القُوَّة ومن رباط الخيل ليحمي دينَ الله، ويُرْهِبَ عَدوّه، وهذا القولُ فيه بُعْدٌ عن نِسْبة الظلم إلى سليمان عليه السلام، بذبح الخيل دون ذَنْبٍ جَنَتْهُ، كما أننا

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، لابن حزم، مكتبة السَّلام العالميَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، (٤/ ٢٠).

لا نجدُ فيما وَرَدَ من كُتُب التفسير حديثاً صحيحاً مسنداً إلى النّبيّ ﷺ، أو أثراً معتمداً عن بعض أصحابه رضي الله عنهم(١).

وقد تحدّث الإمامُ الرّازيُّ رحمه الله عن هذه المسألة، فقال: أن نقولَ إن رباطَ الخيل كان مندُوباً إليه في دينهم، كما أنه كذلك في دِيْن محمد ﷺ، ثم إنّ سليمانَ عليه السلام احتاج إلى الغزو، فجلس، وأمر بإحضارِ الخيل، وأمر بإجرائها، وذكر أنه لا يحبُّها لأجل الدُّنيا ونصيب النفس، وإنّما أحبَّها لأمر الله، وطَلَب تقوية دينه، وهو المرادُ من قوله ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتَسْييرها حتى توارتْ بالحجاب، أي غابتْ عن بصره، ثم أمر الرّائِضين بأن يَردُّوا تلك الخيل إليه، فلما عادتْ إليه طفق يمسحُ سُوقَها وأعناقَها، والغرضُ من ذلك المسح أمور:

**الأول**: تشريف لها، وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دَفْع العدو.

**والثاني**: أنه أراد أن يُظهرَ أنه في ضَبْط السياسة والملك يتّضعُ إلى حيثُ يباشرُ أكثرَ الأمور بنفسه.

**والثّالث**: أنه كان أعلمَ بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يَمتحنُها، ويَمْسَحُ سوقَها وأعناقَها؛ حتى يعلم هل فيها ما يدلُّ على المرض، فهذا التفسيرُ الذي ذكرناه ينطبقُ عليه لفظُ القرآن انطباقاً مطابقاً موافقاً، ولا يلزمنا نسبةُ شيء من تلك المنكَرات والمحذورات إلى نبيٍّ مَعْصُومٍ(٢).

---

(١) داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، ص ٣٦٩.

(٢) تفسير الرَّازي، (٢٣/ ٢٠٤).

وأرى تبرئةَ سليمان عليه السلام من الغفلة عن ذِكْر الله أو الصّلاة، كما قال بعض المفسِّرين، وكذلك تبرئته من قَتْل الخيل؛ لعدم صِحّة الحكايات الواردة سَنَداً، وكذلك بطلانها مَتْناً لتنافيها مع عصمة الأنبياء، والله أعلم[١].

**٥ ـ خيلُ سليمان والأجنحة:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسولُ الله ﷺ من غزوة تبوك أو خَيبر، وفي سَهْوَتها سترٌ، فهبّتِ الريحُ فكشفتْ ناحيةَ السِّترِ عن بناتٍ لعائشة لُعَبٍ، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» قالت: بناتي. ورأى بينهنّ فرساً له جناحان من رِقاع. فقال: «**ما هذا الذي أرى وسطهنّ؟**» قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذي عليه؟**» قلت: جناحان. قال: «**فرس له جناحان؟!**» قالت: أما سمعتَ أنّ لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسولُ الله ﷺ حتى رأيتُ نواجِذَه[٢].

**٦ ـ تجارةُ الخيولِ في عهد سليمان عليه السلام:**

يقول الدكتور عبد التواب إبراهيم: لعلّ ممّا سهّل لسليمان عليه السلام أن يكونَ وسيطاً في تجارةِ الخيول والمركبات هو علاقته الوطيدة بمصر عن طريق زوجته المصرية، وكان المصدرُ الثّاني للخيول هي دولة سلسيا في جنوب آسيا الصغرى بين جبل طوروس والبحر المتوسط، وهي تشتهرُ أيضاً بخيولها.

وقد أقام سليمانُ عليه السلام حظائرَ للخيل في مناطق متعدِّدة من

---

(١) داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، ص ٣٧٠.

(٢) سنن أبي داود، رقم: ٤٩٣٢، وصححه ابن حبان.

مملكته في بيت شأن، وحاصور، ومجدو، وتغنك، وأورشليم، وغيرها من المدن التي بها الحامياتُ المسيطرة على طرق التجارة.

وقد كشفتْ بِعْثاتُ التنقيب الأمريكية في مجدو عن حظائر ترجعُ إلى عهد سليمان، ووجدوا بقايا من إصطبلات الخيول، التي كانتْ تَنْتَظم حول فناء دائريّ مبلّط ببلاطٍ من الحيري، وممرّ عرضه عشرة أقدام، وقد رُصِفَ بأخشاب مستوية؛ ليَحولَ دون انزلاقِ الخيل، وخارج الممرّ مرابطُ فسيحة، عَرْضُ كلٍّ منها عشرة أقدام، ووجدوا بعضَ معالفِ طعامِ الخيول، ومعدّات للسّقي، وخارج الحظائر توجد مساحات واسعة للمركبات. وقُدِّر أن كلّ إصطبل كان يحوي (٤٥٠) حصاناً، ولكل حظيرة (١٥٠) عربة، فإذا افترضنا عَرْضَ المربط (٥) أمتار؛ لكي يتحرّك فيه الحصانُ بحرية، كان محيطُ الفناء الدّائري (١١٥) متراً، وبذلك تبلغُ مساحةَ الإصطبل الواحد بفنائه الخارجي الذي تُوضَعُ فيه المركبات حوال (١٣) فدّاناً، وهذا يُثير الدهشةَ من اتّساع هذه الإصطبلات، والعناية غير العادية التي بُذِلَتْ بوفرةٍ في المباني والخدمات، وهو ما يدلُّ على أن الخيلَ في عهد سليمان كانت تَلْقى أحسنَ رعاية؛ الأمر الذي استحقّ أن يُسجّل في القرآن الكريم[1].

**سادساً: قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

ـ ﴿فَتَنَّا﴾: معناه: بَلَوْنا، واختبرنا، وامتحنّا، والفتنةُ في ذاتها ليست

(١) الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام، عبد التواب سيد محمد إبراهيم، ص ١٦.

مكروهةً، وإنّما المكروهُ أن تُخفِقَ فيها، وتفشلَ في خوضها. وقد فَتَنَ اللهُ سليمانَ عليه السلام، كما فَتَنَ مِنْ قبلِه أباه داود عليه السلام في مسألة المحراب[١].

ـ ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾: الكرسي هو: العرشُ الذي يجلسُ عليه الملك. ﴿جَسَدًا﴾: الجسدُ هو: قالب الكائن الحي، ويقال لهذا القالب: (جسد) إذا كان خالياً من الرُّوح[٢].

ـ ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: يعني: رَجَعَ إلى ما كان عليه قبلَ التجربة التي مرّ بها[٣].

وقد تحدّث الكثيرُ من العلماء على هذه الآية الكريمة، وردُّوا الرِّوايات المكذوبة في حقِّ سليمان عليه السلام، بعدلٍ وإنصاف. ومن هذه الدِّراسات المهمّة:

ـ الإسرائيليات والموضوعات في قصّة سيدنا سليمان عليه السلام، كائنات محمود عدوان.

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، لعبد الرحمن المعلمي.

ـ فتنة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، همام حسين يوسف سلوم.

وهذه أهم المراجع التي اعتمدتُ عليها في مناقشة الإسرائيليات، ومن أراد التّوسُّع فَلْيَرْجِعْ إليها وإلى غيرها من البحوث ذات الصِّلة.

---

(١) تفسير عبد الرحمن المعلمي، ص ١٢١.
(٢) تفسير الشعراوي، (١١/ ١٢٩٣٤).
(٣) المصدر نفسه، (١١/ ١٢٩٣٤).

**١ ـ سَبَبُ هذه الفتنة:**

كَثُرَتِ الأقوالُ في سبب هذه الفتنة، وحُكيت في كتب التفسير أقوالٌ لا تتوافق مع عصمة الأنبياء، ولا يمكنُ أن تكونَ قد حصلت من سليمان عليه السلام، ومن هذه الأقوال:

ـ قال كثيرٌ من المفسِّرين: إن سليمان تزوّج امرأة من بنات الملوك، فعبدتِ الصّنَمَ في داره ولم يَعلمْ بذلك فامتُحن بسبب غَفْلته عن ذلك.

ـ وقيل: إنه تزوّج امرأة مصرية اسمها جرادة، وكان يُحبُّها حُبّاً شديداً، فاختصم إليه فريقان، أحدهما من أهل جرادة، فأحبّ أن يكونَ القضاء لهم.

ـ وقيل: إنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام، لا يَقضي بين أحد من المتخاصمين.

ـ وقيل: إنه تزوّج جرادة، وهي مُشْرِكة، لأنه عَرَضَ عليها الإسلام، فقالت: اقتُلْني ولا أُسْلِم.

ـ وقيل: لما ظَلَم الخيلَ بالقتل سُلِب مُلْكه.

ـ وقيل: إنه قاربَ بعضَ نسائه في شيءٍ من حَيْضٍ وغيره.

ـ وقيل: إنه أُمر ألا يتزوّج رجلٌ امرأةً إلا من بني إسرائيل، فتزوّج من غيرهم.

وكلُّ هذه الأقوال مردودةٌ؛ إذ لا دليل موثوقاً به عليها، ومِن ثَمّ إنّ كثيراً منها يتعارضُ وعصمة الأنبياء، والمكانة السّامية التي اختصّهم الله بها[1].

---

(١) سليمان عليه السلام في القرآن والسنة، ص ٢١٣، ٢١٤.

**٢ ـ أقوالُ العلماء في هذه الفِتنة:**

**أ ـ** قال صلاحُ الدِّين الخالدي رحمه الله: نُنبِّه ونحذِّر أولاً من الإسرائيليات المكذوبة الباطلة؛ التي تحدّثتْ طويلًا عن فتنةِ سليمان عليه السلام، وعن الجسد المُلْقى على كرسيّه، فهي تتّهم النّبيّ سليمان عليه السلام تُهماً باطلة فاجِرة.

**وخلاصتها:** أن سليمانَ وافق امرأته الكافرة على الكفر بالله، ووَضَعَ لها صَنَماً في قصره، لِتَعْبدَه من دون الله، فعاقبه الله على ذلك، وكان يحكمُ الجِنّ والشّياطين بخاتمه السحري، فأذن الله للشيطان المارد أن يتزيّا بزيِّه، فأخذ الخاتم منه، واستلم الحُكْمَ من بعده، وكأنه عمل انقلاباً عسكريّاً عليه، وبقي على هذا عدّة أسابيع مفتوناً منزوعاً حُكْمُه، ومِن ثَمّ عاد له حُكْمُه بعد أن استخرجَ الخاتم من بطنِ سمكةٍ، ثم وَضَع الماردَ في صندوقٍ، وألقاه في قَعْرِ البحرِ.

هذه الإسرائيلياتُ مكذوبةٌ باطلةٌ، واردةٌ في أسفار العهدِ القديم المحرّفة، وقد استهوتْ هذه الإسرائيلياتُ بعضَ المفسِّرين والمؤرِّخين من المسلمين، فأوردُوها في كُتُبهم، وفَسّروا بها كلامَ الله تعالى. ونحن لا نجيزُ تفسيرَ كتابِ الله تعالى بهذه الأكاذيب والافتراءات، ونُقرِّر وجوبَ تبرئة سليمان عليه السلام منها[1].

**ب ـ** قال الشّنقيطيُّ رحمه الله: وما رُوي عن السّلَف من جُملة تلك

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٨٩).

الرِّوايات بأن الشّيْطانَ أخذ خاتمَ سليمان، وجلس على كرسيِّه، وطردَ سليمان. . . إلى آخره، يُوضِّحُ بطلانَه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

واعترفَ الشّيْطانُ بذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] (١).

ج ـ قال ابنُ كثير بعدما ذَكَر قصّةً رُويتْ عنِ ابنِ عبّاسٍ عند هذه الآية: الظّاهر أنه إنّما تلقّاه ابنُ عباس ـ إن صحّ عنه ـ من أهل الكتاب، وفيهم طائفةٌ لا يعتقدون نبوّةَ سليمان عليه السلام، فالظاهرُ أنّهم يَكذبونَ عليه؛ ولهذا كان في السِّياق مُنكَراتٌ من أشدِّها ذِكْر النساء، فإن المشهورَ أن ذلك الجِنِّيّ لم يسلّط على نساءِ سليمان، بل عَصَمَهُنّ الله منه تشريفاً وتكريماً لنبيِّه ﷺ، وقد رُويتْ هذه القِصّةُ مطوّلةً عن جماعةٍ من السّلف، كسعيد بن المسيّب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلُّها متلقّاةٌ من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصّواب(٢).

د ـ قال النّسَفيُّ رحمه الله: وأما ما يُروى من حديث الخاتم والشّيطان وعبادة الوَثَن في بيتِ سليمان عليه السلام؛ فمن أباطيلِ اليهود(٣).

هـ ـ قال القاضي عِياض رحمه الله: ولا يصحُّ ما نقله الإخباريُّون من تَشَبُّه الشّيْطان به، وتسلُّطه على محلّه، وتصرُّفه في أمّتِه بالجَور في حُكْمه؛

(١) أضواء البيان، (٦/ ٣٤٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/ ٦٩).
(٣) تفسير النسفي، (٤/ ٤٢).

لأن الشّياطين لا سلطانَ لهم على مثل هذا، وقد عُصِمَ الأنبياءُ من مثله[١].

و ـ قال الشّيخُ عثمان الخميس: الكلامُ الصّحيحُ في فتنة سليمان ما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه من قول سليمان بن داود عليه السلام: لأطوفنّ الليلة على مئة امرأة، أو تسعٍ وتسعينَ، كلُّهن تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله، فقال له صاحبه: قُلْ إن شاء الله، فلم يقلْ: إن شاء الله، فلم يحملْ منهن إلا امرأةٌ واحدة، جاءتْ بشِقِّ رَجُلٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدُوا في سبيل الله فُرساناً أجمعون**»[٢]. وهذا الخبرُ الصّحيحُ، وبأن الذي أُلقي على كرسيِّ سليمان هو هذا الصبيُّ الذي هو نصفُ آدميّ. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: أي رَجَعَ إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنه نَسِيَ أن يقولَ إن شاء الله[٣].

ز ـ وقال الأستاذُ همام حسن يوسف سلّوم: وخلاصةُ القول في هذا الأمر: أن الفتنةَ هي نِسْيانُ قول سليمان (إن شاء الله)، وعَدَمُ تحقُّق رغبته في إنجاب مئة فارس يُجاهدون في سبيل الله، وابتلاؤه بابنٍ مشوّه ناقص الخَلْق، نزل من بطن أمه ميتاً، ويبدو أنه وُلِد ميتاً، وحملوه، ووضعوه على كُرسيِّ سليمان؛ ليرى ما وضعت امرأتُه، وعرف سليمانُ أنه امتحانٌ من الله وابتلاء، فأناب إلى الله، ورضي بقدره، واستسلم لقضائِه، وذَكَر الله واستغفره ودعاه وتضرّع إليه؛ وبذلك نَجَحَ في الامتحان، واستفادَ من الابتلاء.

وهذا التأويلُ هو الذي نراه مُنْسَجِماً مع النّصِّ القرآني، ولا يُنْكِرُه

(١) الشفا، القاضي عياض، (٢/ ٣٨١).
(٢) صحيح البخاري، الرقم: ٢٨١٩.
(٣) فبهداهم اقتده، عثمان الخميس، ص ٣١٥.

العقل، ويليقُ بمقام النُّبوّة، ومن ثَمّ نراه الرّاجحَ في المسألة، والله أعلم[١].

وهذا القول اختاره جَمْعٌ من المحقِّقين من العلماء المفسِّرين، قدامى ومعاصرين، منهم: البيضاوي[٢]، والآلوسي[٣]. قال الزّمخشريُّ: لا بأس به، وعدّه الرّازي[٤] وجهاً لأهل التحقيق[٥]، واختاره أيضاً الخازن[٦]، وأبو حيان[٧]، وعدّه ابنُ عاشور أظهرَ الأقوال، وإن لم يرتضِه[٨].

واختاره من المعاصرين: الزُّحيلي[٩]، والصّابوني[١٠]، وعبد الرحمن حبنّكة الميداني[١١]، والشّنقيطيّ[١٢]، والخالدي[١٣]، والجزائري[١٤]، وآخرون.

---

(١) سليمان في القرآن الكريم، ص ٢٢٣.
(٢) تفسير البيضاوي، (٥/ ٤٦).
(٣) روح المعاني، الآلوسي، (٢٣/ ٤٦).
(٤) الكشّاف، الزمخشري، (٤/ ٩٠).
(٥) التفسير الكبير، الرَّازي، (٩/ ٣٩٢).
(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٦/ ٤٩).
(٧) البحر المحيط، أبو حيّان، (٧/ ٣٧٩).
(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩/ ٥١٠).
(٩) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٣/ ٢٠١).
(١٠) صفوة التفاسير، محمد علي الصَّابوني، (٣/ ٥٤).
(١١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنّكة الميداني، ص ٤١٧.
(١٢) أضواء البيان، الشنقيطي، (٢/ ٣٧٣).
(١٣) موقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، الخالدي، ص ٣١٣.
(١٤) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤/ ٣٥٧).

وذهب بعضُ العلماء إلى تأويل آخر للفتنة ينزِّه سليمان عليه السلام عن أباطيل الإسرائيليات، فقالُوا: إن الفتنةَ هي فتنةُ سليمان عليه السلام في جسده حيث ابتُلي بمرضٍ شديدٍ نحلَ منه وضعف حتى صار من شدّةِ المرض كأن جسدَه مُلقًى على الكرسيّ.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: أي رَجَعَ إلى حالة الصحّة. واستدلُّوا لهذا القولِ بأنه شاعَ في اللغة وَصْفُ الضعيف بأنه لحمٌ على وَضَم، وجسد بلا روح. واختار هذا القولَ: الشيخُ المراغي رحمه الله[1].

وأميلُ إلى قول الخالدي، والشّنقيطيّ، والجزائري، والزُّحيلي، وغيرهم، والله أعلم.

**سابعاً: قال تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٣٥ ـ ٤٠]:

١ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾:

هذا أدبُ الأنبياء والصالحين، في طَلَب المغفرةِ من الله، هَضْماً للنفس، وإظْهاراً للذلّة والخشوع، وطلباً للترقّي في المقامات. وفي الحديث: «**إنِّي لأستغفرُ الله في اليوم والليلة سبعينَ مرة**»[2].

---

(١) تفسير المراغي، (٢٣/ ١٢٠ ـ ١٢١)؛ سليمان عليه السلام في القرآن، ص ٢٢٣.

(٢) البخاري، رقم: ٦٣٠٧، النسائي في السنن الكبرى، رقم: ١٠٢٦٩.

والاستغفارُ مُقدِّمةٌ بين يدي ما يَطلب المستغفِرُ الأهمّ في دينه، فيترتّب عليه أمرُ دنياه، كقول نوح فيما حكى الله عنه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١١].

٢ ـ ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾:

قال الطّاهرُ بن عاشور في تفسير هذه الآية: وإردافُه طلب المغفرة؛ باستيهاب ملكٍ لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ لأنه توقع من غضب الله أمرين:

**الأول**: العقاب في الآخرة.

و**الثاني**: سَلْب النِّعمة في الدُّنيا، إذ قصّر في شُكرها.

وكان سليمان يومئذٍ في ملكٍ عظيم، فسؤالُ موهبة الملك مرادٌ به استدامةُ ذلك الملك، وصيغةُ الطلب تَرِدُ لطلب الدّوام، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

وتنكير ﴿مُلْكًا﴾ للتعظيم. وارتقى سليمانُ في تدرُّج السؤال إلى أن وصف مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، أي: لا يتأتّى لأحدٍ من بعده، أي: لا يعطيه الله أحداً يبتغيه من بعده، فكنّى بـ: ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾ عن معنى: لا يعطى لأحدٍ، أي: لا تعطه أحداً من بعدي.

وسأل الله ألا يُقيمَ له منازِعاً في مُلْكه، وأن يبقى له ذلك الملك إلى موته، فاستجابَ الله له[1].

ـ **وقد تضمّنت دعوتُه شيئين**: هما أن يُعطى ملكاً عظيماً، وألا يُعطى

(١) تفسير التحرير والتنوير، (٩/ ٥١٢).

غيرُه مثلَه في عظمته، وقد حكى الله دعاء سليمان عليه السلام، وهو سرٌّ بينه وبين ربِّه إشعاراً بأنه ألهمه إيّاه، وأنه استجاب له دَعْوته، تعريفاً برضاه عنه، وبأنه جَعَلَ استجابتَه مكرمةَ توبته.

ومعنى ذلك أنه لا يأتي مَلِكٌ بعده جُمِعَ له من السلطان ما جُمِع لسليمان، فإنّه مُلكٌ عَمّ التصرُّف فيه، والملكُ يعمُّ معناه الجِنّ، وتسخيرَ الريح، والطّير، ومجموع ذلك لم يحصلْ لأحدٍ من بعده(١).

وفي الصّحيح عن أبي هريرة أن النّبيّ ﷺ قال: «**إن عفريتاً من الجنِّ تفلّت البارحةَ ليقطعَ عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذتُه، فأردت أن أربطَه بساريةٍ من سواري المسجد، حتى تنظُروا إليه كلُّكم، فذكرتُ دعوةَ أخي سليمان**: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾، **فردَدْتُه خاسِئاً**»(٢).

إن سليمانَ عليه السلام لم يطلبِ الملكَ للظُّلم أو البغي، وإنّما طلبه للتقوّي به على تنفيذِ شريعة الله تعالى في الأرض، وإقامةِ حدوده، وتعظيمِ شعائره، وظهورِ عبادته، ولزومِ طاعته جل في علاه(٣)، وليكون معجزةً له في نبوته ورسالته، ويُسخِّره في الدّعوة إلى الله تعالى، وإشعار النّاس بالدُّخولِ في دين الله عزَّ وجلَّ، وليتّخذَه وسيلةً لذِكْر الله وشُكْره وحُسْن عبادته، فالملكُ الخاصُّ الذي يريده ليس غايةَ مقصوده، ولكنّه وسيلةٌ

(١) المصدر نفسه، (٩/ ٥١٣).
(٢) رواه البخاري، رقم: ٣٤٢٣.
(٣) التفسير الوسيط، محمد الطنطاوي، (١/ ١٦٤)، القيم التربوية، ص ٤٥.

لتحقيق تلك الغايات الإيمانية العظيمة؛ ولذلك استجاب الله له، ومَنَحه ما طلب، وخصّه بملكٍ لم يَهَبْه لغيره(١).

٣ ـ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾:

وَرَدَ اسمُ الله تعالى(الْوَهّابُ) ثلاثَ مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

قال الخطابي رحمه الله: ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾: هو الذي يجودُ بالعطاء عن ظهر يدٍ من غير استثابة، فكلُّ مَنْ وهب شيئاً من عَرَض الدُّنيا لصاحبه فهو واهِب، ولا يستحقُّ أن يُسمّى وهاباً إلا من تصرّفتْ هِباتُه في أنواع العطايا، فكثُرت نوائلُه، ودامت.

والمخلوقون إنّما يملكون أن يهبوا مالاً ونوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً للسقيم، ولا ولداً للعقيم، ولا هدًى لضالّ، ولا عافية لذي بلاء، والله الوهّابُ سبحانه يملكُ جميعَ ذلك، وَسِعَ الخلقَ جودُه، فدامت هِباتُه، وكثرت مِنَنُه وعوائدُه(٢).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٩٧).

(٢) ولله الأسماء الحسنى، ص ٩٨٤.

إنّ سليمان عليه السلام عاش مع الله، وفَهِمَ أسماءه الحسنى، وآمن بصفاته العُلا، ودعا الله باسمه الوهّاب، فقد كان مستغرقاً في هبات الله منذ طفولته، ورأى ذلك في مُلك أبيه، فأحبّ اللهَ عزَّ وجلَّ، وأخلصَ العبادة له، وطَرَقَ أبوابه؛ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى بجميع أصنافها وأنواعها، فهو سبحانه واهبُ الحياة، وواهبُ القوة، وواهبُ الرزق.

وقد حافظ سليمانُ عليه السلام على نِعَم الله وهِباته، ولاسيّما هِبة الهداية إلى الحقّ والإيمان، وسؤال الله عزَّ وجلَّ، والتّضرُّع بين يديه بالثّبات على الهداية، وعَدَم الزّيغ عنها.

وكان سليمان عليه السلام يسأل الله عزَّ وجلَّ بهذا الاسم الكريم كلّ ما يحتاجه العبدُ من خيري الدُّنيا والآخرة؛ لأنه لا واهب حقيقةً إلا الله عزَّ وجلَّ[1].

**ثامناً: قال تعالى:** ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٣٦ ـ ٤٠]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ قوله تعالى:** ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾:

كان تسخيرُ الريح لسليمان عليه السلام نعمة أُضيفتْ إلى ملكه، إذ لم

(١) ولله الأسماء الحسنى، ص ٦٨٦.

تكن موجودةً من قبل. ومعنى: ﴿رُخَآءً﴾؛ أي: ليّنة ناعمة كالمطيّة التي تمشي براكبها مشياً هادئاً لا تُزعِجُه، ولا تُوقِعُه.

إلا أن بعض المفسِّرين قال: إن كلمة (رخاء) تتعارضُ مع قوله تعالى في القصّة نفسها: ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةَ﴾، وهذا صحيح، ولكن جاء ذلك في موقف آخر؛ لأن الرِّيحَ في القصّة لها عدّة استعمالات، فالريحُ إن كانت تحمله للنُّزهة فهي رخاء ليّنة، وإن كانت لحملِ الأشياءِ فهي عاصفة، إذاً: فالجهةُ في الوصف لها معنى خاصّ بها، ، ويرجع ذلك إلى نوع الموقف، والمهمة التي تُكلّف الريحُ بها[١].

ـ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث قصد وأنّى ذهب، وهذا يعني أنّ سليمان خاطَبَ الريحَ بعد أن علّمه الله لغتها وطريقة التخاطب معها، فكأنه أصبح آمراً والرِّيحُ مأمورة، إذاً: فهمتْ عنه الريح، فالحقُّ سبحانه جعل لكلِّ جنس من الأجناس لغته التي يتخاطب لها مع بني جنسه، فإذا فهّم الله إنساناً هذه اللغة، فقد فهِمها، وتعلّم مفرداتها وتراكيبها، وتخاطب بها مع هذه الأجناس[٢].

**٢ ـ قوله تعالى**: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ ـ ٣٨]:

أي سخّرنا له الشّياطين، منهم البنّاء وهو: الذي يعملُ ويبذل طاقته في الأرض ويعمرها. والغوّاصُ: من يبذل طاقته في البحر ليُخرجَ نفائسَه.

---

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٤٥).

(٢) المصدر نفسه، (٢١/ ١٢٩٤٦).

ـ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾؛ أي: من الشّياطين. ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: أي: مقيّدين مُكبّلين بالسّلاسل، والأصفادُ: جمع صَفَدٍ، وهو السلسلة.

فهؤلاء مقيّدون ليسوا مُطْلَقين كالبنّاء والغوّاص، لكن لماذا قَيّدَ اللهُ هؤلاء، وأطلق هؤلاء؟ قالوا: لأن منهم الصّالحين الطّائعين، ومنهم العُصاة الذين تابوا، وعادوا إلى منهج الله. ومن الممكن أن يتأبّى هؤلاء العصاة على رسول الله، فهم الذين يُقيّدون بالسلاسل، فكأنّ الصّالحين يخدمونه بتوجيه الإيمان، وغير الصّالحين يخدمونه بتوجيه القيودِ والسلاسل، يعني هؤلاء بالرّغبة وهؤلاء بالرّهبة(١).

**٣ ـ قوله تعالى**: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

إنّ العطاءَ مناسبٌ لطلب سليمان عليه السلام حين طلب مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، قال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾، فردّ الله عليه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، وما دمتُ قد وهبتُ فسوف أجعلُكَ تتصرّفُ فيما وهبتُه لك، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ يعني أنت حرٌّ في أن تُعطيَ أو تُمسِكَ وتَمنعَ.

وإن الحقّ سبحانه لم يجعلْ لسليمان عليه السلام طلاقةَ التصرُّف، إلا لأنه ضمنَ منه عدالةَ التصرُّف؛ لأن سليمانَ عليه السلام حين طلب الملكَ الواسعَ تعهّد لله تعالى بهذه العدالة.

إن سليمان عليه السلام لم يطلبِ الملكَ الواسعَ ليتنعّم به، أو يتباهى به، إنّما طلبه ليُسخِّره في خدمة الدّعوةِ إلى الله، ولأنه سيُجابه قوّةً كانت أعظمَ القوى في ذلك الوقت، ويكفي أن الله تعالى وَصَفَ هذه القوةَ بقوله: ﴿وَلِمَا

(١) المصدر نفسه، (٢١/ ١٢٩٤٨).

عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: بلقيس صاحبة العرش العظيم الذي لا مثيلَ له.

وهنا في هذه المواجهة سيظهر أثرُ الملكِ وقيمتُه؛ عندما أرسلت بلقيس هديتها، قال تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، وهنا تظهرُ الحِكْمَةُ في أن سليمان حين طلب مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، طلبه حتى لا يتميّز عليه أحدٌ، ولا يُحاولُ أحدٌ أن يُغرِيَه، أو يرشِيه، أو يستميله بالمالِ، كما حاولت بلقيس بملكها الواسعِ في اليمن السّعيد في ذلك الوقت[١].

أ ـ قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾: إشارةٌ لما أعطاه الله تعالى من الملك الضّخم، وتسخير الرِّيح والإنس والجِنّ والطّير، وأمره بأن يَمُنّ على مَن يشاء ويمسك عمّن يشاء، حيثُ وَقَفَه على قَدْر النِّعمة، ثم أباح له التصرُّفَ فيها بمشيئته، والله تعالى قد عَلِمَ أنه لا يتصرّف إلا بطاعتِه[٢].

ب ـ قال ابنُ كثير: هذا الذي أعطيناك من الملك التّامِّ، والسُّلطان الكامل، كما سألتنا، فأعطِ مَنْ شئت واحرُمْ مَنْ شئتَ، فلا حسابَ عليك، أي: مهما فعلتَ فهو جائزٌ لك، فاحكُمْ بما شئتَ من الحق فهو صواب.

وقد ثبت في الصّحيحين أن رسول الله ﷺ لما خُيِّر بين أن يكونَ عبداً رسولاً ـ وهو الذي يفعلُ ما يؤمر به ـ وبين أن يكونَ مَلِكاً نبياً يُعطي من يشاء ويمنعُ من يشاء بلا حساب ولا جُناح، اختار المنزلةَ الأولى بعدما استشار جبريل، فقال له: تواضَعْ، فاختار المنزلةَ الأولى لأنها أرفعُ قدراً عند الله،

---

(١) المصدر نفسه، (٢١/ ١٢٩٤٩).

(٢) البحر المحيط، (٧/ ٣٨٢).

وأعلى منزلة في المعاد، وإن كانتِ المنزلةُ الثّانيةُ وهي النُّبوّةُ مع الملكِ عظيمةً أيضاً في الدُّنيا والآخرة؛ ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه السلام في الدُّنيا نبّه على أنه ذو حظّ عظيمٍ عند الله يوم القيامة أيضاً[١].

**٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾:**

ـ ﴿لَزُلْفَىٰ﴾: يعني قُربى، ودلّ على هذه القُربى أن الله تعالى أعطاه مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وأعطاه حريّةَ التصرُّفِ في هذا الملك؛ يُعطي مَن يشاء، ويَمنعُ مَن يشاء. وقد أعطاه الله هذا العطاءَ مقابلَ أنه علم أنه لن يَصْرِفَهُ في طُغيان ولا في جَبروتٍ، ولا في إذلالِ الناس، لكن يستعمله في موضِعه الذي يريدُه الله، فأصبح مأموناً على عطاءِ الله.

ومعنى: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: حُسْن مرجعٍ ومَردٍّ إلى الله يوم القيامة[٢].

**تاسعاً: فوائدُ وعِبَر في قصّة داود وسليمان عليهما السلام:**

**١ ـ داود وسليمان عليهما السلام في موكبِ الأنبياء والمرسلين:**

عَرَضَ القرآنُ الكريم موكبَ الإيمان يقودُه ذلك الرّهْطُ من الرُّسل من نُوح إلى إبراهيم إلى خاتم النّبيّين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يعرضُ السِّياقُ هذا الموكبَ ممتدّاً موصولاً، وخاصّة منذ إبراهيم وبَنيه من النّبيّين، ولا يُراعي التسلسلَ التّاريخيّ في هذا العَرْض، كما يُلاحَظُ في مواضع أخرى؛ لأن المقصودَ هنا هو الموكبُ بجُملته، لا تسلسله التّاريخي.

---

(١) تفسير ابن كثير ـ تحقيق السلامة (٧/ ٧٤).

(٢) المصدر نفسه، (١/ ١٢٩٥٢).

ومِنْ جُملة مَنْ ذُكر في هذا الموكب من الأنبياء والمرسلين: داود وسليمان عليهما السلام.

أ ـ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ب ـ وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

يتحدّث السِّياقُ القرآني عن موكب واحد، يتراءى عَبْرَ التّاريخ البشري الموصول، ورسالته واحدة، وهُداهُ واحد للإنذار والتبشير، وهو موكبٌ يضمُّ هذه الصّفوة المختارة من البشر: نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وداود، وموسى، وغيرهم ممّن قصّهم الله على نبيِّه ﷺ في القرآن الكريم، ومنهم مَنْ لم يقصصْ عليه، موكبٌ من شتّى الأقوام، والأجناس، وشتى البقاع والأرضين، في شتّى الأزمان، لا يفرقهم نسبٌ، ولا جنس، ولا أرض، ولا وطن، ولا زمنٌ، ولا بيئة، كلُّهم آتٍ من ذلك المصدر الكريم، وكلُّهم يحملُ ذلك النور الهادي، وكلُّهم يُؤدِّي الإنذارَ والتبشير، وكلُّهم يحاولُ أن يأخذَ بزمام القافلة إلى ذلك النور، سواء منهم من جاء لعشيرة، ومن جاء لقومٍ، ومن جاء لمدينة، ومن جاء لِقُطْر، ثم من جاء للناس أجمعين وهو محمد رسول الله ﷺ خاتم النّبيِّين كلِّهم، تلقّى الوحيَ من الله على رسوله، فما جاء بشيءٍ من عند نفسه.

أولئك الرسل ـ مَن قَصّ الله على رسوله منهم ومن لم يَقْصُصْ ـ اقتضت عدالةُ الله ورحمته أن يبعثَ بهم إلى عباده يُبشِّرونهم بما أعدّه الله للمؤمنين الطّائعين من نعيمٍ ورضوان، وينذرونهم ما أعدّه الله للكافرين العُصاة من جحيم وغضب، كلُّ ذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، ولله الحُجّةُ البالغةُ في الأنفس والآفاق.

وقد أعطى اللهُ البشرَ من العقل ما يتدبّرون به دلائلَ الإيمان في الأنفس والآفاق، ولكنه سبحانه وتعالى، رحمة منه بعباده، وتقديراً لغلبةِ الشّهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم ـ أداة العقل ـ اقتضتْ رحمتُه وحكمتُه أن يُرسِلَ إليهم الرُّسُلَ مُبشِّرين ومنذرين يُذكِّرونهم، ويُبصِّرونهم، ويحاولون استنقاذَ فطرتهم، وتحريرَ عقولهم من رُكام الشّهوات التي تحجبُ عنها أو تحجبها عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، عزيزاً: قادراً على أخذِ العبادِ بما كسبوا. وحكيماً: يُدبِّر الأمرَ كلّه بالحِكْمَة، ويضعُ كلّ أمرٍ في نِصابه[1].

ونقفُ أمام عظمةِ العدل الذي يرتب للناس حُجّةً على الله لو لم يرسلْ إليهم الرُّسُل مُبشِّرين ومُنذِرين، فهذا ما احتشد في كتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس، كل ذلك مكنون بالآيات والشواهد على الخالق ووحدانيته، وتدبيره وتقديره وقدرته وعلمه.

ومع امتلاءِ الفطرة بالأشواق والهواتفِ إلى الاتصال ببارئها والإذعانِ له، والتّناسق والتّجاوب والتّجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦).

والنفس، ومع حكمة العقل الذي يملكُ أن يُحصيَ الشّواهد، ويستنبط النّتائج، ولكن الله سبحانه ممّا يعلم من عوامل الضّعف التي تطرأ على هذه القوى كلِّها، فتُبطِلُها، أو تُفْسِدها، أو تَطْمِسها، أو تُدخِلُ في حُكْمها الخطأ والشّطط، قد أعفى الناس من حُجِّية الكون، وحُجِّيّة الفطرة، وحُجِّية العقل، ما لم يُرْسِلْ إليهم الرُّسلَ، ليستنقذوا هذه الأجهزةَ كلّها، ممّا قد يدخل عليها، وليضبطوا بموازين الحقِّ الإلهي، الممثّل في الرِّسالة، هذه الأجهزةَ[١].

إنّ القرآنَ الكريمَ يثبتُ نبوّة داود وسليمان عليهما السلام، وقد خصّ الله تعالى سيدنا داود عليه السلام في الآيات من سورة النساء بذِكْرٍ خاصٍّ، فقال عز وجل: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ لمكانته عليه السلام، وإثبات نبوته بإتيانه الحِكْمَة المفسّرة بالنُّبوّة، في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

وذَكَر الله تعالى تفضيلَ سيدنا داود عليه السلام على بعض النّبيِّين إجمالاً: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]؛ وبتنكير زبوراً في الآية دلالةٌ على عظمته وتشريفه وتأثيره في النفوس، فإنّه قد وَرَدَ أن داود عليه السلام كان إذا جلس يقرأ الزّبورَ للوعظ والتذكير بآياته بكى واستبكى، واجتمع الجنُّ والإنس والطّيرُ والدّوابُّ والوحوش حوله[٢].

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦).

(٢) البداية والنهاية، (٢/ ١١).

**٢ ـ النّبيّ والرسول:**

**أ ـ النّبيُّ في الاصطلاح**: هو من بُعِثَ لتقرير شرعِ مَنْ قبلَه.

**ب ـ والرّسول في الاصطلاح**: هو من بُعِثَ بشرعٍ جديد[١].

ويقول الشوكاني رحمه الله:

ـ **الرّسول**: من بُعِثَ بشرعٍ وأُمر بتبليغه.

ـ **والنبيُّ**: مَنْ أُمر أن يدعوَ إلى شريعة مَنْ قبلَه، ولم يُنزَلْ عليه كتابٌ.

ولا بُدّ لهما جميعاً من المعجزةِ الظّاهرة[٢].

وقد استدلّ بعضُهم على الرُّسُل والأنبياء بالحديث المرويِّ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه في ذِكْر عدد الأنبياء والرُّسل، ونصُّه: «**مئة ألف وعشرون ألفاً**». قلت: يا رسول الله، كم الرُّسُل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمئة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً**» [٣] ولكنّ الحديثَ ضعيفٌ في إسناده[٤].

والصّحيحُ أن عدَدَ الرُّسُل والأنبياء لا يعلمه إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فالمرجعُ في ذلك يعودُ إلى ربِّ العالمين.

---

(١) روح المعاني، الآلوسي، (١٧/ ١٧٣).

(٢) فتح القدير، (٣/ ٣٦١).

(٣) صحيح ابن حبان، رقم: ٣٦١.

(٤) في سنده إبراهيم بن هشام الغساني: كذاب.

### ٣ ـ حقيقة النُّبوّة:

إن النُّبوّةَ اتصالٌ بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارةٌ بين الله تعالى وعباده، ودعوة من الرحمن الرحيم ـ تبارك وتعالى ـ لخَلْقه، ليخرجهم من الظُّلماتِ إلى النُّور، وينقلهم من ضِيْق الدُّنيا إلى سَعَة الدُّنيا والآخرة، فهي نعمةٌ مُهْداةٌ من الله تبارك وتعالى إلى عباده، وفَضْل إلهيٌّ يتفضّل به عليهم، وهذا في حقِّ المرسَل إليهم.

أما في حقِّ المرسَل نفسِه، فهي امتنانٌ من الله يمنُّ بها عليه، واصطفاء من الرّبِّ للرسول من بين سائر الناس، وهِبة ربّانيّة يختصُّه الله بها من بين الخلق كلِّهم. ولا تُنال النُّبوّةُ بعِلم، ولا رياضة، ولا تُدرَك بكثرة طاعةٍ وعبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو بإظمائها، وإنّما هي محضُ فضلٍ إلهيٍّ، واصطفاءٍ ربانيٍّ، فهو جل وعلا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

إن النُّبوّةَ لا تأتي باختيارِ النبيِّ، ولا تُنالُ بطلبه؛ وقد فَهم المشركون مسألة النبوة فهماً خاطئاً، فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فأجابهم الرّبُّ تبارك وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]؟!

فالله تعالى هو الذي يقسمُ ذلك، ويتفضّلُ به على مَنْ يشاء من الناس، ويصطفي مَنْ يشاء من عباده، ويختارُ من يشاء من خَلْقه، ما كانتِ الخيرةُ لأحد غيره، وما كان الاجتباءُ لأحد سواه[1].

---

(١) كتاب النبوات، ابن تيمية، (١/ ٢٠).

وإنّ الإيمانَ بالنُّبوّة هو الطّريقُ المؤدِّي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ ومحبّته، والمَسْلَكُ المفضي إلى رِضْوان الله وجنته، والسّبيل المؤدي إلى النّجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته[١].

**أ ـ الحِكْمَة من بَعْثِ الرُّسُل والأنبياء متعدِّدة الجوانب، متنوّعة الأهداف والرؤى، منها:**

ـ حاجة الخلق إليهم.

ـ دَعْوة الناس إلى عبادة الله.

ـ إقامة الحُجّة على البشر بإرسال الرُّسل.

ـ الأنبياءُ هم أدلاء الطّريقِ لمعرفة العقائدِ الغيبية.

ـ حاجة الخلق للقدوةِ الحسنة.

ـ إصلاحُ النفوس وتزكيتها.

ـ تحقيقُ غايات عُظمى ووظائف كُبرى.

ـ الاستفادةُ من سُنَن الله في الأفراد والشُّعوب والأمم والدول.

ـ تعليقُ القلوب والأرواح بالله تعالى، والسّير في موكبِ الأنبياء والمرسلين المبارك[٢].

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ٢٠).

(٢) إبراهيم خليل الله، علي الصلابي، ص ٨٨ ـ ٩٨.

**ب ـ خصائصُ الأنبياء والمرسلين :**

يمكن إجمالُ هذه الخصائص التي تفرّدوا بها عن سائر البشر فيما يأتي :

ـ اصطفاؤهم بالوحي والرِّسالة .

ـ العِصْمة .

ـ تنام أعينُهم ولا تنام قلوبُهم .

ـ تخييرهم عند الموت .

ـ يُدفن النّبيُّ حيث يموت .

ـ لا تأكلُ الأرضُ أجسادهم .

ـ أحياء في قبورهم .

ـ لا يُورَثون بعد موتهم .

ـ إعدادُ الله لهم وتهيئتهم لرسالاته .

وقد تمّ تفصيلُ كلِّ هذه الخصائص بأدلّتها الشّرعية في كتبي عن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

**٤ ـ الإيمان بالأنبياء والمرسلين أحدُ أركان الإيمان :**

يُعدُّ الإيمانُ بأنبياء الله ورُسُله ركناً عظيماً من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمانُ العبد حتى يُؤمِن بجميع الأنبياء، ويُصدِّق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشادهم، وإخراج النّاس من الظُّلمات إلى النور، وأنهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربِّهم البلاغَ المبين، فبلّغوا الرِّسالة، وأدّوا الأمانة، ونَصَحُوا أممهم، وجاهدُوا في الله حقِّ جهاده، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن السُّنة قولُ النّبيِّ ﷺ: «**الإيمان أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتُؤمِنَ بالبَعْث**» (١).

ولا يتمُّ الإيمانُ بأنبياء الله عزَّ وجلَّ حتى يُؤمِنَ العبدُ بجميع الأنبياء من غير حَصْرٍ، أي مَنْ قصّهم الله علينا ومَنْ لم يَقْصُصْهم، أي من عَرَفْناهم ومَن لم نعرفهم، فقد أخبرنا الله جلّ وعلا أن هناك أنبياء لم يَقْصُصْهم علينا، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

قال ابنُ تيمية: فنؤمنُ بمن سمّى الله في كتابه من رسله، ونُؤمِن بأن لله رسلًا وأنبياء سواهم، لا يعلمُ أسماءهم إلا الذي أرسلهم، ونُؤمِنُ بمحمد ﷺ، وإيمانك به غيرُ إيمانك بسائر الرُّسل، وإقرارك به وتصديقك إياه دائماً على ما جاء به، فإذا اتّبعتَ ما جاء به أدّيتَ الفرائض، وأحللتَ الحلالَ وحرّمتَ الحرامَ، ووقفتَ عند الشُّبُهات، وسارعتَ في الخيرات(٢).

وقال أيضاً: مَنْ أطاع رسولاً واحداً فقط فقد أطاع جميعَ الرُّسل، ومن آمن بواحدٍ منهم فقد آمن بالجميع، ومَنْ عصى واحداً منهم فقد عَصَى الجميعَ، ومن كذّب واحداً منهم فقد كذّب الجميع، لأن كلّ رسول يُصدّق

---

(١) صحيح البخاري، رقم: ٤٨.

(٢) مجموع الفتاوى، (٧/ ٣١٣).

الآخر، ويقول: إنّه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذّب رسولاً فقد كذّب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى مَنْ أمر بطاعته[١].

**٥ ـ الإسلامُ هو دينُ الأنبياء جميعاً:**

منذ أن أُهبطَ آدم عليه الصّلاة والسلام من الجنّة إلى الأرض، ودينُه الإسلام، ودعوتُه إلى الإسلام، الذي هو استسلامٌ لله عزَّ وجلَّ، وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له، ومِنْ ثَمّ استمرّ الإسلامُ في ذرِّيته عشرة قرون، حتى ظهر الشركُ أول ما ظهر في قوم نوح، فبعث الله نبيّه نوحاً عليه السلام بالإسلام، ثم بعثَ الأنبياءَ والرُّسلَ من بعدِه إلى أقوامهم، كلما ظهر الشرك وانطفأت أنوار الإسلام[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]:

إذاً، فَدِيْنُ الإسلام هو (توحيد الله)، وتاريخ الإسلام ومعناه العام وُجِدَ مع وجودِ الإنسان على هذه الأرض، وهو دينُ الأنبياء جميعاً. أما الإسلامُ بمعناه الخاص فهو الذي بُعِث به محمد ﷺ جامعاً فيه بين الإسلام العام ـ الذي هو التّوحيدُ ونَبْذُ الشرك ـ وبين الأحكام الشّرعية لهذه الأمة، حيث أحلّ لها الحلال، وحرّم عليها الحرام، ووَضَعَ عنها الإصرَ والأغلالَ التي كانت على مَنْ قبلها، فجاءت شريعةً كاملةً ميسَّرة، خاتمةً للشرائع، صالحةً

(١) المصدر نفسه، (١٩/ ١٨٠).

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، (٣/ ٤١).

لكلِّ زمان ومكان، وهذا معنى قوله ﷺ: «**إنّا أولى الناسِ بعيسى ابن مريم في الدُّنيا والآخرة، والأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ، أمهاتُهم شتّى ودينُهم واحدٌ**»(١).

حيث يُوضِّح الحديثُ أن الأنبياء كالأبناء لأمهاتٍ شتّى وأبٍ واحد، وذلك لاتِّفاقهم في التّوحيد، والإسلام، وأصول الإيمان، والأخلاق، واختلافهم في الشّرائع(٢).

إنّ الإسلامَ هو دينُ الله الخالد الذي لا يقبلُ الله سواه، وهو الذي فرضَهُ الله على البشر، منذ أنْ خَلَقَهم، جاء به آدم، ونوح، وإبراهيم، وسائرُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وتمّ برسالة خاتمِ النّبيِّين محمد ﷺ، فهو الدينُ الخاتم الذي يدعو إلى الوحدانية الخالصة التي لا يشوبُها أدنى شكّ.

وهو الدينُ الذي يشملُ العقائدَ الصّحيحة، والأحكامَ العامة التي لا تتغيّر بتغيُّر الزّمان أو المكان، أو بتغيُّر أحوالِ الناس في سلسلة حياتهم الإنسانية على وجه الأرض، مهما اختلفتْ ألوانهم، وأجناسهم، ولُغاتهم، ومهما تغيّرت مهمّتهم وحِرَفُهم وثقافتهم في الحياة الدنيا.

إن جميعَ الأنبياء والمرسلين قد بَعَثَهم الله بعقيدةِ الإسلام التي تتلاءم مع البشرية والإنسانية على مرِّ القرون والعصور مع اختلافِ البيئات، وتقلُّبات الزّمان، وتغيُّر عقلياتِ الناس قرناً بعد قرن، وجيلًا بعد جيل.

ولم يشأ الله تعالى بفَضْله ورحمته وكَرَمه أن يترك خَلْقَه في ظلمات الجهل، تَعبثُ بهم الأهواءُ، وتأخذهم الأغراضُ، فأرسل إليهم الأنبياءَ

---

(١) البخاري، رقم: ٣٤٤٣.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز الجليل، (٣/ ٤٢).

والمرسلين، على توالي القرونِ والعصور، يُبيِّنون لهم سبيلَ الرّشاد، ويمدُّونهم بالتعاليم التي تُقوِّي عزيمتهم، ويُزوِّدونهم بالأفكار الصّالحة التي يستطيعون أن يهتدوا بهداها، التي تساعدهم على التّمييز بين الظلام والنور، وبين الهداية والضّلال، وبين الطّريق المستقيم والطّريق المعوَجّ؛ الذي يؤدِّي إلى الهلاك، والقتل، والدمار[1].

**أ ـ نوح عليه السلام والرُّسل:**

قال تعالى على لسان النبيِّ نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

ففي قولِ نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، دليلٌ على أن الإسلامَ كان دينَ مَن كان قبله، وأنّ ما قاله نوحٌ هو عينُ ما قاله محمد ﷺ خاتم النّبيِّين، إذ قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

فقد أُمر خاتمُ النّبيِّين أن يكونَ من المسلمين، كالذين سبقوه من المؤمنين برسالة الدِّين الإسلاميّ، كنوح والنّبيّين من قبل نوح، والنّبيّين من بعد نوح، كما سنبيِّن بإذن الله.

**ب ـ إبراهيم عليه السلام كان ممّن حملَ رسالةَ الإسلام بعد نوح:**

قال تعالى بشأن النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

---

(١) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ٣١٨.

### ج ـ إسماعيل عليه السلام يحملُ رسالةَ الإسلام مع أبيه إبراهيم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨].

### د ـ دين لوط عليه السلام هو الإسلام:

ذكر الله تعالى أنّ لوطاً عليه السلام آمن بالإسلام الذي آمن به إبراهيمُ، قال تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وصرّح الله تعالى بأن لوطاً من المؤمنين وأنّ دينَهُ هو الإسلامُ، وذلك في قوله تعالى حين ذَكَرَ إهلاكَ قريته: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].

### هـ ـ إسحاق ويعقوب والأسباط مسلمون:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

### و ـ يوسف عليه السلام كان مسلماً:

كان يوسف عليه السلام مسلماً يدعو ربّه أن يميته على الإسلام، قال تعالى: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

**ز ـ موسى عليه السلام يدعو قومَهُ إلى الإسلام:**

وكان موسى عليه السلام يعتنقُ الإسلامَ، ويدعو قومه إليه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقد بيّن الله أن سحرةَ فرعون آمنوا برسالة الإسلام التي جاء بها موسى عليه السلام، إذ قالوا لفرعون حين هدّدهم بالقتل: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ ـ ١٢٦].

**ح ـ أنبياء بني إسرائيل يدعُونَ إلى الإسلام:**

ذكر الله عزَّ وجلَّ أنبياءَ بني إسرائيل، وذَكَرَ أنّهم يدينون بالإسلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وتُبيِّن الآيةُ الكريمةُ أن الرّبانيين والأحبارَ كانوا كذلك مسلمين.

**ط ـ داود وسليمان يدعوانِ إلى الإسلام:**

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

ثم ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى أن سليمانَ عليه السلام بَعَثَ إلى أهل اليمن

يدعوهم إلى الإسلام، دينِ التّوحيدِ الخالص، وذلك في رسالةٍ أرسلها إلى ملكتهم ملكة سَبأ إذ كانت هي وقومها: ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وأخبر الله تعالى أن بلقيسَ ملكة سبأ تلتْ هذه الدّعوةَ على قومها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١].

وذَكَرَ الله تعالى أن ملكة سبأ اعتنقتِ الإسلامَ، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

**ي ـ المسيحُ عيسى ابن مريم يدعو إلى اعتناقِ الإسلام:**

أرسل الله تعالى المسيحَ عيسى ابن مريم عليه السلام برسالةِ الإسلام، فكان يدعو قومَهُ إلى اعتناق هذا الدين المؤسّس على الاعترافِ بالخالق ووحدانيته، قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وذكر الله تعالى أنه هو الذي أوحى إلى الحواريِّين باعتناقِ الإسلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وبطبيعة الحال ظلّ الحواريُّون يدعون الناسَ إلى الإسلام بعد المسيح، فآمن منهم مَنْ آمن، وكَفَرَ مَن كفر، وبقي المؤمنون منهم معتنقين الإسلامَ موحِّدين الله الذي لا إله إلا هو، لا يحيدون عن دِينِ التّوحيد الحقيقي،

يتوارثون هذه العقيدةَ الصّحيحةَ جيلًا بعد جيل، حتى أدركوا زمنَ خاتمِ النّبيِّين[1].

**ك ـ استمرارُ الإسلام حتى نزولِ القرآنِ الكريم:**

إنّ استمرارَ الإسلامِ حتى نزولِ القرآنِ الكريم، وبقاء قومٍ يُؤمِنون بالدِّين الذي اعتنقه المسيحُ من قبل والحواريُّون ودعوا إليه، واستمرار ذلك حتى الزمن الذي بدأتْ به دعوةُ خاتم النّبيِّين؛ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٣].

**ل ـ سيدنا محمدٌ ﷺ يدعو إلى الإسلام:**

نزل القرآنُ الكريمُ على الرّسولِ محمد ﷺ حاملِ رسالة الإسلام، فكان هو أول مَنْ آمن به، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان، وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالرّسولُ الكريم ﷺ كان أولَ المسلمين بالنّسبة للوقت الذي كُلِّف فيه بحملِ رسالةِ الإسلام، وإلا فهو بالنّسبة لاعتناق الإسلام على وجهٍ عامّ ليس بسابقٍ للنبيين والمرسلين في اعتناقه، فقد نطق باللفظ نفسه الذي نطقَ به نوحٌ عليه السلام من قبلُ كما قدّمنا، وقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

---

(١) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ٣٢٣.

فالإسلامُ هو دينُ الله الذي فَرَضَه تعالى على الجنس البشري، منذ أن خُلقَ الإنسانُ على وجهِ الأرض إلى أن يرثَ الله الأرضَ ومَنْ عليها، ولهذا يقولُ الله جلّ شأنه لخاتم النّبيِّين: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ولفظُ الإسلام هو اللفظُ الذي يضمُّ بين طيّاته جميعَ العقائد التي أتى بها المُرسَلُون والنّبيون عَبْرَ التّاريخ، ومن نِعَمِ الله على البشر أن أرسلَ إليهم الرُّسُلَ متعاقبين ومتواترين، يحملُون رسالةَ الإسلام، ويُذكِّرون الناسَ بدينهم قرناً بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] (١).

إنّ داود وسليمان عليهما السلام ينتمون إلى موكبِ الأنبياء والمرسلين، وإنّ ديانةَ موسى وهارون عليهما السلام، ومَنْ سبقهم من الأنبياء والمرسلين، ومَنْ جاء بعدهم، هي الإسلامُ، ديانة التّوحيد، ومحاربة الشرك، وإفراد الله بالعبودية.

إنّ ما جاء في القرآن عن داود وسليمان عليهما السلام، يبيِّن لنا أنهما من الأنبياء الملوك العظماء، ويُوضِّح لنا الأكاذيبَ التي نُسجتْ حولهم في الكُتب المزوّرة، التي نَسبتْ إليهم كثيراً ممّا لا يليق بالأنبياء وعصمتهم. وأما الرُّؤيةُ القرآنيةُ الصّادقةُ التي حَفِظها الله تعالى لقصّة هذين النّبيّين فهي

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

تفنِّدُ الأكاذيب، وتعرض الحقائق، وتدفعُ الزّبَد بعيداً، ليبقى ما ينفعُ الناس، وتفيض ثناءً على سيرتهما الجليلة العظيمة.

إن القرآنَ الكريم هو المرجعيةُ الحقيقية لقصة داود وسليمان عليهما السلام، وممالكهم العظيمة التي حكمتْ بشرع الله، وقِيَم العدل والحق والإنْصاف، والتّمكين لدِيْن الله تعالى في الأرض، ومساعدة النّاس على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

**٦ ـ الزّبورُ الذي أُنزل على داود عليه السلام:**

**الزّبور**: هو كتابُ داود عليه السلام، أوحاه الله تعالى إليه(١)، وعلّمه إيّاه، وقد أشار القرآنُ الكريم إلى ذلك في مواضع، منها:

**الموضع الأول**: قوله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد تأخّر ذِكْرُ داود عليه السلام، وذلك لتشريفه بذِكْر كتابه، وإبرازه في جملةٍ مستقلةٍ له ولكتابه، فما فاته من التقديم اللّفظي حصل به التّضعيفُ من التشريف المعنوي(٢).

وذُكر بهذا اللفظ: ﴿وَءَاتَيۡنَا﴾، ولم يُعْطَفْ على ما قبله، فيُفيدُ مُطلقَ الوحي؛ لأنّ لزبورِ داود شأناً خاصّاً في كُتُب الوحي، وعند أهل الكتاب،

---

(١) البحر المحيط، (٤/ ١٣٧)؛ تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٦٩).

(٢) البحر المحيط، (٤/ ١٣٧).

وهو مع هذه الفائدة موافقٌ لنسقِ الفواصل، فائتلف له اللفظُ مع المعنى فصاحةً وبلاغةً وحُسْناً[١].

**والموضع الثّاني**: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

**والمعنى**: وآتينا داودَ عليه السلام الكتابَ المسمّى (زبوراً)، أي: على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود عليه السلام، كما سُمِّي الكتابُ الذي أوتيه موسى عليه السلام (التّوراة)، والذي أوتيه عيسى عليه السلام (الإنجيل)، والذي أُوتيه محمد ﷺ (القرآن)؛ لأن ذلك هو الاسمُ المعروفُ، وإنّما تقولُ العربُ: زبور داود عليه السلام، وبذلك تعرفُ كتابَهُ سائرُ الأمم[٢].

ـ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ تنبيهاً على أن التفضيلَ الذي ذَكَره قبل ذلك هو التفضيل بالعلمِ والدِّين، لا بالملك والمال، حيث كان لداود عليه السّلام مُلْكٌ عظيمٌ[٣].

**والموضع الثّالث**: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

تُبيِّن الآيةُ الكريمةُ أن الله يمنحُ الأرضَ لقوم باعتبارهم مؤمنين صالحين عابدين، فإذا تخلّوا عن الإيمان والصّلاح والعبادة، فإنّ الله ينزعُ منهم

(١) تفسير المنار، (٦/ ٤٧).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٩/ ٤٠٢).
(٣) الزبور في المصادر الإسلامية، د. صلاح الباجوري، ص ٣٦٠.

الأرضَ، ويمنحُها لغيرهم من العابدين، وهذه سُنّة ربانيّة تاريخية مُطّردة حول تملُّك الأرض، ووراثتها، والاستخلاف فيها، وقد انطبقتْ هذه السُّنّة الرّبانيةُ على اليهود لما كانوا إسرائيليين مؤمنين، وكانت خلافتُهم إيمانيةً على يد داود ثم سليمان عليهما الصّلاة والسلام.

ولما تخلّى بنو إسرائيلَ عن الإيمان بعد ذلك، وكفروا، وطَغَوا، وظلموا، وبَغَوْا، وقتلوا الأنبياء، وكذّبوا بالحق، انتزعَ الله الأرضَ المقدّسة منهم، وفقدوا وراثتهم الإيمانية لها، لفقدانهم شرطَ الوراثة، وأخرجهم الله من الأرض المقدّسة، ومزّقهم كلّ مُمزّق، وأنزل بهم لعنته وغضبه.

وقد أخبرنا الله عن هذا العقاب في القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٧ ـ ١٦٨]:

**أ ـ الزّبورُ بين التّوراة والإنجيل:**

الزّبورُ هو الكتابُ الثّاني المنزل على (بني إسرائيل) ضمن ثلاثةِ كتبٍ مقدّسة، هي:

ـ **التّوراة**: أنزلها الله على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: ٢].

ـ **الزّبور**: أنزله الله على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

ـ **الإنجيل**: أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

**ب ـ سَبَبُ التّسمية:**

وردتْ في سبب تسميةِ الزّبور أقوال، تناقلها أهلُ العلم، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

ـ سُمِّي الزّبورُ زبوراً لغلظِ كتابته.

ـ لكثرة ما فيه من الزّواجرِ والمواعظ.

ـ لاقتصارِه على الحِكَم.

ـ لأنه نزل من السّماء مَسْطوراً، أي: مكتوباً[١].

**ج ـ محتوى الزّبور:**

ـ يقول البغويُّ رحمه الله: الزّبور كتابٌ علّمه الله داود عليه السلام، ويشتملُ على مئة وخمسين سورة، كلّها دعاء، وتمجيد، وثناء على الله، وليس فيها حرام، ولا حلال، ولا فرائض، ولا حدود[٢].

ـ ويقول الرّازيُّ رحمه الله: الزّبورُ ليس فيه شيءٌ من الشّرائعِ والأحكامِ، بل ليس فيه إلا المواعظُ[٣].

---

(١) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٧١ ـ ٣٧٣.

(٢) تفسير البغوي، (٣/ ١٣٩).

(٣) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٨١ ـ ٣٨٥.

وقد ذَكَر ذلك القرطبيُّ، وأبو حَيّان الأندلسي، والشّوكاني، والسُّيوطي، والبدر العيني، والطّاهر بن عاشور وغيرهم رحمهم الله.

فهذه النقول مجملُ ما ذَكَره العلماء حول محتوى الزّبور، وهي تكادُ تُجْمِعُ على خُلوِّه من الشّرائعِ والأحكامِ، وربّما كان السّبب وراء هذا التّصوُّر: أن شريعةَ داود عليه السلام هي بعينها شريعةُ التّوراة.

ويقول ابنُ تيمية رحمه الله: وأما الزّبورُ فإن داود لم يأتِ بغير شريعةِ التّوراة.

ويرى بعضُ العلماء أن خُلوّ الزّبور ـ تماماً ـ من الشّرائع والأحكام مسألةٌ تحتاجُ إلى نظر، ذلك أن نصوصَ الزّبور، التي وقف عليه علماءُ المسلمين في زمنهم، ووثقوا بما فيها تشتملُ على آياتٍ صريحةٍ من الأمر والنهي، وآيات أخرى يُفْهَمُ منها الأمر والنّهي، وإن جاءت في صورةِ توجيهاتٍ ومواعظ، وممّن فَطِنَ إلى هذا من المتأخِّرين: الآلوسي فقد نقل عن قتادة قوله: كنا نتحدّث أن الزّبور دعاءٌ عُلِّمه داود عليه السلام، وتحميدٌ لله عزَّ وجلَّ، وليس فيه حلالٌ ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، ثم قال: والذي تدلُّ عليه بعضُ الآثار اشتماله على بعض النواهي والأوامر[1].

**د ـ الزّبور في المصادر الإسلامية جمعاً ودراسة:**

هذا العنوان (الزّبور في المصادر الإسلامية) للدكتور صلاح محمود الباجوري، من أفضل ما كُتب في هذا الباب على حسب اطِّلاعي، وقد خرج الباحثُ بنتائج مهمّة، منها:

---

(١) روح المعاني، (٨/ ٩٢)، الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٨٦.

* نزل الزّبور ـ كما نزلتِ الكتبُ السّماوية قبله ـ جملةً واحدةً، واختصّ القرآنُ الكريم بنزوله مُنجّماً مفرّقاً.

* نزل الزّبور ـ كما نزلتْ جميعُ الكتب السماوية المعروفة لنا ـ في شهر رمضان.

* الغالبُ على الزّبور اشتمالُه على الحِكَم والمواعِظ، ودعاء الله تعالى، والثّناء عليه، مع اشتماله أيضاً على الأوامر، والنواهي، والأحكام التي تأتي أحياناً صراحة، وأحياناً أخرى ضِمْناً، وفي سياق وعظي.

* تناولتْ نصوصُ الزّبور ـ التي وصلتْ إلى علماء المسلمين، ودوّنوها في مصادرهم ـ موضوعات مختلفة، منها: البِشارة بالنّبي محمد ﷺ، وذِكْر أسمائه، وصفاته الخُلقية والخَلْقية، وشمائله، ومكانته بين الأنبياء وشريعته، وتأييد الله له، ووصف أمّته، وخصائصها، وتفضيلها على الأمم، والدّعوة إلى التّحلّي بالمكارم، والتّخلّي عن الرّذائل؛ أوامر، ونواهٍ، وحكم، وأمثال، ومواعظ.

* لم يأتِ داود عليه السلام بشريعةٍ تخالفُ التّوراة.

* لا توجدُ نسخةٌ كاملةٌ للزّبور باقية بين المصادر الإسلامية المعروفة لنا، والموجودُ منها فقرات متناثرة، تتفاوت طولاً وقصراً.

* هناك تباينٌ واضحٌ بين نصوص (المزامير) التي يتداولها أهلُ الكتاب، وبين نصوص (الزّبور) التي وَقَفَ عليها علماءُ المسلمين، ولعلّ هذا الاختلافَ راجعٌ إلى تفاوتِ التّرجمات، أو بسببِ تحريفِ أهل الكتاب لأسفارهم، كمحاولةٍ منهم لطمسِ الحقّ الوارد بالبشارةِ بالنبي محمد ﷺ.

* جَمَعَ الله تعالى للنبيِّ محمد ﷺ في القرآن الكريم محاسنَ ما في الكتبِ السّابقة عليه(١).

**هـ ـ متى أُنزل الزّبورُ على داود عليه السلام:**

وَرَدَ من حديث واثِلة بن الأَسْقَع رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ قال: «**أُنزلت صحفُ إبراهيم أولَ ليلةٍ من رمضان، وأُنزلتِ التّوراةُ لستّ مضتْ من رمضان، وأُنزل الإنجيلُ لثلاث عشرة مضتْ من رمضان، وأُنزل الزّبور لثماني عشرة خَلَتْ من رمضان، وأُنزل القرآنُ لأربع وعشرين خَلَتْ من رمضان**» (٢).

**و ـ الأمرُ بالمعروف والنّهيُ عن المنكر:**

كان من أهدافِ دولة داود عليه السلام الأمرُ بالمعروف والنّهيُ عن المنكر، وكان ينهجُ مع الظّلَمة والفَسَقة والعصاة منهجاً شديداً، يُظهرُ فيه معالمَ القوة والرّدْع(٣). قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وكانت هذه سياسة من سياسات الحُكْم عند داود عليه السلام، لِيْن ومواساة وحنان مع المظلومين، وشدّة وقوة وبأس مع الفسقة والعُصاة(٤).

---

(١) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨.
(٢) الأحاديث الصَّحيحة، إبراهيم صالح العلي، ص ١٧٧.
(٣) شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، ص ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

ـ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨] أي: طُرِدوا وأُبْعِدُوا من رحمة الله.

ـ ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾؛ أي: بشهادتهما وإقرارِهما بأنّ الحُجّة قد قامتْ عليهم، وعاندُوها.

ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكُفْر واللّعْن.

ـ ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾؛ أي: بعِصْيانهم الله، وظُلْمُهم لعباد الله صار سبباً لكفرهم، وبُعْدِهم عن رحمة الله، فإنّ للذُّنوبِ والظُّلم عقوباتٍ[1].

**٧ ـ فوائدُ السّعدي من قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة (ص):**

تعدّدتِ الفوائدُ والحِكَمُ في قصّة داود وسليمان عليهما السلام، ومن تلك الفوائد والحِكَم:

ـ أن الله تعالى يقصُّ على نبيِّه محمد ﷺ أخبارَ مَنْ قبله، ليثبِّتَ فؤاده، وتطمئِنّ نفسُه، ويَذكر له من عباداتهم وشدّةِ صبرهم وإنابتهم ما يُشوِّقُه إلى منافستهم في التّقرُّب إلى الله، والصّبر على أذى قومه، ولهذا ـ في هذا الموضع ـ لما ذَكَر الله ما ذكر من أذية قومه، وكلامهم فيه، وفيما جاء به، أمره بالصّبر، وأن يذكر النبيَّ داود فيتسلّى به.

---

(١) تفسير السعدي، ص ٢٨٣.

ـ أن الله تعالى يمدح ويحبُّ القوةَ في طاعته، قُوّةَ القلب والبدن، فإنّه يحصلُ منها من آثار الطّاعة وحُسْنها وكثرتها ما لا يحصلُ مع الوَهْن والضّعف، وأن العبدَ ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الرُّكون إلى الكسل والبطالة المخِلّة بالقوى، المضْعِفَةِ للنفس.

ـ أن الرجوعَ إلى الله في جميع الأمور من أوصاف أنبياء الله، وخواصّ خَلْقه، كما أثنى الله على داود وسليمان عليهما السلام بذلك، فلْيقتدِ بهما المقتدون، ولْيهتدِ بهداهما السّالكون، قال عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ـ ما أكرم الله به نبيّه داود عليه السلام، من حُسْن الصوت العظيم، الذي جعلَ اللهُ الجبالَ الصُّمّ، والطُّيورَ البُهْم، يجاوِبْنَه إذا رجّع صوته بالتّسبيح، ويُسبِّحنَ معه بالعَشِيِّ والإشراق.

ـ أن من أكبر نِعَم الله على عبده أن يرزقَه العلمَ النافع، ويُعرِّفَهُ الحُكْم والفَصْل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.

ـ اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقعُ منهم بعضُ الخلل بفتنته إياهم، وابتلائهم بما به يزولُ عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.

ـ أنّ الأنبياءَ صلوات الله وسلامه عليهم معصومُون من الخطأ فيما يُبلِّغون عن الله تعالى، لأنّ مقصودَ الرِّسالةِ لا يحصلُ إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعضُ مقتضياتِ الطّبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركُهم ويبادرُهم بلُطْفِه.

ـ أن داودَ عليه السلام، كان في أغلبِ أحواله ملازماً محرابَه لطاعة ربِّه، ولهذا تسوّر الخصمانِ عليه المحرابَ؛ لأنه كان إذا خَلا في محرابِه لا يأتيه أحد، فلم يجعلْ كلّ وقته للناس، مع كثرة ما يردُ عليه من الأحكام، بل جعلَ له وقتاً يخلو فيه بربِّه، وتقرُّ عينه بعبادته، وتُعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ـ أنه ينبغي استعمالُ الأدب في الدُّخولِ على الحُكّام وغيرهم، فإنّ الخصْمَيْن لما دَخَلا على داود عليه السلام في حالةٍ غير معتادة، ومن غير الباب المعهود، فزع منهما، واشتدّ عليه ذلك، ورآه غيرَ لائقٍ بالحال.

ـ أنه لا يَمنعُ الحاكمَ من الحُكْم بالحقِّ سوءُ أدبِ الخصم وفِعْله ما لا ينبغي.

ـ كمالُ حلمِ داود عليه السلام، فإنّه ما غَضِبَ عليهما حين جاءاه بغير استئذانٍ، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبّخهما.

ـ جوازُ قول المظلوم لمن ظلمه: «أنت ظلمتني» أو «يا ظالم»، أو «باغٍ عليّ» ونحو ذلك؛ لقولهما: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

ـ أن الموعوظَ والمنصوحَ، ولو كان كبيرَ القدر، جليلَ العلم، إذا نصحه أحدٌ، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمئِزّ، بل يبادره بالقَبُول والشُّكْر، فإن الخصْمَيْن نَصَحا داود عليه السلام فلم يشمئِزّ، ولم يغضبْ، ولم يثنِهِ ذلك عن الحقِّ، بل حكم بالحقِّ الصِّرْف.

ـ أن المخالطةَ بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعليقات الدُّنْيوية

المالية، موجِبةٌ للتعدِّي بينهم، وبغيُ بعضِهم على بعض، وأنه لا يردُّ عن ذلك إلا الاعتصام بتقوى الله، والصّبر على الأمور بالإيمان والعمل الصّالح.

ـ أنّ الاستغفارَ والعبادةَ، خصوصاً الصّلاة، من مُكفِّراتِ الذُّنوب، فإن الله رتّب مغفرةَ ذنبِ داود عليه السلام على استغفاره وسُجُوده.

ـ إكرامُ الله لعبده داود وسليمان عليهما السلام بالقُرب منه وحُسْن الثواب، فلا يظنُّ أن ما جرى لهما مُنقصٌ لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لُطْفِه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم، وأزال أثرَ ذنوبهم، أزال الآثارَ المترتِّبة عليها كلها، حتى ما يقعُ في قلوب الخلق، فإنّهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وَقَعَ في قلوبهم نزولهم عن دَرَجَتِهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيزٍ على الكريمِ الغفار.

ـ أن الحُكْمَ بين الناس مرتبةٌ دينية، تولاها رسلُ الله وخواصُّ خَلْقه، وأن وظيفةَ القائم بها الحُكْمُ بالحق ومجانبة الهوى، فالحُكْمُ بالحقِّ يقتضي العلمَ بالأمور الشّرعية، والعلمَ بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحُكْم الشّرعي، فالجاهلُ بأحد الأمرين لا يَصلحُ للحُكْم، ولا يحلُّ له الإقدامُ عليه.

ـ أنه ينبغي للحاكم أن يحذرَ الهوى، ويجعلَه منه على بالٍ، فإن النفوسَ لا تخلو منه، بل يجاهدُ نفسَه بأن يكونَ الحقُّ مقصودَهُ، وأن يُلقي عنه وقت الحُكْم كلّ محبةٍ أو بُغضٍ لأحد الخصْمَيْن.

ـ أن سُليمانَ عليه السلام من فضائل داود عليه السلام، ومن مِنَنِ الله عليه، حيث وَهَبه له، وأن مِنْ أكبر نِعَمِ الله على عبده أن يهبَ له ولداً صالحاً، فإن كان عالماً كان نوراً على نور.

ـ ثناء الله تعالى على سُليمان ومدحه في قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

ـ كثرةُ خيرِ الله وبرِّه بعبيده، أن يمنّ عليهم بصالحِ الأعمال ومكارمِ الأخلاق، ثم يُثني عليهم بها، وهو المتفضِّلُ الوهّاب.

ـ تقديمُ سليمان محبّةَ الله تعالى على محبّةِ كلِّ شيء.

ـ أن كلّ ما أشغل العبدَ عن الله، فإنّه مشؤومٌ مذموم، فليفارقْه وليُقْبِلْ على ما هو أنفعُ له.

ـ تسخير الرِّيح الرُّخاء اللينة لسليمان عليه السلام، التي تجري بأمره إلى حيثُ أراد وقصد، غدوّها شهر، ورواحُها شَهْر.

ـ تسخير الشّياطين، وأنّ ذلك لا يكونُ لأحدٍ بعد سليمان عليه السلام.

ـ أن سليمانَ عليه السلام، كان مَلكاً نبياً، يفعلُ ما أراد، ولكنه لا يريدُ إلا العدل، بخلافِ النّبيِّ العبد، فإنّه تكونُ إرادته تابعةً لأمر الله، فلا يفعلُ ولا يتركُ إلا بالأمر، كحالِ نبينا محمد ﷺ، وهذه الحالُ أكمل[1].

**٨ ـ الردُّ على الأخطاء التي نُسِبَتْ إلى داود عليه السلام في الأسفار اليهودية:**

بالقراءةِ المتأنيةِ للأسفار اليهودية نجدُها مليئةً بالكذب والافتراء على

(١) تفسير السعدي، ص ٩٥٨.

الأنبياء عليهم السّلام، وتصفهم بأقبح الشُّرور والآثام، ومن الأنبياء المفترى عليهم سيدنا داود عليه السلام، فقد وُصِف بالقتل والزنى في أسفارهم[١]. ويظهرُ أن واضعي أسفار العهد القديم مُصمِّمون على تلطيخِ شرف داود عليه السّلام الذي جمع الله له النُّبوّة والملك معاً، ذلك أنهم وَصَمُوه بأحطِّ الأوصاف؛ حيث لم يكتفُوا باتِّهامه بأنه سليلُ زنى، بل صوّروا بيتَهُ على أنه بيت زنى وفسوق ودعارة وفجور، لا بيت نبوّة وحُكْم ومُلْك[٢].

وردّ على ذلك منصورُ بن راشد التّميمي رحمه الله، وغيره من العلماء، وبيّنوا تناقضَ التّوراة المحرّفة نفسها، ففي حين وصفتْ داود عليه السّلام بأبشعِ الجرائم نراها تتحدّث عن إخلاصِه لربِّه واتِّباعه الكامل له، وهكذا تظهرُ المتناقضات[٣] في كُتُبِهم. إنّنا بيّنا مقامَ النُّبوّة وبأن داود عليه السلام من أنبياء الله المعصُومِيْن، وبأن ما نُسِبَ إليه من الكبائر أكاذيبُ وأباطيل، وأنّ مَنْ وَضَعَ تلك السُّموم في العهدِ القديم حاول رَسْمَ صورةٍ مشوهة لنبيِّ الله داود عليه السلام وغيره من الأنبياء، حتى ينعدم الإحساسُ بالذنب لدى النّاس، ويتشجّعوا على اقترافِ المنكرات، والفواحش، والذُّنوب، والمعاصي.

إنّ القرآنَ الكريم وصف داود عليه السلام بالإيمان بالله، وشَرّفه الله عزَّ وجلَّ بالعبادة، وأثنى عليه بالصّبر، والشّجاعة، والحِكْمَة، والحُكْم بالحق، والاستغراق الكبير في تسبيح الله وحمده، والثّناء عليه، وذكْره في

(١) داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية، ص ٢٧٩.
(٢) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، ص ٢٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

موكبِ الأنبياء والمرسلين، وآتاه الله الزّبور، وشدّ الله مُلْكَهُ الذي كان في طاعةِ الله، واشتهر بالصِّيام والقيام والشكر لله عزَّ وجلَّ بالجوارح واللسان والقلب، إلى غير ذلك من الصِّفات النّبيلة، والأخلاق الكريمة، والمُثل الحميدة.

**٩ ـ وفاة داود عليه السلام:**

كان داود عليه السلام هو المقتدَى به في ذلك الزّمان في العدل وكثرة العبادة وأنواع القُربات، وصدرت عنه حِكَمٌ ذَكَرها الحافظُ ابنُ عساكر في ترجمته(١).

وكان عُمر داود عليه السلام ستين سنة، وزاده آدم عليه السلام من عمره أربعين، فبلغ عمره مئة سنة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسولُ الله ﷺ: «**لما خلق اللهُ آدمَ مَسَحَ ظهرَهُ، فسقط من ظهره كلُّ نَسَمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جَعَلَ بين عيني كلِّ إنسان منهم وَبِيْصاً من نور، ثم عَرَضَهم على آدم، فقال: أيْ ربِّ مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذُرِّيّتكَ. فرأى رجلاً منهم أعجبه نورُ ما بين عينيه، فقال: أيْ ربِّ من هذا؟ قال: رجل من ذرِّيتك في آخر الأمم، يقال له داود. فقال: أيْ ربِّ كم عمره؟ قال: ستون سنة. قال: فزِدْهُ من عُمري أربعين سنة، قال: إذاً يُكتب ويُختم ولا يُبدّل، فلما انقضى عمرُ آدم جاء ملكُ الموت، فقال: أولم يبقَ من عمري أربعين سنة؟! قال: أولم تُعْطِها ابنَكَ داود؟ فجحدَ، فجحدَتْ ذرِّيتُه، ونسي آدمُ، فنسيت ذرِّيتُه، وأخطأ آدمُ فأخطأتْ ذرِّيتُه**»(٢).

---

(١) صحيح قصص الأنبياء، ص ٣٩٣.

(٢) سنن الترمذي، رقم: ٣٠٧٦، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد اجتمع لداود عليه السلام النُّبوّةُ والملكُ، وحَبَاه الله من النِّعم أشرفَها، ومن الفَضْل والتّوقير الشيء الكثير، وقد تحدّثَ القرآنُ عن ذلك في آياتٍ عدّة[١].

وقد دُفن حيث مات، وقد حدّث أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أنه سمعَ رسولُ الله ﷺ يقول: «**ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِن حيثُ قُبِض**»، وفي رواية: «**ما مات نبيٌّ إلا دُفِن حيث قُبِض**» [٢].

وقد بيّن رسولُ الله ﷺ كيفية وفاة داود عليه السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان داود النّبيُّ فيه غيرةٌ شديدة، وكان إذا خرجَ أُغلقت الأبوابُ، فلم يدخلْ على أهله أحدٌ حتى يرجع**»، قال: «**فخرج ذاتَ يوم، وأُغلقت الدّارُ، فأقبلتِ امرأته تَطلعُ إلى الدّار، فإذا رجلٌ قائمٌ وسطَ الدّار، فقالت لمن في البيت: مِنْ أين دَخَلَ هذا الرّجلُ الدّارَ، والدارُ مُغلقةٌ، واللهِ لَتفتضحنّ بداود؟! فجاء داود فإذا الرّجلُ قائمٌ وسطَ الدّار، فقال له داود: مَنْ أنت؟ قال: أنا الذي لا أهابُ الملوك، ولا يمتنعُ منِّي الحُجّاب، فقال داود: أنتَ والله إذاً ملكُ الموت، مرحباً بأمر الله، فرمل داود مكانه، حيث قُبِضَتْ روحُه حتى فرغ من شأنه، وطلعتْ عليه الشّمسُ، فقال سليمانُ للطّير: أظلِّي على داود، فأظلّتْ عليه الطّيرُ حتى أظلمتْ عليهم الأرضُ، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً**» قال أبو هريرة: يُرينا

(١) مقارنة الأديان، أحمد شلبي. (١/ ١٥٥).

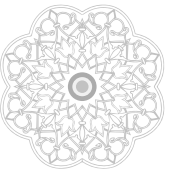
(٢) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، (٣/ ٧٩).

رسولُ الله ﷺ كيف فعلتِ الطّير، وقبضَ رسولُ الله ﷺ يده، وغلبتْ عليه يومئذٍ المصرحيّة[1]. والمصرحيّة: الصُّقورُ طويلةُ الأجنحةِ.

يؤكِّد هذا الحديثُ حقيقةَ تخيير الأنبياء عند قبضهم، وعندما يُخيّرون يختارون لقاءَ الله، فيقبض اللهُ أرواحَهم. ومرّ معنا من قبلُ في كتابي: «**موسى عليه السلام كليم الله عدوّ المستكبرين وقائد المُستضعَفين**» تخيير الله لموسى عند موته، وهذا الحديثُ يبيِّن لنا رسولُ الله ﷺ فيه قصّةَ تخيير داود عليه السلام عند موته، وقد جاءت قصّة داود عليه السلام مفصّلة أكثر من غيرها في سورة (ص).

* * *

(١) مسند أحمد، (٢/ ٤١٩)، وانظر: الأحاديث الصَّحيحة، رقم: ٢٥٦.



# المبحث الثالث

## قِصّةُ داود وسليمان عليهما السّلام في سورة النمل

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ

فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ
أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ
وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ
إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ
أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ
مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ
إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ
تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا
وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي
ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ١٥ ـ ٤٤].

**تفسير الآيات الكريمة:**

ذُكِرَ سُليمانُ عليه السلام في القرآن الكريم سبعَ عشرةَ مرة:

- في سورة البقرة مرتين.
- وفي سورة النساء مرة.
- وفي سورة الأنعام مرة.

- وفي سورة الأنبياء ثلاث مرات.
- وفي سورة النمل سبع مرات.
- وفي سورة سبأ مرة.
- وفي سورة (ص) مرتين.

أشارتْ سورةُ البقرة إلى افتراءاتِ اليهود على سليمان عليه السلام بعد وفاته، ومَزاعِمهم حول السِّحر والسّحَرة والشّياطين، وذَكَرتْ قصّةَ الملكين هاروت وماروت.

أما سورةُ النساء فقد ذَكَرت اسمَ سليمان عليه السلام ضِمْنَ مجموعةٍ من الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

وكذلك سورةُ الأنعام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ كُلّٗا هَدَيۡنَاۖ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وفي سورة الأنبياء وردتْ إشارةٌ إلى سليمان في تَفْهِيم الله له الحُكْمَ، واستدراكه على حُكْم أبيه داود عليهما السلام، وإشارة إلى بعض ما أنعم الله به على سُليمان من تسخير الرِّيح والشّياطين، سيأتي شرحها بالتّفصيل لاحقاً بإذن الله تعالى.

وقد تحدّثت سورةُ سبأ عن سليمان بعد حديثها عن أبيه داود عليهما السلام، حيث أشارتْ إلى الرِّيحِ التي سخّرها الله له، وإلى النحاس الذي

أسالَهُ الله له، وإلى الجِنِّ الذي بين يديه، وإلى بعضِ المصنُوعات النحاسيّةِ العظيمةِ التي يصنعُها الجنُّ له، ثم أشارتِ الآياتُ إلى وفاةِ سليمانَ عليه السلام بطريقةٍ عجيبةٍ، جَعَلَها الله عبرةً للجنِّ، سيأتي الحديثُ عنها بإذنِ الله تعالى.

وأما سورةُ (ص) فقد تحدّثنا عنها بالتّفصيل بِفَضْل الله، وتوفيقه.

ووردتْ أطولُ مشاهد قصّة سليمان في سورة النّمل[١].

**ـ لماذا سُمِّيتْ سورةُ النّمل بهذا الاسم؟**

سُمِّيَت سورةُ النّمل لإيرادِ قصّة وادي النّمل فيها، ونصيحة نملةٍ منها بقيّةَ النّمل بدخولِ البيوت، حتى لا يتعرّضَ للدهسِ من قِبل سليمان عليه السلام وجنوده دون قَصْد، ففهم سليمانُ؛ الذي تعلّم منطقَ الطّير والدّوابِّ، كلامَها، وتبسّم ضاحكاً من قولها، ودعا ربّه أن يُلْهِمَه شُكْره على ما أنعمَ به عليه[٢].

**ـ مَغْزى دقيقٌ لأصحاب الجاه والسُّلطان والعظماء والملوك:**

في هذه القصّة مغزًى دقيقٌ لأصحاب الجاه والسُّلطان والعظماء، فقد اتّخذ سليمانُ الملكَ وسيلةً للدّعوة إلى الله، فلم يتركْ حَكَماً جائراً، ولا مَلِكاً كافراً إلا دَعاهُ إلى الله، وهكذا كان شأنه مع بلقيس حتى تركتْ عبادةَ الأوثان، وأتت مع قومها خاضعةً مسلمةً مستجيبةً لدعوةِ الرحمن[٣].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٧٨).

(٢) الموجهات الدعوية والإعلامية في سورة النمل، ص ١٧٤.

(٣) صفوة التفاسير، الصَّابوني، (٢/ ٣٠٣).

تضمَّنتْ قصّةُ سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، وفي هذه السُّورة خاصة، الكثيرَ من معجزاته، كما حوتْ الكثيرَ من أُسسِ الحُكْم والقضاء والحسْبة والتربية والأخلاق. وإلى جانب هذا وذاك اشتملتْ على مناهج الدّعوة وأساليبها، وأهدافها، وكل هذا يَرِدُ في إطار السِّمات العامة للسُّور المكية.

ويقفُ المتأمِّل في قصّة سليمان على الملك الوَطِيدِ، والجاه العريضِ، وقبلَهما النُّبوّة والحِكْمَة، ويرى الشّخصية المؤمنة، المطمئنّة بذِكْر الله، المنيبةَ إليه، الشّاكرةَ لآلائه ونَعمائه؛ التي تُسخِّر الملكَ والسُّلطان لإبلاغ دِيْنِ الله، وإقامة الحُجّةِ على العالمين.

**ومِنْ أبرز السِّمات في هذا النّبيِّ الكريم**: الشُّكر بمعناه الواسع، وبأنواعه المختلفة، يتضلّع به كلما سَعِد بنعمة، وأحسّ بفضل[1].

وإنّ قصّة سليمان مع النّملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، تَظهرُ فيها نعمةُ الله على داود وسليمان، وقيامهما بشُكْر هذه النِّعمة، وهي نعمةُ العلم، والملك، والنُّبوّة، مع تسخير الجِنِّ والطّير لسليمان، وفيها تَظهرُ كذلك أصولُ العقيدةِ التي يدعو إليها كلُّ رسول، ويَبرزُ بصفة خاصّة استقبالُ ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان ـ وهو عبدٌ من عبادِ الله ـ والله هو الذي وَهَبَ سليمان ما وَهَبَ، وسخّر له ما سخّر، وهو الذي يملكُ كلّ شيء، وهو الذي يعلِّم كلّ شيء، وما مُلْكُ سليمان وعِلْمُه إلا قطرةٌ من ذلك الفيض الذي لا يَغيضُ.

---

(١) الدَّعوة إلى الله، عبد الرَّبّ نواب الدين، ص ٢٠٣.

والتركيزُ في هذه السُّورة على العلم، علمِ الله المطلق الظّاهر والباطن، وعِلمِهِ بالغيب خاصّة، والعلم الذي وَهَبَه لداود وسليمان عليهما السلام، وتعليم سليمانَ عليه السلام منطقَ الطّير، وتنويهه بهذا التّعليم، فعندما أراد سليمانُ عليه السلام استحضارَ عرش الملكة، لم يقدرْ على إحضاره في غمضةِ عينِ عفريت من الجِنِّ، إنّما قدر على هذا ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وهكذا تَبرزُ صفةُ العلم في جوِّ السُّورة تُظلِّلها بشتى الظِّلال في سياقها كلِّه، من المطلع إلى الختام، ويمضي سياقُ السُّورة كلُّه فيه هذا الظِّلُّ[1].

**أولاً: قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥ ـ ١٦]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

في الآية دليلٌ على شَرَفِ العلم، وأناقة محلِّه، وتقدُّم حَمَلتِه وأهله، وأن نعمةَ العلم من أجلِّ النِّعم، وأجزل القسم، وأن مَنْ أُوتيه فقد أُوتي فضلًا على كثير من عبادِ الله، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٢٤).

وما سمّاهم رسولُ الله ﷺ العلماءَ ورثةَ الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشّرَف والمنزلة. وجاءت هذه الآيةُ لتُبيِّن لنا سِرّ امتنان الله بذِكْر نعمةِ العلم على داود وسليمان عليهما السلام دون سائر النِّعَم، فنِعَمُ الله الظّاهرة على داود عليه السلام كثيرةٌ، وأما نبيُّ الله سليمان عليه السلام فقد رزقه الله مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده[١].

قال الإمامُ السُّبكيُّ: فإن الله تعالى آتى داود وسليمان عليهما السلام من نِعَم الدُّنيا والآخرة ما لا ينحصر. ولم يذكرْ في ذلك في صدر هذه الآية إلا العِلْم؛ ليبين أنّه الأصل في النِّعَم كلِّها، فقد كان داود عليه السلام من أعبد البشر كما صحّ في صحيح مسلم[٢]، وذلك من آثار علمه، وجمع الله له ولابنه سليمان عليه السلام مالم يجمعه لأحدٍ، وجَعَلَ العلمَ أصلاً لذلك كله[٣].

وقال ابنُ باديس رحمه الله: ابتدئ الحديثُ عن الملكِ العظيمِ بذِكْر العلم، وقُدِّمتِ النِّعمةُ به على سائر النِّعم، تنويهاً بشأن العلم، وتنبيهاً على أنه هو الأصل الذي تُبنى عليه سعادةُ الدُّنيا والآخرة، وأنه هو الأساسُ لكلِّ أمرٍ من أمورِ الدِّين والدنيا، وأنّ الممالكَ إنّما تُبنى عليه وتُشاد، وأن الملكَ إنّما ينتظم به ويُساس، وأن كلّ ما لم يُبْنَ عليه فهو على شفا جُرُف هارٍ، وأنه هو سِياجُ المملكةِ ودِرْعُها، وهو سلاحُها الحقيقيُّ، وبه دفاعُها، وأن كلّ

(١) سلطان العلم في سورة النمل، د. نبيل محمد، ص ١٥.
(٢) رواه مسلم، رقم ٢٧٣١.
(٣) فتاوى السبكي لأبي الحسن تقي الدين السبكي، (١/ ٧٣).

مملكة لم تحكم به فهي عُرْضةٌ للانقراضِ والانفضاضِ[١].

قال السّعديُّ رحمه الله: ولا شكّ في أن المؤمنين أربعُ درجات: الصّالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصِّدِّيقون، ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان عليهما السلام من خواصِّ الرُّسل، وإن كانوا دُون درجةِ أُولي العَزْم [نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام]، لكنّهم من جُملة الرُّسُل الفُضَلاء الكِرام الذين نَوّه الله بذِكْرهم، ومَدَحَهُم في كتابه مدحاً عظيماً، فحمدوا الله على بلوغِ هذه المنزلة، وهذا عنوانُ سعادةِ العبد أن يكونَ شاكراً لله على نِعَمِه الدِّينيّة والدُّنيوية، وأن يرى جميعَ النِّعم من ربِّه، فلا يفخرُ بها، ولا يعجبُ بها، بل يرى أنها تستحقُّ عليه شكراً كثيراً[٢].

وقال الرازيُّ: وأمّا قولُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] ففيها أبحاث:

**أحدها**: أن الكثيرَ المفضّل عليه هو مَنْ لم يُؤْتَ علماً، أو من لم يُؤْتَ مثلَ عِلْمِهما، وفيه أنهما فُضِّلا على كثير، وفُضِّل عليهما كثير من الأنبياء.

**وثانيها**: في الآية دليلٌ على علوِّ مرتبةِ العلم؛ لأنّهما أُوتيا من الملكِ ما لم يُؤتَ غيرُهما، فلم يكنْ شكرُهما على الملكِ كشُكرِهما على العِلْم.

**وثالثها**: أنهم لم يُفَضِّلوا أنفسَهم على الكلِّ، وذلك يدلُّ على حُسْنِ التّواضع.

---

(١) تفسير ابن باديس، ص ٢٥٤.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠١.

**ورابعها**: أن الظّاهر يقتضي أن تلك الفضيلةَ ليست إلا ذلك العِلْم، ثم العِلْمُ بالله وبصفاته أشرفُ من غيره، فوجَبَ أن يكونَ هذا الشُّكرُ ليس إلا على هذا العِلْم، ثم إنّ هذا العلمَ حاصلٌ لجميع المؤمنين، فيستحيلُ أن يكونَ ذلك سبباً لفضيلتهم على المؤمنين، فإذاً الفضيلةُ هو أن يصيرَ العِلْمُ بالله وبصفاته جليّاً بحيث يصيرُ المرءُ مُستغرِقاً فيه؛ بحيث لا يخطرُ بباله شيء من الشُّبُهات، ولا يغفل القلبُ عنه في حينٍ من الأحيان، ولا ساعةٍ من السّاعات[1].

إنّ الحمدَ أفضلُ ما تُقابَلُ به النِّعم، ونبيُّ الله داود ونبيُّ الله سليمان عليهما السلام حمدا الله على نِعْمَة التفضيلِ على كثيرٍ من المؤمنين، وقد جاء في السُّنّة ما يدلُّ عليه، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**ما أنعمَ الله على عبدٍ نِعْمَة فقال: الحمدُ لله، إلا كان الذي أعطاهُ أفضلَ ممّا أخذ**»[2].

ومن سعادةِ العبد شُكْرُ النِّعم، وعَدَم الفخر والعجب بها، فقد أخبر الله عن نبيّيه الكريْمَين داود وسليمان عليهما السلام بأنهما حَمِدا الله على تفضيله لهما على كثيرٍ من المؤمنين، وهذا منهما شُكْرٌ لنِعَمه عليهما، واعترافٌ منهما أنهما بمحضِ فَضْل الله، وقد أمر الله بشُكْرِه في كتابه، فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

---

(١) التفسير الكبير، (٢٤/ ١٨٦، ١٨٧).

(٢) فوائد قصص نبيّ الله سليمان، عبد الفتاح محمود، ص ٤٩.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال النّبيُّ ﷺ: «**مَن لا يَشْكُرِ الناسَ لا يَشْكُر الله**»(١).

وقال السّعديُّ في تفسير هذه الآية: وهذا عنوانُ سعادةِ العبد أن يكونَ شاكراً لله على نِعَمه الدِّينيّة والدُّنيوية، وأن يرى جميعَ النِّعم من ربِّه، فلا يَفْخَر بها، ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحقُّ شكراً كثيراً(٢).

ونلمسُ التّواضُعَ في حَمْدِ النّبيّين الكريمين، فحينما جاءهما العِلْمُ قالا: الحمدُ لله، وهذا الشُّكْرُ للنِّعْمَة تجاه المنعِم يُشْعِر بمصدرِ النِّعمةِ الحقيقي، وأنه أهلٌ للثّناء والحمد.

وفي قوله: ﴿فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أنّ هناك من الناسِ مَنْ هو أفضلُ منا، وهذا تواضعُ الأنبياء، والعلماء، فلم يقولا: (فضلنا على عباده المؤمنين)، وإنّما قالا: فضّلنا على كثيرٍ من عبادِه المؤمنين(٣).

ـ وفي قوله: ﴿عُلِّمْنَا﴾ جاءتْ بالمبنيِّ للمجهول، وهي تُفيدُ أن هناك مَنْ علّمه وهَدَاه، فلم يَنسبْ هذا العلم لِكَسبهم ومجهودهم وذكائهم، بل لمن علّمهم وهو ربُّهم.

وقال الدكتور محمد راتب النابلسي، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: وكلمة ﴿عِلْمًا﴾ جاءت نكرةً، فلم يقلْ: (ولقد آتينا داود

---

(١) فوائد قصص نبيّ الله سليمان، عبد الفتاح محمود، ص ٤٩.

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠١.

(٣) وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، ص ٢٤٨.

وسليمان العلم)؛ لأن (العلم) مُعرّفاً قد يُشير على عِلْم مُعيّن، وأما التنكير عند علماءِ البلاغة فيفيدُ التّعظيم، ويفيدُ التّعميم[١]، فجاءت كلمة ﴿عِلۡمٗاۖ﴾ مُطْلَقةً عامّةً، ومعنى ذلك أنّ العِلْمَ على إطلاقه ثمينٌ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

والعلمُ نورٌ يكشفُ لك الطّريقَ، فيكشفُ لك الحلالَ من الحرام، ويكشفُ لك الحقّ من الباطل، ويكشفُ لك الخيرَ من الشّرِّ، ويكشفُ لك النافعَ من الضّارِّ، ويكشفُ لك الثمينَ من البَخْس، ويكشفُ لك النفيسَ من الخسيس، والعلمُ هو القيمةُ المرجِّحةُ التي اعتمدها القرآن الكريم، فالشّيء الذي يرفعك هو العلم، الشّيء الذي يخفضُك هو الجهل، وأيُّ شيء آخر عَرَضٌ زائلٌ، يأتي ويذهبُ، ولا قيمة له، لا يرفعُ صاحبه ولا يخفضُه، قد يكونُ الإنسانُ عند الله في أعلى عِلِّيين وهو فقير، أو مريض، أو نَسَبُه غير معروف، أو غيرُ جميل الصورة، ولا يُغني عنك من الله شيءٌ، ولكنّ العِلْمَ وحده هو الذي يرفَعُكَ عند الله[٢].

٢ ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾:

أي ورث سليمانُ داودَ عليه السلام في النُّبوّة والرِّسالة، فهو نبيٌّ رسولٌ مثله عليهما الصّلاة والسلام.

كذلك ورثه في الملك والخلافةِ، حيث وُلِّي أمرَ بني إسرائيل من بعده، ولم يرثه في الأموال والممتلكات، لأنّ من سُنّة الله في حقِّ الأنبياء أنهم

(١) تفسير النابلسي، (٨/ ٤٧٥).
(٢) المصدر نفسه، (٨/ ٤٧٥).

لا يُورثون، فلا يأخذ أولادُهم الذين هم ورثتهم شيئاً ممّا خلّفوه وراءهم، فإن تركوا أموالاً أو ممتلكات فهي صدقةٌ يُنفقها ورثتُهم، أو أولو الأمر مِنْ بعدهم في سبيل الله[١].

دليلُ ذلك ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة رضي الله عنهما أن أزواجَ النّبيِّ ﷺ حين تُوفِّي رسولُ الله ﷺ أردْن أن يبعثنَ عثمانَ إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ. فقالت لهنّ عائشةُ: أليس قال رسولُ الله ﷺ: «**لا نُورَث، ما تركنا صَدَقة؟!**»[٢].

قال الإمامُ ابنُ كثير عن وراثة سليمانَ داودَ عليهما السلام، وعن هذه السُّنة في شأن الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، أي: ورثه في النُّبوّة والملك، وليس المرادُ وراثة المال؛ لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليُخصّ بالمال دونهم.

ولأنه قد ثبت في «الصِّحاح» من غير وجه، عن جماعةٍ من الصّحابة، أن رسولَ الله ﷺ، قال: «**لا نُورث، ما تركنا فهو صدقةٌ**» وفي لفظ: «**إنّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَث**».

فأخبر الصّادقُ المصدوقُ أن الأنبياءَ لا تُورَثُ أموالُهم عنهم كما يُورث غيرُهم، بل تكونُ أموالُهم صدقةً من بعدهم على الفقراء والمحتاجين، لا يَخصُّون بها أقرباءهم؛ لأن الدُّنيا كانت أهونَ عليهم وأحقرَ عندهم من

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٨١).
(٢) البخاري، رقم: ٦٧٣٠.

ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم، واصطفاهم، وفضّلهم[١].

لقد ورثَ سليمانُ عن داود عليهما السلام خلافةً إيمانيةً، ودولةً قوية، ومملكةً متقدِّمةً متكاملة، فحافَظَ عليها وقَوّاها ووسّع رقعتَها، وضَمّ لها بِقاعاً أخرى، وطبّق فيها شرعَ الله، وأسعدَ الناسَ، وسار بهم في طريقِ مرضاةِ الله.

وبلغتِ المملكةُ الإسرائيليةُ في عهد داود ثم سليمان عليهما السلام الذُّروةَ، والأوجَ، والقمّة[٢].

٣ ـ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

أعلنها سليمانُ عليه السلام في الناس تحدُّثاً بنِعْمَة الله، وإظهاراً لفضله. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾: فَضْل الله الكاشف عن مَصْدرِه، الدّالُّ على صاحبه، فما يَملكُ تعليمَ منطقِ الطّير لبشرٍ إلا الله، وكذلك لا يُؤتى أحدٌ من كلِّ شيء ـ بهذا التعميم ـ إلا من الله[٣].

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ ممّا يحتاجُ إليه الملكُ[٤]. وللطيور والحيوانات والحشرات وسائل للتّفاهم، ـ هي لغاتُها ومنطقُها ـ فيما بينها، والله سبحانه خالقُ هذه العوالم يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٤٤٠.
(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٨٢).
(٣) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٦٣٤).
(٤) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٩٣).

ولا تكونُ أمماً حتى تكونَ لها روابطُ مُعيّنةٌ تحيا بها، ووسائلُ للتفاهم فيما بينها، وذلك ملحوظٌ في حياة أنواعٍ كثيرة من الطيور والحيوانات والحشرات، ويجهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحَدسِ والظّنِّ لا عن طريق الجزمِ واليقين، فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السلام فكان شأناً خاصّاً به عن طريق المعجزةِ الخارقة التي تُخالِفُ مألوفَ البشر، لا عن طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهُّم وسائل الطّير وغيره في التفاهم عن طريق الظّنِّ والحَدْس، كما هو حالُ علماء اليوم.

أُحبُّ أن يتأكّد هذا المعنى ويتّضح؛ لأن بعضَ المفسِّرين المحدَثِيْن، ممّن تبهرهم انتصاراتُ العِلْم الحديث، يحاولون تفسيرَ ما قصّه القرآنُ عن سليمان عليه السلام في هذا الشأن بأنه نوعٌ من إدراكِ لغات الطّير والحيوان والحشرات على طريقة المحاولات العِلْمية الحثيثة، وهذا إخراجٌ للخارقةِ عن طبيعتها، وأثرٌ من آثار الهزيمة والانبهار بالعِلْم البشري القليل، وإنه لأيسرُ شيء وأهونُ على الله أن يُعلِّم عبداً من عباده لغات الطّير والحيوان والحشرات، هبةً لَدُنِّيةً منه، بلا محاولةٍ ولا اجتهادٍ، وإنْ هي إلا إزاحةٌ لحواجز النّوع التي أقامها الله بين الأنواع، وهو خالقُ هذه الأنواع.

على أنّ هذا كلّه لم يكنْ إلا شقّاً واحداً للخارقة التي أتاحها لله لعبده سليمان في الحقيقة، فإن سُنّةَ الله في الخلق جَرَتْ على أن يكونَ للطير إدراكٌ خاصٌّ يتفاوتُ فيما بينه، ولكنه لا يصلُ إلى مستوى إدراكِ الإنسان، وإن خلْقَ الطّير على هذا النحو حلقةٌ في سلسلة التّناسق الكوني العام، وإنها خاضعةٌ ـ كحلقة مفردة ـ للنّاموس العام، الذي يقتضي وُجُودها على النحو الذي وُجدتْ عليه.

وحقيقةً فإنّ الهدهدَ الذي يُولَدُ اليوم هو نسخةٌ من الهدهد الذي وُجِدَ منذ ألوف السِّنين، وإن هناك عواملَ وراثةٍ خاصّة تجعلُ منه نسخةً تكادُ تكونُ طبقَ الأصل من الهدهد الأول، ومهما بلغ التحويرُ فيه، فهو لا يخرجُ من نوعه، ليرتقيَ إلى نوعٍ آخر، وإن هذا ـ كما يبدو ـ طرفٌ من سُنّة الله في الخلق، ومن الناموس العام المنسِّق للكون.

ولكنّ هاتين الحقيقتين الثّابتتين لا تمنعان من أن تقعَ الخارقة عندما يريدُها الله خالقُ السُّنَن والنّواميس، وقد تكون الخارقةُ ذاتها جزءاً من النّاموس العام، الذي لا نعرفُ أطرافه، جزءاً يظهرُ في موعده الذي لا يعلمه إلا الله، يخرقُ المألوف المعهود للبشر، ويُكمل ناموسَ الله في الخَلْق والتّناسق العام، وهكذا وُجد هُدهد سليمان، وربّما كلّ الطّائفة من الطّير التي سُخِّرت له في ذلك الزّمان[١].

ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الظّاهرُ البيِّن لله علينا[٢]، فقد أعطانا فَضْلًا محيطاً بكلِّ الفضائل[٣].

وقد علّقت الدكتورة زهراء البرقاوي على علم منطق الطّير لسليمان عليه السلام فقالتْ: لقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى هذه المعجزةِ الخارقة في مَعْرِضِ تعدادِ نِعَم الله على سليمان عليه السلام؛ ولذلك فإن المعجزةَ، ولكونها خارجةً عن مألوف البشر وقدرتهم، تُحقِّق إعلاميّةً في النّصِّ

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٥).
(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٩٣).
(٣) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٥٦).

القرآنيِّ؛ لترسيخِ البُعدِ التّواصليِّ في القرآن الكريم.

لقد قال سليمانُ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾، ولم يقلْ: يا أيها الذين آمنوا، وذلك دلالة على عَظَمة الشّهادة، فأراد أن يشهدَ الناسُ جميعاً، مؤمنهم وكافرُهم، بنِعْمَة الله عليه، اعترافاً منه بفضلها، وعظمتها، ومكانتها؛ إذ قال هذه المقالةَ في جَمْعٍ عظيمٍ من النّاس الحاضرين في مجلسه من الخاصّة، والسّامعين من العامة[١].

قال ﴿عُلِّمۡنَا﴾ بالجمع، ولم يقل عُلِّمتُ بالمفرد؛ لأنه يتكلّم عن نفسه وعن أبيه داود عليه السلام، أي عن آل داود، فناسبَ المقامَ الجمعُ.

وقال: ﴿مَنطِقَ﴾ على اعتبار أن الكلامَ صفةٌ لائقةٌ بمنطق البشر من المخلوقات، والاقتصار على منطق الطّير إيجازٌ؛ لأنه إذا عُلِّم منطقَ الطّير، وهي أبعدُ الحيوانات من الرُّكون إلى الإنسان وأسرعها نُفُوراً منه، عُلِم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصلٌ بالأحرى[٢].

وعلى كلِّ حالٍ فإدراكُ منطق الطّير لم يكنْ إلا معجزة من الله تعالى لسليمان عليه السلام، فاللهُ هو الذي يُعْطي الملكَ والعِلْمَ لمن يشاء، إنه على كلِّ شيء قدير[٣].

---

(١) الإعلامية في الخطاب القرآني، ص ١٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٣) خصائص ومعجزات سليمان، زينب محمد سوار، ص ٦٣.

**ثانياً: قوله تعالى:** ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ ـ ١٩]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ قوله تعالى:** ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

تتحدثُ الآية عن موكب سليمان عليه السلام المحشود، الذي يتألفُ من الجِنِّ والإنس والطّير. والإنسُ معروفون. أما الجِنُّ فهم خَلْقٌ لا نعرفُ عنهم إلا ما قصّه الله علينا من أمرهم في القرآن، وهو أنه خَلَقَهم من مارجٍ من نار، أي من لهيبٍ مُتموِّجٍ من النار، وأنهم يَرَوْن البشرَ والبشرُ لا يرونهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والكلامُ عن إبليس أو الشيطان، وإبليسُ من الجِنِّ، وهم قادرون على الوسوسةِ في صُدُورِ الناسِ بالشّرِّ عادة، والإيحاء لهم بالمعصية، ولا ندري كيف، وأن منهم طائفةً آمنت برسولِ الله ﷺ، فقد أخبره الله تعالى بذلك فقال سبحانه في قوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] ونعرفُ أنّ الله سخّر طائفةً منهم لسليمان، يبنُون له المحاريبَ والتّماثيلَ ويصنعُون الجفانَ الكبيرة للطعام، ويغوصون له في البحر، ويأتمرون بأمره بإذن الله، ومنهم هؤلاء الذين يَظهرون هنا في موكبه مع إخوانهم من الإنس والطّير.

ونقول: إنّ الله سخّر لسليمان طائفةً من الجِنِّ، وطائفة من الطّير، كما

سخّر له طائفةً من الإنس، وكما أنه لم يكن كلُّ أهلِ الأرض من الإنس جنداً لسليمان عليه السلام؛ إذ إن مُلْكَه لم يتجاوزْ ما يُعْرَف الآن بفلسطين ولبنان وسورية والعراق إلى ضفة الفرات[١]، على قول بعض المؤرِّخين، وكذلك لم يكن جميعُ الجِنِّ ولا جميعُ الطّير مُسخّرين له، إنّما كانت طائفةٌ من كلِّ أمة على السّواء.

ونستندُ في مسألةِ الجِنِّ بأن إبليسَ وذرِّيته من الجِنِّ، كما وَرَدَ في القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال في سُورةِ الناس: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥ ـ ٦]، وهؤلاء كانوا يُزاوِلون الإغواء، والشرّ، والوسوسة للبشر في عهد سليمان عليه السلام، وما كان لهم أن يزاولوا هذا، وهم مُسخّرون له، خاضعون لأمره، وهو نبيٌّ يدعو إلى الهدى. فالمهم إذاً أن طائفةً من الجِنِّ هي التي كانت مُسخّرة له وليس جميع الجنِّ.

ونستندُ في مسألة الطّير إلى أن سليمانَ عليه السلام حين تفقّد الطّيرَ عَلِمَ بغيبة الهدهد، ولو كانت جميع الطيور مُسخّرة له، ومحشورةً في موكبه، ومنها جميعُ الهداهد، فضلًا على بلايين الطيور، لما قال: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾. فهو إذاً هدهدٌ خاصٌّ بشخصيته وذاته، وقد يكون هو الذي سُخِّر لسليمان عليه السلام من أمة الهدهد، أو يكون صاحبَ النّوبةِ في ذلك الموكب من المجموعة المحدّدة العدد من جنسه، ويُعِين على هذا ما ظهر من أن ذلك

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٥).

الهدهدَ موهوبٌ إدراكاً خاصّاً ليس من نوع إدراكِ الهداهد الآخرين، ولا الطّير بصفةٍ عامة.

ولا بُدّ من أن هذه الهبة كانت للطائفةِ الخاصّة التي سُخِّرت لسليمان، لا لجميع الهداهد وجميع الطيور، فإن نوعَ الإدراكِ الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاصِّ في مستوى يعادلُ مستوى العقلاء الأذكياء، والأتقياء من الناس.

حُشِر لسليمان عليه السلام جنودُه من الجِنِّ والإنس والطّير، في موكب عظيم، وحَشْدٌ كبير منضبط.

- ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: حتى لا يتفرّقوا، وتَشيع فيهم الفوضى، فهو حَشْدٌ عسكريٌّ منظّم، يُشيرُ إلى الجمع والتنظيم[1].

أ - قال عبد الحميد بن باديس رحمه الله: تُفيدُ الآيةُ صورةً تامّةً لنظام الجندية في مُلْك سليمان عليه السلام، فقد كان الجنودُ يُسرَّحُون من الخدمة، ويُجمَعون عند الحاجة، وكانت أعيانُهم معروفةً مضبوطة، وكانت لهم هيئةٌ تَعرِفُهم وتضبطهم وتجمعهم عند الحاجة، وكان لهم ضباط يتولّون تنظيمهم، وكان النظامُ مُحكَماً لضبط تلك الكثرة من الاضطراب والاختلال والفوضى.

وتعرضُ علينا الآيةُ هذه الصورةَ التّاريخيةَ والواقعيةَ تعليماً لنا، وتربيةً على الجندية المضبوطة المنظّمة.

ولا شكّ في أن الخلفاءَ الأوّلين قد عَمِلُوا مثل ذلك في تنظيم جيوشهم،

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٦).

وأنّ العرب لما أسلموا، تحوّلوا إلى جنودٍ مُنظّمين؛ ممّا لم يكنْ معروفاً عندهم في الجاهلية.

وبقيتِ الآيةُ على الدّهر مُذكِّرةً بآياتِ النظام، وأساس كلِّ مجمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا تُغْنيان دون نظام، وأن النظامَ لا بُدّ له من رجال أكفاء يقومون به، ويحملون الجموعَ عليه، وأولئك هم الوازِعُون[1].

ب ـ قال صلاحُ الدِّين الخالدي رحمه الله تعالى: كان جيشُه مكوّناً من فرقٍ متناسقةٍ، وأخبرنا الله عن ثلاثٍ من هذه الفرق:

فرقة الإنس، وفرقة الجِنِّ، وفرقة الطّير، وكان الجنودُ من هذه الفرق يسيرون بنظامٍ دقيقٍ مُحكَم، وأشار إلى هذا التّنظيم قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قال ابنُ كثير: أي: وجُمع لسليمان جنودُه من الجِنِّ والإنس والطّير، يعني: رَكِبَ فيهم في أُبّهةٍ وعَظَمة كبيرةٍ في الإنس، وكانوا هم الذين يَلُونه، ثمّ الجِنّ وهم بعدهم في المنزلة، أمّا الطّير فمنزلتها فوق رأسه، فإن كان حَرٌّ أظلته بأجنحتها.

وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يكفُّ أوّلُهم آخرَهم؛ لئلا يتقدّم أحدٌ على منزلته التي هي مرتبةٌ له. وقال مجاهد: جعل على كلِّ صنفٍ وَزَعةً، يَرُدُّون أولاها على أُخراها، لئلا يتقدّموا في المسير، كما يفعل الملوكُ اليوم[2].

---

(١) تفسير ابن باديس، ص ٢٦٠.

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥١٦).

ج ـ قال الدكتور محمد رائق رأفت المصري: إن العسكريةَ في دولة سليمان تُشكِّل منظومةً إدارية هائلة، يجدرُ بنا ونحن نتكلّم عن سياسات الحُكْم وطرائقه أن نقفَ أمامها ونتأمّلها، ونُمْعِنُ فيها الفكرَ والنظرَ، إدراكاً منا لأهمية الجانب الحربي الجهادي في حياة الدولةِ المسلمة، فلنقفْ مع الآياتِ نستشفّ ونستلهم منها الفوائدَ والدروسَ والإشارات. يقولُ الله جلّ شأنه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ تأمّل قولَه: ﴿جُنُودُهُۥ﴾ مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب العائد على سليمان؛ ليدلّنا على أن هناك جيشاً نظامياً ينتمي إلى هذه الدّولة، يوجدُ عند الطلب، ويقومُ باستعراضاتٍ عسكريةٍ مُنظّمةٍ مُرتّبة، كما تُشيرُ الآية إلى ذلك.

ثم إنّ هذا الجيشَ الضّخمَ من الجِنِّ والإنس والطّير هو جيشٌ في غاية الترتيب والتنظيم، على الرغم من عَدَدِه الهائل، وأجناسه المختلفة.

وهذا يُوحي أن هذا الجيشَ مُقسّم إلى كتائب منفصلة، على رأس كلّ كتيبةٍ منها رئيسٌ أو عريف أو أمير أو ضابط صفٍّ، يُشْرِفُ على توزيع أفراد كتيبته، وهذا يُشبهُ في عصرنا ما يُسمّى بنظام شرطة الجيش[1].

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]:

سار سليمانُ عليه السلام بجيشه المنظّم المرتّب في طريقهم، تتلاءم خُطاهم، وتتناسَبُ حركاتُهم، وفي طريقهم مَرُّوا على وادي النمل، وهذا

(١) شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، ص ١٧٧.

يدلُّنا على أن جيشَ سليمان عليه السلام كان يسيرُ على الأرض، ويبدو أن الجيشَ دَخَلَ الوادي من جهته العُلْوية، يدلُّنا على ذلك أنه عدّى فعل (أتى) بحرفِ الجر (على) وهو يتعدّى بنفسه أو بـ(إلى) [١].

حتى إذا أَتَوا على وادٍ كثيرِ النّمل، فأُضيف الوادي إلى النّمل، فَسُمِّي وادي النمل، قالت نملةٌ، لها صفةُ الإشراف والتنظيم على النمل السّارح في الوادي، ومملكةُ النّمل كمملكةِ النّحل دقيقةُ التنظيم، تتنوّع فيها الوظائفُ وتُؤدَّى الأعمالُ والتكاليفُ بنظامٍ عجيب، يعجزُ البشر غالباً على اتِّباع مثله على ما أُوتوا من عقلٍ راقٍ، وإدراكٍ عال، قالت هذه النّملة للنّمل، بالوسيلة التي تتفاهمُ بها أمّةُ النّمل، وباللغة المتعارفة بينها: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ كيلا يحطمنّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرونَ بكم [٢].

هذه النّملةُ جمعتْ في كلامها في هذه الآية أحدَ عَشَرَ جنساً من الكلام: نادتْ، وكَنَت، ونبّهت، وسَمّت، وأَمَرَت، وقصّت، وحذّرت، وخَصّت، وعَمّت، وأشارتْ، وعَذَرَتْ، فالنداء: (يا). والكناية: (أي). والتنبيه: (ها). والتّسمية: (النّمل). والأمر: (ادخلوا). والقصص: (مساكنكم). والتحذير: (لا يحطمنكم). والتخصيص: (سليمان). والتعميم: (وجنوده). والإشارة: (وهم). والعذر: (لا يشعرون).

---

(١) سليمان في القرآن الكريم، همام حسن، ص ١٣٩.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٦).

فأدّت خمسةَ حقوق: حقّ الله، وحقّ رسوله، وحقّها، وحقّ رعيتها، وحقّ جنودِ سليمان عليه السلام[١].

**وفي هذه الآية دلالاتٌ على عِلْم النّمل، منها ما يأتي:**

ـ ما ذَكَره الإمام السُّيوطي أعلاه، فإن هذه اللفظةَ التي جَمَعَتْ بها أحد عشر جنساً من الكلام، ما كانت لتخرج من النّمْلة إلا لأنها كانت صاحبةَ عِلمٍ.

ـ تسميةُ النّملة لسليمان عليه السلام دلالةٌ كذلك على أن الله قد رَزَقَها علماً علمت به أن هذا صاحبَ مُلْكٍ وجُنْد، واسمه: سليمان.

ـ قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وصفٌ لسليمان عليه السلام وجنده بالخير والرحمة، وأنّهم لا يَظلمون ولا يقتلون إلا خطأً، وهذا الوصفُ لا يُمكِن أن يخرجَ منها إلا لعلمها بأنه نبيٌّ رحمة، وأنّها تخشى من إساءة ظنِّ قومها بسليمان عليه السّلام وجنده، فالتمستْ له العُذْر له، وبيّنت براءته وجنده من أيّ أذى يصيبهم، كونهم لا يشعرون.

ولك أن تتأمّل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فالنّملُ أمةٌ من الأمم في الأرض، فهو يَعلمُ كما نعلم، وله ممالكُ أدهشتِ العلماء، والبرامجُ التوثيقيةُ لحياة النّمل ومساكنها يجدُ فيها المرءُ ما يُذهِلُ

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٣/ ١٨٤).

العقول، وهو يتابعُ حركتها في البحث عن عيشها، والتعاون مع قومها، والاتِّصال الدّائم بين أفرادها[١].

**أ ـ قال الرّازي رحمه الله**: وفي هذه الآيةِ تنبيهٌ على أمور:

**أحدها**: أنّ مَن يسيرُ في الطّريق لا يلزمُه التحرُّز، وإنّما يلزمُ مَنْ في الطّريق التحرُّز.

**وثانيها**: أن النّملة قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ كأنها عرفتْ أن النّبيّ معصومٌ، فلا يقعُ منه قتلُ هذه الحيوانات إلا على سبيل السّهو، وهذا تنبيهٌ عظيمٌ على وجوبِ الجزم بعصمةِ الأنبياء عليهم السلام[٢].

**ب ـ قال المراغي**: وفي هذه الآية تنبيهٌ لإيقاظِ العقول إلى ما أُعطِيته من الدِّقة، وحُسْن النُّظم والسياسة، فإنّ نداءها لمن تحت أمرها، وجمعَها لهم؛ ليُشيرَ إلى كيفية سياستها وحكمتها، وتدبيرها لأمورها، وأنها تفعلُ ما يفعلُ الملوكُ، وتدبِّر وتَسُوس كما يَسُوس الحُكّام. ولم يذكره الكتابُ الكريمُ إلا ليكونَ أمثالاً تُضْرَبُ للعقلاء، فيفهموا حالَ هذه الكائنات، وكيف أنّ النّملَ أجمعتْ أمرَها على الفرارِ خوفاً من الهلاك كما تجتمعُ على طَلَب المنافع، وإن أمةً لا تصلُ في تدبيرها إلى مثل ما يفعلُ هذا الحيوانُ الأعجمُ

---

(١) سلطان العلم في سورة النمل، ص ١٧. ومن أراد التَّوسُّع في الآية فليراجع: إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، د. يحيى وزيري، والبناء السردي في القصَّة القرآنية، منيرة الزهراني.

(٢) التفسير الكبير، (٢٤/ ١٨٨).

تكونُ أمةً حمقاء تائهةً في أودية الضّلال، وهي أدنى حالاً من الحشراتِ والديدان: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

**ج ـ قال الشّيخُ همام حسن سلوم**: إن كلامَ النّملةِ يدلُّ على حِرْصِها على أُمّتِها من النّمل، وإشفاقها عليهم، واهتمامها بهم، وتفكيرها في تخليصهم من الخطر، وإيصالهم إلى بَرِّ الأمان، فإذا كانتْ نملةٌ صغيرةٌ مهتمة كل هذا الاهتمام بالنّمل، وهي حشرةٌ زاحفةٌ صغيرة لا تكاد تُرى، فلماذا لا يكون البشر ـ ذوو العقول والأفهام ـ حريصين على نُصْح إخوانهم وإبعاد الخطر عنهم؟!(٢).

إن أصحابَ المسؤوليات حَرِيٌّ بهم أن يهتمُّوا بما وُكِل إليهم من مهمّات، وأن يَعدُّوها أمانةً يُسألون عنها يوم القيامة، والتقصيرُ فيها يورثُ غَضَبَ الرّبِّ وعذاب النار(٣).

قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِن عبدٍ يسترعيهِ الله رَعِيّةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لِرعيّتِهِ؛ إلا حرّم اللهُ عليه الجنّةَ**» (٤).

**٣ ـ قوله تعالى**: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

أدرك سليمانُ عليه السلام ما قالتِ النّملة، وسُرّ لإدراكه ما قالت،

---

(١) تفسير المراغي، (١٩/ ١٢٩).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٤١.
(٣) المصدر السابق، ص ١٤١.
(٤) صحيح مسلم، رقم: ١٤٢.

ومعرفته بمضمون ما تفوَّهتْ به، وهَشّ له كما يَهشُّ الكبيرُ للصّغير؛ الذي يُحاولُ النّجاةَ من أذاه وهو لا يُضْمِرُ أذاه. وهذه نِعْمَةُ الله عليه تصلُه بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن النّاس، لاستغلاقِ التّفاهم بينها، وقيام الحواجز، وانشرح صدره لذلك لأنه عجيبة من العجائب أن يكونَ للنملة هذا الإدراكُ، وأن يَفهمَ عنها مرادَها[١].

أ ـ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾:

**التّبسُّم**: هو أولُ الضّحكِ وابتداؤه من غير صوتٍ. جاء في «المعجم الوسيط»: بَسَمَ يَبسم بَسْماً: انفرجت شفتاه عن ثناياه ضاحكاً دون صوت، وهو أخفُّ الضّحك وأحسنه، فهو باسِم وبَسّام[٢]. وكما أن الضّحكَ انبساطُ الوجهِ حتى تظهرَ الأسنانُ من السُّرور مع صوتٍ خفيف، فإن كان فيه صوتٌ يُسمَع من بعيد فهو القَهْقَهةُ[٣].

لقد سُرّ عليه السلام لكلامِ النّملة، وانفرجتْ شفتاه ضاحكاً متأثِّراً بما قالتْ، ومَرّ تأثُّره بكلامها بمرحلتين:

**الأولى**: مرحلة التّبسُّم، حيث انفرجتْ شفتاه مُتأثِّرة، مُسْتَحْسِناً، وكان هذا دون صوتٍ.

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٦).

(٢) المعجم الوسيط، (١/ ٥٩).

(٣) روح المعاني، (١٩/ ١٧٩)؛ لغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم، د. علي الجواري، ص ٢٦٢؛ القيم الإدارية المستخلصة من قصة النَّبيّ سليمان، ص ٦٥ ـ ٦٦؛ أخلاق الأنبياء، محمد الدرويش، ص ٣٣٦.

**الثانية**: مرحلة الضّحك، حيث زاد فرحُه، وسرورُه، وانبساطُه، وانشراحُه، فلم يصلْ حدّ القَهْقَهة، ولم يُخْرِجْه عن وَقاره[١]. وبدهيٌّ أن هاتين المرحلتين متداخلتان، ولا يَفْصِلْهما إلا جزءٌ يسيرٌ من الوقت.

ولما كان التّبسُّمُ يكونُ للاستهزاء وللغضب، كما يكونُ للسُّرور وللفرح، أتى بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ وهي حالٌ، وذلك لبيان أن التّبسُّمَ لم يكنْ استهزاءً ولا غضباً، وإنّما فرحاً وسُروراً[٢].

**ب ـ** ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾:

وسرعان ما هَزّتْ سليمانَ عليه السلام هذه المشاهدةُ، ورَدّتْ قلبَه إلى ربِّه الذي أنعم عليه بنِعْمَةِ المعرفة الخارقة، وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة والمعزولة من خَلْقه، فاتجه إلى ربِّه في إنابةٍ إليه، شاكراً لنِعمه عليه.

ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾.

ـ ﴿رَبِّ﴾: بهذا النِّداءِ القريب المباشرِ المتّصل.

ـ ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: اجمعْني كلِّي، اجمَعْ جوارحي ومشاعري ولساني وجَناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجُّهاتي، اجمعْني كُلِّي، اجمع طاقاتي كلّها، أوّلَها على آخرها، وآخرها على أولها، وهو المدلولُ اللغويُّ لكلمة أوزعني؛ لتكونَ كلُّها في شُكْر نِعْمتك علي وعلى

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٢١).
(٢) البحر المحيط، (٧/ ٦٢).

والديّ. وهذا التّعبيرُ بنِعْمَة الله التي مَسّتْ قلبَ سليمان عليه السلام في تلك اللحظة، يُصوِّر نوعَ تأثُّره، وقوة توجُّهه الجزيل(١).

ويظهرُ برُّ الوالدين في دعاء سليمان عليه السلام لربِّه، فلم يَنْسَ فضلَ والديه عليه بعد الله في كونهما سَبَبي تربيته تربية حسنة، وتوجُّهه الوجهة الصّالحة، فحُبُّ الإنسان لوالديه والدُّعاء لهما من الأمور التي تُؤدِّي إلى نشوء مجتمعٍ مسلمٍ مُتماسِكٍ ومُترابِط(٢).

ـ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فالعملُ الصّالح هو كذلك فَضْلٌ من الله يُوفّق إليه مَن يشكرُ نعمتَه، وسليمانُ الشّاكرُ الذي يستعينُ بربِّه لِيُعينه على شكر نِعْمتِه، يستعين به كذلك ليُوفِّقه إلى عمل صالح يرضاه، وهو يشعرُ أن العمل الصّالح توفيقٌ ونِعْمَةٌ أخرى من الله(٣).

ج ـ ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أدخلني برحمتك، فهو يعلمُ أن الدُّخولَ في عباد الله الصّالحين رحمةٌ من الله، تتدارك العبدَ فتوفِّقه إلى العمل الصّالح، فيكون في عِدادِ الصّالحين، يعلمُ هذا فيتضرّع إلى ربِّه أن يكونَ من المرحومين الموفّقين السّالكين في هذا الرّعيل، يتضرّع إلى ربِّه وهو النّبيُّ الذي أنعمَ الله عليه، وسخّر له الجِنّ والإنسَ والطّيرَ، غير آمنٍ مكرَ الله حتى بعد أن اصطفاه، خائفاً أن يقصِّرَ به عملُه، أو يقصِّر به شُكْرُه(٤).

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٧).

(٢) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي النمل والقصص، ص ٩٠.

(٣) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٧).

(٤) المصدر نفسه، (٥/ ٢٦٣٧).

وقد وَرَدَ عن رسول الله ﷺ الطمعُ في رحمةِ الله، فقد قال ﷺ: «**لن يُنجيَ أحداً منكم عَمَلُه**»، فقالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمّدَني اللهُ برحمته، سدِّدوا، وقاربوا، واغدُوا، ورُوحُوا، وشيءٍ من الدُّلجة، والقَصدَ القَصدَ تَبْلُغُوا**» (١).

وقد لاحظنا أنّ سليمانَ عليه السلام كان مُتشوِّقاً إلى رضا الله ورحمته، مع خشية وتقوى لله عزَّ وجلَّ، وخصوصاً في اللّحظات التي تتجلّى فيها نِعَمُ الله عليه، فالنّملةُ تشهدُ بعدله، وسليمان يُدْرِكُ عنها ما تقولُ؛ بتعليمِ الله له وفضلِه عليه(٢).

ونقفُ هنا أمام خارقتين لا خارقة واحدة، خارقة إدراك سليمان عليه السلام لتحذيرِ النّملة، وخارقة إدراكِ النّملة أن هذا سليمان عليه السلام وجنوده، فأما الأولى فهي ممّا علمه الله. وسليمان عليه السلام إنسانٌ ونبيٌّ، فالأمرُ بالقياس إليه أقربُ من الخارقة الأخرى البادية في مقالةِ النّملة، فقد تُدرِكُ النّملةُ أن هؤلاء خلقٌ كبيرٌ، وأنهم يحطمون النّملَ إذا داسُوه، وقد يهرب النّملُ من الخطر بحُكْم ما أَودع الله فيه من القوى الحافظةِ للحياة، أمّا أن تُدْرِكَ النّملةُ أن هذه الشخوصَ هي سليمان عليه السلام وجنوده، فتلك هي الخارقةُ الخاصّةُ التي تخرجُ عن المألوف، وتُحْسَبُ في عداد الخوارقِ في مثلِ هذه الحال(٣).

---

(١) مسلم، رقم: ٢٨١٦.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٧).

(٣) المصدر نفسه، (٥/ ٢٦٤٧).

**ثالثاً: قوله تعالى:** ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النّمل: ٢٠ ـ ٢٨]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

١ ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾:

تبدأ الآياتُ الكريمةُ في قصّة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ، بعَرْضِ سِتّة مشاهد، بينها فَجواتٌ فنية، تُدْرَكُ من المشاهد المعروضة، وتُكْمِل جمالَ الغرض الفني في القصّة، وتتخلّلها تعقيباتٌ على بعض المشاهد، تحملُ التوجُّه الوجداني المقصود من عَرْضِها في السُّورة، وتُحقِّق العِبْرة التي من أَجْلِها تُساق القصص في القرآن الكريم، وتتناسقُ التّعقيباتُ مع المشاهد والفجوات تناسقاً بديعاً، من الناحيتين: الفنية الجمالية، والدِّينيّة الوجدانية.

ولما كان افتتاحُ الحديثِ عن سليمان قد تضمّن الإشارةَ إلى الجِنِّ

والإنس والطّير، كما تضمّن الإشارةَ إلى نِعْمَة العِلْم، فإن في القصّة دوراً لكلٍّ من الجِنِّ والإنس والطّير. ويبرزُ فيها دَوْرُ العِلْم كذلك. وكأنّما كانت تلك المقدِّمةُ إشارةً إلى أصحاب الأدوار الرئيسية في القصّة، وهذه سِمةٌ فنيةٌ دقيقةٌ في القصصِ القرآني.

كذلك تتّضحُ السِّماتُ الشّخصية والمعالم المميزة لشخصيات القصّة: شخصية سليمان، وشخصية الملك، وشخصية الهدهد، وشخصية حاشية الملكة. كما تَعرضُ الانفعالات النفسية لهذه الشخصيات في شتّى مشاهد القصّة ومواقفها.

يبدأ المشهدُ الأولُ في مشهدِ العرض العسكريّ العام لسليمان وجنوده، بعدما أتوا على وادي النّمل، وبعد مقالة النّملة، وتوجُّه سليمان إلى ربِّه بالشُّكر والدُّعاء والإنابة:

وتفقد الطّير فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

فها هو ذا الملكُ النّبيُّ سليمان، في موكبه الفَخْم الضّخم. ها هو ذا يتفقّد الطّير فلا يجد الهدهدَ، ونفهم من هذا أنه هُدْهُدٌ خاصٌّ، مُعيّن في نوبته في هذا العرض. وليس هُدْهُداً ما من تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرضُ من أمة الهداهد، كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سِمةً من سِمات شخصيته: سمة اليقظة والدِّقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبةِ جنديٍّ من هذا الحشدِ الضّخمِ من الجِنِّ والإنس والطّير، الذي يُجمع آخره على أوله كيلا يتفرّق وينتكث.

وهو يسأل عنه في صيغةٍ مترفّعةٍ مرنةٍ جامعة: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ويتّضح أنه غائب، ويعلم الجميعُ من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن! وحينئذ يتعيّن أن يُؤخَذَ الأمر بالحزم، كيلا تكون فوضى. فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سرّاً. وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند.

ومِن ثَمّ نجد سليمان عليه السلام الملك الحازم يتهدّد الجنديّ الغائب، المخالف: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾.

ولكن سليمان عليه السلام ليس ملكاً جباراً في الأرض، إنّما هو نبيٌّ، وهو لم يسمعْ بعدُ حُجّة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضيَ في شأنه قضاء نهائيّاً قبل أن يسمعَ منه، ويتبيّن عُذْره.

ومن ثمّ تبرز سِمةُ النّبيِّ العادل: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي حُجّة قوية تُوضِّحُ عُذْره، وتنفي المؤاخذة عنه[1].

**أ ـ قال السّعديُّ رحمه الله:** في قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: دلّ هذا على كمال عزمه وحزمه، وحُسْن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصِّغار والكبار، حتى إنه لم يهملْ هذا الأمر وهو تفقُّد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلُّها أم مفقود منها شيء؟ ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقّد الطّيرَ لينظر أين الهدهد منها ليدلّه على بُعْد الماء وقُربه، كما زَعَمُوا أن الهدهد يبصرُ الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القولَ لا يدلُّ عليه دليلٌ، بل الدّليل العقلي واللّفظي دالٌّ على بُطْلانه، أما العقليُّ فإنّه قد عُرف بالعادة

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٨).

والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلّها ليس منها شيء يُبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر إلى الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لَذَكَرَهُ الله؛ لأنه من أكبر الآيات[1].

وأما الدّليلُ اللّفظيُّ فلو أُريدَ هذا المعنى لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقده قال ما قال»، أو «فتش عن الهدهد»، أو «بحث عنه»، ونحو ذلك من العبارات، وإنّما تفقّد الطّير لينظر الحاضرَ منها والغائبَ، ولزومها للمراكز والمواضع التي عيّنها لها.

وأيضاً فإن سليمان عليه السلام لا يحتاجُ ولا يضطرُّ إلى الماء، بحيث يحتاجُ لهندسة الهدهد، فإنّ عنده من الشّياطين والعفاريت ما يحفرونَ له الماء، ولو بلغَ في العمقِ ما بلغ. وسخّر الله له الرِّيحَ غدوُّها شهرٌ ورواحُها شهرٌ، فكيف ـ مع ذلك ـ يحتاجُ إلى الهدهد؟

وهذه التّفاسيرُ التي تُوجَد وتشتهرُ بها أقوال تنقلُ عن بني إسرائيل، ويغفلُ الناقلُ عن مناقضتها للمعاني الصّحيحة، ثم لا تزال يتناقلها المتأخِّر مُسلِّماً للمتقدِّم؛ حتى يُظنّ أنها الحقُّ، فيقعُ من الأقوال الرّديّة في التّفاسير ما يقعُ، واللّبيبُ الفَطنُ يعرفُ أن هذا القرآنَ الكريمَ العربيّ المبين، الذي خاطبَ الله به الخلقَ كلّهم، عالمهم وجاهِلَهم، وأمرهم بالتفكُّر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلُها العرب العرباء، إذا وَجَدَ أقوالاً منقولةً عن غير رسولِ الله ﷺ ردّها إلى هذا الأصل، فإنْ وافقته قَبِلَها لكون اللّفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنًى، أو لفظاً أو

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٢.

معنى ردّها، وجزم ببطلانها، لأنّ عنده أصلًا معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهدُ أن تفقُّدَ سليمان عليه السلام للطير، وفَقْدَه الهدهد، يدلُّ على كمال حَزْمِه وتدبيره للملك بنفسه، وكمال فِطْنته، حتى فَقَدَ هذا الطّائر الصّغير: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي: هل عَدَمُ رؤيتي إياه لقلّة فطنتي به لكونه خفيّاً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟.

فحينئذٍ تغيّظَ عليه وتوعّده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حُجّة واضحة على تخلُّفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يُقْسِمْ على مجرّد عقوبته بالعذاب أو القتل؛ لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتملُ أنها لعذرٍ واضحٍ؛ فلذلك استثناه لورعه وفِطْنته[1].

**ب ـ قال الشّيخُ عبدُ الحميد بن باديس رحمه الله** في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾:

﴿وَتَفَقَّدَ﴾ التّفقُّد: تطلُّبك ما فقدته وغابَ عنك، وتعرُّفك أحوالَه. ﴿لَآ أَرَى﴾ لا أُبْصِرُ.

﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ هو طائر صغير الجرم، منتن الريح، ليس من كِرام الطّير، ولا من سِباعها.

---

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٢.

﴿ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾؟ استفهم عمّا حصل له فمنعه من الرُّؤية، حيثُ ظنّ أولاً أن الهدهدَ كان حاضراً، وإنّما هو لم يره.

﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ استفهم عن غيبته، حيث ظن، ثانياً، أنه غائبٌ، فاستفهم عن صحّة ما ظنّ، فكلمةُ (أم) فيها إضراب، وفيها استفهام، فأضرب إضرابَ انتقالٍ من ظنٍّ إلى ظنٍّ.

﴿ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾؛ تعريضٌ بقبح فعله، لمّا انحطّ عن شرفِ الحضور، وكان من الغائبين. وهنا المعنى:

تطلّبَ سليمانُ عليه السلام معرفةَ أحوال الطّير، فلم يَرَ الهدهدَ، وأخذ يتساءل، فَظَنّ أن شيئاً ستره عنه فلم يره، ولما لم يكنْ شيء من ذلك ظنّ أنه كان غائباً، وذلك هو الظّنُّ الأخير الذي حَصَلَ به اليقين.

**تعليمٌ وقدوةٌ:**

من حقِّ الرعية على راعيها أن يتفقّدها، ويتعرّفَ أحوالَها؛ إذ هو مسؤولٌ عن الجليل والدقيق منها. فهو يُباشرُ بنفسه ما استطاع مباشَرته منها، ويضعُ الوسائلَ التي تُطلِعه على ما غاب عليه منها. كما يُنيطُ بأهل الخبرةِ والمقدرةِ والأمانةِ تفقُّدَ أحوالها، حتى تكون أحوالُ كلِّ ناحيةٍ معروفة مباشرة لِمَنْ كُلِّف بها.

فهذا سليمان عليه السلام على عَظَمة ملكه، وازدياد عَدَد أفراد جيشه، وكثرةِ أتباعه، قد تولّى التّفقُّد بنفسه، ولم يهملْ أمرَ الهدهد على صِغره وصِغر مكانه. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لو أن سخلةً بشاطئ الفرات يأخذُها الذئب لَيُسْأَلُ عنها عمر».

وإن هذا التّفقُّدَ والتعرُّفَ واجبٌ على كلِّ راعٍ في الأمم والجماعات والأُسَر، وكلِّ مَنْ كانت له رعيّةٌ.

**تعليل وتحرير:**

تفقّد سليمانُ عليه السلام جنسَ ما معه من الطّير للتعرُّفِ كما ذكرنا، وذِكْرُ الطّير هو الذي تعلّقت به القصّة، وليس في السُّكوت عن غيرِ الطّير ما يدلُّ على أنه لم يتفقّدْه. فالتفقُّدُ لم يكن للهدهد بخصوصه، وإنّما لما تفقّد جنسَ الطّير فقده ولم يجده، فقال ما قال. فلا وجهَ لسؤال مَنْ سأل: كيف تفقّدَ الهدهدَ من بين سائر الطّير؟!!

**تدقيق لغوي وغوص علمي:**

سأل سليمانُ عليه السلام عن حالِ نفسه، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ ولم يسأل عن حالِ الهدهد فقال: ما للهدهد لا أراه؟! فأنكر حالَ نفسه قبل أن يُنكِرَ حالَ غيره.

وقد نقل الحافظُ الإمام ابن العربيِّ عن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في زمانه رحمهما الله، قال:

«إنما قال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى﴾ لأنه اعتبر حالَ نفسه؛ إذ عَلِمَ أنه أُوتي الملكَ العظيم، وسُخِّر له الخَلْق، فقد لزمه حقُّ الشُّكْر بإقامةِ الطّاعة وإدامةِ العمل، فلما فقد نِعْمَةَ الهدهد توقّع أن يكونَ قصّر في حقّ الشُّكْر فلأجله سُلِبَها؛ فجعل يتفقّد نفسه، فقال: ﴿مَالِيَ﴾؟!

وكذلك تفعلُ شيوخُ الصُّوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالَهم. هذا في الآداب، فكيف بنا اليوم ونحن نُقصِّر في الفرائض؟![1].

وفي قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنتفِ ريشِه، هكذا فسّره ابنُ عباس وجماعةٌ من التّابعين.

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجّةٍ قاطعةٍ تُوضِّح عُذْرَه في غيبته. وسُمِّيَت الحُجّةُ سلطاناً لما لها من السُّلطة على العقل في إخضاعه.

أفادت «أو» أن المحلوفَ على حصوله هو أحدُ الثلاثة، فإذا حصلتِ الحُجّةُ فلا تعذيبَ ولا ذبحَ، ولو لم تحصلْ لَفُعل أحدهما. وقد قدّم التّعذيبَ لأنه أشدُّ من القتل، وحالةُ الغضب تقتضي تقديمَ الأشدِّ.

**المعنى:**

يُقْسِم نبيُّ الله سليمان عليه السلام على معاقبة الهدهد ـ وقد تحقّق غيبته ـ بالتعذيبِ أو بالذّبح، إذا لم يأته بالحُجّة التي تُبيِّن عُذْرَه في تلك الغيبة، ولا يَستثني للعفو، ولا يجعل سبباً لسلامته من العقوبة إلا الحُجّة.

**توجيه واستنباط:**

ليس في لفظ العذابِ الشديد ما يُفْهَمُ منه خصوص نتفِ الريش، وإنّما

(١) ابن باديس حياته وآثاره، (٢/ ٣٣ ـ ٣٥)؛ كفاح الشعب الجزائري للصلابي، (٢/ ٢٩٩).

فَهِمَ ابنُ عباس رضي الله عنه وأئمة من التّابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار؛ فإنّ نَتْفَ ريشه يُعطِّلُ خاصيةَ الطّيران فيه، فيتحوّل من حياةِ الطّير إلى حياةِ دوابِّ الأرض، وذلك نوعٌ من المسخ، وقد عُلِمَ أنّ المسخَ في القرآن أشنعُ عقوبة في الدُّنيا، فلهذا فسّروا العذابَ الشّديدَ بنتف الريش.

والإنسانُ خاصيّتُه التّفكيرُ في أفق العِلْم الواسع الرّحيب، فمن حَرَمَ إنساناً ـ فرداً أو جماعة ـ من العِلْم فقد حَرَمَه من خصوصيةِ الإنسانية، وحوّله إلى عيشةِ العَجْماوات، وذلك نوعٌ من المسْخِ، فهو عذابٌ شديد، وأي عذابٍ شديد؟!

كان هذا الهدهدُ من جنودِ سليمان التي حُشِرتْ له، وقد كان في مكانه الذي عُيِّن له وأُقيم فيه، فلما فارق وترك الفُرْجةَ في صفِّه، وأوقع الخللَ في جنسه استحقّ العقابَ الصّارمَ الذي لا هوادةَ فيه.

وهذا أصلٌ في صرامةِ أحكامِ الجندية وشدّتها؛ لعظم المسؤولية التي تحملها، وتوقُّف سلامةِ الجميع على القيام بها، وعِظَم الخطرِ الذي يَعمُّ الجميعَ إذا أُخِلّ بها[1].

**تقديرُ العقوبة:**

جُرْمُ الهدهدِ صغيرٌ، وما كُلِّف إلا بما يستطيعه من الوقوف في مكانه والبقاء في مركزه، ولكنّ جُرْمَه بإخلاله بهذا الواجب كان جُرماً كبيراً؛ فإن الخللَ الصغيرَ مجلبةٌ للخللِ الكبير، فقُدِّرت عقوبتُه على حسب كِبر ذنبه لا على حسب صِغَر ذاته.

(١) ابن باديس حياته وآثاره، (٢/ ٣٧).

**تنبيهٌ وإرشادٌ:**

كلُّ واحدٍ في قومه أو في جماعته هو المسؤولُ عنهم من ناحيته، ممّا يقومُ به من عمل حسب كفاءته واستطاعته، فعليه أن يحفظَ مركزه، ولا يدع الخَطَرَ يدخل، ولا الخلل يقعُ من جهته؛ فإنّه إذا قصر في ذلك، وترك مكانه فتح ثغرة الفَسادِ على قومه وجماعته، وأوجد السّبيل لتسربِ الهلاك إليهم. وزوالُ حَجَرٍ صغيرٍ من السَّدِّ المُقام لِصَدِّ السيل يُفضي إلى خَراب السَّدِّ بتمامه. فإخلالُ أيِّ أحد بمركزه ـ ولو كان أصغرَ المراكز ـ مُؤدٍّ إلى الضّرر العام. وثبات كلِّ واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النِّظام والتّضامن، وهما أساسُ القوة[1].

**الحقُّ فوق كلِّ أحد:**

لقد أغضب سليمانَ عليه السلام غيابُ الهدهد، فلذا توعّده هذا الوعيد، وأكّده هذا التّأكيد، ولكن سُلْطانَ سليمان عليه السلام في قوته ومُلكه ومكانته يجبُ أن يخضعَ لسلطان آخر هو أعظم من سُلْطانه: هو سُلْطان الحقِّ، والحقُّ فوق كلِّ أحد، ومُلكُ سليمان عليه السلام مُلكُ حقّ، فلا بُدّ له من الخضوع لسلطان الحُجّة، لِيُقيم ميزانَ العدل، والعدلُ أساسُ الملك، وسياجُ العمران[2].

**ج ـ قال ابنُ العربي المالكي:** هذا يدلُّ من سليمان عليه السلام على تفقُّده أحوالَ الرعية، والمحافظة عليهم، فانظُروا إلى الهدهد وإلى صغره؛

(١) كفاح الشعب الجزائري، علي الصلابي، (٢/ ٣٠١).
(٢) ابن باديس حياته وآثاره، (٢/ ٣٧).

فإنّه لم يغبْ عنه حاله، فكيف بعظائمِ الملك؟ ويرحمُ الله عمر، فإنّه كان على سِيرته حيث قال: لو أن سخلة[١] بشاطئ الفرات أخذها الذِّئب لَيُسأل عنها عمرُ، فما ظَنُّكَ بوالٍ تذهبُ على يديه البلدان، وتضيعُ الرعية، وتضيعُ الرّعيان[٢]؟!

وقال أيضاً: كان الهدهدُ صغيرَ الجِرْم، ووُعِد بالعذابِ الشّديد لعظيم الذّنب. قال علماؤنا: وهذا يدلُّ على أن الحدّ على قدرِ الذّنب، لا على قدرِ الجسد[٣].

إن قادةَ البناء الحضاري لا بُدّ لهم من صفةِ اليقظة، والمتابعة، والقوانين الضّابطة لحركةِ الجيوش، ومؤسّساتِ الدول[٤].

كما أن التّأنِّي في الأمر وإبقاء مجالٍ للعُذر من الصِّفات القيادية الرّبانية: ﴿أَوَ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ فالسُّلطانُ المبينُ هو العذرُ البيِّن الواضحُ المقبول، وهذا الاستدراكُ من سليمان عليه السلام يدلُّ على حَزْمه وضَبْطه وعدله وتثبُّته، فقد أعطى المتّهم فرصةً لبيانِ حُجّته والدِّفاع عن نفسه؛ لأن المتّهمَ بريء حتى تثبت إدانته، أما إذا قدّم عذراً أو حُجّة فلا بُدّ أن تُقبَل منه[٥].

---

(١) سخلة: ولد الغنم الضأن.

(٢) أحكام القرآن، (٣/ ١٤٥٥).

(٣) المصدر نفسه، (٣/ ١٤٥٥).

(٤) مقوِّمات بناء الحضارة في سورة النمل، سعيد أحمد، ص ٤٠.

(٥) أخلاق الأنبياء، ص ٢١٦؛ القصص القرآني للخالدي، (٣/ ٥٢٧).

**٢ ـ قال تعالى:** ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾:

**أ ـ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾:**

لم يقلْ: فلبث؛ لأن المكثَ يُستعملُ للمدّة القصيرة، على حين أنّ اللّبثَ يكونُ للمُدَد الطويلة، والمكوثُ هو التّوقُّفُ والانتظار، فهو يحملُ معنى ملازمة المكان، والبقاء فيه مدّة ما[١].

ـ ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾: مدّة يسيرة، فلم يتأخّرْ كثيراً، لأنه يعلمُ أنه تخلّف عن مجلس سليمان عليه السلام، وذهب دون إذنه؛ لذلك تعجّلَ العودة[٢].

والضّميرُ في ﴿ فَمَكَثَ ﴾ يحتملُ أن يكونَ لسليمان عليه السلام، ويحتملُ أن يكونَ للهدهد، والأولى حَمْلُه على الهدهد، لأن الكلامَ السّابقَ عنه والكلام التّالي له[٣].

فالهدهدُ أقام زماناً غير بعيدٍ، وغاب غيبةً قصيرةً ثم حضر، فهل كان الهدهدُ قريباً من هدفه؟ وسليمانُ عليه السلام وجيشُه كانوا على مَقْربة من اليمن ـ كما تقولُ بعض الرِّوايات؟ ـ أم أنّ قَطْع الهدهد هذه المسافة البعيدة، بين اليمن وفلسطين، في مدة قصيرة يُعَدُّ إحدى المعجزات؟ والنصوصُ تسكتُ عن هذا، وقد رجّح الدكتور صلاح الخالدي رحمه الله: أن يكونَ ذلك معجزة، قال: كيف مَكَثَ الهدهدُ غير بعيد؟ مع أن المسافةَ بين اليمن

---

(١) الإعلامية في الخطاب القرآني، ص ١٩٢؛ المعجم الوسيط، (٣/ ٩١٦).
(٢) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٦٨).
(٣) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٠٥.

وفلسطين بعيدة تزيدُ على الألفي كيلو متر، وبينهما بقاع عديدة؟ لقد كان قطع الهدهد للمسافةِ الطويلةِ في وقتٍ قصيرٍ معجزة ربّانيّة، فالله طَوَى له الطّريق الطّويلة، وجَعَلَه يجتازُها في فترة قصيرة، ويعودُ في مدةٍ يسيرةٍ، ولا ننسى أن الله سخّر الريحَ لسليمان عليه السلام، غدوُّها شهر ورواحُها شهر، وقد يكون لهذه الريحِ دورٌ في حَمْلِ الهدهد إلى اليمن، وعودته إلى فلسطين(١).

ب ـ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾:

ـ ﴿فَقَالَ﴾ بالفاء الدّالة على التّعقيب؛ لأنه رأى سليمانَ عليه السلام غاضباً مُتحفِّزاً لمعاقبته؛ لذلك بادره قبل أنْ ينطقَ، وقبل أنْ ينهرَهُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢].

**الإحاطةُ**: إدراكُ المعلومِ من كلِّ جوانبه، ومنه البحرُ المحيطُ لاتِّساعه، ويقول سُبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] ومنه: الحائط يجعلونه حول البستان ليحميه ويُحدِّده، ومنه: يحتاطُ للأمر(٢).

لقد جاء الهدهدُ بسلطان العِلْم فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾، وهي كلمة في غايةِ الجمال، إنّني أنا الهدهدُ الضعيفُ؛ الذي لا يكادُ يكون شيئاً بجوار النّبيِّ الملك سليمان العظيم عليه السلام، قد أحطتُ من العِلْم بما لم يُحِطْ به نبيُّ الله، وذلك أن العِلْم لا نهايةَ له، وأن الإحاطةَ به مستحيلةٌ، والناس يتقاسمون بعضه، يُحيطُ منهم فريق بما لم يُحطْ به الآخر، وهم

(١) مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، ص ١٥١.
(٢) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٠).

جميعاً لا يُحيطونَ إلا بالبعضِ الضّئيلِ من العِلْم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

قال ابنُ القيم رحمه الله: وهذا الخطابُ إنّما جَرّأه عليه العِلْمُ، وإلا فالهدهدُ مع ضعفه لا يتمكّن من خِطابه لسليمان عليه السلام مع قوته بمثل هذا الخِطاب لولا سلطانُ العِلْم(٢).

إنه سلطانُ العِلْم الذي يشفعُ لحامله تقصيرَه تجاه مسؤوله، فالهدهدُ تغيّب دون إذن، ولكنه عاد مخاطباً سليمان عليه السلام بعلم لم يسبقْه إليه أحدٌ، حتى نبيُّ الله سليمان عليه السلام، فقال له: ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ (٣).

وقال ابنُ العربيِّ رحمه الله: وهذا دليلٌ على أن الصّغيرَ يقول للكبير، والمتعلِّم للعالم: عندي ما ليس عندك، إذا تحقّق ذلك وتيقّنه(٤). وقال القرطُبيُّ رحمه الله: وفي هذا ردٌّ على مَنْ قال: إن الأنبياءَ تعلمُ الغيب(٥).

وقال الزّمخشريُّ رحمه الله: ألهم الله الهدهدَ، فكافح سليمانَ بهذا الكلام على ما أوتي من فَضْل النُّبوّة والحِكْمَة والعلوم الجمّة، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتَنْبيهاً على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه مَن أحاط علماً بما لم يُحِطْ به، لتتحاقر إليه نفسُه، ويتصاغر إليه

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، ص ٢٦٥.
(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/ ١٧٣).
(٣) سلطان العلم في سورة النمل، ص ١٨.
(٤) أحكام القرآن، (٣/ ١٤٥٦).
(٥) جامع أحكام القرآن، (١٢/ ١٨١).

عِلْمُه، ويكون لطفاً له في تركِ الإعجاب الذي هو فتنةُ العلماء، وأعظِمْ بها فتنة[١].

ج - ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾:

ونقفُ عند جمالِ التّعبير في سبأ ونبأ، فبينهما جناسٌ ناقص، وهو من المحسِّنات البديعية في لُغتنا، ويُعْطي للعبارة نغمةً جميلةً تتوافقُ مع المعنى المراد، والجناسُ أن تتّفقَ الكلمتان في الحروف، وتختلفا في المعنى، كما في قول الشّاعر: [الوافر]

رَحَلْتُ عَنِ الدِّيَارِ لكُم أَسِيرُ وَقَلْبي في محبتكُمْ أَسير

وقَوْل الآخر: [المجتث]

لَمْ يَقْضِ مِنْ حقِّكم بَعْضَ الذي يَجِبُ
قَلْبٌ متَى مَا جَرَت ذِكْرَاكُمُ يَجِبُ

وإن من الجناس التّام في القرآن الكريم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرُّوم: ٥٥].

فالتعبيرُ القرآنيُّ ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢] تعبيرٌ جميلٌ لفظاً، دقيق مَعنىً، أَلا تراه لو قال: (وجئتك من سبأ بخبر) لاختلّ اللفظ والمعنى معاً؛ لأن الخبر يُرَاد به مُطْلَق الخبر، أمّا النبأ فلا يُقال إلا للخبر العجيب الهامِّ اللافت للنظر، كما في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ ـ ٢].

والجناسُ لا يكونُ جميلًا مُؤثِّراً إلا إذا جاء طبيعيّاً غير مُتكلّف، ومثال

(١) الكشاف، (٣/ ١٤٣).

ذلك هذا الجناس الناقص في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فقد وَرَدَ اللفظُ المناسبُ مُعبِّراً عن المعنى المراد دون تكلُّف، فالهُمَزة: هو الذي يعيبُ بالقول. واللُّمزة: الذي يعيبُ بالفعل، فالقرآنُ لا يتصيّد لفظاً ليُحدِث جناساً، إنّما يأتي الجناسُ فيه طبيعيّاً يقتضيه المعنى(١).

وفي الحديث الشريف: «**الخيلُ معقود في نواصيها الخير**»(٢). فبين الخيل والخير جناسٌ ناقص، مُحسِّن للفظ، مؤدٍّ للمعنى(٣).

ونلحظُ أن الهدهدَ لم يعرفْ سبأ ما هي، وهذا دليلٌ على أنّ سليمان عليه السلام يعرفها ويعرف ما فيها من مُلْكٍ، إنّما لا يعرفُ أنه بهذه الفخامة، وهذه العَظَمة(٤).

ـ و﴿سَبَإٍ﴾ **هم**: حِمْيَر، وهم ملوكٌ من اليمن(٥). مدينتُهم مأرب بينها وبين صنعاء مسيرةُ ثلاثة أيام، وسُمِّيَت بهذا الاسم لأنها كانت منازلَ ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(٦).

عن فروة بن مسيك المرادي، قال: أتيتُ النّبيّ ﷺ فقلت: يا رسولَ الله ألا أُقاتلُ من أدبر من قومي بمن أقبلَ منهم؟ فأذِنَ لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجتُ من عنده سأل عني: «**ما فعل الغطيفيُّ؟**» فأُخبر أنّي قد سرتُ،

---

(١) تفسير الشعراوي، (٣/ ١٤٣).
(٢) رواه البخاري، رقم: ٢٨٤٩.
(٣) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٠).
(٤) المصدر نفسه، (١٧/ ١٠٧٧١).
(٥) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٥٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

قال: فأرسل في أثري، فردّني، فأتيتُه، وهو في نفرٍ من أصحابه، فقال: «**ادْعُ القوم، فمن أسلَمَ منهم فاقبَلْ منه، ومَنْ لم يُسْلِمْ فلا تعجلْ حتى أُحدِثَ إليك**» قال: وأُنزل في سبأ ما أُنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: «**ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجلٌ ولد عشرة من العرب، فتيامن**[١] **منهم ستة، وتشاءم**[٢] **منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد، والأشعريون، وحمير، ومذحج، وأنمار، وكندة**». فقال رجلٌ: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: «**الذين منهم خثعم، وبجيلة**» [٣].

وقال ابنُ كثير رحمه الله: «كان رجلًا من العرب»، يعني: العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه السلام، من سُلالة سام بن نوح. وعلى القول الثّالث: كان من سُلالة الخليل عليه السلام، وليس هذا بالمشهور عندهم، والله أعلم.

ولكن في صحيح البخاري: أن رسولَ الله ﷺ مرّ بنفر من «أسلَمَ» ينتضلون[٤]، فقال: «**ارموا بني إسماعيل، فإنّ أباكم كان رامياً**». فأسلَمُ قبيلة من الأنصار، والأنصار أوسُها وخَزْرَجُها من غسّان من عَرَب اليمن من سبأ، نزلوا بيثرب لما تفرّقت سبأ في البلاد، حين بعث الله عليهم سيلَ

(١) تيامن: أي أخذوا ناحية اليمن وسكنوا بها.
(٢) تشاءم: قصدوا ناحية الشام.
(٣) سنن الترمذي، رقم: ٣٢٢٢، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
(٤) **ينتضلون**: يترامون بالسهام.

العرم، ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنّما قيل لهم: غسان؛ لماءٍ نزلوا عليه، قيل: باليمن. وقيل: إنه قريبٌ من المشلل، كما قال حسان بن ثابت: [البسيط]

إما سألتَ فإنا معشرٌ نُجُبٌ الأزدُ نِسْبتنا، والماءُ غسانُ

ومعنى قوله: «وُلد له عشرةٌ من العرب» أي: كان من نَسْله هؤلاء العشرة الذين ترجعُ إليهم أصولُ القبائل من عرب اليمن، لا أنهم وُلدوا من صُلبه، بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر، كما هو مُقرّر مُبيّن في مواضعه من كتب النّسب.

ومعنى قوله: «فتيامَن منهم ستةٌ، وتشاءَمَ منهم أربعةٌ» أي: بعدما أرسل الله عليهم سيلَ العَرِم، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح عنها إلى غيرها[1].

**٣ ـ قوله تعالى:** ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾:

بعدما أخبر الهدهدُ سليمانَ عليه السلام عن سبب غيابه، قدّم له تقريراً عن (سبأ) أرضاً وشعباً وملكة وعرشاً وديانة، وقد أخبرنا الله عند هذا التّقرير في الآيات السّابقة، وتقرير الهدهد مُنظّم مُنسّق متكامل، عرض فيه خلاصةَ واقع سبأ، ثم عقّب عليه تعقيباً، يرفضُ ما هم عليه من ضلال[2].

---

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ٤٩٤).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٣١).

ـ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: كان نظامُ دولةِ سبأ ملكياً، وفي ذلك الوقت كانت ملكتُهم امرأةً، وشاهد الهدهدُ تلك الملكةَ المرأة.

ـ **وكلمة**: ﴿ٱمْرَأَةً﴾ في الآية نكرة، وهذا التّنكير للإيهام، حيث لم يذكر القرآنُ اسمَ هذه الملكة، كما لم يَرِد اسمُها في حديث، وقد ذهب المؤرِّخون والإخباريُّون إلى تحديد اسم الملكة[١]. وقالوا: إنّها بلقيس؛ وكانت ملكةَ سبأ حكيمةً عاقلة، حصيفةً هادئة، كما سنرى من مجريات أحداث القصّة[٢].

ـ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: يُؤْتاه الملوكُ من الأموال والسِّلاح والجنود والحصون والقلاع، ونحو ذلك[٣]. وقد كانت مملكةُ سبأ قويةً غنية مزدهرة في ذلك الوقت، تتمتع بكثيرٍ من مظاهرِ الخير والرّفاه، فها هي ملكتُهم أُوتيت من كلِّ شيء من أنواع المتاع الدُّنيوي[٤].

ـ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: أي: كرسيٌّ مُلكِها الذي تجلسُ عليه عرشٌ هائل، وعِظَمُ العروش يدلُّ على عَظَمةِ المملكة، وقوةِ السُّلطان، وكثرةِ رجال الشورى[٥].

وبعدها لخّص الهدهدُ واقعَ المملكة بحِكْمَة: مملكةٌ تحكمها امرأةٌ،

---

(١) المصدر السابق، (٣/ ٥٣١).
(٢) المصدر السابق، (٣/ ٥٣١).
(٣) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٥٣١).
(٥) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.

والمملكة قوية غنية، وملكتها لها عرشٌ عظيم، ثمّ انتقل للحديث بعدها عن دين سكّانها[١].

ـ **قال**: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الضميرُ يعودُ على الملكة، أي: وجدتُ ملكةَ سبأ وقومَها يسجدونَ للشمس من دون الله، فالقوم كانوا كُفّاراً مشركين بالله، يتّخذون الشّمسَ إلهاً، يُؤلِّهونها ويعبدونها ويَسجدون لها. ويعدّون ذلك عبادة حقيقية يقومون بها، ويصرفون أوقاتهم لأدائها.

والتفاتُ الطّائرِ الهدهدِ إلى معرفة دِينِ القوم دليلٌ آخر على حِكْمتِه ولَباقته، وعلى اهتمامه بالدِّين الحقِّ، وبُغْضِه للباطل[٢].

فالهدهدُ ـ إذاً ـ مُؤمنٌ عارف بقضية العقيدة والإيمان بالله، يغارُ عليها، ويستنكرُ مخالفتها، فهو يعرفُ أن الله هو المعبودُ بحقٍّ، بل ويعلم أيضاً وسوسةَ الشيطان، وأنه سببُ انصراف الخَلْق عن عبادة الله[٣].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: فالقضيةُ عنده كاملةٌ بكلِّ تفاصيلها، ولا تتعجّبْ من مقالةِ الهدهدِ، واقرأْ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

إنّها موعظةٌ بليغةٌ من واعظٍ مُتمكِّن يفهمُ عن الله، ويعلمُ منهجَه، ويدعو

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٢).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٣٢).

(٣) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٣).

إليه، بل ويَعزُّ عليه، ويَعزُّ في نفسه أن ينصرفَ العبادُ عن الله المنْعِم[١]. ولم يكنِ الهدهدُ مُجرّدَ جامعِ معلوماتٍ دقيقة، ومُقدِّم تقارير صحيحة ـ رغم أهمية ذلك ـ إلا أنه كان صاحب فكرٍ ورأي، وموقفٍ وقرار، ودعوةٍ وقضية، مع أنه هدهدٌ طائرٌ؛ ولذلك شفع تقريرَهُ بتعليقه، وتعقيبه على الحادثة، وسجّل تفاعُلَه وتأثُّره بما رأى، وغَيرته على الحقّ الذي تركوه، وإنكاره للباطل الذي اتّبعوه[٢]، فقال:

ـ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: إنه من الحقائقِ النفسية الثّابتة أنّ أوّل الشّرِّ استحسانُه، فالشّيطانُ يُزيِّنُ أعمالَ السُّوء للفاعل ويُحسِّنها له، فيظنُّ أنها الخيرُ وحدَها، وأن ما عداها فهو باطل، والفرقُ بين المهتدي وغير المهتدي أن من هداه الله يميزُ الخبيثَ من الطّيِّب، فلا يتردّى في باطل، وإن تردّى فيه سرعان ما يعودُ إلى الحق، ولا يقبلُ وسوسةَ الشَّيْطان بالشّرِّ، وليس قلبُه موضعاً لتزيينه.

ـ **ثم قال**: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي أنهم بسبب تزيينِ الشّيْطان لهم قد مَكّنوه من أنفسهم، فصدّهم عن السّبيل، أي لعلّهم يُعْرِضُون عن الطّريقِ المستقيمِ في ابتدائه، ومَن ضَلّ في أول الطّريق سار في ضلالٍ إلى آخره، ولذا قال مُرتِّباً على ذلك: فهم لا يهتدون، أي فهم يسيرونَ في ضلالٍ غير مهتدين إلى الحقِّ حتى يكون الحسابُ والعقابُ:

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٣).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٢).

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١).

ـ ﴿ أَلَّا ﴾: مكوّنة من أنْ، لا، وعند إدغامهما تُقلَبُ النون لاماً فتصير: ألَّا، فالمعنى: وزيّن لهم الشّيْطانُ أعمالَهم، لماذا؟ لألَّا يسجدوا، فهنا حرفُ جرّ محذوف، كما تقول: عجبتُ أن يَقْدم علينا فلان، والتقدير: عجبتُ من أن يَقْدم علينا فلان.

**وفي قراءةٍ أخرى**: (أَلَا) للحثِّ والحضِّ(٢). فالله وحده المعبودُ، وينبغي أن يكونَ له وحدَه السُّجود؛ لأنه الخالقُ الرّازقُ العالم العظيم، وغيره ليس كذلك، فكيف يكونُ إلهاً معبوداً؟

ـ **الله هو** ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: والخبء هو: المخبوءُ في السّموات وفي الأرض.

قال ابنُ عباس وعِكْرمة ومجاهد وقَتادة وسعيد بن جُبير: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: يعلم كلّ خبيئةٍ في السّموات والأرض.

وقال عبدُ الرحمن بن زيد: خَبْءُ السموات والأرض: ما جُعِل فيهما من أرزاق؛ المطر من السّماء، والنبات في الأرض(٣).

ومن التّناسق في التّعبير القرآني أنه في مَعْرِض الاستدلال على وحدانيةِ الله، في هذه الآية، ذَكَر من كلام الهدهد ما يتّفق مع اهتمامه وفَهْمه

---

(١) زهرة التفاسير، (١٠/ ٥٤٤٨).
(٢) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٣).
(٣) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٣)؛ تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٤٩).

وحياته، فالهدهدُ عَرَفَ الله من خلال معرفته عِلْمَ الله بالخبء في السموات والأرض، وإخراج الله للمَخْبوء في السموات والأرض، وهذا يتّفقُ مع عَمَل الهدهد، وسَعْيه في الرِّزق، فالهدهدُ يقومُ بالبحث عن المخبوءِ في الأرض من الحبوب وغيرها، ويفتشُ بمنقاره عن ذلك المخبوءِ المدفونِ، ثم يُخرجه ويأكله.

وبعدما أبرز التّعبيرُ القرآنيُّ اهتمامَ الهدهد بمخبوء الأرض؛ انتقل للحديث عن دليلِ الوحدانيةِ في حياة البشر: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، فالله وحدَه يعلم ما يُخفيه الناسُ، وما يُعلنونه، والمعبودون من دون الله عزَّ وجلَّ لا يعلمون ذلك، فكيف يكونون آلهة؟!

واجتماعُ الدّليلين: إخراج الله الخبء، وعِلْمه بما يُخفيه الناس ويعلنونه، يدلُّ على أنه وحدَه الإله المعبود: الله لا إله إلا هو.

ولما ذَكَر الهدهدُ عرشَ ملكة سبأ العظيم، ناسَبَ أن يَذكُرَ عرشَ الله العظيم: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾. فأينَ عرشُ ملكة سبأ من عرشِ الله الذي لا يعلمُ صفاته ومقاماته إلا الله؟ وأين عظمةُ عرشها وهو صغيرٌ من عظمة عرش الله العظيم؟ ملكة سبأ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ هو منحةٌ من الله لها، وهو صغيرٌ محدودٌ محصور، وستُسْلَب هذا العرش عندما يزولُ ملكُها، وسوف يَبيدُ هذا العرش، وينتهي، ويتلاشى[1].

أما عرشُ الله العظيم فهو عظيمٌ، وهو قائم مستمرٌّ[2].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٤).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٣٤).

ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا تنبغي العبادةُ والإنابةُ والذلُّ والحبُّ إلا له؛ لأنه المألوهُ، لما له من الصِّفات الكاملة، والنِّعمِ الموجبةِ لذلك[1].

ـ ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾: عرشُ الرحمن هو أعظمُ المخلوقات حجماً، وكيفية، وأعلاها مكاناً، فهو سقفُ الكون، وعليه ذو الجلالِ والإكرام، ولا يدانيه في عظمته شيءٌ من خَلْق الله، وقد أضافه إلى نفسه إضافةَ تشريفٍ وتعظيم؛ فيقال: «عرش الرحمن»، ونَسَبه إلى نفسه كما نَسَب عظائمَ مخلوقاته، فقال سُبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

ووصفه بالكريم في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

كما وصفه بالعظيم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [النمل: ٢٦].

والعرشُ: قال تعالى فيه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] في غير ما آية من القرآن.

---

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

والعرشُ، كما قال القرطُبيُّ: لفظٌ مشتركٌ يُطْلَقُ على أكثر من واحدٍ؛ قال الجوهريُّ وغيره: العرشُ: سريرُ الملِكِ، وفي التّنزيل: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

والعرشُ: سقفُ البيت. وعرشُ القدم: ما نتأ في ظَهْرِها وفيه الأصابع، والجمعُ عُروش. والعرشُ: الملكُ والسُّلْطانُ، يقال: ثُلّ عرش فلان: إذا ذهب مُلْكُه وسُلْطانه وعِزُّه[١].

ولا مجالَ للخوض في كيفية العرش وحَجْمه وخَلْقه إلا عن طريق الوحي المعصوم، ممّا ثَبَتَ عن الله عزَّ وجلَّ في كتابه، وثَبَتَ عن رسوله ﷺ في سُنّته، إذ هو من الأمورِ الغيبيةِ التي لا مجالَ للحِسِّ والعقلِ بالخوض فيها، ولذا فالمعوّلُ عليه النصُّ الثّابت[٢].

وقد أخرج الدّارميُّ وأبو الشيخ واللالكائيُّ بسندٍ صحيحٍ على شرط مسلم[٣]. وكذلك ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ في ذلك قوله: «**فإذا سألتُمُ اللهَ**

(١) قصة الخلق، الخرعان، مرجع سابق، ص: ٦٠.
(٢) الخرعان، المرجع نفسه، ص ٦٠.
(٣) المرجع نفسه، ص ٦١.

**فَسَلُوهُ الفردوسَ، فإنّه أوسطُ الجنّة وأعلى الجنّة، وفوقَه عرشُ الرّحمن، ومنه تفجّرُ أنهار الجنة»** (١).

ففي هذا الحديث إثباتُ عُلُوِّ العرش على جميع المخلوقات، وأن الله عزَّ وجلَّ فوقه مستوٍ عليه، على الوجه الذي يليقُ به سبحانه وتعالى، بعيداً عن خوضِ الخائضين، وإفكِ الأفّاكين، وتخرُّصاتِ الظّانِّين.

كما صحّ عنه ﷺ أنّ للعرشِ قوائمَ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ: «**يُصعقُون يوم القيامة، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش**» (٢).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن النّبيّ ﷺ قال: «**يا أبا ذرٍّ، ما السّموات عند الكرسيِّ إلا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرض فلاة، وفَضْلُ العرشِ على الكرسيِّ كفضل الفَلاةِ على الحلقة**». وفي رواية: «**كحلقةٍ من حديد**».

وقال الضحاكُ عنِ ابنِ عبّاسٍ: لو أنّ السّموات السّبعَ والأرضين السّبعَ بُسِطْنَ، ثم وُصِلْنَ بعضُهن إلى بعضٍ، ما كنّ في سَعَةِ الكرسي إلا بمنزلة الحلقةِ في المفازة.

فيا سُبْحانَ الله، ماذا تُساوي حلقةٌ من حديدٍ لا تتجاوزُ ثلاثَ بوصاتٍ بالنِّسبة لفلاةٍ مثل الربع الخالي، أو مثل الصّحراء الكبرى!؟(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التَّوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، رقم: (٧٤٢٣). ابن حجر: فتح الباري، (١٣/ ٤١٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التَّوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، رقم: (٧٤٢٧). ابن حجر، فتح الباري، (١٣/ ٤١٦).

(٣) قصة بدء الخلق وخلق آدم، الصلابي، ص ١٣٩.

**٤ ـ قوله تعالى:** ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾:

سَمِعَ سليمانُ من الهدهد أخباراً عجيبةً عن بلادٍ جديدة، لم يكنْ له علمٌ بها ولا معرفةٌ بنظام الحُكْم فيها، ودِيْن أهلها، فتعاملَ سليمان عليه السلام مع أخبار الهدهدِ بحكمته المعروفةِ فلم يُسارعْ إلى تصديقه وقبولِ أخباره، ولا إلى تكذيبه ورَفْض أخباره، فقال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ أي: سنختبرُ كلامك لنرى أصِدقٌ هو أم كذبٌ.

ويدلُّ هذا الموقفُ من سليمان عليه السلام على الموضوعية والمنهجية التي يجبُ أن ينظرَ بها الإنسانُ إلى الأخبارِ الجديدةِ التي يسمعها، فالمسارعةُ بقبولها سذاجةٌ، والمسارعة بتكذيبها جهلٌ وعنادٌ، فلا بُدّ للإنسان من أن يتمهّل، وأن يتثبّت ويتبيّن حقيقة تلك الأخبار، وأن يفحصَها، ويتأكّد منها، وبعد ذلك يأخذُها إن ظَهَرَ له صِدْقُها، أو يرفضها إن ظَهَرَ له كَذِبُها، ولا يُلامُ على موقفه.

تثبّتَ سليمانُ عليه السلام من كلام الهدهدِ فظهرَ له صدقُه[1].

وهذا درسٌ بليغٌ للذين يتولّون أمرَ الناس، كمعلّم مدرسة، أو مدير مستشفى، أو مدير معمل، أو أب في بيتٍ، فلا تتعجّلْ، ولا تحكُمْ قبل أن تتحقّق، ولا تُصدِرْ حُكْماً قبل أن تستقصي المعلومات والحقائق، ولا تُصدِرْ أحكامَكَ بسرعة، بل عليك أن تتروّى وتتبصّر وترى رأيك، ثم

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٥).

تُصدِرَ حُكْمك أو أمرك؛ فإنّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يوم القيامة، والمظلومُ ليس بينه وبين الله حِجابٌ(١).

إن التّثبُّتَ من الأخبار هي شِرْعةُ الله تعالى لسليمان عليه السلام، وهي شِرْعةُ الله للناس جميعاً في جميع العصور، لأن الإنسانَ ينقلُ الخبر، ويحتمل أن يكونَ صدقاً أو كذباً، ولا يصحُّ شرعاً وعقلًا أن يبني الإنسان قراراً على مجرّد خبر قبل التأكُّد من صحته، والتثبُّت من مَضْمُونه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذا المنهجُ الشّرعيُّ والعقليُّ في التّثبُّت من الأخبار والرِّوايات والوقائع هو ما تُطبِّقه جميعُ الأنظمة والدول اليوم، إن أرادتْ تطبيقَ العدالةِ، حتى قرّروا أن المتّهمَ بريءٌ حتى تَثبُتَ إدانتُه، وأوجدوا بجانب القضاء إداراتِ التّحقيق، وقضاةِ التّحقيق، وإجراءاتِ المحاكمات أمام القاضي ليتأكّد من صِحّة الأفعال والأقوال والدّعاوى ليحكمَ بما يتوصّل إليه من الحقِّ والصّواب، وفي المثل: وهل آفةُ الأخبارِ إلا رواتُها؟(٢)

وبعد أن تأكّد سليمانُ عليه السلام من معلومات الهدهد كَتَب كتاباً إلى

---

(١) تفسير النابلسي، (٨/ ٤٩١).

(٢) شرعة الله للأنبياء، الزحيلي، ٥٠٥. والشعر عجز بيت للشريف الرضي، وصدره:
وهم نقلوا عنّي الذي لم أَفُهْ به.
والبيت من البحر الطويل. يُنظر: شرح كتاب العلم لأبي خيثمة، لعبد الكريم الخضير (٥/ ٣١).

قوم سبأ ضَمّنه دعوتَهم للدخول في الإسلام، وطَلَب من الهدهد أن يَحْمِلَه إليهم، قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

وتكليفُ سليمانَ عليه السلام للهدهدِ واضحٌ، والخطوات المطلوبة منه بيِّنة، فقد أمره بأربعة أوامر، هي:

**الأول**: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ أمره بحمل كتابه الموجّه إلى سبأ، والتوجُّه من فلسطين إلى اليمن. وحَمَلَ الهدهدُ الكتابَ، وسار إلى اليمن، وقَطَع المسافةَ الطويلةَ بوقتٍ قصير، وكان هذا بأمرٍ من الله، وآيةٍ من آياته، ومعجزةٍ من معجزاته(١).

**الثاني**: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: ولم يقل: (إليها)؛ لأن الهدهدَ قال له: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فأمره أن يلقِيَه إلى الذين هذا دِينُهم، اهتماماً منه بأمر الدِّين، واشتغالاً عن غيره، وبَنى الخطاب في الكتابِ على لفظِ الجمع لذلك(٢).

**الثالث**: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أمره بعد أن يُلقِيَ الكتابَ أن يبتعدَ عنهم قليلًا، بحيث يرى أثرَ الكتابِ على الملكة ومستشاريها.

و﴿تَوَلَّ﴾: فعلُ أمرٍ مبنيٌّ على حَذْف حرف العلة، ماضيه: ﴿تَوَلَّىٰ﴾.

**الرابع**: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أمره أن يُحْسِنَ مراقبة الأمر وتسلسلَ

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٦).
(٢) شرعة الله للأنبياء، ص ٥٠٥.

الأحداث، وأن يعرفَ مدى تأثُّرهم بمضمونِ الكتاب، وأن يقفَ على جوابهم، وردّهم عليه.

وهذه الأوامرُ الأربعةُ للهدهد تُوحي بِعِظَم المهمّة الدّعَوية الموكُولة إليه.

إنّ الهدهدَ مأمورٌ بالتصرُّف في هذه المهمّة بمنتهى الموضوعية، وكأنه إنسانٌ عاقلٌ واعٍ حكيم(١).

حمل الهدهدُ كتابَ سليمان، ووصلَ قصرَ ملكة سبأ، وألقى الكتابَ إليها، وصار يُراقبُ التّطوُّرات. رأتِ الملكةُ الكتابَ، وفتحته، وقرأته، إنّه موجّه من سليمان عليه السلام إليها وإلى قومِها، يدعُوهم فيه إلى التّخلِّي عن الكفر، والدُّخول في الإسلام(٢).

وكان كتابُ سليمان عليه السلام وجيزاً؛ لأن ذلك أَنْسَبَ في مخاطبة من لا يُحْسِنُ لغةَ المخاطبِ، فيقتصر له على المقصود؛ لإمكان ترجمته بسرعةٍ، وحصول فهمه(٣).

قال القرطُبيُّ رحمه الله: في هذه الآية دليلٌ على إرسال الكتب إلى المشركين، وتبليغهم الدّعوة، ودعائهم إلى الإسلام، وقد كتب النّبيُّ ﷺ إلى كسرى وقَيْصَر وإلى كلّ جَبّار(٤).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٧).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٣٧).
(٣) تفسير القرطبي، (١٦/ ١٤٨).
(٤) شرعة الله للأنبياء، ص ٥٠٦.

وقد استخدم رسولُ الله ﷺ الكتابةَ في أمور عدّة، منها الكتابة إلى أحد عشر مَلِكاً وأميراً وحاكماً، يدعُوهم إلى الإسلام، واستمرّ الأمرُ على هذه الحال في دولةِ الإسلام بالمدينة زمن الخلفاء الرّاشدين، ومِن ثَمّ في أيام الخلافةِ الإسلامية.

وإن المراسلاتِ بين الملوك والرؤساء والدول قائمةٌ اليوم على قَدَم وساق، ويتعاملُ بها الجميعُ، وخاصّةً بعد انتشارِ الكتابة والتّوسُّع بها، وتطوُّر وسائلها في الأجهزة المعاصرة في الفاكس والحاسوب والجوّال، ووسائل التّواصل الاجتماعي وغيرها[1].

**رابعاً: قوله تعالى:** ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣٥]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ قوله تعالى:** ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾:

امتثل الهدهدُ (الجنديُّ) لأمر سليمان (القائدِ) عليه السلام، فحمل الكتابَ، وطار في مُهِمّةٍ خطيرةٍ، فقطع الجبال والصحارى والوديان، حتى

(١) شرعة الله للأنبياء، ص ٥٠٧.

وَصَلَ إلى أرضِ سبأ، ومنها إلى قصر الملكة، ونفّذَ الأوامر بدقّة، فألقى الكتابَ، ثم تنحّى ليراقبَ التّطوُّرات وما ستؤولُ إليه الأحداث.

ولا نخوضُ في الإسرائيليات التي فَصّلت كيفيةَ الإلقاء، ونبقى مع آياتِ القرآنِ الكريم.

رأتِ الملكةُ بلقيس الكتابَ، فأخذته، وفتحته لتعلمَ ما فيه، فإذا هو كتابٌ موجّه من سليمان عليه السلام، يدعوها وقومها إلى نَبْذِ عبادةِ الشمس، والدُّخولِ في عبادة الله وتوحيده[1].

وكانت ملكةُ سبأ امرأةً عاقلةً حصيفة، فعلمتْ أن الأمر خطيرٌ جدّاً، فلم تشأ أن تنفردَ في اتِّخاذ القرارِ، بل دَعَتْ إلى عقدِ اجتماع طارئ لمجلس شورى المملكة، فحضروا، وانعقد المجلس، وهم لا يعرفُون سَبَبَ هذا الاجتماع.

أ ـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾:

ـ **الملأ**: هم عِليةُ القوم وأشرافهم، والمستشارون منهم، سُمُّوا بذلك؛ لأن رؤيتَهُم تملأ العيون. قال الرّاغب: الملأ: جماعةٌ يجتمعون على رأي، فيملؤون العيونَ رُواء ومنظراً، والنفوسَ بهاءً وجلالاً، يقال: فلانٌ ملء العيون؛ أي: مُعَظّم عند مَنْ رآه، كأنه عَيْنُه تمتلِئُ من رؤيته[2].

ـ ﴿أُلْقِىَ﴾ جاء بصيغةِ المجهول، وهذا يدلُّ على أنّها لا تعلمُ مَنْ ألقى الكتاب، ولا كيف ألقاه، ولو كانت تعرفُ أن الهدهدَ هو الذي جاء به، كما

(١) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٥٢.
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٢٦.

تقولُ التّفاسير، لأعلنتْ هذه الرؤية العجيبة التي لا تقعُ كلّ يوم[١].

ـ ﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾: لا بُدّ من أن الملكة سمعتْ عن سليمان عليه السلام، وعَظَمة مُلْكه، وعلوّ شأنه، فوصفتْ كتابه بالكَرم، وقد يكونُ الكتابُ خُطّ على ورق فاخر وكُتِبَ بخطٍّ جميل[٢].

قال صاحبُ «التحرير»: ووَصْفُ الكتاب بالكَريم ينصرفُ إلى نفاسته في جنسه؛ بأن كان نفيسَ الصّحيفة، نفيسَ التَّخطيط، بهيجَ الشكل، مُسْتَوفِياً كلّ ما جرتْ في عرفهم من التّأنق فيه، ومن ذلك أن يكونَ مختوماً[٣].

ووصفتْ ملكةُ سبأ الكتابَ بأنه كريم، وهذا من لَباقتها وكِياستها[٤]، كما أنه يدلُّ من جانب سليمان عليه السلام على التزام جانبِ الآداب الإسلامية من: لين القول، والموعظة في الدّعوة إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ، وحُسْن الاستلطاف والاستعطاف، من غير أن يتضمّنَ الكتابُ سبّاً ولا لعناً ولا ما يُغيِّر النّفسَ من كلام نازلٍ أو مُستغلِقٍ، على عادةِ الرُّسُلِ في الدّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ[٥].

إنّ الدُّبلوماسية في العلاقات الخارجية في دولة سليمان عليه السلام، اهتمّتْ بالشكل والمضمون في خطابه إلى ملكةِ سبأ، فالشكل وإن هان في

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٣٩).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٣.
(٣) التحرير والتنوير، (٨/ ٥٤١).
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٥٤١).
(٥) تفسير القرطبي، (١٣/ ١٩٢).

أعين بعض الناس إلا أنه قد يحملُ من الدّلالات، عند الملوك والعظماء ما لا يحملُه موضوعها، وفي حديث النّبيِّ ﷺ أنه لما أراد أن يكتبَ إلى الرُّوم قالوا: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتّخذ النّبيُّ ﷺ خاتماً من فضة، كأني أنظرُ إلى وَبِيْصِه[١]، ونَقشه: محمد رسول الله ﷺ.

ب ـ ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: وهذا الكتابُ مختصر اختصاراً مفيداً، وهو أشبهُ ما يكونُ ببرقية مُوجَزة، أُرسلت إلى قوم سبأ في كلمات وافيةٍ جامعةٍ فصيحةٍ وواضحةٍ[٢].

وقد بدأ سليمانُ كتابه بالبسملة، وهذا يدلُّ على أن البسملةَ كانت معروفةً في عهد النبي سليمان عليه السلام، وهي معروفةٌ عندهم بلغتهم، وكتبها سليمانُ عليه السلام ربّما بلغتهم أو بلغته ثم تُرجمت.

ويُحتملُ أن تكونَ بلقيس تعرف العبرانية، ويحتملُ أن يكونَ الكتابُ مكتوباً بالعربية القحطانية، فإنّ عظمةَ ملك سليمان لا تخلو من كتّاب عارفين بلغاتِ الأمم المجاورة لمملكته، وكونه بلغته أظهر وأنسب لشعار الملوك، وقد كتب النّبيُّ ﷺ باللغة العربية. وأما الكلامُ المذكورُ في هذه الآية فهو ترجمةُ الكتاب في اللغة العربية الفصحى، يتضمّن دقائقه، وخصوصيات اللغة التي أُنشئ بها[٣].

إنّ من القيم التي تضمّنتها البسملةُ في قصّة نبيّ الله سليمان عليه السلام

---

(١) **الوبيص**: البريق.

(٢) المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان، فؤاد سالم، ص ٦٥.

(٣) التحرير والتنوير، (٨/ ٤٦٦).

قيمة الإيمانِ بوجود الله عزَّ وجلَّ، وإثبات بعضِ صفاته، وبيان قيمةِ تعظيم الله بمقتضى صفاته وأسمائه الحسنى، بأنه عزَّ وجلَّ رحمن رحيم، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله أو الخضوع لسواه، كما تبدو محبةُ الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وتخليص النفسِ من سيطرة الغير والخوف منه، فلا نافعَ إلا الله، ولا ضَرَرَ إلا بإرادة اللهِ سبحانه وتعالى[١].

ومما يُلاحَظُ في خطاب نبيِّ الله سليمان لملكة سبأ أنه عليه السلام قَدّم اسمَه على اسم الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ويدلُّ ذلك على أن سليمان عليه السلام كان ذكيّاً، صاحب حِكْمَةٍ، فعرف أن بلقيس لا تعرفُ الله تعالى، بل تعرف سليمان عليه السلام، فخاف أن تستخفّ باسم الله تعالى إذا كان أوّل ما يقعُ نظرُها عليه، فجعل اسمه وقايةً لاسم الجلالة وتعظيماً لله عزَّ وجلَّ[٢].

ـ وفيها أيضاً إشارةٌ إلى أنّ أفضلَ أنواعِ الابتداء ما ذَكَره الله تعالى في كتابه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ففي كلِّ أمر له أهمية، وفي كلِّ مؤلّف له قيمة، وفي كلِّ رسالة له المحلّ الأرقى، وعلى هذا فالذين لا يبدؤون مؤلّفاتهم ورسائلهم بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هؤلاء تَركوا السُّنة النّبويّة، والاقتداء بكتابِ الله عزَّ وجلَّ، وربما سَبَبُ ذلك أنّ كتبهم هذه ورسائلهم ليس فيها بركةٌ، وليس فيها فائدةٌ،

---

(١) القيم التربوية في قصة نبيّ الله سليمان، سمر محمد، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨.

لأنها خَلَتْ من: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنها منزوعةُ الفائدةِ[١].

إنّ سليمانَ عليه السلام كَتَبَ كتاباً موجزاً جامعاً قاطعاً حازماً جاء في مقدمته: (بسم الله الرحمن الرحيم) ليبقى رسالةً خالدةً على مرِّ العصور، تُبيِّن من الوهلة الأولى أن إلهَ سليمان عليه السلام هو الواحدُ الأحدُ الرحمنُ الرحيم[٢].

ج ـ ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾:

و﴿أَلَّا﴾ أصلها (أن لا)، و(أن) في ﴿أَنْ لَا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ هي (أن) التّفسيرية، وما بعدها تفسيرٌ للمطلوب، وبيانٌ لهدف سليمان عليه السلام من كتابه.

ـ (لا) حرفُ نهي وجزم.

ـ ﴿تَعْلُوا۟﴾؛ مضارعٌ مجزومٌ بحرف النهي، وعلامةُ جزمه حذفُ النون، لأنه من الأفعال الخمسة. و﴿تَعْلُوا۟﴾؛ بمعنى: تتكبّروا. تقول: علا يعلو، بمعنى: ارتفع، وهو واردٌ في القرآن بمعنى التّكبُّر، وهو (علو) نفسيٌّ في نفس المتكبِّر[٣].

والعلوُّ ـ هنا ـ بمعنى الغَطْرسة والزّهو الذي يعتاده الملوكُ خاصّةً، وهي مِثْلهم، ملكة لها عَرْش عظيمٌ، وأُوتيتْ من كلِّ شيء، وكونه يخاطبها بهذه

(١) شرح الأصول الثلاثة، صالح الفوزان، ص ١١.
(٢) القيم التربوية في قصة نبيّ الله سليمان، ص ٤٠.
(٣) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٨).

اللّهجةِ المختصرةِ البعيدةِ عن النقاش والجدال، فهذا أمرٌ يحتاجُ منها إلى نظرٍ وأَنَاةٍ.

ولذلك بعد أن أخبرتْ مستشاريها بأمر الكتاب، وما وَرَدَ فيه، طلبتْ منهم الرّأيَ والمشورة[1]، كما سيأتي بيانُه فيما بعد إن شاء الله.

وفي هذه الرِّسالة يَنهى سليمان عليه السلام قومَ سبأ عن التّكبر عليه، أو رَفْض دعوته، ثم يأمرهم بالدُّخول في دينه، وهو الإسلامُ، وهذه الدّعوةُ صريحةٌ في قوله: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، واللطيفُ في دعوةِ سليمان عليه السلام أنه يدعُوهم إلى الإسلام.

ولا يستغربنّ أحدٌ هذه الدّعوةَ، فقد يُشْكِلُ الأمرُ على بعضهم ويلتبسُ عليهم؛ لأن سليمانَ عليه السلام إسرائيليٌّ يحكمُ بني إسرائيل بالتّوراة والزّبور، وقد عاش ومات قبل الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ، فكيف تُصرِّحُ الآية بأنه يدعُوهم إلى الإسلام؟

وللجواب نقولُ: إن الإسلامَ هو دينُ كلِّ نبيٍّ من الأنبياء، وخلاصةُ دعوة كلِّ رسول، فكلُّ نبيٍّ جاء بالإسلام بمعناه العام. والإسلام له ثلاثة معانٍ في القرآن هي:

**الأول**: الإسلام بالمعنى العام، وهو دينُ كلِّ المخلوقات الحية وغيرِ الحية، فكلُّ ما في الوجود (مسلم)، أي مستسلمٌ خاضعٌ مُنقادٌ إلى الله.

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٧٧).

وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

ومعنى ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فكلُّ مخلوقٍ في السموات والأرض أسلم، واستسلم، وخَضَع، وانقاد لله ومشيئته(١).

**الثاني**: الإسلامُ بالمعنى التّاريخي، وهو دينُ كلِّ نبيٍّ ورسول، فكلُّ نبيّ مسلم، وجاء بالإسلام، ودعا الناسَ إلى الإسلام، وأتباعه يُسمّون (مسلمين).

وهو عنوانُ كلِّ دين ورسالة؛ لأن هدفَ كلِّ رسولٍ خضوعُ الناس لله، وخلاصةَ كلِّ دين هي استسلامُ الناس لله، وهذا هو روحُ الإسلام، وعلى هذا قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

**الثالث**: الإسلامُ بمعناه الخاص، وهو دينُ الإسلام وشريعته الذي جاء به محمد ﷺ خاتمُ الأنبياء والمرسلين، والذي انتهتْ إليه رسالاتُ كلِّ الرُّسل، والذي نَسَخَ الله به الأديانَ السّابقةَ، وطالب الناسَ جميعاً أن يعتنقوه، وأخبر أنه هو الدِّينُ الوحيدُ المقبولُ عند الله(٢).

وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، بعد هذا التّلخيص الموجز لمعنى

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٣٩).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٤٠).

(الإسلام) في السِّياق القرآني نعرفُ أن سليمان عليه السلام جاء بالإسلام بمعناه التّاريخي العام، وأنّ دينه هو الإسلام، وأن دعوتَهُ هي دعوةُ الإسلام، وأن هَدَفَه هو استسلامُ الناس، وخضوعهم، وانقيادهم لله؛ ولهذا طَلَبَ في كتابه الموجز إلى قوم سبأ أن يدخلوا في الإسلام، فقال لهم: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

واللطيفُ أن سليمان عليه السلام جَمَعَ في كتابه بين النهي والأمر، حيث نهاهم عن الاستكبار والاستعلاء والعناد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾، ثم أمرهم بالدُّخولِ في الإسلام: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (١)، وهذا من لطائف الخِطاب.

**٢ ـ قوله تعالى:** ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]:

في هذه الآية تبدو سِمةُ الملكة الأريبة؛ فواضحٌ منذ اللحظة الأولى أنها أخذتْ بهذا الكتاب الذي ألقي إليها من حيثُ لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء، وقد نقلتْ مشاعِرَها إلى نفوسِ الملأ من قومها وهي تصفُ الكتاب بأنه (كريم)، وواضح أنها لا تريدُ المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقولُ هذا صراحة، إنّما تمهِّدُ له بذلك الوصف، ثم تطلب الرّأي بعد ذلك والمشورة(٢).

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٤٠).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٤٠) ومن أراد التَّوسُّع، فليراجع القيم الإدارية المستخلصة من قصة النَّبيّ سليمان، سعاد الصوافة، ص ٦٧؛ خصائص ومعجزات سليمان، زينب محمد سوار، ص ١٢٠؛ البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، د. علي الصلابي، ص ٢٨٧؛ التفسير الاقتصادي للقرآن، د. رفيق يونس المصري، ص ١٩٢.

أ ـ ﴿أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي﴾؛ أي: أشيروا عليّ، وقدِّروا لي التّصرُّفَ المناسبَ في هذا الأمر المفاجئ، فماذا نتصرّف؟ وماذا نفعل؟

ب ـ ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾؛ وتابعتْ طلب الفتوى والمشورة، وقالت بأنها لا تقومُ بتصرُّفٍ ولا إصدارِ حُكْم، إلا بعد أن تضع أشرافَ قومها في الصورة، وتُطلِعَهم على القضية، وتسمع آراءهم، وتستفيد من تفكير أصحاب التّحليل الدقيق، والخبرة العميقة.

إنّ هذا الموقفَ من الملكة، وإخبارها قومها بتفاصيل رسالة سليمان عليه السلام يدلُّ على طبيعةِ نظام الحُكْم في سبأ، الذي كانت تمارسُه تلك الملكة الحكيمة، وهو أشبهُ بما يُسمّى نظام الحُكْم الديمقراطي في العصر الحديث.

وإنّ هذه مزيّة تُسجّل لصالح نظام الحُكْم في سبأ في ذلك الزّمان البعيد، باعتبار سبأ مملكة عربية أُقيمت في اليمن، ونشأ نظام حُكْمها على مشاركة الملأ، ولهم سبقٌ زمنيٌّ في هذا النّوع من الحُكْم[1]. وعلى عادة رجال الحاشية أبدَوا استعدادهم للعمل، ولكنهم فوّضوا الرّأي لملكتهم[2].

**٣ ـ قوله تعالى:** ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾:

أجابوا بثلاثةِ أمور مطمئنةٍ تُلقي في نفس الملكة روحَ الاطمئنان على حُكْمها وسلطانها.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٤٢).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٤٠).

ـ **أول هذه الأمور الثلاثة**: ﴿أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾، أي أصحابُ قُوّة في استعدادنا من حيث العددُ، والذخيرةُ، وكلُّ ما يحتاجُ إليه الجنديُّ القويُّ المستعدُّ.

ـ **الأمر الثّاني**: **أنهم** ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: أهلُ همّة ونَجْدة وشجاعة، لا نُفَرِّط في الدفاع عن مملكتنا، وإنّ بأسَنا شديد، لا نتخاذلُ في حرب أبداً إن فُرِضَتْ علينا.

ـ **الأمر الثّالث**: أن القيادةَ كلّها موكولةٌ إلى بلقيس؛ ولذا قالوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: نحن طائعون لأوامرك، الرأي رأيك، وكلامك لا يُناقَش، وفي موضع الطاعة لدينا. ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ الفاء لترتُّب ما بعدها على ما قبلها، أي إذا كان الأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين، أي انظري الرأي السديد الذي تأمرين به، لأن لدينا الاستعدادَ الكاملَ لتنفيذ الذي تأمرين به[1].

قال السّعديُّ رحمه الله: أي: إنْ ردَدْتِ عليه قولَه، ولم تدخُلِي في طاعته فإنّا أقوياء على القتال، فكأنّهم مالُوا إلى هذا الرّأي الذي لو تمّ لكان فيه دمارُهم، ولكنهم أيضاً لم يستقرُّوا عليه، بل قالوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: الرّأيُ ما رأيتِ لعلمهم بعقلها، وحزمها، ونصحها لهم، ﴿فَٱنظُرِى﴾ نَظَرَ فِكْرٍ وتدبُّر، ونحن نسمعُ ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ من أجل تجسيده في حيِّز الواقع دون خوف أو وَجَل[2].

---

(١) زهرة التفاسير، (١٠/ ٥٤٥٢).

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠٤.

فأجابت:

**٤ ـ قال تعالى:** ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

حين أشاروا عليها بأنهم أقوياء وقادرون على التّصدِّي لم تُجارِهِم في ذلك، وحذّرتهم من المساس بمصالحهم؛ ليعيدوا التّفكيرَ في ضوء ذلك، ولكنّ البِطانةَ الواثقة ممّا لديها لمواجهة الآخرين، عزّزتِ الثقةَ بالملكة حين أعادوا الأمرَ إليها، لكنّ الملكة لم تقتنع برأي الملأ فبحثت بدورها عن أساليب أكثر عقلانية في التّعامل مع المعضلة الكبرى، وهذا يُشير إلى عُمْق معرفتها، واتّساع هذه المعرفة، ورجاحة عَقْلِها في العمل بما تعلم، فقالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ وبذلك حذّرت عليةَ القوم من أنهم سيكونون أول الخاسرين من حُدوث الحرب، إن كانت الغلبةُ للطرف الآخر، وإن لم تُقدّر الأمورُ مسبقاً تقديراً سليماً.

وفي ذلك إشارةٌ تحذيريةٌ واضحة لمستشاريها وعلْية قومها من حيث إنّ الحروب لا تُحمد عُقباها، ولا تُضْمَنُ نتائجها، فقد كانت تُدرِكُ وتعلم نتائجَ الحروب قبل التّثبُّت من قدرة العدو ومقاصده الحقيقية، لهذا استبعدتِ الملكةُ فكرة المواجهة، وجعلته خياراً متأخِّراً، يقتضي أولاً معرفة العدو واختباره.

لقد كانت الملكةُ أكثرَ عقلانية من مستشاريها في التّعامل مع الموقف،

وهي تبعاً لذلك يصعبُ خداعها أو تضليلها، بسبب ما تتمتّع به من بصيرةٍ وعلمٍ وحِكْمَةٍ وذكاء[١].

ـ **وجُملة**: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: يحتملُ أن تكونَ من كلام الملكة، كأنه تذييل وتأكيد على كلامها السّابق بحق الملوك بحُكْم تجاربِ التّاريخ، ويحتملُ أن تكونَ من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها عن الملوك. ورجّح الشيخُ محمد متولي الشعراوي رحمه الله أن هذه العبارةَ من الله سبحانه وتعالى، فقال: فالرّأيُ الصّوابُ أن هذه العبارةَ من الحقِّ سبحانه وتعالى ليُصدِّق على كلامها، وأنها أصابتْ في رأيها، فكذلك يفعلُ الملوك إذا دخلوا قرية، وهذا يدلُّ على أن الحقّ سبحانه، ربّ الخلْق أجمعين، إذا سمع من عبدِه كلمةَ حقٍّ يؤيِّده فيها، لا يتعصّب ضدّه، ولا يَهضمه حقّه[٢].

**والملوكُ نوعان**: صالحون عاملون بشرعِ الله، عادلُون في أحكامهم، وملوكٌ فاسدون مُفْسِدون مُتجبِّرون، يحكمون الناسَ بالظُّلم والعدوان. وقولُ ملكةِ سبأ ينطبقُ على الملوك الذين يحكمون بشرائعِ الضّلالِ والجاهلية، القائمة على الظُّلم والشّر والباطل، التي تُسوِّغ للساسة والأمراء والملوك الطُّغاة أن يفعلوا الآثام والمنكَرات، ويسعون في الأرضِ فَساداً[٣].

---

(١) صورة المرأة الحاكمة، ريم المرايات، ص ٤٧٨.

(٢) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٨٠).

(٣) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٧.

**أ ـ قال المكّي الناصري رحمه الله تعليقاً على الآية الكريمة:**

ما ينبغي أن يكونَ عليه الرّاعي من حَصَافة الرّأي، وتقليب وُجُوهِ النظر، والجنوحِ إلى الوسائل السِّلميّة في معالجةِ المشاكلِ السِّياسية، بدلاً من الوسائل الحربية، وهذا المعنى هو الذي تُشيرُ إليه ملكةُ سبأ صراحةً وضمناً[١].

**ب ـ قال الشّنقيطيُّ رحمه الله في مقدمة «الأضواء»:**

ألا ترى أن ملكةَ سبأ في حالِ كونها تسجدُ للشمس من دون الله هي وقومُها، لما قالت كلاماً حقّاً صَدّقها الله فيه، ولم يكن كفرُها مانعاً من تصديقها في الحقِّ الذي قالته؟![٢]

هذا، وقد ظهرَ تميُّز ملكةِ سبأ حين عرضتْ عليهم رأيها، بعد أن أخذتِ الثقةَ منهم، والموافقة على ما تَنْوي فِعْلَه، بوصفه أكثر حصافةً وعقليةً، خاصّة أنها تسعى من خلاله للحفاظِ على مصالحهم وامتيازاتهم، وحين أعلنتْ عن إرسالِ الهدية لم تُخبرهم بالخطوةِ اللاحقة، وإنّما أشارتْ إلى أنّها ستبني موقفَها بناءً على الموقف الذي سيظهره سليمانُ عليه السلام، وبما سيعودُ به الرُّسُل من معلوماتٍ[٣].

**٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾:**

إنّ إرسالَ الهدية إلى سليمان عليه السلام يُمثِّل مناورة سياسية، وإظهارَ

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير، (٤/ ٤٢٨).

(٢) أضواء البيان، (١/ ٦).

(٣) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٧٨.

الميل إلى السِّلم، وحُسْن النية، والرّغبة في كَسْب الوقت، ومحاولة كَشْف الآخر وفهمه، ومعرفة دوافعه، ونقاط ضَعْفه، بالإضافة إلى التّعاملِ على أساسِ النِّديّة، فقد أرسل الملكُ كتاباً، وهي تردُّ كملكةٍ لها مكانتُها، فترسل هدية، فتكونُ أقربَ إلى تحقيق غايتها، بمعنى أنها لم تكتفِ بالردِّ على الكتاب، مهما كان نوعُ هذا الرد، وإنّما تجاوزتْ ذلك بإرسال هدية، بغيةَ دَفْعِ الأمور باتِّجاهٍ آخر، غير الذي كان يُخطِّط له المرسِل، فهي لا تقفُ متفرجةً، ولا تستسلم، وإنّما تصنع الحدثَ وتؤثِّر فيه، وتسعى في الوقت نفسِه إلى احتواء الآخر، وتسييره نحو الهدفِ الذي يشغلُها كملكة عاقلة في طلب السّلام، وتحقيق شروطه؛ فالهديةُ تكشِفُ نوايا الملكة، التي أرادتْ أن تقدمَ نفسها للملكِ الغاضبِ في صورةِ الوديعِ المسالم، وهي بالتأكيد الصُّورة التي أرادت تقديمها عن شَعْبها، وإن كانوا في الحقيقة أولي قُوّة وأولي بأس شديد، ولكنها أرادتْ أن تُوصلَ إليه رغبتها ورغبة شعبها في السلام، وإقامة أواصرِ المحبة بين الشعبين، وإن كانتْ في الأصل ترغبُ بمعرفة المزيدِ عن الملك الغريب الذي يُهدِّد عرشَها، وتختبر قوته، ومواطن ضَعْفه، وحقيقة دعوته، خاصّةً أن مفهومَ النُّبوّةِ لم يكنْ في عقيدتها[١].

ويمكنُ أن نقول: إن الهدية هي: ما يُعطى بقصدِ التّقرُّب والتحبُّب، لذا لها مقام ومقصد ومبتغى ودور في تعزيز العلاقات، وتوثيق الأواصر، وسَلّ سخائم القلوب[٢].

---

(١) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٧٩.

(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.

لقد أرادتِ الملكةُ أن تمتحنَ سليمان عليه السلام، وتختبرَ نفسه، وتبتليَ أخلاقه، لتعرفَ أهو جادٌّ في كتابه؟ أم أنه صاحبُ أطماعٍ مادية، يُسْكِتُه بريقُ الذهب والفضة؟ فقرّرت أن تُرسِلَ إليه هديةً، هي في واقع الحال رشوةٌ تحت ستارِ هدية.

رُوي عنِ ابنِ عبّاسٍ أنه قال: قالتْ لقومها: إنْ قَبِلَ الهدية فهو ملك فقاتِلُوه، وإن لم يقبلْها فهو نبيٌّ فاتّبعوه(١).

وهذا من رجاحة عقلها وفِطْنتها، فقد علمتْ أن للهديةِ تأثيراً بالغاً في النُّفوس(٢).

قال صاحبُ «الظلال»: الهديةُ تلينُ القلب، وتُعلنُ الودّ، وقد تفلحُ في دفع القتال وإنهائه. وهي تجربة. فإن قبلها سليمانُ فهو إذاً يبتغي أمرَ الدُّنيا، ووسائلُ الدُّنيا إذاً في هذه الحالة تُجدي، وتُؤتي ثمارها. وإن لم يقبلْها فهو إذاً أمرالعقيدة، الذي لا يصرفُه عنه مال، ولا عَرَض من أعراضِ هذه الأرض(٣).

والهديةُ كذلك تُزيلُ حزازاتِ النفوس، وتبني جسورَ الودِّ والحبِّ والتقدير، وهي لعلّها أرادتْ عن طريقها بناءَ علاقات طيبة مع سليمان عليه السلام(٤).

ـ **وفي قوله**: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾: دلالةٌ على أنّها لم تثقْ بالقبول،

---

(١) تفسير الطبري، (١٩/ ١٥٥).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.
(٣) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٦٤٠).
(٤) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.

وتوقّعت الرّدّ، وأرادت بذلك أن ينكشفَ لها غرضُ سليمان عليه السلام[١].

ويبدو أن الملأ وافقوها على رأيها، واسْتَحْسَنوا خُطّتها[٢].

هكذا أرجأتِ الملكةُ القرارَ النهائيّ في الأمر حتى يرجعَ المرسَلُون، أي لا قرارَ قبل الاستيضاح والفهم لدوافع الطّرفِ الآخر، ويكشفُ الموقفُ أيضاً أنها لم تكنْ متعجِّلةً أو مُتسرِّعة، فهي تُمعنُ النّظر، وتُديم التّفكير، وتَبْني مواقفَها على حقائق وبراهين ثابتة، وليس على التّوقُّع والظّنِّ[٣].

أعدّتِ الملكةُ هديّتها، وأرسلتها مع وفدٍ رفيعٍ كعادة الملوك، والقُرآنُ الكريمُ سكتَ عن هذه الهدية ما هي؟ وما حَجْمها؟ وما نوعُها؟ وبالغتِ الإسرائيلياتُ في وَصْفِها مبالغةً كبيرة، لا يُصدِّقُها عقلٌ، وهي أقربُ إلى الأساطير منها إلى الحقيقة[٤].

قال ابنُ عطية عن هذه الهدية: أكثرَ بعضُ الناس في تفصيلها، فرأيتُ اختصارَ ذلك لعَدَمِ صحّته[٥].

وقال الآلوسيُّ في التّعليق على ما وَرَدَ من شأن هذه الهدية: وكلُّ ذلك أخبارٌ لا ندري صِحّتها ولا كذبها، ولعلّ في بعضها ما يميلُ القلبَ إلى القولِ بكذبه[٦]. وكلُّ ما نستجيزُ قوله هنا: أنها هديةٌ ثمينةٌ تليقُ بالملوك،

---

(١) تفسير الرَّازي، (٨/ ٥٥٥).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.
(٣) صورة الملكة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٨٠.
(٤) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٦٩.
(٥) المحرر الوجيز، (٤/ ٢٥٩).
(٦) روح المعاني، (١٩/ ٢٠٠).

فملكةُ سبأ تريدُ استرضاءَ سليمان حتى يكفّ بأسَه عن قومِها.

رجَعَ الهدهدُ وأخبرَ سليمان عليه السلام بخُطّة الملكة وما انعقدَ عليه رأيُ القوم، وبعد وقتٍ ليس بالطويل وصلَ الوفدُ الرفيعُ الذي يحملُ الهديةَ إلى سليمان عليه السلام، فكان موقفُ سليمان عليه السلام ما قَصّه علينا القرآنُ الكريم(١).

**خامساً: قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٣٦ ـ ٤١]:

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾:

ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: وصلَ الوفدُ إلى بيتِ المقْدِس، ودخلُوا على سليمان عليه السلام، وقدّموا له الهدية، لكنّه رَفَضَ قبولَها، واستعلى عليها، وأنكر عليهم تقديمَها، وعرفَ غرضَ الملكة، واكتشف فِعلَتَهُمْ في

(١) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، (ص ١٦٩).

محاولةِ رشوته بالمال، وشراء ذِمّتِه بالهدايا. قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ والاستفهام هُنا: استنكاريٌّ توبيخيٌّ، أي: أترشُوننني بهذا المال؟ اعلموا أنني لستُ بحاجةٍ إلى مالكم، وهديتكم، ورشوتكم.

ـ ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ﴾: ذَكَر أمامَهم أن فَضْلَ الله عليه كبير، فقد أنعمَ الله عليه بالنِّعم الكثيرة، والخير الكثير الجميل، والعطايا الجزيلة من العِلْم والنُّبوّة والحِكْمَة والملك، ما لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ كتسخير الرياح والجِنّ والأنس ومواد الصِّناعات وغير ذلك، وكأنه يقولُ لهم: أنا لستُ ممّن تُقدّم له الرشوة باسم الهدية؛ لأن الله أَغْناني عنها بما آتاني ومَنَحَني، وأنتم مَنْ تأخُذون الرشاوى والهدايا ولستُ أنا[١].

ـ ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾: بل للإضرابِ الانتقالي، وهو انتقالٌ مِن إنكارِه عليهم إمدادَه بمال، إلى ردّ ذلك المال، وإرجاعه إليهم[٢].

قال السّعديُّ رحمه الله: لحبِّكم للدنيا، وقلّة ما بأيديكم بالنّسبة لما أعطاني الله، تحاولون رشوتي بالمالِ[٣].

قال الشّيخُ محمد أبو زهرة: «بل» للإضراب الانتقالي، فأنتم لا تفرحُون إلا بالمادة، وما يتّصلُ بها من أمثالها، وتقديم الجارّ والمجرور «بهديتكم» للقصر والاختصاص، أي لا تفرحُون إلا بها[٤].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٤٧).

(٢) التحرير والتنوير، (١/ ٤٧٤).

(٣) تفسير السعدي، (ص٨٠٤).

(٤) زهرة التفاسير، (١٠/ ٥٤٥٣).

وقال المهندسُ عبد الستار كريم المرسومي: رَفَضَ الرّشوة، وهنا ينبغي للقائدِ أن يُميِّزَ جيداً بين الرشوةِ وبين الهدية، ويتدخّل في هذا التّمييز مجموعةٌ من العوامل، فمنها العِلْمُ، ومنها التّقوى، ومنها نقاءُ السريرة، ومنها صدقُ النية، فالهديةُ والرشوةُ في العطاء والأخذ متشابهان، ولكنّ الفرقَ في النِّيّات والنتائج، ومن هنا ميّز نبيُّ الله سليمان عليه السلام فتبيّن له أن ما أرسلته الملكةُ بلقيس إنّما كانت بمنزلة الرشوة، بقصد أن يرجع سليمان عليه السلام عن قراره حين دعاهم للإسلام؛ لذلك فإنّه رَفَضَ الهديةَ رَفْضاً قاطعاً لا رَجعة فيه.

ويَحلُّ للقائد أن يقبلَ الهدية، سواء كانت شخصية أو لمصلحة الجماعة؛ ولا يحقُّ له أن يأخذ الرشوة.

ـ فالهديةُ تكون من غير مقابل؛ ولهذا عدّ النّبيُّ سليمان عليه السلام هديةَ بلقيس رشوةً حين قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾. فما دامتِ الملكةُ بلقيس تنتظرُ أن يرجعَ مَنْ أرسلته بالهدية بالنتيجة، فقد كانت تنتظرُ المقابلَ لتلك الهدية، فهي إذاً ستكون رشوة وليست هدية.

ـ كذلك يجب ألا يكون توقيتُ إرسالِ الهدية حين اتخاذِ قرارٍ بشأنٍ معين، فيؤثِّر وجودُها في ذلك القرار بشكل كُلِّي أو جزئيّ.

وعلى العموم، فإنّ الرشوةَ هي ما يُتوصّل به إلى إحقاقِ باطل، أو إلى إبطال حق[1].

(١) القائد دراسة تحليلية، ص ٩٨.

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية: قال العلماءُ: إنّ مَنْ أهدى هدية لوليِّ الأمر، ليفعلَ معه ما لا يجوزُ كان حراماً على المهدي والمُهدى إليه، وهي من الرشوة التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: «**لعن الله الرّاشي والمرتشي والرّائش بينهما**»[١].

وقد اتفق الفقهاءُ على أن الرشوةَ حرامٌ، بما أنّ عقوبتها لم تحدِّدها الشّريعة، فتكون عقوبةً تعزيريةً تعودُ إلى اجتهاد الإمام، أو من ينوبُ عنه، وهي ترتبطُ شدّةً أو خفّة، أو تغليظاً أو تخفيفاً بحجم الرشوة، وآثارها، وظروفها، وملابساتها المحيطةِ بها[٢].

ولا مانعَ شرعاً من إصدارِ تقنينٍ خاصّ بالرشوة تحدّد فيها العقوبات، وحدّها الأدنى والأقصى، معتمدةً على آراءِ أهل الشّرع، والقانون، والخبرة[٣].

إنّ سليمان عليه السلام يقدِّم للإنسانية درساً في صُمود العقيدةِ أمام إغراء المالِ، وقد كانت فتنةُ المال قديمةً في الإنسان كما في وقتنا الحاضر؛ إذ ظنّتْ بلقيسُ أن سليمانَ كغيره من الناس تؤثِّر فيه إغراءاتُ المال، ولذلك أرسلتْ إليه بهدية تمتحنُ جوهره لترى آثارها في نفسه، وهل تكونُ هذه الهدية مدعاةً لسكوته وتَرْك دعوته لله، والغزو الذي هدّدها به؟! ولكن لم تجدْ بلقيسُ ردّاً من سليمان عليه السلام سوى قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ

(١) التنمية الشاملة، د. علي القره داغي، ص ٧٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٩.

﴿ءَاتَىٰكُمُ﴾ كلمةٌ قالها، وأطلقها لتكون دستوراً لمن بعده، وليقولها بعده كلُّ داعيةٍ مخلصٍ في دعوته إلى الله، وكل زعيم، وكل قاض، عندما يَعْرِضُ عليه أهلُ الباطل رشوة للسكوتِ عن فسادهم، ومجاراتهم في باطلهم(١).

وبعد أن بيّنا خُطُورةَ الرشوة، والفرقَ بينها وبين الهدية، لا بدّ من بيان ما وَرَدَ في السُّنة والأحاديث الصّحيحة في فَضْل الهدية، والحثّ عليها وقبولها، حتى إنْ قلّتْ، ومن تلك الأحاديث: .

ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**يا نساءَ المسلمات، لا تحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة**» (٢).

ـ وعن عائشة رضي الله عنها: أن النّبيّ ﷺ كان يقبلُ الهدية، ويثيبُ عليها(٣).

ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا**» (٤).

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسولَ الله، إنّ لي جارتين فإلى أيِّهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منكِ باباً**» (٥).

---

(١) دعوة سليمان عليه السلام، ص ٧١.
(٢) رواه البخاري، رقم: ١٩٥٣.
(٣) رواه البخاري رقم: ٢٦٢٢، ومسلم رقم: ١٦٢٢، وسنن الترمذي، رقم: ١٩٥٣.
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤) وأبو يعلى في مسنده (٦١٤٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٢٩٧).
(٥) رواه البخاري (٢٢٥٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨).

ـ وعنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه قال: قال النّبيُّ ﷺ: «**ليس لنا مثل السّوء، الذي يعودُ في هِبته كالكلب يرجعُ في قيئه**»(١).

هذه بعضُ الأحاديث التي تحضُّ على التّهادي، ولو باليسير، ومَنْع استرجاع الهدية؛ لما فيه من استجلابِ المودّة، وإذهابِ الشّحْناء، واصطفاء الجِيْرة(٢).

ونرجعُ إلى سليمان عليه السلام، فبعدَ أن رَفَضَ رشوتهم أطلق عليه السلام تهديدَه القويّ الصّاعقَ، وإنذارَهُ الأخيرَ الماحق، وحمّل وَفْدَ الهدية رسالةً قويةً هي بمنزلة إعلانِ حرب.

**٢ ـ قال تعالى**: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾:

والمعنى: أنّ سليمانَ عليه السلام قال لمن جاؤوا بالهدية موجِّهاً تهديدَه إلى رئيسهم: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: ارجعْ بهديتهم.

ـ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾؛ أي: لا طاقةَ لهم بقتالهم.

ـ ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾؛ أي: ولنخرجنّهم، أي بلقيس وقومها، من بلدتهم أو من أرضهم أذلّة.

ـ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾؛ أي: مُهانُون مَدْحُورون، وهذا الذي سيُصيبهم إذا لم يُسْلِمُوا وظلُّوا مقيمين على كُفْرِهم(٣).

---

(١) رواه البخاري رقم: ٢٦٢٢، ومسلم رقم: ١٦٢٢، وسنن النسائي، رقم ٣٦٩٧.
(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السُّنَن، (٢٥/ ٦٦ ـ ٧٧).
(٣) الكشاف، (٣/ ٢٦٦ ـ ٣٦٧).

**أ ـ قال محمد أبو زهرة في تفسيرِه للآية:**

كان الخطابُ بالمفرد؛ لأنه كان الوفد الذي سيُخبرهم بأمرِ سليمان، وما استعدّ به لهم، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾ الفاء: عاطفةٌ دالّةٌ على التّرتيب والتعقيب، أي فور رجوعهم لنأتينهم، وقد أكّد غزوَ الشِّرك بالقَسَم، ولام القسم، ونون التّوكيد الثّقيلة، كما أكّد إرسالَ الجيش، وأكّد نتيجته بقوله: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾ والإخراجُ يصحُّ أن يكونَ معناه: إبعادهم عن سُلْطان الحُكْم، فلا يكونُ لهم رأيٌ ولا إرادة، وكأنّهم المخرجون. و﴿أَذِلَّةً﴾ أي كونهم أذلاء صاغِرين؛ أي منحطِّين إلى المنزل الدُّون؛ لأنه لا قدرةَ عندهم على تغييرِ حالهم، والتّفكير في أمرهم. كان هذا ردُّ الملك النّبي، وما كان ليسكت عن قوم يعبدون الشّمس وهم مشركون، فهو ملكٌ نبيٌّ، ونبوته تقتضي الدعوةَ إلى الله تعالى، ومواجهة المشركين، وهي العاملُ الأولُ المسيِّر لملكه دائماً[(١)].

**ب ـ وقال الدكتور عبد الكريم زيدان:**

ويُفْهَمُ من هذا: أن سليمان أظهر عَزْمَهُ على قتالِ بلقيس وقومها، وإزالةِ حُكْمهم بالقوة إذا لم يُسْلِموا ويتركوا كُفْرهم وشِرْكهم. ومعنى ذلك ـ على ما يبدو لنا ـ أن ما عزم عليه سليمان عليه السلام، هو من بابِ إزالةِ المنكر، ونظراً لوجودِ القوةِ اللازمة فإن سليمان عليه السلام سيتحرك إلى اليمن طالباً من بلقيس التّنحِّي عن السُّلطة والحُكْم، إذا لم تُسْلِم وقومها، وإذا رفضتْ ذلك فإنّه سيحاربُها، ويزيلُ حُكْمها بالقوة، لأن بقاءه منكر عظيم تجبُ

(١) زهرة التفاسير، (١٠/ ٥٤٥٤).

إزالته، ومعنى ذلك كله: أن مِنْ شريعةِ سليمان إزالة الحُكْم الطّاغُوتي من الأرض كلما كان ذلك ممكناً، وقد أمكنه بالنّسبة لمملكة سبأ في اليمن، فقد كَتَبَ إلى بلقيس كتابه قبل أن يخطوَ الخطوةَ الثّانية، وهي إخضاعُهم بالقوة، وإزالةُ حُكْمِهم الكافر(١).

إن فلسفةَ الفتوحاتِ الإسلامية في العصر الرّاشدي، استمدّت تعاليمَها من هدايات القرآنِ الكريم، وتوجيهات النّبيِّ ﷺ، وساهمتْ تلك الفتوحاتُ في إزالة أكبرِ الإمبراطوريات الاستبدادية الشُّمولية، وخُصُوصاً الإمبراطوريتين الكبيرتين في ذلك الزّمان، وهما الفارسيةُ والبيزنطيةُ، وتركت الشُّعوبَ تختارُ العقيدةَ التي تراها مناسبةً لها.

لما رجعَ رسلُ بلقيس بهديتها، وأخبروها بما قال سُليمان عليه السلام، وما هدّدهم وتوعّدهم به، عزمتْ على الاستجابةِ لدعوته، وأعلمته بالقُدومِ عليه مع رؤساء قومها للتعرُّف على دينه والدُّخُول فيه، فقد كانت لا تريدُ العداء، ولا الحرب.

وخلال جَمْعِها المعلومات، والتعرف على قدراتِ سليمان عليه السلام القتالية والحضارية، علمتْ أنها لا طاقةَ لها به، فقد قال لقومها: قد عرفتُ ما هذا بملك، وما لنا به طاقة، وبعثتْ إليه أني قادمةٌ إليك بسادة قومي، لأنظر أمرك، وما تدعو إليه من ذلك(٢).

ولما علم سليمانُ عليه السلام بتوجُّه بلقيس ومسيرها ومَنْ معها إليه،

---

(١) المستفاد من قصص القرآن، ص ٢٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٦٣).

سرّه ذلك، وقال عليه السلام للملأ من حوله من الجِنِّ والإنس ما أخبرنا الله به:

**٣ ـ قال تعالى:** ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]:

أراد سليمانُ عليه السلام أن يفاجئَ الملكةَ بآيةٍ باهرةٍ، ومعجزةٍ قاهرة، تكونُ دليلًا على أنه نبيٌّ مرسلٌ، معه العونُ والمددُ والنّصرةُ من الله، فجمع أهلَ الحل والعقدِ في مملكته، وعرض عليهم خُطّته.

إن سليمان عليه السلام أراد من إحضاره العرش أن يكونَ ذلك دليلًا على نبوته، وليريها عظمةَ قدرة الله، وقوة سُلْطان الله سبحانه وتعالى، وليختبر رجاحةَ عَقْلِها عند مواجهةِ الصّدمات(١).

يقول الدكتور الخالدي رحمه الله: هَدَفُ سليمان عليه السلام من ذلك أن يُري الملكةَ ووفدَها مظهراً من مظاهر قوته، واتِّساع نفوذه، وضَخامة سُلْطانه، وقوة إمكاناته، وذلك ليقضي على أيِّ وسواسٍ في نفوسِ الوفد بالمواجهة أو المقاومة، وليزيلَ أيّ شكّ في نفوسِهم عن الإيمان بالله، ويزدادوا يقيناً بأنه لا إله إلا الله(٢).

وعلى ما يبدو كان لدى سليمان عليه السلام، مع كَوْنِهِ نبياً مقرّباً قويّاً، مجلسٌ استشاريٌّ يضمُّ الإنسَ والجنّ، وهم يساعدونه في تدبير أمورِ

---

(١) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٧٣.
(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٤٩).

الحُكْم، ويشيرون عليه بالخيرِ، فجمعهم، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾؟!

وقد عرف سليمانُ عليه السلام أن للملكةِ عرشاً عظيماً، فقد أخبره الهدهدُ بذلك. ومن المؤكّد أن الملكةَ ـ قبل خروجها ـ وضعتْ عليه حراسةً مشدّدةً، فمن عادة الملوك إذا خرجوا إلى سفر، أو زيارة شدّدوا الحراسات، وضاعفوا إجراءات الحماية على مؤسسات الحُكْم العامة، وخاصّة القصر الملكي أو الجمهوري الذي يُمثِّل رمزَ استقرار النظام، ومنه يخرجُ القرارُ، ومع ذلك فسليمان عليه السلام يريدُ ذلك العرشَ قبل أن تصلَ الملكة ووفدها مسلمين[1]، أي: مُذْعِنين مُنْقادين خاضِعين. وقد قُدِّم لسليمان عليه السلام عرضان لإحضار العرش: الأول من عفريتٍ من الجِنِّ، والثاني من شخص عنده عِلْمُ الكتاب[2].

**٤ ـ قال تعالى:** ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾:

ورد لفظُ الجِنِّ في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، وسُمِّيَت باسمهم سورةٌ هي سورة الجِنّ، ووَرَدَ في السُّنّة المطهّرة كذلك ذكْر الجِنّ في مواضع متعدِّدة، وكل ذلك إنّما يدلُّ على أهمية هذه المخلوقات؛ إذ إنهم يشاطرون الإنس في التّكليف، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) سليمان عليه السلام في القرآن، ص ١٧٣.

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٥٠).

ويُستخلصُ من التّعريفات المتعدِّدة للجنِّ، بأنهم نوعٌ من الأرواحِ العاقلة المريدةِ المكلّفة على نحو ما عليه الإنسان، وهم مستترون عن الحواسّ، لا يُرونَ على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم القدرةُ على التّشكل، ويأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ولهم ذرِّيةٌ، وهم محاسَبُون على أعمالهم في الآخرة(١).

صرّح القرآنُ الكريمُ والسُّنة النّبويّة بذِكْر المادة التي خُلِق منها الجِنُّ، فقد وَرَدَ في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وذلك مقابلُ الحديث عن خَلْق الإنسان من طين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وغير ذلك من الآيات التي تتحدّث عن إباء إبليس للسجود لآدم عليه السلام، لأن إبليس زعم أن النار أفضل من الطين، وذاك قول بعيد عن الحقيقة. قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وأما في السُّنة النّبويّة، فقد وَرَدَ في صحيح مسلم من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**خُلِقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلق آدمُ ممّا وُصِفَ لكم**» (٢).

وهكذا نلاحظُ أن القرآنَ الكريم والسُّنة النّبويّة، قد حدّدا ماهية المادة

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ١٣٣.
(٢) مسلم، كتاب الزهد والرقاق، (٤/ ٢٩٤).

التي خُلِق منها الجِنّ، حيث عبّر القرآن عنها مرة بنار السموم، ومرّة بأنها من مارجٍ من نارٍ، فما هي هذه المادة؟ وما طبيعتها؟

قال الطبريُّ في تفسير المارج: هو ما اختلطَ بعضُه ببعضٍ من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرِج أمرُ القوم: إذا اختلط، ومن قولِ النّبيّ ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «**كيف بكَ إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناس قد مرجتْ عهودُهم وأماناتُهم**»[(١)]... الحديث، وذلك هو لهبُ النار ولسانُه[(٢)].

ومما يُؤيِّد هذا القولَ ما وَرَدَ عنِ ابنِ عبّاسٍ في تفسير المارج قال: المارجُ: اللهبُ، وقال: خَلَقَ الله الجانّ من خالصِ النار، وعنه أيضاً: من لسانها الذي يكونُ في طرفها إذا التهبتْ، وفي رواية أخرى عنِ ابنِ عبّاسٍ: أنه اللهبُ الذي يعلو النّار، فيختلط بعضُه ببعض: أحمر وأصفر وأخضر. وقال الليثُ: المارجُ: الشعلةُ السّاطعةُ ذات اللهبِ الشّديد. وقال المبرد: المارجُ: النارُ المرسلةُ التي لا تُمنَع[(٣)].

وفي واقع الأمر أنّ هذه الرِّوايات كلّها متقاربةُ المعنى، وتؤدِّي معنى واحداً، فخالصُ النار، أو ما كان في طرفها إذا التهبت واختلطت، تُعْطِي ألواناً من الحمرة والصفرة والاخضرار، وهو الذي خُلِق منه الجنُّ.

---

(١) أحمد، (٢/ ١٦٢). وانظر: سُنَن أبي داود، (٤/ ٥١٣).

(٢) تفسير الطبري، سورة الرحمن، الآية ١٢، نقلاً عن عالم الجن في القرآن، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) تفسير القرطبي نقلاً عن عالم الجن في القرآن ص ١٤.

وأما بالنِّسبةِ للسُّموم في الآية الأخرى، فقد قال ابنُ عباس في تفسير ذلك: السمومُ: الرِّيحُ الحارّة التي تقتلُ. وعنه: أنها نارٌ لا دخانَ فيها. وقال ابنُ مسعود: نارُ السّموم التي خُلِق منها الجانُّ جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم(١).

وقال الإمامُ النّسفيُّ: من نار السّموم: من نار الحرّ الشّديدِ النافذِ في المسام(٢)، وهذا التّفسيرُ لنار السموم لا يخالفُ تفسير المارج ـ كما تقدم ـ إذ إن الشُّعلةَ الزرقاءَ الملتهبةَ التي تكونُ في طرفِ النار، تمتازُ بقوةِ الحرارةِ، ولها خاصيّةُ النفاذِ من كلِّ المسام(٣).

**أ ـ معنى العفريت:**

قال السّمينُ الحلبي في «عمدة الحفاظ» عن معنى العفريت: هو المتمرِّد من الجِنِّ الخبيث منها، وقيل: هو من الجِنِّ النافذ القويِّ مع خبثٍ، ويُستعار ذلك للآدميين استعارةَ الشّيْطان لهم. قال ابنُ قتيبة: هو من قولهم: رجلٌ عفريت، وهو الموثَقُ الخَلْق. وأصلُه من العفر وهو التراب. ومنه: عافره: صارعه فألقاه في العَفْر. وعلى هذا فنسبةُ هذه الصفة إلى الإنسِ أولى من الجِنِّ، لأن الإنسَ خُلِقوا من التراب، والجِنّ من النار. ويقال: رَجلٌ عَفَرَ نَفَرَ، عِفرِيتٌ نِفْريتٌ، وعَفارية نَفارية: إذا كان خَبيثًا(٤).

والعفريت: هو الجنيُّ القويُّ المتينُ المسيطرُ، كثيرُ الحركة، فكأنه

---

(١) عالم الجن في ضوء الكتاب والسُّنَّة، عبد الكريم نوفان عبيدات، ص ١٤.
(٢) تفسير النسفي، مرجع سابق، (٢/ ٢٧٢).
(٣) قصة بدء الخلق وخلق آدم، ص ٧٠٥.
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٥٥٢)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٣/ ١١٦).

بحركته الكثيرةِ المستمرةِ يثيرُ الترابَ والغبار. ولم ترِدْ كلمةُ (عفريت) إلا في هذا الموضع من القرآن، وقيّدت الآيةُ كلمة العفريت بأنه من الجِنِّ، ولا ينطبقُ على الإنسان إلا من باب الاستعارة[١].

**ب ـ الفرق بين العفريت وبين الشيطان:**

يقول الدكتور صلاح الدِّين الخالدي: هناك فرقٌ بين العفريتِ الجنيِّ، والشيطان الجنيِّ، لأن الكلمتين وردتا في القرآن، ونعلم أنه لا ترادفَ في القرآن.

**الشيطانُ الجنيُّ**: هو الجنيُّ الكافر المتمردُ المتشيطن البعيدُ عن رحمة الله، وأما **العفريتُ** فهو الجنيُّ المؤمنُ التّقي النقي القوي كثيرُ الحركة والنشاط، بدليلِ أن العفريتَ الجنيّ كان مقرّباً من سليمان عليه السلام، ولا يقرِّبه سليمان عليه السلام إلا إذا كان مؤمناً وهو قويٌّ أمين، كما عرّف عن نفسه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان مؤمناً أيضاً[٢].

**ج ـ شخصيةٌ غير بشريةٍ في مجلس سليمان عليه السلام:**

ظهرتْ شخصيةُ العفريت من الجِنِّ الغير بشرية، بوصفها قادرةً وعالمةً ومهمّة في مجلس سليمان عليه السلام، حيث فاضلَ النّبيُّ ﷺ بين جلسائه، وجعل هذه المفاضلةَ في القدرة على جَلْب عرش الملكة قبل أن تصلَهُ مع حاشيتها، وقد بلغه أنها في طريقها إليه: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٥٢).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٥٢).

فظهرتْ هذه الشخصيةُ بما فيها من عجائب بالنِّسبة لقوانينِ الحياةِ البشرية، ولكنّ وجودها كان طبيعياً في مجلس الملك الذي سيسخِّر الله سبحانه له الجِنّ الذين هم أجناسٌ أيضاً، إنّه عفريتٌ من فصيلة الجِنِّ، ويوحي بالقوة والشّباب، وأكّد ذلك لفظة (قوي) والقدرة التي أبداها في إمكانيةِ جَلْبِ العرش في زمن قصيرٍ مع المحافظةِ عليه، أي حمايته، وذلك ليغري الملكَ بتكليفه، لشرفِ هذا التّكليف.

وبرزَ وجودُ هذه الشخصية بوصفها أمراً طبيعياً في سياق ما وَهَبَ الله لسليمان عليه السلام، مبرزاً دورَ جلساء الملك وأعوانه ومهمّاتهم، وطلبهم الحظوة عند الملك، عبر تنفيذِ المهام الصّعبة: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾.

ولقد أضاءتْ هذه الشخصيةُ صفات جُلَساء الملك النّبيّ عليه السلام، وهي الإيمانُ والعِلْمُ والقوةُ والأمانةُ، وهذه الصِّفات هي ما يجبُ أن يتَّسم بها مستشارُ الملك الذي عليه أن يقربَ أكثر مستشاريه علماً وإحاطة، وإذاً فقد فاز بأداءِ المهمّة أكثرُ الجلساء علماً، والآية التّالية توضِّح ذلك[1].

**٥ ـ قال تعالى:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾:

**أ ـ** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾:

قدّم الذي عنده عِلْم من الكتاب عَرْضاً آخرَ أسرع، فقال لسليمان عليه السلام: أستطيعُ أن آتيك بعرشِها قبل أن يرتدّ إليك طرفك. والطرفُ: هو

(١) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٦٦.

تحريك جفن العين. والطرفُ: تحريك الجفن، والعين، والنظر. والطرفُ: النهاية. والطرفُ من كلِّ شيء: مُنتهاه[١].

فمعنى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: مدّ بصرك، وانظرْ إلى شيءٍ بعيدٍ يصله نَظَرك، ومُدّ طرفَكَ إليه، فإنّه لا يرتدُّ إليك طرفك إلا وعرشُها حاضر عندكَ، موجودٌ بين يديك.

فإذا كان العفريتُ يقدرُ على إحضارِ العرشِ ما بين جلسةٍ وقيام، فإنّ الذي عنده علمٌ من الكتاب يقدرُ على إحضاره خلالَ ثوانٍ معدودات، لأن مدّ البصر إلى شيء بعيد، وإرسال الطّرف إليه، ثم إعادته لا يستغرقُ إلا ثواني قليلة.

فهذا الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب سيطوي المسافةَ الطويلةَ من اليمن إلى بيتِ المقْدِس، وسيقطعها في لحظات. ولن يفعلَ ذلك بنفسه، وإنّما سيفعلُه بأمرِ الله، فالله هو الذي سيأتي بالعرشِ في الحقيقة، ولكنه سيجريه على يدِ الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب[٢].

**ب ـ من هو الذي عنده علم من الكتاب؟**

وقد كثرتِ الأقوالُ في تعيينِ هذا الشخص، منها:

ـ قيل: إنه آصف بن برخيا، وهو وزيرُ سليمان وكاتبه، قالوا: كان يَعْلَمُ اسمَ الله الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى، وهذا قولُ أكثر المفسِّرين.

---

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢٦١).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٥٣).

ـ كما قيل: هو سليمان نفسه، وهناك أقوال أخرى، وقد رجّح بعضُ المفسِّرين أنه سليمان عليه السلام، فقد قال ابنُ عطية: قالت فرقةٌ بل هو سُليمان عليه السلام، والمخاطبةُ في هذا التّأويلِ للعفريت لما قال هو: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾، كأنّ سليمانَ عليه السلام استبطأ ذلك، فقال له على جهةِ تحقيره ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ واستدلّ قائلُ هذا القولِ بقولِ سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ (١).

وهذا القولُ ذَكَره النّحّاس(٢). وقال عنه القرطبيُّ: وهو قولٌ حسن إن شاء الله تعالى، رغم أنه قال قبلَ هذا الموضع: ولا يصحُّ في سياقِ هذا الكلام مثلُ هذا التّأويل(٣).

وهذا الذي رجّحه الرّازيُّ في تفسيره(٤)، ومن المعاصرين الدكتور فضل عباس(٥)، والدكتور محمود بكر إسماعيل(٦)، والشيخ محمد متولي الشعراوي(٧) رحمهم الله تعالى.

**ج ـ رأي الدكتور صلاح الدِّين الخالدي رحمه الله:**

وقد أبهم القرآنُ هذا الشّخصَ الذي سَيُحضِرُ العرشَ في لحظاتٍ، ولم

---

(١) المحرر الوجيز، (٤/ ٢٦١).
(٢) معاني القرآن الكريم، (٥/ ١٣٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، (١٣/ ١٣٦).
(٤) التفسير الكبير، (٨/ ٥٥٧).
(٥) قصص القرآن الكريم، ص ٦٦١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٨١.
(٧) تفسير الشعراوي، (١٧/ ١٠٧٨٥).

يصفه إلا بأنه ﴿عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ولا يوجدُ حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ للنبي ﷺ يتحدّث عنه، ويضيفُ جديداً إلى ما في القرآن.

ولا نقولُ فيه إلا أنه رجلٌ عنده عِلْمٌ من الكتاب، فلا نعرفُ اسمه ولا نَسَبه ولا جِنْسَه، أهو من الجِنِّ أم من الإنس، ولا وظيفته وعَمَله عند سليمان عليه السلام.

و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ هو كتابُ الله الذي يحكمُ به سليمان عليه السلام، ونعلم أن أنبياءَ وحُكّام بني إسرائيل كانوا يطبِّقون على قومهم أحكامَ التّوراة، كما نعلمُ أن الله أنزل الزّبور على داود عليه السلام، وجَعَلَه مكمِّلًا للتوراة.

وهذا معناه أنّ سليمان عليه السلام كان عنده كتابان، هما التّوراة والزّبور، علّمه الله إياهما، وكان بهذا العِلْمِ المستمدِّ من الكتابين قادراً ـ بإذنِ الله تعالى ـ على إحضارِ العرشِ في لحظاتٍ[1].

**د ـ ما قاله الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله:**

قال رحمه الله في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هذا يشيرُ بكلِّ سهولةٍ إلى أنّه من العلماء، ويكونُ معنى الإشارة أن عرشَ (بلقيس) كان إحضارُه عن طريقِ العِلْم، وأن طريقَ العِلْمِ أسرعُ من طرقِ الشّياطين، ومَرَدة الجنِّ. الوسيلة ـ إذاً ـ في إحضارِ عرشِ بلقيس إنّما كانتِ الوسيلةَ العلميةَ، أما كيف جرى ذلك، وما هي التّفاصيل ودقائق التّنفيذ، فإنّ ذلك كلّه لا سبيلَ إلى معرفته.

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٥٤).

ولعلّ تقدُّم العِلْمِ يكشفُ ـ في يومٍ من الأيام ـ عن الأسلوبِ الذي أُتِيَ به عرشُ بلقيس، أو على الأقل يقرّبه، والله أعلم[١].

إنّ القرآنَ الكريمَ يعرِّفنا بهذه القصّة أنّ العِلْمَ يفعلُ الأعاجيب، وأنه يفعلُ ما لا تفعله الجِنُّ، وأن مقدرةَ العالم تصلُ إلى ما لا تصلُ إليه مقدرةُ عفريت من الجِنِّ، وأنه بالعِلْم تُطوى الأرض، وتزولُ المسافات، وتتحقّق المعجزات.

والقرآنُ الكريمُ حينما يقول: ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، فإنّه من الواضح أنه لا يقصد العِلْمَ الوَهْبيّ، وإنّما يقصدُ العِلْمَ الكسبيّ. إنه عِلْمُ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، إنه ليس وحياً، **وهنا نتساءل**:

ـ إلى أيِّ مدىً بلغتِ الحضارةُ في عهد نبيِّ الله سليمان عليه السلام؟

إنّ الإتيانَ بالعرش ليس معجزةً، والبيانُ القرآنيُّ لا يُشيرُ إلى معجزة، ولو كان الأمرُ أمرَ معجزة لكان سليمانُ أولى بها، وهو النّبيُّ الرّسول.

إذاً، إنها ثمرةٌ من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وكلّ ما كان ثمرةً من الكتاب فهو كسبيٌّ، إنه حضارةٌ بكلِّ ما تطلبه الحضارةُ من جهدٍ في الملاحظة والتجربة والاستقراء، وبكلِّ ما تطلبه الحضارةُ من تعمُّق في الإسرار والظّواهر والتّصرف في قوانين الكون باستخدام قوانين أخرى للتغيير والتبديلِ والتعديل، أو الإلغاء أو التّقوية.

ويُعلِّمنا القرآنُ الكريمُ بهذه القصّة، أنه بالعِلْمِ تُطوى الأرضُ، وتزولُ

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، ص ٢٦٢.

المسافات، أو يزولُ الزمن الذي يتطلّبه (في نظرة الجاهلين) قطع المسافات والأمكنة. وكم من الزمن يستغرقه الآن انتقالُ الصوت عبر آلاف الأميالِ التي تفصلُ بين قطر وقطر، حينما يتحدّث الإنسانُ في الهاتف، أو المذياع، وكذلك عند انتقالِ التلفاز.

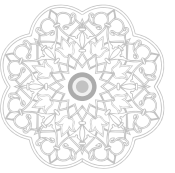
ومهما يكنْ من شيء فإنّ مردةَ الجِنِّ تعجزُ عمّا يستطيعه الإنسانُ بالعِلْم[١].

قال ابنُ القيم رحمه الله: بل سلطانُ العِلْم أعظمُ من سلطان اليد[٢].

* * *

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(٢) مفتاح دار السعادة، (٢/ ٥٩).



# المبحث الرابع

## قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة الأنبياء وسبأ

### أولاً: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة الأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٨٢].

**تفسير الآيات الكريمة:**

**١ ـ قوله تعالى:** ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾:

هذه قضيةٌ ذَكَرها القرآنُ الكريم متعلِّقة بالحُكْم بين متخاصمَيْن جاءا إلى داود عليه السلام ليحكمَ بينهما في مسألة رعي غَنَم أحدهما زرعَ الآخر ليلًا، وكان ابنُه سليمان عليه السلام له رأي آخر غير الذي حَكَمَ به والده

داود عليه السلام، فقد استدرك سليمانُ عليه السلام على أبيه، وأقرّ والده حُكْمَ سليمان عليه السلام.

أ ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾:

منصوبان بفعلٍ مقدّر، تقديرُه: اذكر داودَ وسليمان.

والخطابُ موجّه لرسول الله ﷺ ولكلِّ مؤمن من بعده ليذكر هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام.

ب ـ ﴿إِذۡ﴾:

ظرفُ زمان للماضي، وهو متعلِّق بالفعل المقدّر؛ أي: اذكر داود وسليمان عليهما السلام وقت حُكْمِهما في الحرث.

ج ـ ﴿يَحۡكُمَانِ﴾:

يقضيان بين الخصْمَيْن، عندما رفعتْ لهما هذه القضيّة.

﴿فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾: في زَرْع أحدهما؛ أي: في مزرعته التي زَرْعها، وقد تكونُ هذه المزرعةُ مزروعةً زرعاً كالقمح، أو الشعير، وقد تكونُ مغروسةً أشجاراً مثمرةً كالعنب.

د ـ ﴿نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾:

دخلتْ غَنَم الآخرين تلك المزرعةَ فَرَعَتْها وأفسدتها، وكان دخولُها فيها ليلًا[1].

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٤٣).

هـ ـ ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾:

وكنا لحُكْمِ داود وسليمان عليهما السلام في قضية القوم شاهدين، لا يخفى علينا منه شيءٌ، ولا يغيبُ عنا كلمة[1].

٢ ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾:

**أ ـ وقد أثنى الله على سليمان عليه السلام في حُكْمِه بقوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾:**

والهاء في ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ تعودُ على القضية والدّعوى المعروضة، أي: فَفَهّمْنَا سليمانَ عليه السلام القضيةَ، وأرشدناه إلى أن يحكمَ فيها الحُكْمَ الأصوبَ والأكمل.

ب ـ ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾:

أي: إنّ داود عليه السلام عنده حكم وعلم من الله، وسليمان عليه السلام عنده حُكْم وعلم من الله، فحكم داود عليه السلام في القضية بما آتاه الله من حُكْم وعلْم، ثم حكم فيها سليمان عليه السلام بما آتاه الله من حُكْم وعِلْم، فجاء حكم داود عليه السلام فيها صواباً. فالآية لم تخطئ داود عليه السلام في حُكْمه، وإنّما أثنت عليه لما عنده من حُكْم وعِلْم، وهذا معناه أن حُكْمَه كان صَحيحاً، وليس خطأً.

ولم ترِدْ مادة (فهم) في القُرآن إلا في هذا الموضِع. قال الرّاغبُ عن الفَهْمِ: الفهمُ: هيئةٌ للإنسان، بها يتحقّق معاني ما يحسُّ. يقال: فهمتُ كذا.

---

(١) جامع البيان، الطبري، (١٧/ ٥٠ ـ ٥١).

ـ **وقوله**: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾: وذلك بأنّ الله إما جَعَلَ له من فَضْل قُوّةِ الفهم، أو بأن أوحى إليه وخصّه وأفهمه(١).

فَهّم الله تعالى سليمانَ عليه السلام الدّعوى، وأفهمه الحُكْمَ الأصوبَ والأولى فيها، فاستدرك على أبيه عليهما السلام(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، والقضية أن زرعاً دخلتْ فيه غَنَمٌ لقومٍ ليلًا فأكلته وأفسدته، فجاء المتخاصِمُون إلى داود عليه السلام، وقصّوا عليه القصّة، فحَكَم بالغنم لصاحبِ الزرع عِوضاً عمّا أفسدته الغنمُ ليلًا، فلما خرجَ الخصمان إلى سليمان عليه السلام، وكان يجلسُ على الباب الذي يخرجُ منه الخصوم، فردّهما وراجع والده، واقترح أن تُدْفَعَ الغنمُ إلى صاحب الحرث فينتفع بألبانها وأصوافها، ويدفع الحَرْث إلى صاحبِ الغَنَم ليقومَ عليه، فإذا عاد الزرعُ إلى حاله التي أصابته الغنمُ في السّنة المقبلة ردّ كلّ منهما ماله إلى صاحبه، فقال داود عليه السلام: وُفّقت يا بني، لا يقطع الله فَهْمَك، وقضى بما قاله سليمان عليه السلام.

وعَرَضَ المفسِّرون والعلماء المسألة بتوسُّعٍ كبيرٍ، وأخذوا منها أحكاماً شرعيّة، واستنباطات قضائيةً عدّة(٣).

والمهمُّ أن سليمانَ عليه السلام كان قاضياً مُلْهَماً، وموفّقاً، ومؤيّداً

---

(١) المفردات، ص ٦٤٦.

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٤٤٦).

(٣) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٩٦.

من الله تعالى، وأن قضاءه كان بعد قضاء والده، فكأنه ـ في الاصطلاح المعاصر ـ استئنافٌ للحكم، ونقضٌ للحُكْم الأولي، وهو المطبّقُ في جميع دولِ العالم اليوم، والمعروفُ بدرجاتِ التقاضي[١].

ومن المسائل التي قَضَى فيها سليمانُ عليه السلام، واستدرك بها على حُكْم والده بالقرائنِ، ما وَرَدَ في السُّنّة الصّحيحة أن رسولَ الله ﷺ قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئبُ فذهب بابنِ إحداهما، فقالتْ صاحبتُها: إنّما ذهبَ بابنك، وقالت الأخرى: إنّما ذهبَ بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فَخَرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أشقُّه بينهما، فقالت الصُّغرى: لا تفعلْ يرحمك الله، هو ابنُها، فقضى به للصُّغرى**»[٢].

فداود عليه السلام حَكَم للكبرى بقرينةٍ أنها الأولى والأصدق، وحَكَم سُليمان عليه السلام للصغرى بقرينة شَفَقتها عليه، وحِرْصها على حياته لو أخذته الكبرى، بينما وافقتِ الكبرى على شَقِّه لتحصلَ على شِقّ، ويموت نكايةً بالأخرى، وفيه دلالة على استئنافِ الحُكْمِ، ونَقْض الأوّل[٣].

وهذا الحديثُ أصلٌ في استعمال الحُكّامِ طُرقاً من الحِيَل المباحة في استخراج الحقوقِ إذا وَقَعَ الإشكالُ[٤].

---

(١) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٩٦.

(٢) رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤.

(٣) عظات وعبر من قصص الأنبياء، سعيد عبد العظيم، ص ١٥٤.

(٤) شرح ابن بطال، (٨/ ٣٨٥).

ـ أنه جائزٌ للعالِم مخالفةٌ غيره من العلماء، وإن كانُوا أسنّ منه، وأفضل منه، إذا رأى الحقّ في خلافِ قولهم(١).

ـ أن الفِطْنةَ والفهم موهبةٌ من الله، لا تتعلّق بكبر سِنٍّ ولا صغره.

ـ أن الأنبياءَ يسوغُ لهم الحُكْمُ بالاجتهاد، وإن كان وجودُ النّصِّ ممكناً لديهم بالوحي(٢).

إن مملكةَ داود وسليمان عليهما السلام كانت قائمةً على العدل والحقِّ، وكان بابُ الاجتهاد مفتوحاً للوصولِ إلى الحُكْمِ العادل، وقد نقل عن داود وسليمان عليهما السلام أحكام أخرى في القضاء وفَصْل الخصومات، فكانوا مُلُوكاً وقُضاةً وأنبياء، وهذا من فَضْلِ الله عليهم.

إن القضاءَ من شِرْعة الله تعالى الخالدة، وأقرّه الإسلامُ، وجَعَلَه أحدَ الأعمال الجليلة، وكان رسولُ الله ﷺ أوّلَ قاضٍ في الإسلام، فكان نبيّاً وحاكماً، وعيّن بعضَ الصّحابة للقضاء بين الناس، حتّى بين يديه أحياناً؛ ليدرّبهم على القضاء، وعيّن قاضياً في مكة، وأرسل القضاةَ إلى اليمن، وعلّمهم كيفيةَ القضاء، وآدابه، وأحكامه(٣).

إنّ القضاءَ كان من مؤسّسات دولة داود وسليمان عليهما السلام لترسيخِ قيمِ العدل والحُكْم بين النّاس بالحق. وقصّةُ قضاء داود وسليمان عليهما السلام لأصحاب الحَرْث والغَنَم من القصص التي اهتمّ بها الفقهاءُ والمفسِّرون.

---

(١) فتح الباري، (٦/ ٤٦٥).

(٢) أحاديث الصَّحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنقيطي، ص ٣٩٠.

(٣) تاريخ القضاء، الزحيلي، نقلًا عن: شرعة الله للأنبياء، ص ٤٦٩.

وقد أفرد الدكتور زكي صبري محمد عبد الله بحثاً متميزاً في هذه القصّة، جَمَعَ فيه أقوالَ العلماء والفقهاء حول الآية، واستخرج في نهايةِ دراسته مجموعة من الفوائدِ المستنبطةِ من القصّة، **ومن أهمها**:

ـ جَواز الاجتهاد للأنبياء فيما ليس فيه وحيٌ ربّاني، وتَفْهيم الله لنبيٍّ حُكْماً أصوب من حُكْم نبيٍّ آخر، وعَدَم تعارض ذلك مع تقريرِ الحُكْم والعِلْم لكلٍّ منهما، وجواز رُجُوع الحاكم بعد قضائِهِ من اجتهادٍ إلى أرجح منه.

ـ لولا هذه الآيةُ لرأيتَ الحكماء قد هَلَكُوا، ولكن الله أثنى على سليمانَ بصوابه، وعلى داود باجتهاده.

ـ مرتبةُ الحُكْمِ بين الناس مرتبةٌ دينية، تولاها رُسُلُ الله وخَوَاصّ خَلْقِه، وأن على القائم بها الحُكْم بالحق، وألا يتّبع الهوى.

ـ يُعَدُّ سليمان عليه السلام من فضائل داود عليه السلام، وهِبة من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، إذْ كانت فرحةُ داود عليه السلام بسليمان عظيمة، والمرءُ لا تُقدّر فرحتُه في حالِ نبوغِ ابنٍ من أبنائه، وتفوّقه، لاسيّما إذا كان ذلك في أمر الدِّين والدنيا معاً[(١)].

ـ عَدَم تَسْفيهِ آراءِ الأبناء، وإتاحة الفُرصة أمامهم للتّعبير عمّا بداخلِهم، حيثُ إنّهم سيكونون رجالَ الغد ورموزه الفاعلة، ولعلّ الله يُجري الحقّ

(١) قضاء داود وسليمان، ص ٣٨٦.

على ألسنتهم، والحِكْمَةُ ضالّةُ المؤمن فهو أولى بها أنّى وَجَدها، وفرحةُ الأب بتفوُّق ولده، وحُسْن فهمه لا يعدلُها شيءٌ من زينةِ الدنيا(١).

ـ لقد اتّجه داودُ عليه السلام في حُكْمه إلى مجرّد التعويض لصاحبِ الحرث، وهذا عدلٌ فحسب، ولكنّ حُكْم سليمان عليه السلام تضمّن مع العدلِ البناءَ والتّعميرَ، وجَعَلَ العدلَ دافعاً إلى البناء والتعمير، وهذا هو العدلُ الحيُّ الإيجابيُّ، في صورته البانيةِ الدّافعة، وهو فَتْحٌ من الله، وإلهامٌ يهبُه من يشاء.

ولقد أوتي داود وسليمان عليهما السلام الحِكْمَةَ والعِلْمَ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس في قضاءِ داود عليه السلام من خطأ(٢).

ولكنّ قضاءَ سليمان عليه السلام كان أصوبَ، لأنه من نبْعِ الإلهام. لقد أسهمَ حُكْمُ سليمان عليه السلام في هذه القضيةِ في تحقيق أهدافٍ عاجلةٍ وآجلة، ودَفْع كلّ من الخصْمَيْن إلى دائرةِ عملِ الآخر لتنتقلَ الخبراتُ بين أبناءِ المجتمع، وتتعدّد الحِرَفُ بين أبنائه، ويُحسُّ كلُّ واحد بقيمةِ ما عند الآخر، فيحرصُ عليه حرصه على حاجاته، وبذا يتقدّم المجتمعُ، وتسودُ فيه روحُ التعاونِ، وتتحقّق قيمُ العفو والعدل(٣).

**٣ ـ قوله تعالى**: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]:

حينما جَمَعَ السِّياقُ القرآنيُّ بين داود وسليمان عليهما السلام أراد أن

(١) المصدر نفسه، ص ٣٨٦.
(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٣٩٠).
(٣) قضاء داود وسليمان لأصحاب الحرث والغنم، ص ٣٨٧.

يبيِّن لنا طَرفاً ممّا وهبهما الله، فقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ مظهرٌ من مظاهرِ امتيازِه، وهنا يبيِّن ميزةً لداود عليه السلام.

أ ـ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾:

**التسخير**: قَهْرُ المسخّر على فِعْلٍ لا يستطيعُ أن ينفكّ عنه، وليس مختاراً فيه(١).

إن تسبيحَ الجبال والطّير مع داود عليه السلام تسبيحٌ حقيقيٌّ؛ لأن الله جلّ وعلا جعل لها إدراكاً تُسبِّح به، يعلمه اللهُ ونحن لا نعلمه.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] (٢).

والمزيةُ التي أعطاها الله تعالى لنبيِّه داود عليه السلام ليست في تسبيحِ الجبال؛ لأنّ الجبالَ تُسبِّحُ معه ومع غيره، وإنّما الفضلُ الرّبانيُّ على داود عليه السلام أنها كانت تُردِّد معه، وتوافقه التّسبيح، وتُجاوبه(٣)، فقد عُرِفَ

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٧/ ٩٦٠٣).

(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السُّنَن، (٢١/ ٤٣١).

(٣) تفسير الشعراوي، (١٧/ ٩٦٠٦).

داود عليه السلام بتسابيحه لله، وكان يُرتِّلُها بصوتِه الحنون، فتتجاوب أصداؤها حوله، وترجِّع معه الجبالُ والطّير[١]، فقد كان قلبُه موصُولاً بربِّه، ففتح الله له أبواباً عظيمةً في حمده، وذِكْره، والثّناء عليه.

**ب ـ ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾:**

فما هناك من شيءٍ يعزُّ على القدرةِ الإلهيةِ، أو يتأبّى حين تريد تحقيقه؛ لأنها قدرة الله عزَّ وجلَّ، ويستوي في ذلك أن يكون الأمر مألوفاً للناس أو غير مألوف[٢].

**٤ ـ قوله تعالى:** ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.

**أ ـ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾:**

يصحُّ أن نقولَ: كان التعليمُ بالوحي، أو بالتجربة، أو الإلقاء في الروع[٣]، وهذه الصّنعةُ لم تكنْ معروفةً قبل داود عليه السلام، فقد أصبحت صنعةُ الدُّروع حِلَقاً متداخلة، بعد أن كانت تُصنع صفيحة واحدة جامدة والزّرد متداخل، فأصبحتِ الدُّروعُ أيسرَ استعمالاً، وأكثرَ مرونة، ويبدو أن داود هو الذي ابتدعَ هذا النّوعَ من الدُّروع بتعليمِ الله عزَّ وجلَّ[٤].

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٣٩٠).
(٢) المصدر نفسه، (٥/ ٢٣٩٠).
(٣) تفسير الشعراوي، (٧/ ٩٦٠٩).
(٤) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٣٩٠).

وكلمة ﴿لَبُوسٍ﴾: أبلغُ وأحكمُ من اللباس، فاللباس من مادة (لبس)، وهي الملابس التي تسترُ عورةَ الإنسان، وتقيهِ الحرّ والبردَ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

**والسرابيل**: كل ما يلبس من قميص أو درع أو نحوهما. والمفرد: سربال.

أما في الحربِ فنحتاجُ إلى حمايةٍ أكبر ووقاية أكثر من الوقايةِ العادية التي نجدها في اللباس، ففي الحرب نحتاجُ إلى ما يقينا البأس، ويحمينا من ضرباتِ العدو في الأماكن القاتلة؛ لذلك اهتدى الناس إلى صناعةِ الخُوذة والدِّرع لوقاية الأماكن الخطرة في الجسم البشري، وتتمثّل هذه في الرأس والصّدر، ففي الرأس المخ، وفي الصّدر القلب، فإن سلمتْ هذه الأعضاء فما دونها يمكنُ مداواتها وجَبْرها.

إذاً: اللبوسُ أبلغُ، وأكثر حمايةً من اللباس؛ لأن مهمّتَهُ أبلغُ من مهمّة اللباس، وهذه كانت صَنْعة داود عليه السلام، وهي صنعة الدُّروع[1].

ب ـ ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾:

**أي**: هي وقايةٌ لكم، وحِفْظٌ عند الحرب، واشتدادِ البأس[2].

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٧/ ٩٦١٠).

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٩٣.

ج ـ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾:

شاكرون على نِعمةِ الله الذي يرعاكُم، ويحفظُكم في المواقف الصعبة، وينجيكم من المآزق(١).

ـ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾: سؤالُ توجيهٍ وتحضيضٍ على شكر العبد لربِّه، وهو أن يستعينَ بنِعَمه على طاعتِه. وشُكْر الرّبِّ لعبدِه: هو أن يثيبَهُ الثوابَ الجزيلَ على عَمَلِه القليل(٢).

قال الرّازيُّ رحمه الله: أوّلُ مَنْ عَمِلَ الدِّرع داود، ثم تعلّم الناسُ منه، فتوارثُوا عنه ذلك، فعمّتِ النِّعمةُ بها كلّ المحاربين من الخلق، فلزمهم شُكْرُ الله تعالى على هذه النِّعمة، فقال: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أي اشكُروا الله على ما يسّر عليكم من هذه الصّنْعة(٣).

وقال القرطُبيُّ رحمه الله: هذه الآيةُ أصلٌ في اتخاذ الصّنائعِ والأسباب، وهو قولُ أهلِ العقولِ والألباب، لا قول الجهلةِ الأغبياء القائلين بأن ذلك إنّما شُرِعَ للضُّعفاء، فالسّببُ سُنّةُ الله في خَلْقه. فمن طَعَنَ في ذلك فقد طَعَنَ في الكتابِ والسُّنّة، ونسب من ذَكَرْنا إلى الضّعف وعَدَم المِنّة(٤).

وما قاله القُرطُبيُّ، واستدلّ به حقٌّ واضح، فعلى وُلاةِ الأمور إيجادُ المصانع، والحِرَف، وسائر الوسائل لمستلزمات الحرب، للوقاية من

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٧/ ٩٦١١).
(٢) أضواء البيان، (٤/ ٦٧٣ ـ ٦٧٥).
(٣) التفسير الكبير، (٢٢/ ١٧٤).
(٤) تفسير القرطبي، (١١/ ٣٢١).

العدوّ، والتحرر منه، وهذه الأدواتُ تتغيّر بتغير الزّمان والمكان، وما يتعلّمه الإنسانُ يتجدّد كلّ حين.

وعلى هذا فأدواتُ الحرب والقتال أصبحتْ في زماننا متنوعةً جدّاً، وتحتاجُ إلى معرفةِ فُنون وعلوم كثيرة، وإيجاد مصانع لها ممّا يلزمُ المسلمين تعلّم هذه العلوم، وإيجاد المصانع المتخصِّصة لعمل هذه الأدوات.

**د ـ أهميةُ تعلُّم الحرف:**

كان داودُ عليه السلام عاملًا ماهراً في صُنْع الدُّروع، وإليه نُسِبت، فقيل: دروع داوديّة[١]، كما كان قبل ذلك راعياً للغَنَم في شبابه، وكان يعملُ ويكسبُ بيده بالصِّناعة، ويأكلُ من عمل يده، ويستغني عن غيرِه، وهذا من شِرْعَةِ الله تعالى للبشرية ليسودَ العملُ الذي يُغْنِي صاحبه، وينهضَ اقتصادُ الأمة، ويحاربَ الكسل والكُسالى الذين يعيشون على أكتاف غيرهم، ويُشَكِّلون عِبْئاً على المجتمع والأمة والدولة.

ولذلك أكّدتِ الشّريعةُ الإسلاميةُ على القيام بالعمل ليكسبَ الإنسان من عَرَق جبينه، وكان نبيُّ الله داودُ عليه السلام مثلًا أعلى في ذلك، قال رسولُ الله ﷺ: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكلَ من عَمَل يدِه، وإنّ نبيّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»[٢].

وقال أيضاً: «**إن داود عليه السلام كان لا يأكلُ إلا مِنْ عَمَلِ يَده**»[٣].

---

(١) أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، ص ١٨٩.

(٢) رواه البخاري، رقم: ١٩٧٦.

(٣) رواه البخاري، رقم: ٣٢٣٥.

وهذه الشِّرعةُ الإلهيّةُ هي المقرّرة في العالم، وخاصّةً في العصرِ الحاضر، للتأكيدِ على العملِ، واعتماد الإنسان عليه في كَسْبه، وصدرتْ أنظمةٌ وقوانينُ للعمل في جميع دولِ العالم يوافقُ ما ذكرنا[١].

إن تعلُّم الحِرَفِ والأعمالِ التي يحتاجها المجتمعُ من فُروضِ الكفاية؛ ولهذا كان أنبياءُ الله والصّالحون يتعاطون الحِرَفَ التي يحتاجها النّاسُ؛ ليكونَ ذلك منهم دلالةً على مشروعيةِ هذه الِحرَف، وتعلّمها، فقد ذَكَرَ الإمامُ القُرطُبيُّ في تفسيره: أن آدمَ عليه السلام كان حرّاثاً، ونوحاً كان نجّاراً، ولقمان كان خيّاطاً، وطالوت كان دبّاغاً[٢].

ومن الواضحِ أنّ الحِرَفَ والصّنائع التي يحتاجُها الناسُ تتغيّر بتغيّر الزّمان والمكان، وتقدّم الإنسانِ في المعرفة، فيجبُ أن توجدَ هذه الحِرَفُ والصّنائع الجديدة، وعَدَم الاكتفاء بالصّنائع القديمة التي لم تعدْ تفي بحاجاتِ الناس[٣].

إن الآيةَ الكريمةَ تُشيرُ إلى أن الدِّين لا يرفضُ العِلْمَ النافع، المستخدَمَ في طاعة الله عزَّ وجلَّ، وأنّ الله عزَّ وجلَّ يباركُ لأصحاب الصِّناعات الذين أخلصوا له في التّوجُّه[٤].

---

(١) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٦٠.

(٢) تفسير القرطبي، (١١/ ٣٢١).

(٣) المستفاد من قصص القرآن، ص ٢٧٦.

(٤) التلازم بين العقيدة والشَّريعة وآثاره، ص ١٦٥.

**٥ ـ قوله تعالى:** ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

**أ ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾:**

ومعنى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: وسخّرنا لسليمان الرِّيحَ.

ـ ﴿عَاصِفَةً﴾؛ شديدةَ الهبوب، قويةً، سريعةً في مرورها[١].

**ب ـ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾:**

الأرضُ هي الشّام، وهي مَسْكَنُه، وهي في حالةِ الإيابِ بعد خروجه[٢].

ـ ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ أي بركة حِسِّية، بما فيها من الزُّروع والثِّمار والخِصْب والخيرات، وبركة معنويّة حيث جُعِل فيها مهابطُ الوحي والنُّبوّات، وآثار الأنبياء[٣].

الريحُ مخلوقٌ من مخلوقات الله، وجنديٌّ من جنوده يأمرها فتأتمر، ويَنْهاها فتنزجر، تارة يرسلُها بالخير والرّخاء، وتارة يرسلُها بالهلاك والدّمار والشقاء[٤]. وقد سخّر الله تعالى هذه الرِّيح لعبدِه المكرم ونبيِّه المبجّل سليمان عليه السلام[٥]. ومن لطائفِ التعبيرِ القرآني: أنه لما ذُكِرَ تَسْخير الرِّيح لسليمان عليه السلام جاء بحرفِ اللام (لسليمان) ومع ذِكْرِ تَسْخِيرِ

---

(١) تفسير السعدي، ص ٦٩٣.
(٢) أضواء البيان، (٥/ ٤٦٧ ـ ٦٧٨).
(٣) تفسير الشعراوي، (١٥/ ٣٣٧).
(٤) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٠٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

الجبالِ لداود عليه السلام جاء بلفظ (مع) الدّالة على الاسْتِصْحاب، ولما كانتِ الرِّيحُ مسخّرة لسليمان عليه السلام أضيفتْ إليه بلام التمليك؛ لأنها في طاعته، وتحت أمرِه(١).

وقد وصفتِ الرِّيح المسخّرة لسليمان عليه السلام تارة بالرّخاء، وتارة بالعَصْف، وبين الوصفين تغايرٌ في ظاهرِ الأمر(٢).

ففي قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، يكون معنى الآية: فذلّلنا الرِّيحَ تسيرُ بأمره ليّنة طيِّبة حيث قصد وأراد من الأماكنِ والبلاد. قال الشّعراوي رحمه الله في الرِّيح المسخّرة لسليمان عليه السلام: فكأن الله تعالى جَمَعَ لهذه الرِّيح صفةَ السُّرعة في (عاصفة) وصفة الرّاحة في (رخاء)، وهاتان صِفتان لا يقدرُ على الجمع بينهما إلا الله، فنحن حين تُسْرِع بنا السّيّارة مثلًا لا تتوفّر لنا صِفَة الرّاحة والاطمئنان، بل يفزعُ الناسُ، ويطلبون تهدئةَ السرعة(٣).

أما ريحُ سليمان عليه السلام فكانت تُسرعُ به إلى مرادِه، وهي في الوقت نفسِه مريحة ناعمة هادئة، لا تُؤثِّر في تكويناتِ جسمه، ولا تُحْدِثُ له رجّة أو قُوّة اندفاع يَحتاجُ مثلًا إلى حِزامِ أمان، فمَنْ يقدر على الجمع بين هذه الصِّفات إلا الله القابض الباسط، الذي يقبضُ الزّمن في حقِّ قومٍ، ويبسطه في حقِّ آخرين(٤).

---

(١) البحر المحيط، (٦/ ٢٢٧).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص١٠٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩.
(٤) تفسير الشعراوي، (١٥/ ٩٦١٣).

وقال الزّمخشريُّ: فإن قلت: وُصِفَتْ هذه الرياحُ بالعصف تارةً وبالرّخاوةِ أخرى، فما التوفيقُ بينهما؟ قلتُ: كانت في نفسها رخيّة طيِّبة كالنّسيم، فإذا مرّتْ بكرسيِّه أبعدت به في مدة يسيرة، على ما قال ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ فكان جَمْعُها بين الأمرين أن تكونَ رخاءً في نفسها وعاصفةً في عملها، مع طاعتِها لسليمان عليه السلام وهبوبها على حسب ما يريدُ ويتحكّم(١).

**ومن أوجهِ الجمعِ**: أنها كانت عاصفةً في بعضِ الأوقات، وليّنة ورخاء في بعضها بحسب الحاجةِ(٢).

وقيل: كان الرّخاءُ في البداية، والعصفُ بعد ذلك، وذلك على عادةِ المسافر، يبدأ مبطئاً، ثم يأخذُ في الإسراع(٣).

وقد تحدّثنا عن الآيتين التي ذُكر فيهما الرِّيح الرُّخاء والعاصفة، وهناك آية أخرى تكلّمتْ على الرِّيح المسخّرة لسليمان عليه السلام: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

---

(١) تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧م، (٣/ ١٥٨).

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ، (٣/ ١٥٨).

(٣) التفسير الشامل للقرآن، أمير عبد العزيز، دار أرشيف العلم، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، (٤/ ٢٢٢٥).

ومعنى ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: جَرْيُها بالغَداة مَسِيرة شهر، وجَرْيُها بالعَشيِّ كذلك[١].

- **والغدوةُ**: من الصّباح إلى الزوال.
- **والرّوحةُ**: من الزّوال إلى الغُروب.

فكانتْ هذه الريحُ: (غدوُّها إلى انتصاف النّهار مسيرة شهر، ورواحُها من انتصاف النّهار إلى الليل مسيرة شهر)[٢].

لقد كانت هذه الرِّيحُ المباركةُ من السُّرعة بحيث تقطعُ مسافةَ شهرين في اليوم الواحد ذهاباً وإياباً، وهذه نِعْمَةٌ، ومِنْحةٌ كبرى أوتيها سليمان عليه السلام في عصر كانتْ وسائلُ النقل فيه بدائيةً تعتمدُ على الخيل والجِمال والحمير والبغال.

وكانت فترةَ رخاءٍ ورفاهيةٍ تنعمُ فيها بنو إسرائيل برَغَد عيشهم، وخِصْب زروعهم وثمارهم، وأكلوا مِنْ فوقهم ومن تحت أرجُلِهم، وهذه الخياراتُ من ثمارِ الحُكْم الرشيدِ القائمِ على شَريعةِ الله عزَّ وجلَّ، في عهدِ سليمان عليه السلام[٣].

وأما عن كيفيةِ تَسْخِير الرِّيحِ لسليمان عليه السلام، فقد قال الشّيخُ عبدُ الوهّاب النجّار رحمه الله: إن الرِّيحَ كانت مسخّرةً لسليمان تجري بأمره

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، (٤/ ٢٤٥).

(٢) جامع البيان، الطبري، (٢٢/ ٩٦).

(٣) سليمان عليه السلام في القرآن، ص ١١١.

رخاءً، فيأمرها أن تهبّ في هذه الناحية لاحتياج أهلها إلى الرِّيح الرخاء؛ للانتفاع بها في زَرْعهم ومعاشهم، أو في تَزْجِية السُّفُن كي تصلَ إلى المرافئ سالمة(١).

وقد ردّ الشيخُ عبدُ الوهّاب النجّار على أساطيرِ بساطِ الرِّيح، وبيّن أنه لا أساسَ لها من الصِّحة في بحثٍ طويل(٢).

وقال الشيخ الطّاهر بن عاشور رحمه الله: تَسْخِيرُ الريح: تَسْخِيرُها لما تصلحُ له، وهو سيرُ المراكبِ في البحر.

والمرادُ أنها تجري إلى الشّام راجعةً عن الأقطار التي خرجتْ إليها لمصالح مُلْكِ سليمان عليه السلام من غزوٍ أو تجارةٍ بقرينة أنها مسخّرة لسليمان عليه السلام، فلا بُدّ من أن تكونَ سائرةً لفائدةِ الأمة التي هو مَلِكُها.

وعُلِمَ من أنها تجري إلى الأرض التي باركَ الله فيها أنها تخرجُ من تلك الأرض حاملةً الجنود، أو مصدرةً البضائع التي تصدِّرُها مملكةُ سليمان عليه السلام إلى بلاد الأرض، وتقفلُ راجعةً بالبضائع والمِيْرة وموادّ الصِّناعة، وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين، فوقعَ في الكلام اكتفاء اعتماداً على القرينة.

وقد صرّح بما اكتفى عنه هنا في آية سُورة سبأ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن

(١) قصص الأنبياء، ص ٤٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٩.

يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] ولسليمان عليه السلام الرِّيح غدوّها شهر ورواحُها شهر.

ووَصَفَها هنا بـ عاصفة بمعنى قوية. ووَصَفَها في سورة (ص) ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] بأنها رخاءٌ. والرّخاء: اللّيِّنة المناسبة لسيرِ الفلك. وذلك باختلافِ الأحوالِ، فإذا أراد الإسراعَ في السير سارتْ عاصفة، وإذا أراد اللينَ سارت رخاء، والمقامُ قرينةٌ على أن المرادَ المواتاة لإرادة سليمان عليه السلام كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ في الآيتين المشْعِر باختلافِ مقصدِ سليمان عليه السلام منها كما إذا كان هو راكباً في البحر، فإنّه يريدُها رخاء لئلا تزعجُه، وإذا صدّرت مملكته بضاعة أو اجتلبتها سارتْ عاصفةً، وهذا بيِّن بالتأمل[١].

ج ـ ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾:

جُملةٌ معترضةٌ بين الجملِ المسوقةِ لذِكْرِ عنايةِ الله بسليمان عليه السلام، والمناسبةُ أن تَسْخِيرَ الرِّيح لمصالح سليمان عليه السلام أثرٌ من آثار علم الله بمختلفِ أحوالِ الأمم والأقاليم، وما هو منها لائقٌ بمصلحة سليمان عليه السلام، فيُجري الأمورَ على ما تقتضيه الحِكْمَةُ التي أرادها سبحانه[٢].

وقال الشّيخُ الشعراوي رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾؛ أي: عندنا عِلْمٌ نرتِّبُ به الأمورَ على وَفْقِ مرادنا، ونكسر لمرادنا

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، (٧/ ٣٠٧).

(٢) التحرير والتنوير، (٧/ ٣٠٧).

قانونَ الأشياء، فنسيّر الرِّيحَ كما نحبُّ، لا كما تقتضيه الطبيعة[١].

وقال الشّيخُ أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾: قدّم الجارّ والمجرور للاهتمام بعمومِ علمه سبحانه، والجُملةُ الاسمية تدلُّ على استمرارِ علمِه سبحانه، وأنه لا يغيب عنه شيء في السّماء ولا في الأرض، ودلّ على الاستمرار الوصفُ (عَالِمِينَ)، وتقديم الجارّ والمجرور، والجُملة الاسمية المؤكّدة، وهي الدّالة على الاستمرار[٢].

٦ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: سخر الله لسليمان عليه السلام الجن والشياطين، وورد الحديث عن تسخير الجن في السور الثلاث: الأنبياء، وسبأ، وص.

وفي سورة الأنبياء ما نحن بصدد شرحها، وفي سورة سبأ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

ـ وقال تعالى في سورة (ص): ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ تحدّثتِ الآياتُ عن تَسْخِيرِ الجِنِّ والشّياطين لسليمان عليه السلام، والكلمتان ليستا مترادفتين بمعنى واحدٍ، فهناك فرقٌ بين الجِنِّ والشّياطين.

**فالجنُّ**: هم الخلقُ الخاصُّ المقابل للإنس، خلقهم الله من النّار مقابلَ خَلْقِ الإنسِ من الطين، وهم عالمٌ قائمٌ بذاته.

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٥/ ٩٦١٢).

(٢) زهرة التفاسير، (٩/ ٤٩٠٣).

**والجِنُّ نوعان**: جِنٌّ مؤمنون مُصلِحُونَ مسلمون. وجِنٌّ كافرون ظالمون مجرمون.

ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١].

ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤].

أما الشّياطينُ فهم الكافرون المتمرِّدون على الله، مهما كان جِنْسُهم، وهؤلاء الشّياطين منهم مَنْ كان مِنَ الجِنِّ، ومنهم مَنْ كان مِنَ الإنس، فكلُّ كافرٍ شيطان، سواء كان إنسيّاً أم جنيّاً.

ـ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

الجنُّ المؤمنون ليسوا شياطين، بل هم كالإنس المؤمنين في الإيمانِ والإسلامِ والطّاعةِ، وأما الجِنُّ الكافرون فهم شياطين، كالإنسِ الكافرين.

وقد أخبرنا الله أنه سخّر لسليمان عليه السلام الجِنّ بنوعيهم: المؤمنين الصّالحين، والكافرين الشّياطين.

وعلِمنا من القرآنِ أن أحدَ الجِنِّ المؤمنين تعهّد بإحضارِ عرشِ ملكة سبأ لسليمان قبل أن يقومَ من مقامِه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

وكان سليمان عليه السلام جازماً في حُكْم الجِنِّ والشّياطين، وأيّده الله بتَسْخِيرهم وخضوعهم له، فخضعوا له بإذن الله، وكان يستخدمُ الشّياطين

من الجِنِّ في الغَوْص في أعماقِ البحار لاستخراج كُنوزها وخَيْراتها، كما كان يستخدمُهم في البناء، ولم يكن سليمانُ عليه السّلام يتساهلُ مع هؤلاء الشّياطين البنّائين والغوّاصيْن الذين يقصرون أو يتمرّدون أو يخالفون، فكان يقيِّدهم بالقيود، ويصفِّدهم بالأصفادِ، ولم يخبرنا القرآنُ عن الطّريقة التي حكم سليمان بها الجِنّ والشّياطين، ولا عن كيفية وتفاصيل حُكْمِه لهم، ولا نلتفت إلى خرافات الإسرائيليات من أنه كان يحكمُهم بالسِّحر، أو باسم الله الأعظم، أو بخاتمه السِّحريِّ العجيبِ.

كلُّ ما نعرفُه أنه حَكَمَهم بإذنِ الله، فالله هو الذي سخّرهم له وأخضعهم لحُكْمه، فالأمرُ أمرُ الله وهو في الحقيقة نِعْمَةً منه على نبيّه سليمان عليه السلام[1].

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: إنّ الله بقدرته سخّر الجِنّ لسليمان عليه السلام، ومنعهم أن ينفلتوا عنه، أو أن يعصوه، وجَعَلَهم يعملُون في خَفاء، ولا يؤذُون أحداً من الناس، فجمعَ الله بحكمتِه بين تَسْخِيرهم لسليمان عليه السلام وتعليمه كيف يحكمُهم ويستخدمُهم ويطوِّعُهم، وجَعَلَهُم مُنْقادين له، وقائمين له بخدمته، دون عَناء، وحال دُونهم ودون النّاسِ لئلا يؤذيهم.

وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ يتعلّق بـ: ﴿حَٰفِظِينَ﴾. واللام لامُ التقوية، والتقدير: حَافِظِينَ لهم، أي: مانعينَ لهم عن الناس[2].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٠٢، ٥٠٣).

(٢) التحرير والتنوير، (٧/ ٣٠٨).

## ثانياً: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة سبأ:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١٤].

### تفسير الآيات الكريمة:

**١ ـ قال تعالى:** ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾:

**أ ـ** ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾:

**أي:** لقد أعطينا داودَ فَضْلًا عظيماً ونِعَماً جليلة، لم يُعْطَها كثيرٌ من الأنبياء. وكلمة ﴿مِنَّا﴾ دلّت على أن النِّعمةَ ليستْ من ذاتك، إنّما من الله، فتقديمُ الجارّ والمجرور ـ هنا ـ أفاد قصرَ النِّعمةِ على الله سبحانه وتعالى[1]، فهي من عنده، وذلك تشريف للفَضْل الذي أوتيه داود عليه السلام.

وتنكيرُ ﴿فَضْلًا ۖ﴾ لتعظيمه، وهو فَضْلُ النُّبوّة، وفَضْل الملك، وفَضْل

(١) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧٠).

العنايةِ بإصلاح الأمةِ؛ وفَضْل القضاءِ بالعدل، وفَضْل الشّجاعة في الحرب، وفَضْلُ سَعَةِ النِّعمة عليه، وفَضْل إغنائه عن النّاس بما ألهمه اللهُ من صُنْع الدُّروع الحديد، وفَضْل إيتائه الزّبُور، وإيتائه حُسْن الصّوت، وطُول العمر(١)، والعِلْم النافع، والعَمَل الصّالح، والنِّعم الدِّينيّة والدُّنيوية(٢)، وغير ذلك.

ب ـ ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾:

أي: قلنا: يا جِبال. وجَعَل الجبالَ بمنزلة العقلاءِ الذين إذا أمرهم أطاعُوا وأذعنُوا، وإذا دعاهم سَمِعوا وأجابوا، إشعاراً بأنه ما من حيوانٍ وجماد، وناطقٍ وصامت، إلا وهو منقادٌ لمشيئته، غير ممتنعٍ على إرادته، دلالة على عِزّة الربوبية، وكبرياء الألوهيّة حيثُ نادى الجبالَ وأمرها(٣).

ـ ﴿أَوِّبِي﴾: يعني: رجِّعي معه ما يقولُ ويقرأ من الزّبُور أو من الذِّكْر(٤). وهذا من فَضْل الله على داود عليه السلام أن خصّه بأمره تعالى الجمادات كالجبالِ، والحيواناتِ من الطُّيور أن تَؤوِّب معه، وتُرجِّع التّسبيحَ بحمد الله ربِّها مجاوبة له، وفي هذا من النِّعمةِ عليه أن كان ذلك من خَصائِصه التي لم تكنْ لأحد قبله ولا بعده، وأن هذا يكونُ منهِضاً له ولغيره على التّسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوبُ بتسبيح ربِّها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده.

---

(١) التحرير والتنوير، (٧/ ١٢٨).

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٠٣.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، (٧/ ١٢٢٧٠).

(٤) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧٠).

كان ذلك ممّا يهيجُ على ذِكْرِ الله تعالى، فقد أعطى الله داودَ عليه السلام من حُسْن الصّوت ما فاقَ به غيره، وكان إذا رجّع التّسبيحَ والتهليلَ والتمجيدَ بذلك الصّوت الرّخيم الشّجيّ المطرب؛ الذي أطرب كلَّ مَنْ سمعه من الإنس والجِنِّ، حتى الطُّيور والجبال، فسبّحتْ ربّها متجاوبة مع ذلك الصوت الرخيم(١).

والآية تصوِّر فَضْل الله على داود عليه السلام أنه قد بَلَغَ الغاية من الشّفافية والتّجرُّد في تسابيحه، وأنه أُوتي القدرةَ على سماعِ تسبيحِ الجبالِ والطّير، وأنه يسمعها وهي تُسبِّحُ معه، وهذه الشّفافيةُ التي بلغها داود عليه السلام تدلُّ على إخلاصِه الكبير، وصِدْقه في التوجُّه لعبادة الله تعالى، وإنها لمنزلةٌ من الإشرافِ والصّفاءِ والتجرُّدِ، لا يبلغها أحدٌ إلا بفَضْلِ الله، وإنها للحظاتٌ عجيبةٌ لا يتذوّقها إلا مَنْ عنده بها خبر، ومَنْ جَرّبَ نوعَها، ولو في لحظةٍ من حياته(٢).

والحقيقةُ الثّابتةُ في كتابِ الله أنه ما من مخلوقٍ في الكون إلا يسبِّحُ بحمدِ الله، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] وما دام الله حَكَمَ أننا لا نفقهُ تسبيحَهُم، فهو تسبيحٌ بالقول(٣).

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٠٣.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٨٩٧).

(٣) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧١).

والذين قالوا: تَسْبيح الدلالة استعظموا أن يكونَ للجبلِ كلامٌ ولغةٌ، لكن هل للجبلِ كلامٌ معكَ أنت؟

للجبل كلامٌ مع ربّه وخالقه الذي قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وتأمّلْ قولَه تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾، فَجَمَعَ بين تسبيحِ الرّعد وهو جمادٌ، وتسبيح الملائكة وهم أعلى أجناسِ المخلوقاتِ، وأين وَجْهُ الدلالةِ في تسبيحِ الملائكةِ؟ فلماذا العجبُ، وقد ثبتَ أن لكلِّ شيء لغة تُناسبه، وقد مرّ ذِكْرُ لغةٍ للهدهد، ولغةٍ للنّمل... إلخ، فعظمةُ سيدنا داود أنه فَهِمَ لغةَ الجبال، وسَمِعَ تسبيحَها ووافقَ تسبيحُها تسبيحَه كذلك ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾؛ يعني: يا طيرُ أوِّبْ مع داود ورَدِّدْ معه التّسبيح[1].

ج ـ ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾:

إلانةُ الحديد في وقتنا الحاضر تتطلّبُ صناعةً معقّدةً، وآلات ضخمةً، ويداً عاملة بمهارات عالية، وقوة لتوليدِ الطّاقة، فأمرها ليس هيّناً، أما في وقت داود عليه السلام فكانتْ إلانةُ الحديدِ معجزةً عظيمةً بين يديه بأمر من الله تعالى، كما يفهمُ من الآية، كما جاء فَضْلُه عليه من قِبَلِ تأويبِ الجبالِ والطّيرِ المسخّرات له بأمرٍ من الله[2].

تحدّث المفسِّرون أن الله جعل الحديدَ بين يديه كالعجين أو كالشّمع يثبّته

(١) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧١).

(٢) داود وسليمان من وحي القرآن، د. عقيل حسين، ص ٧٨.

كيفما يشاء، ثم يصبحُ الحديدُ حديداً صلباً كما هو معروف، ولا يَحتاجُ داود عليه السلام إلى أن يُحمِّي الحديد حتى يصبحَ كالعجين، ثم يطرقه بالمطارقِ، وهذا من قُدْرةِ الله العظيمةِ(١).

ويحتملُ أنّ تعليمَ الله لداودَ عليه السلام جارٍ على العادة، وأن إلانةَ الحديدِ له، بما علّمه الله من الأسبابِ المعروفةِ الآن لإذابتها، وهذا هو الظّاهر، فعندما امتنّ الله على آل داود بصناعةِ الدُّروع أمرهم بالشكر، ولو أنّ هذه الصّنعة من الأمور التي جَعَلَها الله مقدورةً للعباد لم يمتنّ عليهم بذلك، قال عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] (٢).

ويبدو أن الحديدَ كان معروفاً قبل داود عليه السلام، لكنّ استعمالَ الإنسانِ له كان قليلًا محدوداً، وأمّا داود عليه السّلام، فقد هَدَاهُ الله سبحانه إلى اكتشافِ مناجمِ الحديدِ في مملكته، وألانَهُ له، وجَعَلَه طَوْعَ يديه، فكان يصنعُ منه ما يشاء(٣)، وأصبحتِ الصِّناعاتُ المكوّنةُ من الحديد رائجةً في عصره، وتُستخدم على نطاقٍ واسعٍ في المظاهر المدنية والحضارية والعسكرية.

إن الله عزَّ وجلَّ أنعمَ على عبده داود بتسييل الحديدِ له، أو تعليمه كيف

---

(١) تفسير النابلسي «تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة»، د. محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، (١٠/ ١٦٣).

(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السُّنَن، (٢١/ ٤٣٤).

(٣) تفسير النابلسي، (١٠/ ١٦٣).

يسيلُ الحديدُ الذي هو مادة الإعمار والبناء والتّصنيع. ولا شكّ في خُطورة مادةِ الحديدِ في صناعةِ الحضارات، وبناءِ الدُّول، وفي حَسْم انتصاراتِ الجيوش.

يقول الدكتور عماد الدين خليل:

في سورة الحديد نقرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

سورة الحديد!! هل ثمة أكثر دلالةً على ارتباط المسلم بالأرضِ من تسمية سورةٍ كاملةٍ باسم خامٍ من أهمِّ وأخطر خاماتها؟!

هل ثمة ما هو أكثر إقناعاً لنزعة التحضّر والإبداع والبناء التي جاء الإسلامُ لكي يجعلَها جزءاً أساسياً من أخلاقيات الإيمان وسلوكياته في قَلْب العالم؛ من هذه الآية التي معها المسألة في طرفيها اللذَيْن يتمخّضان دوماً عن الحديد: ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ مُتَمثِّلًا باستخدام الحديد أساساً للتسلّح والإعداد العسكري، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ يمكن أن يحظى بها الإنسان من هذه المادة الخام في مجالات نشاطه وبنائه السلمي كافة؟! وهل ثمة حاجة للتأكيد على الأهمية المتزايدة للحديد بمرور الزمن، في مسائل السِّلْم والحرب، وأنه غَدَا في عصرنا الرَّاهن هذا من أهم الوسائل في ميادين القوى الدَّولية سِلْماً وحرباً؟!

إنّ الدولةَ المعاصرةَ التي تملكُ خام الحديدِ تستطيعُ أن تُرْهِبَ أعداءها بما ينتجُه لها هذا الخام من مقدرةٍ على التسلُّح الثقيل، وتستطيعُ ـ أيضاً ـ أن

تخطوَ خطواتٍ واسعةً لكي تقفَ في مصافِّ الدُّولِ الصِّناعية العظمى؛ التي يُشكِّل الحديدُ العمودَ الفقريّ لصناعاتها وغِناها(١).

إن الله سبحانه وتعالى مَنَحَ الحديدَ لداود عليه السلام، وعلّمه كيف يليِّنه؛ لأنّ الفائدةَ تتحقّق بوجودِ الخام والقدرةِ على تشكيله، ولا شكّ في أن ذلك ساعَدَ على بناءِ حضارةٍ عظيمةٍ جمعتْ بين المنهج الرّباني، والتطوُّر العمراني والصِّناعي... إلخ.

وإذا تأمّلنا في آيةِ الحديدِ نجد تداخُلًا عميقاً، وارتباطاً وثيقاً بين آيةِ الحديد، وإرسالِ الرُّسل، وإنزالِ الكُتب معهم، وإقامةِ الموازين الدّقيقة لنشر العدلِ بين الناس، وبين إنزالِ الحديدِ الذي يحملُ في طيّاته (البأس)، ثم التّأكيد على أنّ هذا كلّه إنّما يجيءُ لكي يتبيّن الله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ بمحض إرادته، ومحبّته للدِّين، واندفاعه لتنفيذ أوامر الشريعة بطواعيةٍ منقطعة النّظير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

إنّ المسلمَ الرّباني لن تحميَهُ بعد قُدرةِ الله إلا يدُه المؤمنة؛ التي تعرفُ كيف تبحثُ عن الحديد وتشكِّله، وتستخدمُه من أجل حمايةِ العقيدة، والتّقدُّم بهذا الدِّين، وتحقيقِ النّصر للمؤمنين، وإقامةِ دولةٍ تحكمُها شريعةُ ربِّ العالمين(٢).

وإنّ قولَ الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فيه إشارةٌ إلى أهميّةِ هذا الخام، وتوظيفِه في عمارةِ الأرض، وخدمةِ الإنسانية، والدِّفاعِ عن المقدّسات.

---

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، دار الثقافة، ١٩٨٦م، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) فقه النصر والتَّمكين، الصلابي، ١٣٠.

**٢ ـ قولُه تعالى:** ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

**أ ـ ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾:**

(أن) في قوله: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾؛ تفسيرية، فجُملةُ ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ تفسيريةٌ لما قبلها، أي: لمّا ألنّا لداود الحديدَ، قلنا له: اعملْ سابغات. ومعنى ﴿سَٰبِغَٰتٖ﴾ واسِعات طِوالاً، وهي صفةٌ لموصوف محذوف. والتقدير: اعملْ دروعاً سابغاتٍ واسعاتٍ طوالاً كَوامل.

قال الإمامُ الرّاغبُ: درعٌ سابغٌ: تامٌّ واسعٌ؛ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ ومنه استعير إسباغُ الوضوء، وإسباغُ النِّعَم، قال تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [لقمان: ٢٠] (١).

**ب ـ معنى السرد في قوله:** ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾:

يقال: سَرَد الشيءَ: ثَقَبَه. وسَرَد الجِلْد: خَرَزَه. وسَرَدَ نَسْجَها: شكّ طرفي كلّ حلقتين، وسمّرها بالمسامير(٢). وقال الإمامُ الرّاغبُ: ﴿ٱلسَّرۡدِۖ﴾: خَرْزُ ما يخشنُ ويغلظُ كنسج الدِّرع، وخَرْز الجلد، واستعير لِنَظْم الحديدِ، قال تعالى: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾.

ومعنى: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾؛ أحسنْ تقديرَ المساميرِ في حِلَقِ الدِّرع،

---

(١) المفردات، ص ٣٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ٢٠١١م، ص ٤٢٦.

وأحسنْ ثَقْبَ حِلَقِ الدِّرع، بحيث تجيء فتحةُ الحلقةِ على قَدْر المسمار، فلا هي أوسع من المسمار؛ فيتخلخلُ ويتحرّكُ فيها، ولا هي أضيقُ من المسمار فلا يدخلُها وينكسر.

قدّر ثقْبَ الحلقةِ أحسن تقدير، واجْعَلْها على قَدْر الحاجةِ، قال ابنُ عباس: ﴿ٱلسَّرْدِ﴾ هو ثقبُ الدُّروعِ من الحديدِ.

وقال مجاهد: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾؛ لا تصغّر المسمار ولا تكبِّر الحلقةَ فيتحرّك المسمار، ويتقلقلُ فيها، ولا تعظمِ المساميرَ وتصغِّرِ الحلقةَ فينكسر، ولكن اجعلْ ذلك بقدر. والدُّروع المسرُودة هي الدُّروع الحديدية، التي وضعتِ المسامير في حلقاتها، فصارتْ محكمَةً متينةً.

فالآيةُ: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ تخبرنا أن الله علّم داودَ عليه السلام صُنْعَ الدُّروعِ المحكمَةِ من الحديد الذي ألانَهُ له، فكان داودُ يُحْسِنُ تقديرَ ثقبِ الحديد، فتكون الحلقةُ مناسبةً للمسمار تماماً، لا أصغرَ منه، ولا أكبرَ، وبهذا كان جنودُه يلبسون الدُّروعَ الحديديةَ المحكمَةَ التي يصنعها، فكانت تحميهم من الأعداء في القتالِ، وتردُّ عنهم أسلحةَ أولئك الأعداء مهما بلغت قُوَّتهم.

ولم تكنِ الدُّروعُ الحديديةُ مسرودةً بالحلق والمسامير قبل داود عليه السلام.

قال قتادةُ: داودُ أوّلُ من عملَ الدُّروعَ من الحلق، وإنّما كانتْ قبل ذلك صَفَائح[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٥٠٥، ٥٠٦).

ج ـ ﴿ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ :

يبدو أن أهلَ داود اقتبسوا منه صناعةَ الدُّروع، فاتجهتِ الآية تأمرهم بالإخلاصِ في العمل وإتقانه وإحسانه، واجعلُوا عملَكُم كلّه خالصاً لله تعالى، فإنِّي بصيرٌ به، ومجازيكم عليه[١].

ـ ﴿ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾: لا في الدُّروع وحدها، بل في كلِّ ما تعملُون[٢].

د ـ ﴿ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ :

**اسمُ الله البصير**: البصيرُ الذي أحاطَ بَصَرُه بجميع المبصراتِ في أقطار الأرضِ والسموات حتى أخفى ما يكونُ فيها، فيرى دبيبَ النّملةِ السّوداءِ على الصّخرة الصّمّاءِ في الليلةِ الظّلْماءِ، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان المياهِ في أغصانِ الأشجار، وعروقها، وجميع النباتات على اختلافِ أنواعها وصِغَرها ودقّتها، ويرى نِياطَ عُروقِ النّملةِ والنّحلةِ والبعوضةِ، وأصغر من ذلك، فسبحان من تَحارُ العقولُ في عظمته وسَعة علمه، قال تعالى:

ـ ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢٢٠].

ـ ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

ـ ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴾؛ أي: مُطّلِعٌ ومحيطٌ بجميعِ الكائنات[٣].

---

(١) التفسير الموضوعي، (٧/ ٦٥).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٨٩٨).

(٣) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، =

وفي ضوء الأقوالِ السّابقة يظهرُ أن لاسمه سبحانه (البصير) معنيين:

**الأول**: أن له سبحانه بَصَراً يليقُ بعظمته، ويحيطُ بأقطار السمواتِ والأرضِ، وجميعَ مخلوقاته دقيقها وجليلها، باطنها وظاهرها؛ ولا يخفى عليه منهم شيءٌ.

**الثاني**: أنه ذو البصيرةِ بالأشياء، الخبير بها، المطّلع على بواطنها[1].

إن داود عليه السلام حقّق مقامَ المراقبة لله عزَّ وجلَّ، وكان على يقينٍ راسخٍ بأن الله لا يخفى عليه خافيةٌ في ليل أو نهار، في سرٍّ أو إعلان، في خَلْوة أو اجتماع، وأثّر ذلك الاعتقاد في قلبه خوفاً وحياءً من الله، فأخلص لله في جميع أعماله، ونشر التّوحيد بين آل داود، ودعاهم لإفراد الله وحدَه بالعبادة.

وقام بالدّعوةِ إلى الله على بصيرة ومعرفة وعلم، وعلى نهج السّابقين من الأنبياء والمرسلين.

**٣ ـ قوله تعالى**: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾:

**أ ـ** ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾:

أخبرنا الله أنّ هذه الرِّيحَ الرخاءَ العاصفةَ كان غدوُّها شهراً، وكان رواحُها شهراً.

---

= عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، السعودية، دار ابن القيم، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٣٥، ٣٦.

(١) ولله الأسماء الحسنى، ص ٦٢٨.

ـ **والغُدوُّ**: هو السَّير في أول النهار. تقول: غدا يغدو غدوّاً: بكّر، وخَرَجَ في أوّل النهار.

ـ **والرّواحُ**: هو السّيرُ في آخر النّهار، قبيل المغرب.

والغُدو والرّواح أمران متقابلان، الأول في أول النّهار، والثّاني في آخر النّهار.

ومعنى قوله عن الريح: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾؛ أنّ الله جعلَ الرِّيحَ سريعةً عاصفةً بما معها من غيثٍ ورخاء؛ حيث كانت تقطعُ مسيرةَ شهرٍ في غدوّها وقدومها ومجيئها وقت الصّباح، وتقطعُ شهراً آخر في رَواحها وذهابها وقت العشيّ في آخرِ النّهار.

أي أنّ الرِّيحَ كانت تقطعُ مسيرةَ شهرين في اليوم الواحد، وهذا مظهرٌ من مظاهرِ الرخاء والخِصْب الذي كانت تأتي به هذه الريحُ، وتتحرّك بأمرِ سليمان عليه السلام[1].

ب ـ ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾:

أخبر سُبحانه وتعالى أنّ من بين النِّعَم التي أفاضها على سليمان عليه السلام إسالة عَيْن القَطْر، وقد أعطى الله عزَّ وجلَّ لوالده داود عليه السلام نِعْمَةً شبيهةً؛ وهي إلانةُ الحديدِ؛ ليعملَ منه الدُّروعَ السّابغات، وتكاد كتبُ اللغة تُجْمِعُ على أنّ القطْرَ: هو النحاسُ الذائب، أو ضَرْبٌ منه.

ومعنى ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾؛ أَذَبْنا له النُّحاسَ حتى كان يجري كأنه

(١) القصص القرآني، (٣/ ٤٩٩).

عينُ ماء متدفقةٌ من الأرض[١]، وهذا النُّحاسُ كان يخرجُ من الأرض خُرُوجَ الماءِ من الينبوع[٢]. وقد قال القاضي البيضاوي: أساله من مَعْدنِه، فنبعَ منه نبوعَ الماء من الينبوع؛ ولذلك سمّاه عَيْناً[٣].

وهذه النِّعمةُ الباهرةُ آيةٌ على علوِّ شأنِ سليمان، وارتفاعِ قَدْره عند ربِّه جل وعلا.

إن سياقَ الآياتِ الكريمةِ يبيِّن أنّ إسالةَ النُّحاس لسليمان عليه السلام كان معجزةً خارقةً كإلانة الحديد لداود، وقد يكونُ ذلك بأن فَجّر الله عَيْناً بُركانيةً من النُّحاس المذابِ من الأرض، أو بأن ألهَمَه الله إذابةَ النُّحاس حتى يسيلَ، ويصبحَ قابلًا للصبِّ والطّرْق، وهذا فَضْلٌ من الله كبير[٤].

وقد استخدم سليمانُ عليه السلام معدنَ النُّحاس في العمارة والبناءِ، وشيّد العديدَ من المباني والقِلاع والمساجد، والقِصاع والقُدور، وقد استفاد من مُعدّات الحديد ومعادن أخرى في الصِّناعات الحربية والمدنية لتقويةِ دولته، ونموِّ صناعتها، وازْدهارِ حضارتها، والقيام بواجبِ العمارةِ في الأرض، وَفْقَ مفهومِ الخلافةِ فيها.

---

(١) سليمان عليه السلام في القرآن، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (٤/ ٣٩٤).

(٤) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٨٩٨).

ولا شَكّ في أنّ النُّحاسَ عُدّ عنصراً مهمّاً من عناصرِ الحضارةِ في عهدِ سليمان عليه السلام.

وقد ثبت وجودُ أعمالٍ قديمة لاستخراج النُّحاسِ في شمالِ وادي عَرَبة، وقد كانت خاماتُ النُّحاس تُجْلَبُ من أماكن استخراجها إلى منطقة (تل المقص) بالقرب من مطارِ العقبةِ الحالي، ويبعد حوالي أربعة كيلومترات شمال ميناءِ العقبة، حيث كانت تصنعُ لاستخراج النُّحاسِ منها، وتصديره خاماً ومُصنّعاً إلى البلاد المجاورة عبر موانئ خليج العقبة (آيلة) وعصيون جابر[١].

ج ـ ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾:

أي من الجِنِّ من يطيعُه، ويأتمرُ بأمره، وينتهي بنهيه، فيعملُ بين يديه ما يأمرُ طاعةً له بإذن ربِّه، بأمر الله بذلك، وتَسْخِيره إيّاه[٢]، ومعنى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أنّ المسألةَ كلّها تَسْخِيرٌ من الله لنبيّه سليمان، وليس أمراً ذاتياً من عنده[٣].

إن الله عزَّ وجلَّ سخّر الشّياطينَ لسليمان عليه السلام، وكلّ من ادّعى أنه سخّر الشّياطين، وأنها تخدمُه رغماً عنها، فهذا غيرُ صحيح؛ لأنّ سليمان عليه السلام قال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]. فأيّ إنسانٍ يأتيك، ويدّعي أنّ الشياطين تخدمُه، فاعلمْ أنه

(١) من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي، (٢/ ٧٣١).
(٢) جامع البيان، (٢٢/ ٦٨ ـ ٧٠).
(٣) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧٦).

كذّاب، فهي إن خَدَمَتْه فباختيارها هي لا بتَسْخِيره لها، وإنّما تخدمُه لأنه يخدمُها، فيكون هناك تبادلٌ منافع أو مضارّ؛ لأنها لا تخدمه إلا إذا كَفَرَ بالله عزَّ وجلَّ، أما أن تُرغَمَ الشياطين على خدمته فهذا باطلٌ[١].

وقد بيّن العلماءُ أنه لا يجوزُ استخدامُ الشّياطين من قبل الإنس لا لعلاج ولا لغيره؛ لأنّ الله خصّ نبيّه سليمان بتَسْخِير الجِنِّ والشّياطين، وقال العلماءُ في اللجنة الدّائمةِ للبحوث والإفتاء في المملكة العربية السُّعودية: لا تجوزُ الاستعانةُ بالجني الذي تسمُّونه القرين، وسؤاله عن نوعِ مرضِ المريض؛ لأنّ الاستعانةَ بالجنِّ شركٌ بالله عزَّ وجلَّ، فالواجبُ على من يعمل ذلك التوبة إلى الله من ذلك، وتَرْك هذه الطّريقة، والاقتصار على الرُّقية الشّرعية[٢].

وكانت إجابةُ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن سؤال يتعلّق باستخدام الجِنّ في العلاج، فقال: لا ينبغي للمريض استخدامُ الجنِّ في العلاج، ولا يسألهم، بل يسأل الأطباءَ المعروفين، وأما اللجوءُ إلى الجنِّ فلا؛ لأنه وسيلةٌ إلى عبادتهم وتصديقهم؛ لأنّ في الجِنِّ مَنْ هو كافر، ومن هو مسلمٌ، ومن هو مبتدعٌ، ولا تعرَف أحوالُهم، فلا ينبغي الاعتمادُ عليهم، ولا يُسْأَلون، ولو تمثّلوا لك، بل عليك أن تسألَ أهلَ العِلْم والطب من الإنس.

وقد ذمّ الله المشركين بقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ

(١) فبهداهم اقتده، عثمان الخميس، ص ٣٢٥.

(٢) فتاوي اللجنة الدائمة، عثمان الخميس، ص ٣٢٥.

﴿ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ ولأنه وسيلةٌ للاعتقادِ فيهم والشرك، وهو وسيلةٌ لطلبِ النّفْع منهم، والاستعانة بهم، وذلك كلُّه من الشِّرك[١].

د ـ ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾:

ومن يَحِدْ منهم عن أمرنا الذي أمرناه به، وهو طاعةُ سليمان عليه السلام نُذِقْه من عذابِ السّعير. أي: نذقْه عذاباً أليماً من الحريقِ في الدُّنيا، أو من عذابِ النّارِ في الآخرة[٢].

٤ ـ **قوله تعالى**: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

لقد سخّر الله الجِنّ في إقامة المباني العظيمة، وتَشْييد الصُّروح العجيبة، وقدرتهم في هذه الأمورِ، وقد ذَكَر القرآنُ الكريمُ طائفةً من هذه الأعمالِ.

أ ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾:

**المحاريبُ**: جمعُ محراب، ويُطلقُ على القصر الفَخْم الواسع، وعلى المكانِ الذي يقصدُه الناس للعبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

**والمحرابُ في اللغة**: صَدْرُ المجلس، ويقال: هو أشرفُ المجالس، وهو حيث يجلسُ الملوكُ والساداتُ والعِظام، ومنه محرابُ المصلّى[٣].

---

(١) فوائد قصص نبيّ الله سليمان، ص ٥٢.

(٢) التفسير المنير، (١١/ ٤٨٢).

(٣) المصباح المنير، ص ٤٩.

قال الإمامُ الرّاغبُ رحمه الله في توجيهِ تسميةِ المحراب بهذا الاسم: قيل: سُمِّيَ بذلك لأنه موضعُ محاربةِ الشّيْطان والهوى، وقيل: سُمِّي بذلك لكون حقّ الإنسان فيه أن يكونَ حريباً من أشغال الدُّنيا ومن توزُّع الخواطر، وقيل: الأصلُ فيه أنّ محرابَ البيت: صَدْرُ المجلس، ثم اتُّخذتِ المساجدُ فسمّي صدرُ المسجد به، وقيل: بل المحرابُ أصلُه في المسجد، وهو اسمٌ خصّ به صدرُ المجلس، فسمّي صدرُ البيت محراباً تَشْبيهاً بمحرابِ المسجد، وكأنّ هذا أصح[١].

وسليمان عليه السلام كان يحرصُ على إقامةِ المعابد مَوْئلًا للمؤمنين لعبادةِ ربِّ العالمين.

ب ـ ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾:

قال النّابلسيُّ: ومعنى التمثال: الشّيء الذي يُصنعُ على مثلِ شيءٍ آخر، أي التّصويرات في هذه المحاريب كالأقواسِ مثلًا، وليس المقصودُ التّصاوير ولا التّماثيل التي تألفونها في حياتِكم[٢].

وقال البَيضاويُّ رحمه الله: التماثيلُ هي الصُّور. وحُرِّمت التّصاويرُ بشرع نبيّنا، ولم تكنْ حراماً في شريعة سليمان عليه السلام[٣].

وهناك مَنْ قال: إنّ التماثيلَ التي صُنعتْ في عهدِ سليمان كانت بشكلٍ

(١) معجم مفردات القرآن، ص ١٢٦.
(٢) تفسير النابلسي، (١٠/ ١٦٨).
(٣) تفسير البيضاوي، (٤/ ١٧١).

مغايرٍ للتماثيل المنهيِّ عنها في عهدِ إبراهيم عليه السلام، التي حرّمها الإسلام[١].

فالحِكْمَةُ في تحريم صناعةِ التماثيلِ أنّها تعظيمٌ وإجلالٌ لغير الله، وهذا التعظيمُ لغيرِ الله محرّم في جميع الشّرائعِ السّماويةِ من نوح وإبراهيم، ثم موسى وعيسى عليهم السلام، وانتهاءً برسالةِ محمد ﷺ، وهذا ما يُرجِّح أنّ التماثيلَ التي أمر سليمانُ عليه السلام بصناعتِها مختلفةٌ عن التماثيلِ المحرّمة[٢].

وقال الشّيخُ محمد متولي الشّعراوي رحمه الله: التّماثيل: جمع تمثالٍ، وهو مأخوذٌ من مِثْل أو مَثَل، ومِثْل الشّيء يعني: شَبيهه ونَظِيْره، وكانوا يعمدُون إلى الأشياء التي لها جِرْم، ويُصوِّرونها على صورةِ أشياء مخلوقة لله تعالى، كصورةِ الإنسان أو الحيوان، من الحجرِ أو الحديدِ أو الخشبِ أو غيرها، ويُسمُّونه تمثالاً، ويُقيمونه ليعبدوه.

وقد حَطّمها الأنبياء، ونهوا عن عِبادتها من دُونِ الله. إذ قالوا: حُطِّمتِ التماثيلُ لما اتّخذها الناسُ للعبادة والألوهية، وكانتْ من قبلُ لا تتخذ للعبادة، بل للخدمة، وللدّلالة على الإهانة والإذلال، ألم تَرَ في الآثارِ القديمة كرسيّاً أو مائدة تقومُ على هيئةِ مجموعةٍ من الأسود مثلًا، فلما عُبدتْ أمرنا بتحطيمها وتحريمها[٣].

وقال الدكتور محمد عياش: إنّ صناعةَ التماثيل بحدّ ذاتها ليستْ من

---

(١) داود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص ٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

(٣) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧٨).

مسائلِ العقائدِ، وإنّما هي من مسائل الفقه؛ لأنه مقطوعٌ به أنّ عقائدَ الأنبياء لا تختلف، وإنّما تختلفُ الأحكامُ الفقهية تبعاً للحاجةِ وتطوُّر الحياة، كما أنّ ذِكْرَ التماثيلِ هنا في مقام المدح والامتنان، يعني أنّ القِيَمَ الجمالية مطلوبةٌ، وإن كانتْ طريقةُ التعبير عنها تختلفُ من شَريعةٍ إلى شَريعةٍ، ومن زمانٍ إلى زمانٍ(١).

وقد حاول بعضُ العلماء الاعتذارَ عن سليمان عليه السلام، بأن التماثيلَ التي كانت في عهده لم تكنْ تماثيل لذي رُوح من إنسان أو طير أو حيوان، وإنّما كانت تماثيل لما لا رُوحَ له، كالأشجارِ والبحارِ والمناظرِ الطّبيعية(٢).

إن شَريعتنا الإسلاميةَ، قد جاءت فيها النصوصُ النبويةُ قاطعةً في حرمةِ التماثيلِ وصِناعتها، وسَمّتها باسم: التّصوير. وفِعْلُها: صَوّر. واسم فاعلها: مصوِّر.

ومن هذه الأحاديثِ ما رواه الشّيخان عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ أشدّ الناسِ عذاباً يوم القيامة المصوِّرون**» (٣).

وقال عليه الصّلاة والسلام: «**إنّ الذين يضعون هذه الصُّورَ يُعذّبون يومَ القيامة، يقال لهم: أحْيُوا ما خَلَقْتُم**» (٤).

---

(١) مجالس النور، محمد عياش الكبيسي، الدوحة، جامعة قطر، ط١، ٢٠١٩م، (٣/ ١٢٢٠).

(٢) سليمان عليه السلام في القرآن، ص ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٤) البخاري، رقم ٢١٤٤.

وقد اختلف علماؤنا في الممنوع والجائز من الصُّور اختلافاً كثيراً، غير أنهم اتّفقوا على حُرمة اتخاذِ الصُّور المجسّمة (التماثيل) ولم يستثنِ الفقهاءُ من هذه الصُّور إلا لُعَبَ الأطفال. وما سوى ذلك ففيه خلافٌ ليس هنا موضعُه[١].

وقد كان الإسلامُ شديداً في محاربةِ التّماثيل حتى لا تُتّخذ ذَريعةً إلى الشِّرك، وطريقاً إلى الوثنية[٢].

قال الإمامُ ابن العربيّ في عِلّة هذا التّحريم: والذي أوجب النّهْيَ في شَرْعِنا ـ والله أعلم ـ ما كانت العربُ عليه من عبادةِ الأوثانِ والأصنام، فكانوا يُصوِّرون ويعبدون، فقطع الله الذّريعةَ، وحمى البابَ[٣].

ج ـ ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾:

**الجِفانُ**: قِصاعٌ عظيمةٌ، خُصّتْ بالطعام. واحدها جَفْنة، وهي ما كانوا يتمدّحون به[٤].

**والجَوابي**: الحياضُ الواسعةُ، يُجبى فيها الماء، أي: يُجمع لسقي الإبل وغيرها[٥].

والجِنُّ المسخّرون لسليمان عليه السلام كانوا يصنعون له القِصاعَ

---

(١) الحلال والحرام، محمد يوسف القرضاوي، دار الكتب المصرية، طبعة ٢٠١٣م، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) سليمان عليه السلام، ص ١٢٤.

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثّالثة، ١٤٢٤هـ، (٤/ ٩).

(٤) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، التنوجي، ص ١٠٨.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١١٦.

العظيمةَ الواسعةَ ليوضَعَ فيها الطعام. وأهل اللغة فرّقوا بين أسماء أوعيةِ الطعام حسب الكبر والاتّساع. **فالجَفنَةُ**: أعظمُ القِصاع، ويليها القَصْعة، وهي ما تُشْبِعُ العشرةَ، ويليها الصّحْفة، وهي ما تُشْبِعُ الخمسةَ، ويليها المِكلة، وهي ما تكفي الشّخصين أو الثّلاثة.

والصّحفة: الصّحْنُ المفردُ الذي يكفي شخصاً واحداً، وأما أكبرُ وعاءٍ للطعام، فهو الجفنةُ؛ لذلك قال: (كالجواب) أي: كالأحواضِ العظيمةِ التي تُستخدمُ لتخزين المياه[١].

والآيةُ تتحدّثُ عن جِفانِ سليمان عليه السلام العظيمة التي يُطْعِمُ فيها الناسَ حتى تبدو لكبرها كأنها أحواضُ مياهٍ كبيرة[٢]، وهذا كنايةٌ عن كرمه، وكثرة إطعامِه الطّعام[٣].

د ـ ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾:

**القُدور**: هي أوعيةُ الطعام المعروفة التي تُوضَع على النار، ويُطْبَخُ فيها الطعام.

ـ وقد وَصَفَ اللهُ تعالى هذه القدورَ بأنها (راسيات) أي: ثابتات. قال القاضي البيضاويُّ رحمه الله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾؛ ثابتات على الأَثافي لا تنزلُ عنها لِعِظَمِها[٤].

---

(١) تفسير النابلسي، (١٠/ ١٦٨).
(٢) سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ص ١٢٥.
(٣) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٧٨).
(٤) تفسير البيضاوي، (٤/ ٣٩٤).

ـ إذاً فهي قدورٌ عظيمةٌ واسعةٌ، ولعظمها واتّساعها فهي ثابتةٌ لا تُحْمَلُ ولا تُحرّك، حتى إن بعضَها كان يُصعَدُ إليها بالسُّلّم(١).

وقد ذَكَر جمعٌ من المفسِّرين أنّ هذه القُدورَ كانت من النُّحاس، وهذه القُدورُ والجِفانُ تدلُّ على عِظَم مُلْك سليمان، وتدلُّنا على الجودِ الواسع والكرمِ الأصيل الذي كان يتحلّى به سليمان عليه السلام، وهذه الصِّفةُ من متطلّبات الحُكْم الرّشيدِ، ومن القُرباتِ العظيمةِ لله عزَّ وجلَّ، ومن وسائلِ كَسْب الرّعيّة والمواطنين والمحتاجين في الدّولة.

هـ ـ ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾؛

أي: اعمَلُوا بطاعةِ الله يا آل داود شكراً على ما آتاكم، أو اعْمَلوا عَمَلًا يعبّرُ ويُعْرِبُ ويترجمُ عن شكركم لله تعالى. وخصّهم بالذِّكْر مع أنّ الشُّكْر واجبٌ على سائر الخلقِ؛ لأنّهم موضعُ التأسِّي، والاقتداءِ، ومحلّ الأنظار(٢).

وإنّ من سعادةِ العبدِ أن يكونَ شاكراً لله على نِعَمِه الدِّينيّة والدُّنيوية، ويَرَى أنّ جميعَ النِّعَم من ربِّه فلا يفخر بها ولا يَعْجَل بها، بل يرى أنها تستحقُّ عليه شكراً كثيراً(٣).

ـ ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾: هم أهلُه الصّالحون، وعلى رأسِهم سُليمان عليه السلام.

---

(١) تفسير النابلسي، (١٠/ ١٦٨).
(٢) الصراع بين الحق والباطل، العنزي ص ٨٠.
(٣) فوائد قصص نبيّ الله سليمان، عبد الفتاح محمد، ص ٥٠.

ـ **وكلمة** ﴿شُكْرًا﴾: منصوبة. ويجوز فيها أوجُهٌ:

**إحداها**: أنه مفعولٌ به؛ أي: اعملوا الطّاعةَ، سُمِّيَت الصّلاة ونحوها شكراً لسدِّها مسدّه.

**الثاني**: أنه مصدر من معنى: اعملوا، كأنه قيل: اشْكُرُوا شُكْراً بعملكم، أو: اعملوا عَمَلَ الشكر.

**الثالث**: أنه مفعولٌ لأجله؛ أي: لأجل الشُّكْر.

**الرابع**: إنه مصدر وقعَ موقعَ الحال؛ أي: شاكرين.

**الخامس**: أنه صفةٌ للمصدر ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ تقديره: اعملوا عملًا شكراً؛ أي: ذا شكر(١).

قال ابنُ كثير: وفي الآية دليلٌ على أنّ الشُّكْر يكونُ بالفعل كما يكونُ بالقولِ والنيةِ(٢).

وروي أنّ داود عليه السلام، قال: كيف أطيِّقُ شكركَ وأنت الذي تُنعمُ عليّ، ثم ترزقني على نِعمةِ الشكر؟ فالنِّعمةُ منك والشكر منك، فكيف أطيِّقُ شكرك؟ فقال جلّ وعلا: يا داود الآن عَرَفتَني حقّ معرفتي.

ومرّ معنا قول سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وظاهرُ الآيةِ أنّ الشُّكْرَ بعملِ الأبدان دون الاقتصار على عَمَلِ اللسان؛

---

(١) سليمان عليه السلام في القرآن، ص ١٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ٥٢٩).

ولهذا كان نبيّنا محمد ﷺ يقومُ من الليل حتى تتفطّر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غَفَرَ الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»(١).

- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: فالمتوفِّر على أداء الشُّكْر بقلبه، ولسانه، وجوارحه أكثر أوقاتِه، قليلٌ، ومع ذلك لا يؤدِّي حقّه؛ لأنّ تَوفيةَ الشُّكْر نِعْمَةٌ تستدعي شكراً آخر ليس له نهاية، ولذا قيل: الشّكورُ من يرى عَجْزَهُ عن الشكر(٢).

وقد تحدّث ابنُ القيم رحمه الله عن الشكر، وبيّن أنّ حقيقتَهُ: ظهورُ أثرِ نِعْمَة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبّةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً.

والشُّكر مبنيٌّ على خمس قواعد: خضوعُ الشّاكر للمشكور، وحبُّه له، واعترافُه بنعمته، والثّناءُ عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمسةُ هي أساس الشُّكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدةً اختلّ مِن قواعدِ الشُّكْرِ قاعدة. وكلُّ من تكلّم في الشُّكْر وحدِّه، فكلامُه إليها يرجعُ، وعليها يدور(٣).

ولقد أحسن سليمان عليه السلام شُكْرَ نِعَم الله، فأورثته تلك النِّعمُ مزيداً

---

(١) التفسير الموضوعي، (٧/ ١٨)، البخاري، رقم ٤٨٣٧.

(٢) تفسير البيضاوي، (٤/ ٣٩٥) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين، ابن قيِّم الجوزية (٧٥١ه)، تحقيق: عماد عامر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، (٢/ ١٤٤٤).

من الخضوع لله، وتواضعاً لعباد الله، وشفقةً على عيالِ الله، وأقام مملكةً على الشُّكْر لله، والعدلِ بين خَلْقه، والإحسانِ إليهم، وتحكيمِ شرع الله بين عباد الله تعالى.

إن من أدقِّ تعريفاتِ الشُّكْر أن تُستخدمَ نِعْمَةُ الصِّحّة في طاعةِ الله، ونِعْمَةُ البصر في رؤيةِ آلاء الله، ونِعْمَةُ العِلْم لدعوة النّاس إلى الحق، ونِعْمَةُ اللسانِ لذِكْر الله عزَّ وجلَّ، ونِعْمَةُ السمع في سماعِ الحق، ونِعْمَةُ الذكاء لفهم كتاب الله، فكلُّ هذه النِّعم والأُعطيات التي أكرمكَ الله بها بإمكانك أن ترقى بها إلى جِنانِ النعيم، والجنة تحتاجُ إلى عمل.

وإنّ العملَ هو استخدامُ الحظوظ، فهذا إنسانٌ يرقى إلى الله بإتقان صنعته، وهذا يرقى إلى الله بإنفاقِ ماله، وهذا يرقى بإنتاجه العقليّ، وهذا يستخدمُ قلمه الأدبيّ في تأليف كتبٍ تدلُّ على الله عزَّ وجلَّ.

وليس في الوجودِ إنسانٌ بلا حظوظ، فهذه نقطةٌ مهمّةٌ جدّاً، فإذا استخدمت النِّعم التي أنعم الله بها عليك فيما يرضي الله، وفيما خُلقت من أجله؛ فهذا أعلى درجاتِ الشُّكر، أما حينما تستخدمُ نِعَم الله عزَّ وجلَّ فيما يغضبُه وفي معاصيه؛ فهذا بُعدٌ عن الله[1].

ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: اللّهمّ اجعلنا من هؤلاء القليل، وكان سيدنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قد سمع رجلًا يدعو بهذا الدعاء: اللّهمّ اجعلني من القليلِ، فقال له: ما هذا الدُّعاء؟ فقال: أقصدُ هذه الآية:

(١) تفسير النابلسي، (١٠/ ١٦٩).

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾. فقال عمر: كلُّ الناس أعلمُ منك يا بن الخطاب(١).

وقال الآلوسي في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: وفيه تنبيهٌ وتحريضٌ على الشكر(٢).

اللّهمّ اجعلنا من القليلِ الشّاكر لا من الكثيرِ السّاهي اللاهي عن السّبيل(٣).

**٥ ـ قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

جَعَلَ اللهُ موتَ سليمان عليه السلام عِبرةً للإنس والجنِّ؛ فقد كان سليمانُ حازماً شديداً مع كلِّ مَنْ يخالفه، فيقيّده بالأصفادِ سواء كان من الإنس أم من الجِنِّ، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ ـ ٣٨].

وكان صالحو الجِنِّ والإنس الذين معه مؤمنين مسلمين، لكن كان شياطين الجِنِّ والإنس كفاراً، يثيرون الشُّبُهات حولَ سليمان عليه السلام، ويُطلقون الإشاعات حول الجِنِّ والإنس، ومن الإشاعات التي كان يُطلقها

---

(١) المصدر نفسه، (١٠/ ١٦٩).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (٢٢/ ١٢١).

(٣) المصدر نفسه، (١٠/ ١٦٩).

هؤلاء الشّياطين والمتأثرون بهم أنّ الجِنّ يعلمون الغيبَ؛ لأنّ الله وهبهم طاقاتٍ وقدراتٍ خارقة، يتحرّكون أينما شاؤوا، ويذهبون إلى أي مكانٍ أرادوا، فلا يقفُ أمامهم شيءٌ، ولا يعجزونَ عن شيء، ولهذا كانوا يعلمونَ الغيبَ.

وبما أنّ الجِنّ يعلمون الغيب، فإنّ سليمانَ عليه السلام قد استفاد منهم ومِنْ عِلْمِهم بالغيب في حُكْمه وسُلْطانه، حيث يقدِّمون له أخبارَ الغيب التي يعلمونها، فيستفيد منها في إخضاعِ الآخرين، والتّحكُّم فيهم.

وكانت هذه الإشاعاتُ الشّيطانيةُ تصدرُ عن شياطين سليمان عليه السلام، وكان سليمان عليه السلام يفنِّدها ويُبْطِلُها، لكنّها كانت موجودةً، وكان ضعافُ الإيمان من الجِنِّ والإنس يصدِّقونها ويردِّدونها.

وأراد الله الحكيمُ أن يجعلَ موتَ سليمان عليه السلام إبطالاً عملياً لهذه الإشاعات، وتقريراً لحقيقةٍ إيمانيةٍ جازمةٍ، وهي أنّ الجِنّ لا يعلمون الغيب، وأن الله وحده هو الذي اختصّ بعلمه.

هذا ما تُخبرنا به هذه الآيةُ الكريمةُ التي تحدّثتْ عن موتِ سليمان عليه السلام، ولا ننسى أنّ هذه الآيةَ خاتمة آيات تتحدّث عنه، حيث كان الكلام قبلها عن الجِنِّ الذين يعملُون بين يدي سليمان بإذن ربِّه، وعن حَزْمِهِ في حُكْمهم، وعن بعض الصِّناعاتِ الحديدية والنُّحاسيّة التي يصنعونها، كالمحاريبِ والتماثيلِ والجِفانِ والقُدورِ الرّاسيات.

وبما أنّ الله تعالى يُخبر الأنبياءَ عن موتهم تكريماً لهم، فيختارون لقاءه فيقبض أرواحَهم ويتوفّاهم، كما مرّ معنا من قَبْلُ، فقد خَيّر الله سليمان عليه

السلام لما جاءه الأجلُ، فاختار لقاء الله، ولا توجدُ أحاديث صحيحةٌ تُبيِّن كيفيةَ تخيير الله له، كما حصل مع موسى وداود عليهما السلام، وبعدما اختار سليمانُ لقاءَ الله[١].

وتُشيرُ الآيةُ إلى أنّ الجِنَّ كانوا يقُومون بأعمالهم التي كلّفهم سليمانُ بها، وهي أعمالٌ شاقّةٌ متعِبةٌ، ويبدو أنّ سليمان عليه السلام كان واقفاً أمامهم، مراقِباً لهم، متكئاً على عصاه، وكانوا يهابُونه ويخافون منه، وفي هذا الجوِّ الحازمِ شاء الله الحكيمُ أن يقبضَ روحَ سليمان عليه السلام، ليبيِّن للجنِّ الخاطئين المنهكِين في العمل، ولمن بعدهم، أنهم لا يَعْلَمون الغيب[٢].

أ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾:

أي: أوقعنا على سليمان الموتَ حاكمينَ به عليه[٣]. أرسل الله له مَلَكَ الموتِ لقبض روحِه، ففاضتْ روحُه وهو مُتّكئ على عصاه، وبقي الجِنّ مقبلين على العمل، على اعتبار أنّ سليمان مُتّكئ على عصاه، مراقبٌ لهم، وهم لا يرفعون رؤوسَهم خوفاً منه، ولا ينظرون إليه هَيْبةً له[٤].

ب ـ ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾:

الضميرُ في ﴿دَلَّهُمْ﴾: إما يعودُ إلى الجِنِّ أو آل سليمان[٥].

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٦٩).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٧٠).
(٣) سليمان عليه السلام في القرآن، ص٢٣٧، روح المعاني، (٢٢/ ١٢).
(٤) القصص القرآني، (٣/ ٥٧٠).
(٥) تفسير البيضاوي، (٤/ ٣٩٥).

وقد أرسل الله إلى عَصا سُليمان دابةَ الأرض، وهي (الأَرَضَة) المعروفة بآكل الأخشاب، وصارت هذه الدّابةُ تأكلُ العصا من الدّاخل وتنخرها، فلما نُخِرتِ العصا لم تحملْ جسمَ سليمان الميت عليه السلام، فانكسرتْ وخَرّ جسدُ سليمان عليه السلام واقِعاً على الأرض.

ج ـ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾:

أي: عصاه التي كان يتوكّأ عليها، وهي لم ترِدْ في غير هذا الموضع من القرآن، وهي اسمُ آلةٍ على وزن مِفْعَلَة، ومعناها: العصا العظيمةُ تكونُ مع الرّاعي، سُمِّيَتْ بذلك لأنه يَنْسَأ بها الغَنَمَ، أي: يزجُرها ليزدادَ سَيْرُها[1].

وإضافةُ المِنْسَأة إلى سليمان عليه السلام يدلُّ على أنّ سليمان عليه السلام كان يستخدمُ العصا، ويستعملها في أعماله وحركاته ونشاطاته، ويحملُها أثناء سيره، ويتوكّأ عليها أحياناً، ويزجرُ بها جنوده وموظفيه أحياناً[2].

د ـ ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾:

الضميرُ يعودُ على سليمان عليه السلام.

**والخرورُ**: السُّقوطُ حيث يُسمع له خرير[3].

**والخرورُ أيضاً**: انهيارٌ بلا نظام وبلا ترتيب. وكلمة (خرّ) بمعنى سَقَطَ

(١) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن، التنوجي، ص٤٧٢.
(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٧٢).
(٣) معجم مفردات القرآن، ص١٦٢، مختار الصحاح، ص١٠٤.

تُوحي بأن كرامةَ الإنسان في روحِه، وفي السِّرِّ الذي وضعه الله فيه[١].

هـ ـ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾:

تعجّبَ الجِنُّ لما سمعوا صوتَ خُروره وسُقوطه على الأرض، وعرفُوا أنه قد مضى على وفاته ساعات أو أيام، بينما هم لم يعلموا بذلك، ولو عُرفوا بموته ساعةَ موته ما لبثوا هذه السّاعات والأيام في العذابِ المهينِ الشّاق المتعِب، ولتركوا ذلك العملَ، وذهبوا إلى الرّاحةِ.

إذاً: هؤلاء الجِنُّ لا يعلمون الغيبُ، ولا يعلمون بعضَ الحاضرِ المشاهد.

هذا ما أراد الله الحكيمُ إقرارَهُ وتوضيحَهُ وترسيخَهُ من اختياره ومشيئته موت سليمان عليه السلام على هذه الطّريقة، والجِنُّ والشّياطين كاذبون عندما يشيعون أنهم يعلمون الغيبَ، وهذا الدّليلُ على كذبهم[٢]. لقد أدرك الناسُ يومئذ أنّ الجِنّ لا يعلمون الغيبَ، ولو كانوا يعلمونه ما لبثوا في أعمالِ السُّخرة الشّاقة المذلّة مدةً من الزمن.

إنّ الغيب لا يعلمُه إلا الله، والله تعالى هو عالمُ السِّرِّ وأخفى، وإنه جل وعلا استأثر لنفسه بعلمِ الغيب، ولم يُطلع عليه أحداً من خَلْقِه إلا لمن أراد، وبقدر ما أراد[٣].

---

(١) تفسير الشعراوي، (٢٠/ ١٢٢٨٧).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٧٥).

(٣) سليمان عليه السلام في القرآن، ص٢٢٦، وانظر: في صحبة الرسل الكرام، السيد عسكر، ص٢٢٦. وفي: قصص القرآن، سميح عاطف الزين، ص٥٥٦، وفي: =

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٥ ـ ٢٧].

ـ قال ابنُ حَيّان رحمه الله: فالمعنى أظهرَ للناس جَهْلَ الجنِّ بعلم الغيب، وأن ما ادّعوه من ذلك ليس بصحيحٍ(١).

ـ وقال الآلوسي رحمه الله: وفي الآية دليلٌ على أنّ الغيبَ لا يقتصر على الأمور المستقبلية، بل يشملُ الأمورَ الواقعةَ التي هي غائبةٌ عن الشخص أيضاً(٢).

ـ وقال ابنُ عطية رحمه الله: وأكثَرَ المفسِّرون في قصص هذه الآية بما لا صحّة له، ولا تقتضيه ألفاظُ القرآن، وفي معانيه بُعْدٌ(٣).

وقد جاءتْ بعضُ المرويّات وهي لا تصحُّ، وقد تأثرتْ بالإسرائيليات، وذَكَرها بعضُ المفسِّرين بأنّ سليمان عليه السلام مَكَثَ حَوْلاً كاملاً ميتاً دون أن يحسّ به أحد، وأن الجِنّ هي التي تأتي بالماء للأَرَضَة، وغير ذلك من الأباطيل التي لا تثبتُ بالنقل، ولا يسندُها العقل(٤).

---

= معجزات الأنبياء، عبد المنعم الهاشمي، ص٢٤٣، وانظر: أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، ص٥٩٥، وفي: الثمين في قصص الأنبياء، زهير علي كاخي، ص١٤٠.

(١) البحر المحيط، (٧/ ٢٥٧).

(٢) روح المعاني، (٢٢/ ١٢٤).

(٣) المحرر الوجيز، (٤/ ٤١٢).

(٤) سليمان في القرآن الكريم، ص٢٣٩ ـ ٢٤٢.

فهل يعقلُ أن يمكثَ ميتاً لمدة سنة، ولا يفتقده أحدٌ؟! أو دون أن يُقَدَّم له طعامٌ أو شراب؟ ومن كان يصرِّف أمورَ المملكةِ طول هذه المدة؟[١].

**ـ عمره حين مات:**

إنّ كثيراً من المؤرِّخين ذكروا أنه تُوفِّي وعمره اثنان وخمسون عاماً، بعد أن حَكَم أربعين سنة، والله أعلمُ بذلك.

**ـ أين مكان قبر سليمان عليه السلام؟**

لقد اختلف العلماءُ والمفسِّرون في تحديدِ مكان القبر، فقيل: إنه دُفِنَ في طبريا، وقيل: في بيت لحم، وقيل: في القدس[٢]. وإن النّبيّ يُدفن حيث يُقبَضُ، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**ما قَبَضَ الله نبيّاً إلا في الموضعِ الذي يجبُ أن يُدفَنَ فيه**» [٣].

وبعدما تبيّن لرجالِ الدولة وفاة سليمان عليه السلام دَفَنُوه مكانَ وفاته، وبوفاته انتهى العصرُ الذهبيُّ المشرقُ لبني إسرائيل، والمتمثِّل في دولتهم الفتية، وخلافتهم الرّبانية.

بدأتْ دولةُ الأنبياء الملوك عليهم السلام على يدِ الملك طالوت، ثم قويتْ وتمكنتْ على عهد داود عليه السلام، ثم تمدّدت، وتوسّعت، وترسّخت، واستقرت على يدِ النّبيِّ الملك سليمان عليه السلام.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤).

(٢) سليمان عليه السلام في القرآن، ص٢٤٣.

(٣) سنن الترمذي، رقم ١٠١٨.

وكانتِ الدولةُ قائمةً على الحُكْم الرشيد، وقيم العدل، ومفهوم الخلافةِ في الأرض وعمارتها بالإيمان وشَرْع الله، وبالصِّناعات والزراعة والتجارة، وتبليغ دِيْن الله للأمم، وكان من رعايا هذه الدّولة: الجِنّ والشّياطين، والإنس والطّير. . .إلخ، وقد وصلت إلى أَوْجِها وذروتها في عهدِ سليمان عليه السلام.

وبعد وفاةِ النّبيِّ سليمان عليه السلام لم تستمرّ طويلًا، إذ سرعان ما دبّتْ فيها الفرقةُ والاختلافُ، فانفصلت سبأ عن الدّولة، ثم زاد الاختلافُ حتى انقسمتِ الدولةُ في الأرض المقدّسة إلى أقسام، وحَكَمَها ملوكٌ ضعفاء، ووقعوا في المخالفاتِ والمعاصي والذُّنوب الكبيرة.

وكان نتيجة ذلك أن أوقعَ الله بهم غَضَبه وعذابه، فأزال دولتَهم ودمّر كيانهم، ومكّن أعداءهم منهم، فأخرجوهم من الأرض المقدّسة، وتشتّتوا في بِقاع الأرض(١).

**ثالثاً: اتّهام اليهود لسليمان عليه السلام بالسِّحر:**

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) القصص القرآني بتصرف، (٣/ ٥٧٦).

يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١ ـ ١٠٣].

هذه الآياتُ الكريمةُ تتحدّث عن تعلُّق بعضِ اليهود بالسِّحر حتى بلغ الأمر بهم إلى ترك الشّريعة المنزلة، والتعلُّق بالسحر في كلِّ شأن من شُؤون حياتهم.

إن الآياتِ الكريمة توضِّح حَجْمَ تعاملِ اليهودِ مع السِّحر، فقد نبذُوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، واتّبعوا ما تتلو الشّياطين على مُلْكِ سليمان، وهذا الذي اتّبعوه هو السِّحر المأخوذ عن الشّياطين، وقد زعم اليهودُ أنّ نبيّ الله سُليمان كان ساحراً، وبالسِّحر دانَتِ له الجِنُّ الإنس والطّير، وسخّرت له الريح، فبرأ الله نبيَّه سليمان ممّا افترته عليه اليهود[1].

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ لقد كان سُليمانُ مَلِكاً نبياً ولم يكن ساحِراً، ولكنه الافتراءُ الذي لم ينجُ منه حتى الأنبياء، وليس اتهام سُليمان بالسِّحر بأقَلّ من اتهامه بعبادةِ الأصنام، وقد جاء ذلك في كُتُبِهم المزوّرة المحرّفة المكذُوبة على سُليمان عليه السلام.

والمتتبعُ لهذه الأكاذيب الظّالمة يجد أنّ الكذبَ والافتراءَ على سُليمان لم يتوقفْ بعد مجيءِ الإسلام، بل أدخلَ على سِيرته كثيرٌ من القصص والأساطير ممّا نراه في قصص ألف ليلة وليلة، وغيرها من الكتب.

---

(١) عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٨.

تعرّضتْ سيرةُ سليمان عليه السلام للأكاذيبِ والأباطيل، وقد تداولَ الناسُ عبرَ التّاريخ كُتُبَ السِّحر التي تعبِّد الناسَ للشّياطين، وتقيم بينهم وبين ربِّهم حِجاباً وحاجزاً، ونَسَبوا هذه الكُتُبَ إلي نبيِّ الله سليمان، وسُليمانُ عليه السلام منها بَراء[١].

وجاء القرآنُ ودافعَ عن سليمان عليه السلام، وبيّن حقيقتَه، ونبوتَه، ورسالته، وبراءته من السِّحر والكذب، **وإليك تفسيرُ الآيات الكريمة**:

**١ ـ قوله تعالى**: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

ـ ﴿وَلَمَّا﴾: ظرفيةٌ زمانيةٌ بمعنى حين.

ـ ﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هو النبيُّ محمدٌ ﷺ.

ـ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافقٌ ومؤيّدٌ لما معهم؛ أي التّوراة.

ـ ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

ـ ﴿نَبَذَ﴾ **النّبْذُ**: هو طَرْحُ الشّيء، والاستهانةُ به، أو الاسْتِغْناء عنه، واستعمل كلمة النّبذ أو الطرح؛ لأنّ العُهُودَ كانت تُكتَبُ في صفائح، وعندما كانوا يريدون أن ينقضُوها، يطرحُون أو يلقُون تلك الصّفائح أرضاً إشارة إلى تخلِّيهم عنها[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤١.

(٢) تفسير القرآن الثري الجامع، د. محمد هلال، دار ابن كثير وابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

- ﴿فَرِيقٌ﴾ جماعةٌ من الذين أُوتوا الكتابَ، فهنالك جماعاتٌ وفرق أخرى لم تنبذْه، وقبلتْ به، مثل عبد الله بن سلام، وهو أحدُ أحبارِ اليهود، صَدّق رسولَ الله ﷺ، وآمنَ به[١].

- ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾: أي: طَرَحُوه وراء ظُهُورهم، وهذا تمثيلٌ لِشِدّة إعْراضِهم عن القرآنِ[٢].

وعادةً يكونُ النّبذُ أمامَ الشخص، أو عن يمينه، أو عن يساره، أما كونهم نَبَذوه وراء ظُهورهم، فكأنهم لا يريدون الالتفاتَ أو الاستماعَ إليه أو تَذَكُّره، أو كأنهم أعرضُوا عنه كاملًا، وكأنهم يريدُون نسيانه[٣].

- ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: بِشارة محمّد ﷺ وصِفاته وزَمَن قُدومه، أو كأنّهم لا يعلمون ما جاء في التّوراة أنّه مطلوبٌ منهم الإيمانُ بمحمد ﷺ، وتصديقُه[٤].

ولقد نَبَذَ القومُ التّوراةَ، كما نَبَذوا القرآنَ الكريمَ، وأعرضُوا عن جميعِ الشّرائع التي أنزلها الله تعالى، واتّبعوا ما تشرعه لهم شياطينُ الإنسِ والجنِّ، ممّا يُوافِقُ أهواءهم، ويمكنهم من نَشْر الفسادِ بين العبادِ[٥].

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ١٩٣)، تفسير الشعراوي، (١/ ٤٨٦).
(٢) التفسير الموضوعي، (١/ ١٥٧).
(٣) تفسير القرآن الثري الجامع، (١/ ١٩٣).
(٤) المصدر نفسه، (١/ ١٩٣).
(٥) التفسير الموضوعي، (١/ ١٥٧).

**٢ ـ قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

**أ ـ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾:**

أي ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي: اليهود.

ـ ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: ما تأخذُ به، وتتبعه، وتقدمه، وما ترويه وتخبرُ به كاذبة[١].

ـ ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ **أي**: في زَمَنِه وعَهْد ملكه وما أقحمُوه وزادُوه من السِّحر والكُفْر في الكتب، ونَشَروها بعد موتِه بين النّاس، واتهموا سُليمان عليه السلام أنه كان ساحِراً، وأنه ما أخضعهم إلا بقوّة سِحْرِه، وانتشرتْ هذه الشّائعاتُ بين اليهود على وَجْه الخصوص، بسبب عَدَاوتهم للأنبياء، وتناقلها الخلفُ منهم عن السّلف؛ ولهذا أنزلَ الله تعالى هذه الآياتِ تبرّئُ سليمان من تُهمةِ السِّحر، وتردُّ ما أذاعته الشّياطين عنه، وتُبيِّن في الوقت نفسه حقيقةَ السِّحْر ومصدره[٢].

**ب ـ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾:**

كما زَعَمَتِ الشّياطين، وما عَمِل بالسِّحر، ولا علّمه أحد[٣]، بل كان محارباً للسِّحر والسّحَرة والمشعوذين.

---

(١) تفسير الزهراوين، محمد المنجد، ص١٧٦.
(٢) التفسير الموضوعي، (١/ ١٥٩).
(٣) المصدر نفسه، (١/ ١٥٩).

ج ـ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ :

بتعليم السِّحر، والإعانة عليه، واستعماله، ونَشْره بين الناس.

د ـ ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ :

فالشّياطين هُمُ الذين يعلِّمون النّاس السِّحر، فهم مصادرُه الأساسيةُ، ومصادرُ كلِّ شرٍّ، والسِّحرُ موجودٌ قبل عهد سليمان، فسَحَرة فرعون، وقصّتهم مع نبيِّ الله موسى عليه السلام مشهورة ومذكورة في آياتٍ قرآنيةٍ كثيرة، واستدلّ بهذه الآيةِ من يرى أن تَعَلُّمَ السِّحر كُفْر[١].

**والسِّحرُ في اللغة**: كلُّ شيء خَفِيَ سَبَبُه، والسِّحرُ المذمومُ شرعاً هو العُقَدُ والرُّقى التي ينفثُ فيها السّاحر، فينتج عن ذلك تأثيرٌ في بَدَنِ المسحور، أو عَقْله، ومنه ما يقتلُ، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يُزيلُ العقل، ومنه ما يغير الحواس، فيري الشّيءَ المتحركَ ساكناً، والسّاكنَ متحركاً ـ وهو سحرُ التمثيلِ والتخييلِ ـ ومنه ما يغير مشاعرَ الإنسان، فيقلبُ الحُبّ بغضاً والبغض حباً، وهو الصّرفُ والعطفُ، فيصرفُ الرجلَ عن أحبِّ الناس إليه كزوجته وأولاده وأبويه، ويُكرّهه فيهم، وربما يجعله يكره نفسه، أو يحب نتيجة السِّحر شخصاً، ويميل إليه ميلًا قوياً، وينقادُ له، حتى لا يستطيع الخروجَ عن أمره.

والسِّحرُ قديمٌ في البشر، فقد كان معروفاً في قوم صالح، وقوم فرعون[٢]، كما مرّ معنا.

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ١٥٩).

(٢) تفسير الزهراوين، ص١٧٨.

**٣ ـ قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾.

قال كثيرٌ من المفسِّرين: (هاروت) و(ماروت) اسمان لملكَيْن أنزلهما الله في أرضِ بابل بالعراق؛ لما خلطتِ الشّياطين الأمورَ على الناس، ونَشَرُوا السِّحرَ والكفرَ فيهم، فميز الملكان للناس بين السِّحر والنُّبوّة لتوضيح ماهية السِّحر، وصارا يعلِّمان الناسَ ذلك، ويحذِّرانهم من العملِ به، وفي هذا ابتلاءٌ وامتحانٌ من الله، وكان تبيينُ الشّرِّ لتوقّيه لا للعمل بـه[1].

ومدينةُ (بابل) لها شهرةٌ كبيرةٌ في الحضارةِ القديمةِ التي عُرِفَتْ بحضارةِ ما بين النّهرين، وكانت حينئذ من أكبرِ المدنِ وأشهرها.

ويبدو أنّ السِّحرَ والعملَ به انتشرَ فيها وخُصُوصاً عندما سلّط الله تعالى البابليين على اليهودِ في عَهْدِ مَلِكهم بختنصر في القرن السّادس قبل الميلادِ، فقد قَتَلَ منهم مقتلةً عظيمةً، وأخذ عدداً كبيراً منهم أَسْرَى إلى بابل، وفي أثناء أَسْرِهم انتشر السِّحرُ في بابل، وراح اليهودُ ينشرون الفسادَ في المجتمعِ البابليِّ علّهم يتمكّنون من إضعافِ أهلِ بابل وإفسادِهم.

وعلى المستوى الحضاريِّ والتاريخيِّ من خلالِ الدِّراساتِ التّاريخيةِ نرى أنه في الوقتِ نفسه أخذتِ الدولةُ الفارسيةُ بالنمو كقوة فتيّة، فوجد هؤلاء اليهودُ ضالّتهم، فراحوا يراسلُون الفُرْسَ، ويحرِّضونهم على غَزْوِ بابل على أن يقوموا هم بدور الإفسادِ في المجتمع البابليِّ[2]، وأخذوا

---

(١) تفسير ابن عثيمين، (٣/ ٣٤٥)، تفسير الطبري، (٢/ ٤٢٠).

(٢) صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية، حسن الباش، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٦٦.

يستخدمونَ السِّحْرَ في التفريقِ بين الأزواج والأُسَر، وتمّ لهم تفكيكُ المجتمع وإيقاعه في حَبائلِ الشّياطين، فصار الزوجُ يشكُّ بزوجته، والزوجةُ تشكُّ بزوجها، حتى صار كلُّ واحدٍ يتّهم الآخر بالخيانةِ، وحدثتْ مشكلةٌ اجتماعيةٌ عظيمةٌ في بابل، أدّتْ إلى دمارِ النفسية البابلية، وأصبحت مهيّأةً للسقوط، فجاء الفُرْسُ، وقضوا على الحضارةِ البابلية بسهولة لأنّهم وجدوا مجتمعاً مدمّراً من حديث الأخلاقِ والسلوكِ الإنساني.

وكمكافأة من قبلِ اليهود للفرس أهدوا الملكَ الفارسيّ فتاة من أجملِ فتياتِ بني إسرائيل اسمها إستير فتزوّجها، ومن خلالِ ذلك راحتْ هي وقومها تنتقمُ من كلِّ أعداءِ اليهود المفترضين حتى أجروا المذابحَ في البابليين وغيرهم، هكذا تقولُ كتبُ التّاريخ(١).

لقد تابع اليهودُ الشّياطين في تعلُّم السِّحر ونَشْره والإفسادِ في الأرض، وهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين السِّحر والشّياطين، لأنّ السِّحرَ وسيلةٌ من وسائلِ الشّياطين في استهواءِ النّاسِ، وإغوائهم، وقيادتهم، والتأثير فيهم(٢).

**(ما) نافية أو موصولة؟**

وقف المفسِّرون طويلًا أمام قولهِ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾.

فقد اتّفقوا على أنّ الواو في ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ عاطفة، وأن الجُملةَ معطوفةٌ

(١) صرخة النبوة، ص٦٦.

(٢) مع قصص السابقين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٩١.

على ما سبق، لكنّهم اختلفوا في الجُملة التي عطفتْ عليها، ومنشأ اختلافِهم في المعطوفِ عليه، هو اختلافُهم في ﴿مَا﴾ هل هي حرفُ نفي، أو اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي؟

**القول الأول**: أنّ ﴿مَا﴾ معناها الجَحْدُ والنفي، فهي حرفُ نفي، بمعنى (لَمْ)، وهذا القولُ منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه.

وقد وضّح الطبريُّ هذا الرّأيَ بقوله: فتأويل الآية، على هذا المعنى: واتّبعُوا ما تتلو الشّياطين على ملكِ سليمان، وما كَفَرَ سُليمان، ولا أنزل الله السِّحرَ على الملكين ـ ولكن الشّياطين كفروا، يُعلِّمون الناسَ السِّحر ـ ببابل هاروتَ وماروتَ، فيكون حينئذٍ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ من المؤخّر الذي معناه التّقديم[١].

وعلى هذا القولِ يكونُ المرادُ بالملكين: جبريلَ وميكائيلَ، ويكونُ (هاروت وماروت) اسمين لرجلَيْن من الشّياطين، يعلِّمان الناسَ السِّحر ببابل[٢]، وعلى هذا القولِ تكونُ جُملة ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ معطوفةً على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي أنّ القرآنَ نفى كُفْرَ سليمان، ونفى إنزالَ السِّحر على الملكَيْن ببابل، ولكن الشّياطين كذبتْ ونسبتِ السِّحرَ والكفرَ إلى سليمان عليه السلام، وكذبتْ عندما ادّعتْ إنزالَ السِّحرِ على الملكَيْن ببابل[٣].

---

(١) تفسير الطبري، (٢/ ٤١٩).

(٢) مع قصص السابقين، ص٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٥.

**القول الثّاني**: أنّ (ما) اسمَ موصولٍ بمعنى (الذي): وهذا القولُ نسبه الطبريُّ إلى عبد الله بن مسعود، وقتادة، والزهري، والسُّدِّي، وغيرهم.

قال الطبريُّ في توضيح هذا القولِ: الآيةُ تدلُّ على أنّ اليهودَ اتّبعت الذي تَلَتْه الشّياطين على مُلْكِ سليمان، واتبعتِ الذي أُنْزِلَ على الملكين ببابل هاروت وماروت[١].

لكنّ الإمامَ ابنَ كثير عقّب على كلام شيخه الطبريِّ، وَرَدّ على ترجيحِه، وعلّق عليه قائلًا: ثم شرع ابنُ جرير في ردِّ هذا القول، وأن (ما) بمعنى الذي، وأطال القولَ في ذلك، وادّعى أنّ هاروت وماروت ملكان، أنزلهما الله في الأرض، وأذن لهما في تعليمِ السِّحر، اختباراً لعبادِهِ وامتحاناً بعد أن بيّن لعباده أنّ ذلك ممّا ينهى عنه على ألسنةِ الرُّسُلِ، وادّعى أنّ هاروت وماروت مطيعان في ذلك؛ لأنّها امتثلا ما أُمرا به[٢].

ويبدو، والله أعلم، أنّ (هاروت وماروت) كانا أشهرَ سَحَرةِ بابل؛ الذين علّموا الناسَ السِّحر بها، وأنهما كانا معروفين مشهورين بين اليهودِ في زمنِ نزولِ القرآنِ الكريم، ولهذا خصّهما الله تعالى بالذِّكْر، وما نقل عن أحدٍ من يهودِ المدينة أنّه أنكر ذلك، مع حِرْصِهم الشّديدِ على تكذيب النّبيِّ ﷺ، والاعتراض على التّنزيل الحكيم، وأنهما كانا يتظاهران بالصّلاح والتّديُّن، لكي يخدعا السُّذّج والبسطاء من الناس، ولهذا كانا ينصحان كلّ من يعلِّمانه السِّحر ألا يكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار، وابتلاء.

---

(١) تفسير الطبري، (٢/ ٤٢١).

(٢) عمدة التفاسير، (١/ ١٩٤).

ـ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السِّحْر. وحكى المهدويُّ[١] أنه استهزاء؛ لأنّهما إنّما يقولانه لمن قد تحقّق ضلاله[٢]، ونَقَل ذلك عنه القُرطُبيُّ في تفسيره مُؤيِّداً لـه[٣].

ولكن هذا المعنى لا يتفقُ مع ترتيبِ كلماتِ الآية، ولا بُدّ ـ كما قال القرطُبيُّ رحمه الله ـ من تقديمٍ وتأخير، والتقدير: وما كفرَ سُليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشّياطين كَفَروا يعلِّمون الناسَ السِّحْر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشّياطين في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾؛ هذا أولى ما حملتْ عليه الآية في التأويل، وأصحّ ما قيلَ فيها، ولا يلتفتُ إلى ما سواه[٤].

وبهذا المعنى تتفقُ الآيةُ تماماً مع سياقِها من الآيات، وللتقديم والتأخير نظائر في القرآنِ الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] أي: ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربك، وأَجَل مسمى لكان عذابُهم لزاماً[٥].

وقد كَتَب الدكتور عُبادة أيوب الكبيسي رحمه الله كتاباً فريداً عنوانه: (قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول) فمن أراد التّوسُّع فليرجعْ إليه.

---

(١) التفسير الموضوعي، (١/ ١٦١).
(٢) المحرر الوجيز، (١/ ٦٢٢).
(٣) تفسير القرطبي، (٢/ ٥٤).
(٤) المصدر نفسه، (٢/ ٥٠).
(٥) التفسير الموضوعي، (١/ ١٦٢).

٤ ـ **قوله تعالى:** ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ **أي:** ما يكونُ سببَ خصامٍ وخلافٍ وإحداثِ فرقة بين الزّوجين، وهو من كبائر الذُّنوب، ومن أعمال شياطين الإنس والجنِّ، تتنزه الملائكة عن فعله وتعليمه.

وقد جاء في الحديث الشّريف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إن إبليسَ يضعُ عرشه على الماء، ثم يبعثُ سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً. قال: ثم يجيء أحدُهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدُهم فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته، قال، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت**»[(١)].

وقد تبرّأ النّبيُّ ﷺ ممّن يفعلُ ذلك، فعن بُريدة رضي الله عنه: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ليس منّا مَنْ حلف بالأمانة، ومن خبّب[(٢)] على امرئ زوجته، أو مملوكه، فليس منا**»[(٣)].

وتدل الآيةُ على أنّ للسِّحر تأثيراً على النفوس والقلوب والعواطف، ولا خيرَ فيه أبداً، وهو سَبَبٌ للشر والفساد والإفساد؛ ولهذا حَرّمَتِ الشّريعةُ الإسلاميةُ تعلُّمه وتعليمه، وعدّه النّبيُّ ﷺ من كبائر الذُّنوب[(٤)]، بل إنّ كلّ

---

(١) رواه مسلم، رقم٢٨١٣.

(٢) خبّب: خدع وأفسد.

(٣) مسند أحمد، (٥/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح.

(٤) التفسير الموضوعي، (١/ ١٦٣).

الشّرائعِ التي أنزلها الحقُّ تبارك وتعالى أنكرتِ السِّحْرَ، وأمرتْ بمحاربته، ذلك أنه يضادّ الحقّ الذي أنزله الله تبارك وتعالى، فالله تعالى يدعو الناسَ جميعاً إلى الإيمانِ به، وعبادته وحده لا شريكَ له، والتوكل عليه، والالتجاء إليه دون سِواه، والسِّحر يُعبِّدُ العبادَ لغير الله تبارك وتعالى، ويصرفُ قلوبهم ووجوههم إلى الشّياطين والنجوم والشمس والقمر والبشر. . . إلخ[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبعَ الموبقات**»، قيل: يا رسولَ الله وما هُنّ؟ قال: «**الشِّرك بالله، والسِّحر، وقَتْل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأَكْل مال اليتيم، وأَكْل الربا، والتّولِّي يوم الزحف، وقَذْف المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ**» [٢].

**٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾:**

ليس المتعاملون بالسِّحر قادرين على إلحاق شيءٍ من الضّرر بأحدٍ من النّاس ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته، وإرادته[٣].

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: لا يضرُّ هذا السِّحرُ إلا من دخل فيه[٤]، فالسِّحرُ لا يؤثر بنفسه، إلا إذا وافقَ قَدَرَ الله تعالى، أي بقضائه سبحانه وقدره[٥].

---

(١) عالم السحر والشعوذة، ص٣٦.
(٢) مسلم، رقم٨٩.
(٣) تفسير الزهراوين، ص١٧٩.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، (١/ ١٩٣).
(٥) التفسير الموضوعي، (١/ ١٦٣).

**٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾:**

**أ ـ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾:**

في الدُّنيا والآخرة، لأنّ العملَ بالسِّحر كُفْر، أو كبيرة من الكبائر[١].

**ب ـ ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾:**

فيها أيضاً، وإن نَفَعَهم في الدُّنيا ببعض المكاسب، فهي كَسْبٌ حرام، لا يباركُ الله فيه، فالسِّحْرُ شَرٌّ بَحْت، وضَرَرٌ مَحْض، غير نافعٍ في الدّارين، لا تعلُّق له بانتظامِ المعاش ولا المعاد، وفي الحُكْم عليه بأنه ضارّ غير نافع تحذيرٌ بليغٌ من تعاطيه، وتحريضٌ على التحرز منه[٢].

يقول الشّيخُ محمد متولِّي الشّعراوي رحمه الله: إن الله سُبحانه وتعالى يُخبرنا أنّ تعلُّم السِّحر يضرُّ ولا ينفع، فهو لا يجلبُ نفعاً أبداً حتى لمن يشتغلُ به، فتجدُ من يشتغل بالسِّحر يعتمدُ في رزقه على غيره من البشر، فهم أفضل منه، وهو يظلُّ طوالَ اليوم يبحثُ عن إنسان يغريه بأنه يستطيعُ أن يفعلَ له أشياء ليأخذَ منه مالاً، وتجد شكله غير طبيعي، وحياته غير مستقرة، وأولاده منحرفين، وكل مَنْ يعملُ بالسِّحر يموتُ فقيراً لا يملك شيئاً، وتصيبه الأمراضُ المستعصية، ويصبحُ عبرةً في آخر حياته.

إذاً فالسِّحرُ لا يأتي إلا بالضّرر، ثم بالفقر، ثم بلعنة الله في آخر حياة السّاحر[٣].

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ١٦٣).

(٢) روح المعاني، (١/ ٣٤٥).

(٣) تفسير الشعراوي، (١/ ٤٩٦).

٧ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾:

أ ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾:

**أي** عَلِمَ أهلُ الكتاب أنّ مَنِ اخْتار السِّحْرَ، وأخذه، ورَغِب فيه رغبةَ المشتري في السِّلْعة، واعتمده بدلاً من الإيمان والوحي.

ب ـ ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾:

ليس له حظٌّ ونصيبٌ في الآخرة.

قال قتادة رحمه الله: قد عَلِمَ ذلك أهلُ الكتاب في عهدِ الله إليهم: أنّ السّاحرَ لا خلاقَ له عند الله يومَ القيامة(١).

٨ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

هذا الكلامُ يحملُ معنى القَسَم المؤكّد، والتقديرُ: (والله، لبئس ما شَرَوا به أنفسهم) ومعنى (شروا) هنا: باعوا؛ لأنّهم لما اشتروا السِّحْر أعطوا مقابلَهُ خسارةَ أنفسهم، فباعُوها بهذا الكُفْر، فبئس البيعُ هو(٢).

ـ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا نفيٌ للعلم عنهم، فلو كانوا يعلمون، لما تعلموا ما يضرُّهم ولا ينفعُهم.

ـ ولو كانوا يعلمُون لما تركوا الآخرة، ولما زهدُوا في نصيبهم منها.

ـ ولو كانوا يعلمُون لما باعُوا أنفسَهُم للباطل والشّرِّ والأذى والشّيطان.

---

(١) تفسير الطبري، (٣/ ٤٥١).

(٢) تفسير الزهراوين، ص١٨٠.

هل هناك صاحبُ علمٍ نافعٍ يتصرّف هذا التّصرُّف؟ وهل هناك صاحبُ علمٍ يؤثر الدُّنيا على الآخرة؟ وهل هناك من يَزْهَد في الآخرة وخيراتها ونعيمها، ليقبلَ على الشّرِّ والباطلِ والشّيطان.

كلُّ مَنْ فَعَلَ هذا تُوقن أنه لا عِلْمَ عنده، ولو حمل أرفعَ الشّهاداتِ العلمية، وأمضى في العِلْم سَنَوات عمره[١].

**ـ تنبيهٌ من قصص طويلة وروايات غريبة:**

أورد عامةُ المفسِّرين تحت هذه الآية قصصاً طويلةً، وروايات غريبة مختلفة في قصّة هاروت وماروت عن مجموعةٍ من الصّحابة والتّابعين، استوفاها السُّيوطي في «الدر المنثور»، وذَكَر ابنُ جرير معظَمها في تفسيرِهِ، وذَكَر بَعْضَها ابنُ كثير، ثم قال:

وقد روي في قصّة هاروت وماروت عن جماعةٍ من التّابعين كمجاهد، والسُّدِّي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزُّهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم، وقصّها خَلْقٌ من المفسِّرين من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وحاصِلُها راجعٌ في تفصيلها إلى أخبارِ بني إسرائيل؛ إذ ليس فيه حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصلُ الإسنادِ إلى الصّادق المصدوق المعصُوم؛ الذي لا ينطقُ عن الهوى.

وظاهرُ سِياقِ القرآنِ إجمالُ القصّة من غير بسطٍ ولا إطنابٍ، فنحن نُؤمنُ بما وَرَدَ في القرآن على ما أراد الله تعالى، والله أعلمُ بحقيقةِ الحال[٢].

---

(١) مع قصص السابقين، ص١١٨.

(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٤٨).

وقال القرطُبيُّ رحمه الله: هذا كلُّه ضعيفٌ وبعيدٌ عن ابنِ عمر وغيره، ولا يصحُّ منه شيءٌ؛ فإنّه قولٌ تدفعه الأصولُ في الملائكة الذين هُمْ أمناءُ الله على وحيه، وسفراؤه إلى رُسُلِه: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ـ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

ـ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] (١).

**ـ من فوائدِ هذه الآيةِ الكريمةِ:**

ـ سَعْيُ الشّياطين في إضلال الناس.

ـ دفاعُ الله عن أنبيائه وتبرئة سُليمان عليه السلام من السِّحر والكُفْر.

ـ تحريمُ تعلُّم العلوم التي تضرُّ ولا تنفعُ، ومثله ما كانت مفسدتُه أكبرَ من منفعته.

ـ أنّ العِلْمَ النافعَ يأبى على صاحبه تعلُّم العِلْمِ الضّارِّ.

ـ أنّ السِّحْرَ من أعمالِ الشّياطين.

ـ أنّ قدرةَ الله عزَّ وجلَّ فوقَ الأسباب.

ـ أنّ الشّياطينَ تآمرتْ بالسِّحْرِ في عهد سليمان عليه السلام، ووضعت الخطّة ليفتنوا الناسَ بعد موتِ سليمان عليه السلام.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٣٦).

ـ الحذرُ من كُتُب الضّلال والسِّحْرِ، ووجوبُ إتلافها، ومنعُ وقوعِها في أيدي الناس.

ـ خطورةُ ترك الوحي، والاستعاضة عنه بمصادر أخرى.

ـ وفيها: أنّ غيابَ المصلحين سببٌ في انتشارِ البدعةِ والفسادِ والشِّركِ في الأرض، فقد نشطتِ الشّياطين بعد وفاة سُليمان عليه السلام.

ـ تحايلُ الشّياطين لإيقاعِ الناس في الشِّرْك بكلِّ وسيلةٍ.

وغير ذلك من الفوائدِ[1].

**٩ ـ قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: ولو أنّ اليهودَ، الذين تركُوا وَحْيَ الله، واتّبعوا ما تَتْلُو الشّياطين، وتعلّموا السِّحر، ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: بمحمد ﷺ، وبما أُنْزِلَ عليه بقلوبهم.

ـ ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ ما حَرّمَه الله، ومنه السِّحْر، فآمنوا بقلوبهم، واتقوا بجوارحهم، واجتنبوا الكُفْر.

ـ ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ أي لأجرٌ، وثوابٌ: و(الثواب): هو الأجرُ والجزاءُ على العمل.

ـ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أضاف (الثواب) إلى نفسه ليطمئنّ العبدُ إلى حُصُولِه، وليعلمَ أنه كثيرٌ وافر؛ لأنّ عطيةَ الكريم كثيرةٌ.

---

(١) تفسير الزهراوين، ص١٨٠ إلى ١٨٣.

ـ ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أنّ ثوابَ الله في الآخرة خيرٌ لمن آمن واتّقى في الدُّنيا، أو: خيرٌ من السِّحْرِ[١].

ـ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عِلْماً ينفعهم، أي: لو كانوا من أصحابِ العِلْمِ ما قدّموا السِّحر على الإيمان بمحمدٍ ﷺ وأتباعه[٢].

**وفي هذه الآية من الفوائد:**

ـ وَعْظُ المذنبين بِعَرْض الإيمان والتقوى عليهم، وبيان أنه سبب لنيلِ ثوابِ الله.

ـ الشّيءُ القليلُ من ثواب الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها.

ـ ضمانُ الثوابِ للمؤمنِ المتقي لقوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، فيطمئنُّ المؤمنُ لحصوله؛ لأنّ الله لا يخلفُ الميعادَ.

ـ العِلْمُ النافعُ يحملُ صاحبه على تَرْكِ المحرماتِ، وهو العِلْمُ المتصلُ بالقلب، وليس العِلْم النظريّ المجرّد.

ـ أنّ من لا يعملُ بما عَلِمَ فإنّه جاهلٌ، وأنّ العِلْمَ الذي لا يعملُ به صاحبه، وجودُه كعدمه[٣].

**رابعاً: أهمُّ صفاتِ سليمان عليه السلام القيادية:**

إن القصصَ القرآنيّ في سيرة سُليمان عليه السلام أشار إلى صِفاته كملكٍ وحاكمٍ ممكن له في الأرض، وإلى أساليبه في إدارةِ الدّولة، والمحافظة

(١) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٤.

عليها، وتَقْويتها، وقدّم نموذجاً لأهمِّ الصِّفاتِ القياديةِ لرجلِ الدولة المؤمن بالله، ونَهْج الحُكْمِ الرشيدِ المستمدِّ من شَرْع الله تعالى، وأهمّ هذه الصِّفات النّبوية لنبيِّ الله سليمان عليه السلام:

**١ ـ دوام الشُّكْر لله:**

كان عليه السلام دائم الذِّكْر والشكر لربِّه عزَّ وجلَّ.

ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ـ ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

فقد كان كثيرَ الشُّكْرِ لمولاه، صاحب قَلْب حيٍّ موصولٍ بالله دائماً ينسب الفَضْلِ لربِّ العالمين، وقد وهبَ حياته لنشر الرِّسالة، وهداية الخَلْق، وحارب الشِّرْك، وحَرصَ على تطبيقِ منهجِ الله في الأرض.

**٢ ـ العِلْم:**

من صفاتِ سُليمان عليه السلام العِلْم، وقد بنى دولتَهُ وحضارتَه بالعِلْم، وابتدأ به على سائر النِّعَم تنويهاً وتعظيماً بشأنِ العِلْم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ﴾ [النمل: ١٥].

وقال تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

فالعِلْمُ صفةٌ أصيلة في شخصيةِ سُليمان عليه السلام أمدّه الله بها، فأعلى قيمَتَها وقَدْرَها العظيمَ، وقد توجّه لله هو ووالده بالحمد والثّناء على هذه النِّعمة، فالعِلْمُ هو الأصلُ الذي تُبنى عليه سعادةُ الدُّنيا والآخرة، وأنه الأساسُ لكلِّ أمور الدِّين والدُّنيا، وأن الممالك إنّما تُبنى عليه وتُشاد، وأن الملكَ إنّما ينظمُ به ويُساس، وأن كلّ ما لم يبن عليه فهو على شفا جرف هار، وأنه سياجُ الملك ودِرْعه، وهو سلاحه الحقيقي ودفاعه، وأنّ كلّ مملكةٍ لم تُحْمَ به فهي عرضةٌ للانقراضِ والانقضاضِ[١].

إنّ من قوانينِ القيادة، وسِمات القائدِ الفذّ في كلِّ عصرٍ أن يتصفَ بالعِلْم، ويكون على إدراك أنّ القوة لا تُبْنى إلا بالعِلْم والمعرفة. فقوّةُ العِلْمِ في شَخْص سليمان عليه السلام انعكسَ أثرُها الإيجابيُّ على أتباعِه وجُنودِه، وظهر أثرُ التربيةِ القياديةِ على جُنودِه من الهدهد، الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب.

فالهدهدُ قال الله تعالى عنه عندما غاب عن نبيِّ الله سُليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

والإحاطةُ هي العِلْمُ بالشّيء من جميع جوانبه إحاطة متكاملة، وهذا الخطابُ إنّما جرّأه عليه العِلْمُ، وإلا فالهدهدُ مع ضَعْفِه لا يتمكّنُ من خِطابه لسليمان مع قوّته بمثل هذا الخطابِ لولا سُلْطانُ العِلْم[٢]؛ ولذلك احترم سُليمان عليه السلام الهدهدَ، وأخذ موضوعَه ومعلوماتِه بجديّة، وكذلك

(١) تفسير ابن باديس، ص٥٤.

(٢) السمات القيادية، ص٧٣٩.

قصّةُ العفريتِ من الجِنِّ والذي عنده عِلْمٌ من الكتاب مع سُليمان عليه السلام، وكيف فُضِّل بإتيان العرشِ الذي عنده عِلْم من الكتاب على العفريت من الجِنِّ، ففضِّلتْ صفةُ العِلْم على صفةِ القوّة والأمانة، مع فَضْلهما في سِماتِ القائدِ، واختياره لأداءِ المهمّة.

وقد أشارتِ الآياتُ الكريمةُ في الحوار بين سُليمان عليه السلام وعفريت الجِنِّ والذي عنده عِلْم من الكتاب إلى أهمِّية العِلْم، وأنّ الذي يأتي بالعِلْم والحِكْمَة أفضل ممَّن يأتي بالقوة.

فهذه القصّةُ تدلُّ دلالةً واضحةً على قُوّة العِلْم والمعرفة، وأنّه من أعظمِ سِماتِ القائد، وأن قُوّةَ العِلْم، تغلبُ سائرَ أنواع القوى، وهي تتبعُ لها[1].

**٣ ـ التنظيم والضبط:**

إنّ من سِمات سليمان عليه السلام في قيادته الحكيمة قُدُراته الكبيرة في التّنظيم والتّخْطيط، وإدارة الجُموع البشريّة في سلاسةٍ وانتظامٍ، فلا ترى في قيادته الفوضى ولا التّخبط، ولا التسيُّب بين الجنود، بل كلّ فردٍ في مؤسّسات دولته في عمل دؤوب، وإتقان وإنجاز وتحضير.

فنبيُّ الله سليمان عليه السلام جُمعت له الحشودُ والجنودُ من أجناس المخلوقاتِ من الجِنِّ والإنس والطّير في موكبٍ عظيم، وحَشْدٍ كبير، يُجمع أوّلُه على آخره حتى لا يتفرقوا، وتشيع فيهم الفوضى، فهو حشد عسكريّ منتظم[2] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

---

(١) السمات القيادية، المصدر السابق، ص٧٣٩.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٧٧).

وتُطْلِعُنا الآيةُ الكريمةُ على صورة القائدِ في حُسْن قيادته للجنود، ودقّة نظام الجندية عند سليمان عليه السلام، وتربية جنوده على الانضباطِ المنتظم(١).

وبقيتِ الآيةُ مذكِّرة لنا بأن النظامَ أساسُ كلِّ مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرةَ وحدهما لا تغنيان دون نظام، وأن النظامَ لا بُدّ له من رجالٍ أكفاء، يقومون به، ويحملون الجموعَ عليه، وأولئك هم الوازِعُون(٢).

**٤ ـ اليقظة والمتابعة والتفقد:**

من سِمات القائد الفَذِّ واليَقِظ: الإحساسُ بالمسؤولية، والأمانة في تفقُّد أتباعه وجنوده وموظفيه، وتلمُّس احتياجاتهم ومتطلباتهم، والإحساسُ بمعاناتهم ومعرفة مشكلاتهم، والعمل على وَضْع الحلول الجادّة لعلاجها من أجل توفيرِ البيئةِ الإيجابيةِ المنتجة(٣)، وتَفَقُّد أمور الرّعيّة والتماس الإحاطة بجوانب الخلل في أفرادها وجماعتها، هو من سمات القائد الناجح، وهكذا كان حالُ سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

ولا شكّ في أنّ القيادةَ تحتاجُ إلى لجان، ومؤسّسات، وأجهزة حتى تستطيعَ أن تقومَ بهذه المهمّةِ العظيمة، ولجانُ سليمان عليه السلام كان

---

(١) السمات القيادية، ص٧٤٠.

(٢) تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٢٦٠.

(٣) السمات القيادية، ص٧٤٠.

مهتمّاً بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال، وخاصّة إذا رابَهُ شيءٌ في أحوالهم، فسليمان عليه السلام لما لم يَرَ الهدهدَ بادر بالسؤال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ يعني: أهو غائب؟ كأنه يسألُ عن صحّة ما لاحَ له[١]، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ سؤال آخر ينمُّ عن حزمٍ في السُّؤال[٢].

إنّ سليمان عليه السلام لم يتركْ دولته همَلًا دون متابعةٍ وتفقُّد، وندرك من افتقاد وتفقّد سليمان عليه السلام لهذا الهدهد سِمات شخصيّته، ألا وهي اليقظة، والدِّقة في المتابعة، مع الحزمِ اللازم[٣].

**٥ ـ الحزم والصّرامة:**

إنّ نبيّ الله سليمان عليه السلام عندما تفقد الجنودَ، ووجد الهدهدَ قد فارق «الجموع»، ووقع الخللُ في تغيبه، استلزم الشدّة، واستحق العقابَ الصّارم، فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

وهذا أصلٌ في صرامةِ أحكامِ الجندية وشدّتها؛ لعِظَم المسؤولية، وتوقُّف سلامةِ الجميع على مدى انضباط الجنود وقيامهم بواجبهم.

والهدهد من جنود سليمان، ومطلوب منه الانضباط والالتزام بالأوامر، وقد أخلّ بواجبه في ظاهر الأمر، فقدرت عقوبته على حسب كِبَرِ ذَنْبه، لا على حسب صِغَر ذاته، فإخلالُ أيِّ أحدٍ بمركزه، ولو كان أصغرَ

---

(١) تفسير الرَّازي، (٢٤/ ١٨٩).
(٢) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (٢/ ٥٩٢).
(٣) السمات القيادية، ص٧٤١.

المراكز، مؤدٍّ إلى الضّرر العام، وثباتِ كلٍّ واحدٍ في مركزه، وقيامه بحراسته، وهذا من مظاهر النظامِ والتّضامنِ، وهما أساسُ القوة[١].

فالحزمُ والصّرامةُ من السِّمات القيادية المهمّة للقائد في إدارةِ أفراد المؤسّسة، حتى يقضي على كثيرٍ من صُوَر الفوضى، والتّسيُّب، وعَدَم الانْضِباط في العمل المؤسسي، وإذا لم يؤخذْ على يد المخطئ انتشرتْ صُوَرُ الإهمالِ واللامبالاةِ، فأصبحت سابقةً سيئةً لبقيّة أفرادِ المؤسسة[٢].

**٦ ـ قدرة سليمان عليه السلام على بناء العلاقات:**

نلاحظُ من خلال دراستنا قدرةَ سليمان عليه السلام على بناء علاقاتٍ متميِّزة داخلية وخارجية، والأدلةُ على ذلك:

**أ ـ التّبسُّم مع أضعف المخلوقات:**

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، عندما سمع النّملةَ تحذِّرُ قومَها، وتثني على سليمان بعدله، فقد أُعْجِبَ بفصاحتها، ونُصْحها، وحُسْن تعبيرها، وهذا حالُ الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام: الأدب الكامل، والتعجب في موضعه[٣]، وهذا يدلُّ على علاقة متميِّزة بين سليمان وأضعفِ المخلوقات ـ فيما يظهر ـ في مملكته، هذه العلاقةُ قائمةٌ على الاحترام، والتقدير المتبادل.

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٤٣.

### ب ـ السعي للعمل الصّالح:

فسليمان عليه السلام طلب من ربِّه سبحانه وتعالى التوفيقَ والسّدادَ في شكره، وفي الاشتغال بسائر أنواعِ الخدمات من الأعمال الصّالحة، ومنها خدمةُ خَلْق الله، وإقامة العدلِ بينهم، وتقديم سائرِ أنواعِ الخدماتِ الإنسانية؛ ابتغاء مرضاة الله عزَّ وجلَّ، وتحقيق السعادة في الدّارين: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

### ج ـ المرونةُ مع الجنود:

ولذلك التمس للهدهد عُذْراً، وأراد ـ حقيقةً ـ أن يكونُ غيابُه مُبرّراً، وتكون حُجّته مانعة للعقاب، إذ مَنْ قدّم التبرير الصّحيح، والبرهان الساطع، انتفتِ العقوبة عنه، وأصلح من حاله، وعاد إلى منزلته الأولى، فقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]، أي حُجَّة قاطعة تنفي الظنَّ والشَّك، وتمنع إصدارَ العقوبة الصَّارمة.

### د ـ اللطفُ والأدبُ في المعاملة حتى مع الأعداء:

وصفتْ ملكةُ سبأ خطابَ سليمان إليها بأنه كتابٌ كريم، فحواه كريمٌ من ملكٍ كريمٍ، حسّن العلاقةَ مع الآخرين، فكان ذلك بدايةً للعلاقات الحسنة التي أسهمت في نهايةِ المطافِ بدخول ملكةِ سبأ في الإسلام[1].

---

(١) السمات القيادية، المصدر السابق، ص٧٤٤.

### ٧ ـ الكرم وحُسْن الاستقبال:

قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي﴾ [النمل: ٤٤] هكذا رحّب سليمان عليه السلام بملكة سبأ، وأكرمها، وأحسن استقبالها، فكانت النتيجةُ الحسنةُ دخولها في الإسلام بقناعة راسخة، وهداية ربانيّة(١).

### ٨ ـ التّواضُع:

كان سليمانُ عليه السلام دائمَ التّواضُع، حتى وهو في قمّةِ المجدِ والتّمكين، حتى قيل: إنه كان يمشي منكسِرَ الرّأسِ خُشُوعاً لله.

وأثناء استعراضِه لجنوده من الجِنِّ والإنس والطّير مرّ على وادي النّمل، وفي نظرةِ التّواضُع إلى الأرضِ أبصرَ نملةً، فأشخص النظرَ صَوْبَها، وأصاخ السّمْعَ إليها، وبما عُلِّم من منطق الطّير والحيوانات حاول تفهُّم أمرها، لقد علم أنها تتخوّف من بطشِ أقدامِ جنوده، فبادرت تنصح النّملَ أن يفسحوا الطّريقَ أمام الجيش حتى لا تقعَ مظلمةٌ غير مقصودةٍ من واحدٍ منهم: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

قال القرطُبيُّ رحمه الله: التفاتة مؤمن، أي عَدْل سليمان وفَضْله وفَضْل جنده لا يحطمون نملةً فما فوقها إلا بألا يشعروا(٢).

إن هذه النّملةَ لم تكنْ إلا واحدة من رعايا سليمان في مملكته؛ التي

---

(١) السمات القيادية، ص٧٤٦.

(٢) تفسير القرطبي، (١٣/ ١٧٠).

ضمّتْ إلى جانب الإنس والجِنِّ أنواعاً وألواناً من الحيوانات، والطّير، والهوامّ.

لقد سمعَ كلامها، وتفهّم شكواها، فتبسّم من قولها، ورقّ قلبُه الكبيرُ رِفْقاً بِجِرْمِها الصّغير، فرحمها وأخواتها، وشَكَر ربّه إذ علّمه منطقَ هذه المخلوقات حتى يتمكّن من إنصافها، وإيصال العدلِ إليها، وسُرّ لأنّ عدالته قد عَرَفَها كلُّ مخلوق، حتى هذه النّملة التي اعتذرتْ عن جيشه مقدّماً، بأنهم إن أصابوا نملةً بأقدامهم فإن ذلك يكونُ من غير قَصْدٍ منهم ولا شُعور[١]: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ومن تواضُعِه عليه السلام، قبولُه للحق والإنصات إلى مَنْ يبثُّ ما في نَفْسِه. قال الهدهدُ لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

وفي الآية دليلٌ على أنّ الصّغيرَ يقولُ للكبير، والمتعلِّم للعالم: عندي ما ليس عندك إذا تحقّق ذلك وتيقنه[٢]. هذا درسٌ عمليٌّ للقادةِ العظماءِ، والعلماءِ الأجلّاء، والسادة الفُضَلاء أن يتواضَعُوا للحقِّ ويقبلُوه، فسلطانُ الحقّ أعظمُ من سلطانهم، وقوةُ الإذعان للحقِّ أقوى من قوّتهم القيادية والعلمية[٣].

---

(١) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (٢/ ٥٨٩).

(٢) السمات القيادية، ص٧٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٤٥.

**٩ ـ العدل وقبول العذر:**

صوّر القرآنُ الكريمُ ما كان عليه سليمانُ عليه السلام من يقظةٍ ودرايةٍ بأفراد رعيّته أبدعَ تصوير، وأنّ سليمان عليه السلام كان بجانب تعهُّده لشؤون رعيته يمثل الحاكمَ الحازمَ العادلَ الذي يحاسِبُ المهملَ، ويتوعّد المقصِّر، ويعاقب مَنْ يستحقُّ العقاب، وفي الوقتِ نفسِه يقبلُ عُذْرَ المعتذرِ متى اعتذر عذراً مشروعاً ومقنعاً[١]؛ لذا عندما تفقّد الهدهدَ فلم يجده قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

ـ ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ **أي**: حُجّة واضحةً تُبرِّرُ تخلّفه. وهذا من كمالِ وَرَعِه وإنْصافه أنه لم يُقْسِمْ على مجرّد عقوبتِه بالعذاب أو القتل؛ لأنّ ذلك لا يكونُ إلا من ذَنْب، وغيبته تحتملُ عذراً واضحاً، ولذلك استثناه لعدله وإنصافه[٢]. واتضح عدلُه في حُكْمه في صاحب الزّرْعِ والغَنَم ومع النّملة. وصفةُ العدل بارزةٌ وجليّةٌ وواضحةٌ وجاذبةٌ لكل متمعّن في شخصية سليمان عليه السلام.

**١٠ ـ الهيبة والوقار:**

استمدّ سليمان عليه السلام هيبَتَهُ ووقاره من قُربه وحُسْن صِلَتِه بالله ربِّ العالمين، فقذفَ الله مهابته ووقارَهُ في قلوب جُنُودِه والمجتمع بأكمله، وكذلك استمدّ قوته وهَيْبته من احترامِه لجنوده، ومن احترامِه للقيم والمبادئ التي يحملُها في صدره، ويمارسُها واقعياً، فأساسُ الهيبةِ كانت من

---

(١) القيم التربوية في قصة نبيّ الله سليمان، ص٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٧.

حُسْن طاعته لله، وشُكْرِه الدّائم له، ومن قُوّة تطبيقِه للمبادئ والقيم الإسلاميّة القياديّة في قيادةِ ملكه.

قال تعالى في وَصْف حالِ الهدهدِ عندما تفقّده سليمان: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]؛ فمكوثُ الهدهدِ مدةً يسيرة، وفي مكانٍ غيرِ بعيد إنما كان مهابةً من سيدنا سليمان عليه السلام؛ لأنه يعلمُ عاقبةِ غيابه إن بعدت مدّته أو بعدتْ مسافته، ذلك أنّ وراءه مَلِكاً مُهاباً ظهرتْ هيبتُه على رعيته، إلى جانب سلطانِ ملكه الممتدّ[١].

**١١ ـ التثبت من الأخبار:**

من صفاتِ سليمان عليه السلام: التّثبتُ والتبيُّنُ في الأحداثِ والوقائعِ القائمةِ، والتأنّي، والتروّي في تصديق الأقوال وتكذيبها، فهو يتحرّى، ويستخدم طرقه وأساليبه في تصديقِ الوقائع أو نفيها، ويظهرُ ذلك جليّاً في قصّة سليمان مع الهدهد، فهذا الذي حكاه الهدهدُ أمرٌ ليس بالسهل ولا باليسير، ثم إن الهدهدَ لا يجرؤ على اختلاقِ هذه القصّة الطويلة، وهو يعلمُ تمكُّنَ سليمان، ومقدرته على التأكُّد من صحّة الأخبار، ومع ذلك لم يبادرْ عليه السلام إلى التّصديق، كما أنه لم يتعجّلِ التكذيب، بل قال: ﴿سَنَنظُرُ﴾، وهو من النظر والتأمل والتحري[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] يعني: أصدقتَ في خبرك أم كذبتَ لتتخلّص من الوعيد[٣]؟!

---

(١) القيم الإدارية المستخلصة، ص٤٢.

(٢) تفسير الرَّازي، (٢٤/ ١٩٣).

(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٤٩).

**١٢ ـ حُسْن التّصرُّف بذكاء:**

تميّزَ سليمان عليه السلام بحُسْنِ التّصرُّف والذّكاء والفِطْنَة، وحُسْن اللباقة في قيادةِ مملكته على المستوى الدّاخلي والخارجي. ومن المواقف الدّالة على ذلك:

**أ ـ اختيار الصّادق، وتعزيز الثقة في الجنود:**

قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]؛ ففي الآيةِ دلالةٌ واضحةٌ على حُسْن تصرُّف سليمان عليه السلام وعلى ذكائه في اختبار المرسل، وآلية الإرسال، وأثر ذلك على إعطاءِ الهدهد الثقةَ والعزمَ والقوةَ في تبليغِ الرِّسالة، والدّعوةِ إلى الإسلام(١).

**ب ـ معرفةُ مواطن القوة والضّعف واستثمارها:**

عندما نقلَ الهدهدُ فحوى خطاب ملكةِ سبأ إلى سليمان، وهو قولها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] وما حَدَثَ من نقاشاتٍ وحواراتٍ، عَلِمَ سليمانُ عليه السلام ذكاءَ ملكة سبأ، ومواطن القوة لديها، كذلك عُرِفَ عليه السلام بذكائه، وشدة تيقّظه للخطاب، ومعرفته بمواطن الضّعف لديها، وهو خوفُها من الذُّلّ والصّغار من اجتياحِ مملكتها جرّاء الحروب والمعارك، فردّ على رسولها الذي أرسلته بما يُصيب نقطةَ ضعفها: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

---

(١) السمات القيادية، ص٧٤٨.

وهذا ما يُسمِّيه علماءُ الإدارةِ والقيادة: معرفة مواطن القوة عند العدو، ومكامن الضّعف لديه، ويكون ذلك أدعى لهزيمته، والانتصار عليه، وتحقيقه للأهداف المرجوّة.

### ج ـ اختبارُ ذكاء ملكة سبأ وعَقْلها:

قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

يعني أنه غيّر معالمه الظّاهرةَ، وقدّمه إليها، فكان فيها ثباتٌ وعقلٌ ودهاءٌ وحزمٌ، فلم تَقُلْ هو؛ لما في ذلك من اعترافٍ بسلطة سليمان عليها، وتحكُّمه في عرشها، ولم تقلْ غيرَه كيلا تكون كاذبة، وإنما قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: يُشْبِهه، وهذا القولُ في غايةِ الذكاء والحزم[1].

وهذه الآيةُ تدلُّ على ذكاء سليمان، وحُسْن اختباره لذكاء ملكة سبأ وعَقْلها، واستطاع مع توفيقِ الله، واستخدامِ وسائل الدّعوةِ الناجعة أن ينجحَ في إنقاذ أمة من النار، وصارت المملكتان مملكةً واحدة يعلوها نورُ الإيمان، وترفرف عليها رايةُ الإسلام[2].

### ١٣ ـ سَعَة الصدر وحُسْن الاستماع:

أنصتَ النّبيُّ سليمان عليه السلام إلى أعذارِ المعتذر، وحُجّة المتخلِّف،

---

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٥٢).

(٢) الحكم والتَّحاكم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، (٢/ ٦٠١).

فهو عليه السلام أنصتَ لاسترسال الهدهدِ حتى انتهى من قوله، رغم أنّ فيه معاتبةً لسليمان عليه السلام، وفيه نسبةُ عَدَمِ الإحاطةِ إليه.

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٢ ـ ٢٦].

كلُّ هذا وسليمان لا يقاطِعُه، ولا يكذِّبه، ولا يعنِّفه، حتى ينتهي من سرْدِ الحُجّة التي كانت مفاجأةً كبرى لسليمان عليه السلام[1].

**١٤ ـ التدرج في تحقيق الأهداف:**

نلاحظُ أنّ شخصيّةَ سليمان عليه السلام تؤمنُ بسنّة التدرُّج في تحقيق الأهدافِ، ففي دعوته لملكة سبأ قام بإرسالِ رسالةٍ واضحةِ المحتوى والمضمون، ثم رَصَدَ ردودَ الأفعال، ثم استقبل وفدَ الملكة الذي جاء إليه بالهدية، وردّها بحزم مع تهديدٍ صريح، ثم أحضر عَرْشَها، ففاجأها به، وختم ذلك ببناءِ صَرْحٍ مُمَرّد من القواريرِ، فتلطّف وتدرّج حتى وصل إلى إقناعِها بالإسلام.

وكذلك التدرُّج في تقدير العقوبةِ، والتعزير على قَدْر الخطأ، وهذا عينُ العدالة؛ ولهذا لم يقطعْ سليمان عليه السلام بقرارٍ واحدٍ في العقاب عند

(١) الحكم والتحاكم، (٢/ ٤٩٥).

ثبوتِ الخطأ، بل جَعَلَه متوقِّفاً على حَجْم هذا الخطأ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١].

وقد استدلّ أهلُ العِلْمِ بهذه الآية على أنّ العقابَ على قَدْر الذّنْب، وعلّةُ الترقي من الشِّدّة إلى الأشدّ بقدر ما يَحتاجُه إصلاحُ الخَلَل[١].

**١٥ ـ توظيف المهارات والمواهب والإمكانات:**

من سِماتِ سليمان عليه السلام قُدْرَتُه على وَضْع الفردِ المناسبِ في المكانِ المناسب، فمملكتُه كان فيها من الإنس والجِنِّ وغيرهم مَنْ يُمكنُ أن يؤدِّيَ مهمّةَ الهدهد، ولكن سليمان اختاره ـ مع ضَعْفه وصِغَره ـ لتأديةِ هذه المهمّة، لما عاين فيه من مخايلِ العِلْم والحِكْمَة، والقدرةِ على إنجاز المهمّة[٢].

ووظّف إمكانات (الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب) في إحضار عرشِ ملكة سبأ، وأوكل إليه المهمّةَ التي تمّ تنفيذها بنجاحٍ، فنبيُّ الله سليمان نظّم جنده، ورتّب حُشُودَهُ ووزّعهم على مهامهم، وأعطى الفرصةَ لمستشاريه وجنوده ليُخْرِجُوا مواهبهم، وأن يقولَ كلُّ واحدٍ منهم ما عنده، واستطاع أن يوظِّف قُدراتهم وإمكاناتهم لصالح الدّولةِ وأهدافها الرّبانية.

**١٦ ـ التّعالي على حُطامِ الدُّنيا والثّباتُ على المبدأ:**

من سِمات سليمان عليه السلام التّعالي على حُطام الدُّنيا، والثّبات على القيم والمبادئ الرّبانية، فقد رَفَضَ قبولَ هدايا ملكة سبأ عندما حاولتْ

---

(١) الحكم والتحاكم، المصدر نفسه، (٢/ ٤٩٤).

(٢) تفسير روح المعاني، الآلوسي، (٩/ ١٩٣).

رشوته واختباره، فردّ ردّاً مزلزِلاً بقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

فبيّن عليه السلام موقفَهُ العظيمَ في التعالي على حُطام الدُّنيا، والثّبات على المبادئ، والحرص على الدّعوة إلى الله وهداية الناس(١).

**١٧ ـ الثّبات على المبدأ:**

تعاملَ سليمان عليه السلام بروحٍ إيجابية مع مبادرةِ الهدهد في سَعْيه لتغيير المنكر العظيم، وهو الشِّركُ بالله عزَّ وجلَّ، وقلقه الكبير إزاء القومِ الذين يسجدُون لغير الله، وسرعة إتيانِه بالخبر، والحُجّة التي ساهمتْ في تغيير أمة وإسلامها، فكم من المبادراتِ والإيجابياتِ تُحيي الأممَ والمجتمعات، وتعيدها إلى دائرةِ الإسلام، ومِن ثَمّ التّأثير الإيجابي في زيادةِ رُقْعة الإسلام، والتّمكينِ في الأرض(٢).

وكانتْ لسليمان عليه السلام مبادراتٌ عظيمةٌ استخدمها في الدّعوة إلى الله، كحِرْصِه على الإتيان بعرشِ ملكة سبأ، وبناء الصّرْحِ الممرّد من قوارير، ومبادرته في إرساله لخطابه الدّعوي المحْكَم في الصِّياغة، والأهداف، والمقاصد.

**١٨ ـ الاستماعُ لكبار مستشاريه:**

هذه صفةٌ بارزةٌ في شخصية سليمان عليه السلام، وقد ظهرتْ جليّةً في خطابه لكبار مستشاريه، حيث قال لهم: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]،

---

(١) الحكم والتحاكم، (٢/ ٥٩٨).

(٢) السمات القيادية، ص٧٥١.

فعرضَ ما يريد على الملأ الخاصِّ به، وعرضَ الملأ ما لديه من إمكانات، فاختار الأنسبَ لتحقيق ما يريد.

**١٩ ـ القدرةُ على الحَسْمِ:**

من صفاتِ سليمان عليه السلام قُدْرته على الحَسْم عندما تحتاجُ الأمور إلى ذلك، وعَدَم التّردُّد في القرار الصّعب للتغلُّب على الحال الأصعب.

فعندما وَجَدَ سليمان عليه السلام أنّ القومَ ما زالوا على الشِّرك، بل يريدون استمالته وتَنْحيته عن صلابته في الحقّ قال لأعضاء الوفدِ الذين جاؤوا بالهدايا: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧] أي: أيُّها الوفد عُدْ إليهم بالهديّة، فلن أقبلها من مُشْركٍ، وأعلمهم أني سأرسلُ إليهم جنوداً لا طاقةَ لهم بقتالهم، ولأخرجنّهم من بلدتهم أذلّة وهم مهانُون مدحُورون[١].

**٢٠ ـ الشِّدّة مع المعاند:**

كان سليمان عليه السلام يستعملُ القوةَ في إرهاب من يصدُّ عن الدّعوة، إذ إنّ من المعادنِ البشرية ما لا يلينُ إلا تحت رهج السيوف وسنابك الخيل، ولما أطلق سليمان عليه السلام تهديدَه، وأرسله مع الرُّسُل مُنذراً، ووقع في قُلُوب المشركين الوجلُ والخوفُ، راجعوا أنفسَهم، والظاهر أنّ ذلك أثمر يقظةً وصحوةً من الغفلة، ونظرتْ ملكةُ سبأ في أمرها بعد أن رجعتْ إليها رسلُها بهديتها، وبما قال سليمان عليه السلام، فسمعتْ وأطاعتْ هي

(١) التفسير الكبير، الرَّازي، (٢٤/ ١٩٦).

وقومها، وأقبلتْ تسيرُ إليه في جنودها خاضعةً معظِّمةً لسليمان، ناويةً متابعته على الإسلام(١).

**٢١ ـ حب الجهاد:**

عُرف عن سليمان عليه السلام تفانيه في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة واللّين، وبالجهاد إذا اقتضى الأمرُ مع المعاندين.

قال القرطُبيُّ رحمه الله: فإنّما صار صدقُ الهدهد عُذْراً له، فإنّه أخبره بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عليه السلام حُبِّب إليه الجهاد(٢).

وكان عليه السلام مهتماً اهتماماً كبيراً بقوّته العسكرية، في الإعداد والتجهيز والاستعراض والاعتناء بالخيل، وهذه الصِّفةُ واضحةٌ بيِّنة لا تحتاجُ دليلًا ولا توضيحاً، ويكفي فيها وَصْفُ سليمان عليه السلام لجنده وثِقته فيهم بعد الثقة بربِّه عزَّ وجلَّ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

إلى جانب العدد الكبير من الخيول الأصيلة القوية والمجهَّزة. قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١] (٣).

**٢٢ ـ عَدَمُ الاعتزاز بالنفس أو القوة العسكرية:**

أهمُّ صفة في القائد سليمان عليه السلام أنه أسند الفَضْل إلى الله في كلِّ

---

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٥١).

(٢) الحكم والتحاكم، (٢/ ٥٩٦).

(٣) القصص القرآني، د. سليمان الدقور، ص١٩٣.

نعْمَة، وجدّد الشُّكْرَ على مِننِ الله، فحين طلب الإتيان بعرش ملكة سبأ أجابته جنودُه التي سخّرها الله له مسارعين إلى الطّاعة، فلما وجد طلبه مُجاباً، وأمره مُطاعاً، سارع إلى ضَبْط النّفْس في سلك الخشية، ومنهاج التّواضُع والطّاعة لله ربّ العالمين: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٤٠] أي رأى العرشَ ثابتاً عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾؛ أي هذا النّصرُ والفَضْلُ من فَضْل ربي ليختبرني أأشكرُ نعمته أم أكفرها، فإنّ مَنْ شَكَر لا يرجعُ نَفْعُ شُكْرِه إلا إلى نفسه حيث استوجبَ بشكره تمامَ النِّعمة ودوامها والمزيد منها، ومن كَفَرَ النِّعَم فإنّ الله غنيٌّ عن شكره، كريمٌ في إدامة تفضُّله عليه(١).

**٢٣ ـ الصّبر:**

من صفات سليمان عليه السلام الصّبر، وقد ابتلاه الله فصبر واحتسب، وطلب من الله المغفرةَ والملكَ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فاستجاب الله له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٤ ـ ٣٥].

وهنا نجدُ قيمةَ الصّبرِ على الابتلاء وأهمية اللجوء إلى الله بالدُّعاء والانكسار بين يديه، وطَلَب المغفرةِ منه، وقد طَلَبَ سليمانُ بعد ذلك مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، واستجابَ الله له، ورَفَعَ درجته، فأشدُّ الناس ابتلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم.

ولا شكّ في أنّ الصّبرَ على الابتلاء والفِتن والمحن والمصائب من أشدِّ

(١) الحكم والتحاكم، (٢/ ٦٠٠).

أنواع الصّبر[١]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

**٢٤ ـ الفهمُ والحِكمة:**

من صفاتِ سليمان عليه السلام المتميزة في شخصيته: الفهم والحِكْمَة والعِلْم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ فقد أعطاه الله فَهْماً عظيماً للأمور القضائية والسياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والدعويّة، وهذا الفهمُ مصحوبٌ بالحِكْمَة، ووَضْع الأمورِ في محلِّها.

وقد وظّف ما وهبه الله من الحكمة والعِلْم والفهم في هداية الناس، ودخولهم في دين الله سبحانه، ورَفْع الظلم عنهم، وإقامة العدل بينهم، وتفجير طاقاتهم المكنُونة لكي ينطلقوا في عِمارة الأرض، بمقتضى الإرادة الإلهية.

**٢٥ ـ البناءُ والإبداع:**

من صفات شخصية سليمان عليه السلام: الإبداعُ والبناء في جوانب الحياة المتعدِّدة المتعلِّقة بالملك والناس، سواء في الإدارة، أو الاقتصاد، أو الجندية، أو العلوم والمعرفة، أو الاكتشافات للمواد الخام، والصِّناعات كالحديد والنُّحاس، وغير ذلك.

فقد أبدعَ سليمان عليه السلام في استخدام العِلْم لإحضارِ عرشِ بلقيس، مع المحافظة عليه وتنكيره، وزاد الإبداعُ الحضاريّ في البناء والعمران

---

(١) القيم التربوية، ص٧٣.

واستعمال العِلْم والأدوات، ووسائل الحياة؛ فقدّم نموذجاً من معالم التحضُّر الرفيع، وصوّرت الآيات القرآنية هذا في قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ ليريَها مُلْكاً هو أعزُّ من ملكها، وسلطاناً هو أعظمُ من سلطانها ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾؛ لا تشكُّ في أنه ماءٌ تخوضُه. قيل لها: هذا صرحٌ ممرّد من قوارير.

فلما وقفتْ على صرْح سليمان دعاها إلى عبادةِ الله، ونعى عليها عبادتها الشّمس من دُون الله[1]، واستخدم معها عقلَ النبيّ ومنطقه الرّشيد وحُجَجه المستمدّة من شرعِ الله، فكان سَبباً في هدايتها.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]؛ تُظهِرُ الآيةُ ملامحَ البيان، والعمارة العالية، والإبداع الرفيع، والتطور الحضاري في استخدام العناصر الطبيعية، واستثمار ثروات الأرض على نحو يحقِّقُ للإنسان الرفاهية والسعادة، فالعِلْمُ هنا يستثمرُ في الإبداع المعماري، وتطوير المدينة على أسسٍ من الحضارةِ الرّبانيةِ الموصولةِ بالخالق[2].

فالحضارةُ التي قادها سليمان عليه السلام، ارتبطتْ بالقيم المعنويةِ والمادية، وحقّقتِ التّوحيدَ، وأفردتِ اللهَ عزَّ وجلَّ بالعبودية، وحاربتِ الشِّرك، وأسهمت في البناء المعرفي والحضاري، والارتقاء بمنظومةِ الأخلاق الإنسانية الفريدة المرتبطة بالنّهج الرّباني.

---

(١) القيم التربوية، ص١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٦.

**٢٦ ـ علو الهمة:**

من صفاتِ سليمان عليه السلام التي تميّز بها: علوّ الهمة، وقوة العزيمة، وتظهرُ هذه الصِّفةُ في دعائه لربِّه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ففي هذه الآية طَلَبَ سليمانُ عليه السلام من ربِّه ثلاثةَ أمور:

**الأول**: أن يلهمه ويوفِّقه لشُكْرِ النِّعم التي أنعم بها عليه وعلى والديه.

**الثاني**: أن يوفِّقه لكلِّ عملٍ صالحٍ يحبه ويرضاه.

**الثالث**: أن يدخلَه الجنّةَ مع عبادِه الصّالحين.

فهذه مطالبُ عاليةٌ، وأهدافٌ سامية، تدلُّ بكلِّ وضوح على علوّ همته، وقوة عزيمته[١].

وفي دعاءِ سُليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ دلالةٌ على أنّ دخول الجنة يكونُ برحمة الله وفَضْله لا باستحقاق العبد نظراً لأعماله الصالحة. وسليمان عليه السلام في الآية الكريمة طَلَبَ ما يكونُ وسيلةً إلى ثوابِ الآخرة أولاً، ثم طَلَبَ ثوابَ الآخرةِ ثانياً[٢].

وتظهرُ صفةُ علوّ همته في عبوديته لله عزَّ وجلَّ، والتزامه بمنهج الله في

---

(١) القيم التربوية، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩.

تحقيقِ مرجعيةِ الفعل والحركة: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وعلوّ همّته في تحقيقِ العبادةِ لله جعلَه بعيداً عن الأهواء الشّخصية، والنّزعات البشرية المستبدّة[١].

وإنّ علوَّ همَّته جعله يسيرُ على نهجِ والده في الجهاد والدّعوة، وتعظيم شرع الله عزَّ وجلَّ، وتحمُّل المسؤولية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

### ٢٦ ـ الانفتاح على الآخرين:

من صفاتِ سليمان عليه السلام الانفتاحُ على الآخرين، وهي صفةٌ برزتْ في شخصيّته بكلِّ وضوح، وهي مِن معالم التّحضُّر والرُّقيِّ والتّواصل الإنساني الرّفيع، فكان انفتاحُه على مملكة سبأ انفتاحاً دعويّاً فيه الحرصُ على هدايتهم، وكذلك كان انفتاحاً حضاريّاً لتجسيدِ التّعاون الإنسانيِّ على مستوى العلاقاتِ التّجارية والاقتصاديّة، والتّقدُّم والتحضُّر والمعرفة والعلوم والثقافة، بل إنّ سليمانَ عليه السلام كان منفتحاً على الهدهدِ، واستفاد من معلوماته وخبرته وتوصيله لرسالته.

وكان منفتحاً على النّمل، وعلى الجِنِّ، وعرفَ كيفيّةَ الاستفادةِ منهم في دولته، بل قدّم بعضَهم، وأصبحوا من الملأ الذين يستشيرهم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

فقد كان انفتاحُ سليمان عليه السلام إيجابياً حقّق به مكاسبَ لدولته ودعوته.

---

(١) القصص القرآني، سليمان الدقور، ص١٧٧.

**٢٧ ـ القدرةُ على التّخطيط والتّنفيذ:**

إنّ من صفاتِ سليمان عليه السلام القُدرةَ على التّخطيط، ففي إدارة سليمان عليه السلام تخطيطٌ دقيقٌ لحشدٍ هائلٍ من الجند تمّ اجتماعُهم في موكبٍ عظيم يُجمع أوله على آخره حتى لا يتفرقوا، وتشيعَ بينهم الفوضى، وقد سمّى القرآنُ هذه الموكب بـ: اصطلاح "الجنود" إشارة إلى الحشدِ والتّنظيم.

وإذا كان هذا التخطيطُ يمثِّل خطوةً جزئيةً في التّخطيط الشّامل الذي هو تبليغُ الرِّسالة، والدّعوة إلى عبادة الله وحده، فقد كان جميعُ عناصر جُنْدِه على علمٍ بالخُطّة الشّاملةِ، وسعى الجميعُ لتحقيقها، ورَفْض كلِّ ما يتعارضُ معها.

ومن الخُطَطِ الجزئيّة التي استخدمها سليمانُ إرسالُ كتابه إلى الملكة بعد أن أخبره الهدهد بأنها وقومها ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

ومن التّخطيط الجزئيِّ خُطّة الإتيانِ بعرش الملكة قبل حُضُورها. ويبدو أنّ هدفَ سليمان من ذلك هو عرضُ مظاهر القوة الخارقة التي تؤيِّده لتؤثِّر في قلب الملكة، وتقودَها إلى الإيمان بالله، والاستجابة لدعوته.

وقد تلخّصتْ تلك الخطةُ في قول سليمان لمستشاريه والملأ من عِلْية الأفراد في دولته: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] وفي قوله: ﴿أَيُّكُمْ﴾ دليلٌ على مراعاة الفُروق الفردية، حيثُ تبدو قيمةُ تقسيم العمل على حسب قُدرات المرؤوسين لضمان نجاحِه، وعند ذلك وجد القائدُ الرّدّ من أحدهم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

وكأنه قد بدا من سليمان ما يدلُّ على أنه يريدُ فترةً زمنيةً أقلّ للإتيان بالعرش، فكانتِ الاستجابةُ من فرد أعلى قُدرةً، فسرعةُ الإنجازِ دليلٌ على الكفاءة، لكن مَنِ الذي يملك القُدرةَ الأعلى؟

إنه الذي يملكُ العِلْم[1]: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ومع تلك اللفتةِ الإيمانيةِ في تلك الخطّةِ خاصّة لدى هذا الفرد المتميِّز من المرؤوسين؛ يوجد جانبٌ آخرُ مهمٌّ لنجاح التخطيطِ؛ وهو ما يُعْرَفُ حديثاً بحُسْن توزيع المهامِّ.

لقد أحسن سليمانُ عليه السلام توزيعَ المهامِّ حين عرضَ الأمرَ أولاً دون تحديد، حتى يسندَ المهمّة إلى أعلاهم قُدْرةً، وأسرعهم في الإنجاز، كما أحسن حين أتاح الفرصةَ لمن لديه قُدرةٌ أعلى من الذي يأتي بالعرش قبل قيام الملك من المجلس، وأحسن توزيعَ المهامِّ كذلك حين حدّد المدّةَ المطلوبةَ لإنجاز المهمّة: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

ومن التّخطيطِ الذي اعتمد عليه سليمانُ أيضاً تخطيطُه بأن يُنَكِّرَ عَرْشَها: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

ومهما كان التّخطيطُ جيداً، فإنّه يظلُّ كلاماً نظريّاً ما لم ينفَّذْ ويطبَّق. وكذلك فإنّ التنفيذَ إذا لم يكنْ في التوقيتِ المناسب فربّما فَقَدَ أهميته، ومن هنا كانت سرعةُ التنفيذ مهمّةً في نجاح الإدارة، وقد بدتْ سرعةُ التنفيذ في

(١) لمحات تربوية إدارية، د. فوقية محمد ياقوت، ص٨.

كثيرٍ من المواقف في إدارةِ سليمان عليه السلام، فحين أمر سليمانُ الهدهدَ بأن يذهبَ، ويلقيَ إليهم الكتابَ، ويعودَ بالجواب سريعاً، كلُّ هذا تمّ تنفيذُه بسرعة: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾.

ومن سرعةِ التنفيذ أنه بمجرّد انتهاء سليمان من وَضْع خُطّة إحضار عرشها، تمّ إحضاره بسرعة.

ومن سرعة التنفيذ أن غَيّروا لها بعضَ معالم عرشها على وجه السُّرعة[1].

وعلى الجانب الآخر اتّسمتْ إدارةُ الملكة كذلك بسرعة التنفيذ حين وصلت هديّتُها إلى سليمان، وتابع سليمانُ عليه السلام الأحداثَ حتى حقّقَ هدفَه الكبيرَ الذي سعى إلى بلوغه، وهو نَشْرُ دينِ الله، ودُخُول الملكة وقومها في الإسلام، فقد نجحَ سليمانُ عليه السلام في تحقيق الهدف، واستشار من حوله للوصول إليه، وخطّط له، ونفّذه، وتابعه، إنّه الهدفُ الأسمى: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [2].

**٢٨ ـ مؤيَّد:**

من صفاتِ سليمان عليه السلام أنه مؤيّدٌ من الله تعالى، بما اختصّه الله به من آياتِ الآفاق والكون، وهذا في جانب (التّسْخِير)، وآيات الأنفس والمَلَكات والمواهبِ الرّبانيّة للإنسان في نفسه، وهذا في جانب التّمكين.

(١) لمحات تربوية إدارية، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١.

**وفيما يلي تفصيلُ هذين النّوعين:**

**أ ـ التّسْخِير:**

**المقصود بالتَّسخيرِ:**

*** تَسْخِيرُ الرِّياح:**

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ووصف الله سرعة هذه الرِّيح المسخّرة وحركتها بقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وصفت الرياح بالرُّخاء ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

وفي تَسْخِير الرِّيح إشارةٌ إلى إمكانية تَسْخِيرِ قوى الطبيعة ريحاً أو غيرها للمسلم القائم على دعوة الله، وشرعه، وتحقيق أهدافِ التّمكين الرّباني.

*** تَسْخِير النُّحاس:**

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ أي: النُّحاس، وهي إشارةٌ إلى تَسْخِيرِ الله عناصر الطّبيعة والأرض ومكوِّناتها لصاحبِ مشروع النّهضة وحامل هَمِّ قيادته.

*** تَسْخِير الجِنِّ والشّياطين:**

ذلك العالَمُ الآخر الذي احتوى عليه مُلْكُ سليمان، الذي لن يكونَ لأحدٍ من بعده.

*** تَسْخِير ما في البحار:**

حيث سخّر الله له مِن الشّياطين مَنْ يغوصُون في البحر ليستخرجوا اللؤلؤَ والمرجان، وغيرهما من الكنوز.

وقد كان لهذا التأييد أثرٌ كبيرٌ في تكوين النّهضةِ التي حصلتْ في زمن سليمان عليه السلام.

**ب ـ التّمكين:**

فسليمانُ عليه السلام نبيٌّ وملكٌ مُمَكّن، اختاره الله سبحانه، واصطفاه؛ ليجعَلَه ذا شخصيةٍ قياديّةٍ، وأمدّه بإمكاناتٍ روحية ومعنوية وعقلية ومادية، وميّزه وفضّله على غيره، ومكّن له بعد وفاةِ والده، فقاد مملكتَهُ بتأييدِ الله له[1]، وقد بينّا ذلك بالتّفصيل.

هذه أهمُّ صفاتِ سليمان عليه السلام حسب ما ظهرتْ لي من دراستي هذا القصص الماتع، والغنيِّ بالدُّروسِ والعِبَر والفوائد.

**خامساً: مقوِّمات الحُكْم الرّشيد في دولةِ سليمان عليه السلام:**

سبق القرآنُ الكريمُ كلّ النُّظُم المعاصرة في الحديث عن مقوِّمات الحُكْم الرّاشد؛ الذي سعى لتحقيق التّنمية الشّاملة في المجتمع بما يتضمّن من التوجهات الأساسية لطريقة الحُكْم، فجعل الهدفَ من نزولِ القرآن الكريم الهدايةَ إلى الرشد، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

---

(١) القصص القرآني، سليمان الدقور، ص١٨٩.

فالقرآن الكريم يهدي إلى الرشد بما ينشئه في القلب من الإدراك والمعرفة، والاتصال بمصدر النور، والاتساق مع النواميس الإلهية الكبرى، كما يهدي إلى الرشد بمنهجه التّنظيمي للحياة وتصريفها، وهذا يوصف (بالرشد العقلي) [١]، كما أنه لا تتحقّق مهمّة العبودية لله سبحانه وتعالى من الفرد إلا إذا كان رشيداً مُتحرِّياً للرُّشد، لأنّ الرُّشد والغيّ لا يجتمعان[٢].

وقد امتدح الله القيادةَ الرّشيدة لإبراهيم عليه السلام، ووصفه بالرّشد الكامل اللائق به وبأمثاله من الرُّسل، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

فهو الرّشدُ في سياسة الأمة، والاهتداء والتّوفيق للنّظر والاستدلال على الحقِّ والصّلاح وحُسْن التّصرُّف حسّاً أو معنى في الدِّين والدُّنيا، وكذا الاقتدار على إصلاح الأمة باستعمال النّواميس الإلهية[٣].

**إنّ قصّة سليمان عليه السلام أشارتْ إلى مقوِّمات الحُكْم الرشيد، التي من أهمها:**

**١ ـ المقوِّمات الاجتماعية والعلمية:**

كان للبيئة النّبوية الرّبانية التي عاش فيها سليمانُ عليه السلام سواء الاجتماعية أو العلمية؛ الأثر الكبير في حُكْمه الرّشيد، وقد أكّدت مبادئ

---

(١) مقوِّمات الحكم الرشيد، د. سعيدة محمد ناجي، ص٣٣٠٦، وقد اعتمدت على هذا البحث في هذه الفقرة.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٣٠٦، تفسير الرَّازي، (٧/ ١٦).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (٨/ ٣٣٧).

الحُكْم الرّشيد على ضرورةِ الاندماجِ الاجتماعيِّ في البيئةِ المحيطةِ بالفرد والأسرة، وهي اللّبِنةُ الأولى في البناء الاجتماعيِّ التي تؤثِّر في سلوك الفرد وبناء شخصيته. وقد بيّن الرّسولُ ﷺ ضرورةَ الأدب والتأديب للأبناء موضِّحاً مدى تأثير ذلك في تكوين شخصية الإنسان، إيجاباً وسلباً، قال رسولُ الله ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه**»(١).

لقد كانت بيئةُ سليمان عليه السلام الاجتماعية مؤثِّرة في صَقْل شخصيته وتربيته على القيم الإنسانيّة الرّبانية، وكان لأبيه عليه السلام تأثير كبير في مسيرته بعد الله عزَّ وجلَّ، **ويتّضح ذلك من خلال**:

**أ ـ التّنشِئة الاجتماعيّة**:

كان للعلاقة الطّيّبة بين سليمان عليه السلام ووالده داود عليه السلام منذ طفولته وشبابه الأثَر البالغ في صَقْل شخصيته، وتحديد أهدافه ورسالته في الحياة، فقد نشأ في بيئةٍ تلقّى فيها تربيةً نبويةً صالحة، فهو ابنُ النبيّ داود عليه السلام الذي وُصف بالعبودية، والذي تميّز بجهاده، وصلاته، وصيامه، وذكْره، وثَنائه، وحَمْده لله عزَّ وجلَّ.

وكان سليمانُ عليه السلام هبةً من الله عزَّ وجلَّ لعبده داود عليه السلام؛ ولذا كان ابناً باراً وقُرّة عين لأبيه، فصفةُ العبودية والصّلاح سِمةٌ بارزةٌ في شخصية سليمان عليه السلام، بل خَصّه الله بمدحٍ خاصٍّ، فقال تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ﴾، لكونه حقّق العبوديةَ الصّادقة لربِّه جل وعلا في حياته

(١) رواه البخاري، رقم١٣٨٥.

الخاصّة باستقامته على أمر الله، وبصفته حاكماً في سِياسته لدولته، وإدارته المتميزة لها[١].

ولهذا عقّب الله تعالى على وَصْفه بالعبودية بجُملةٍ تعليلية فقال: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجّاعٌ إلى الله في جميع أموره وشؤونه، تَوّاب إليه من كلِّ سَهْو وتقصير، وقيل في معنى «أوّاب»: إنّه كثير الذِّكْر لله والصّلاة[٢].

وتبرز مظاهرُ عبوديته لله في كَثْرة شُكره ودعائه وذِكْره ومناجاته لله. لقد سار على نَهْج والده النّبيِّ الملك داود عليه السلام، وتأثّر بأخلاقه وسلوكه ودعوته وأعماله وأهدافه، وإدارته للملك، وقدّما نموذجاً فريداً من تحقيق العبودية لله من خلال منصب (الرئاسة) وقيادة الدولة، وتجلّى ذلك في دفع المظالم، وإقامة العدل، ودلالة النّاس على توحيد الله، وإفراده بالعبادة، ومساعدة المحتاجين، وعمارة الدولة بالبناء والتجارة، والانفتاح على الآخرين وَفْقَ منهج الله وشرعه، فقدَّما نموذجاً حيّاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

**ب ـ التَّنشِئة العلميّة:**

إنّ المتتبِّعَ لقصة سليمان عليه السلام في القرآنِ الكريم يجدُ أنّ موضوعَ العِلْم الإلهيِّ ركيزةٌ أساسيّة في تشييدِ حُكْمه القائم على المنهج الرّباني.

فقد جمع اللهُ تعالى في مَنْحَيْه لداود وسليمان عليهما السلام بين العِلْم والحُكْم.

---

(١) مقوّمات الحكم الرشيد، ص٣٣٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٣١٠.

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وفي الفعل ﴿ءَاتَيْنَا﴾ ما يُؤْذِنُ بأنّه علمٌ مُفاضٌ من عند الله تعالى، ولا يُذكر هنا نوعُ العِلْم ولا موضوعه، لأنّ جنسَ العِلْم هو المقصودُ بالإبراز والإظهار، وللإيحاء بأن العِلْمَ كلّه هبةٌ من الله، وبأن اللائقَ بكلِّ ذي علم أن يعرفَ مصدره(١).

وتبرز أهميّةُ العِلْم الرّبانيِّ المستمدِّ منه سبحانه وتعالى في بناء الحضارات، وترسيخ مُقوِّمات الحُكْم الرّشيد في الدّولة، وضَبْط مسار القيادة والشُّعوب والمؤسّسات وَفْقَ قيم الشّريعة الرّبانية، التي جَعَلَها اللهُ بصائرَ للناس وهِداياتٍ لهم في حياتهم الدِّينيّة والدُّنيوية، وكيفيّة التّعامل مع العلوم المتنوعة في إسعاد الناس وَفْقَ المنهج الرّبانيِّ، سواء كانتْ علوماً معنويةً قائمة على المعرفة والدراسة والتّحصيل وإعمال العقل والذِّهن وإدراك الأمور والحقائق، أو علوماً مادية متعلِّقة بالاختراعات والصِّناعات والطُّرق والجسور ووسائل المواصلات، وتطوير الثّروات الحيوانية والزِّراعية والبحرية، وعلوم اللُّغات والتّفاهم مع الأجناس، وتوظيف العلوم كافة في خدمة دِينِ الله والقِيَم السّامية المستمدّة منه، وهذا ما قام به سليمانُ عليه السلام، فطريقُ الحُكْم الرّشيد يطّرد مع معرفة العلوم والتّمكُّن منها بأنواعها الدِّينيّة والدُّنيوية.

(١) مقوِّمات الحكم الرشيد، ص٣٣١١.

وتؤكِّد مبادئُ الحُكْم الرّشيد ضرورةَ تكريس المعرفة، وتوظيفها في بناء القُدُرات من خلال المساواة، وتكافؤ الفرص بين المواطنين، ولا يتأتّى التنافسُ إلا بالعِلْم، كما يُعدُّ العِلْمُ من الصِّفات الضّرورية في كلِّ من يتولّى الحُكْم، وشرطاً أساسياً في كلِّ ولاية حتى لا يخرج الوالي عمّا شَرَعه الله، لأنه منفذٌ لأحكام الله في إقرارِ مصالح العباد[1].

فنِعْمَةُ العِلْم التي حصل عليها سليمانُ عليه السلام من أجلِّ النِّعَم التي أنعمَ الله بها عليه وفَضّله وشرّفه بها، فلا حضارة تتقدّم، ولا دولة تقومُ بأهدافها دون العِلْم.

**٢ ـ المقوِّمات الإدارية (التّنظيميّة) والاقتصاديّة:**

من المقوِّماتِ الأساسيّة للحُكْم الرّشيد الاهتمامُ بالأمور التّنظيمية، والإصلاحات الإدارية والمالية في المجتمع. والمتأمِّلُ لقضية سليمان عليه السلام يجد أنه قدّم درساً في القيادة الحكيمة وَفْقَ رُؤيةٍ إداريّة واقتصاديّة رشيدة، فحقّق التّنميةَ الشّاملةَ في دولته، ويتّضحُ ذلك في النِّقاط الآتية:

**أ ـ نِظام الموارد البشريّة:**

إنّ مراعاةَ التّخصُّص، واختيارَ الأكفاء، والاهتمامَ بالتّدريب من مقوِّمات الحُكْم الرّشيد، وتوخِّي الدّقة في إدارة السُّلطة من خلال نظام للعمل يتمُّ بموجبه توزيعُ المهامِّ بين العاملين.

وهذا ما سار عليه سليمانُ عليه السلام مع أفراد مملكته، فكان في مملكته وزراءُ ونُقباءُ وقادةٌ وزّعهم على مؤسّسات الدّولة حسب الاختصاص،

---

(١) مقوِّمات الحكم الرشيد، المصدر نفسه، ص٣٣١١.

وحسب الاستعدادات الفكرية والطّاقات الوهبية والمكتسبة، فمثلًا جُنودُه من الجِنِّ والإنس والطّير يقودُهم الوازِعُون، ويسيرون في فِرَق متناسقة، وعلى رغم اختلاف أجناسهم من خلال نظام دقيق مُحْكَم؛ ولذلك وَصَفَهم الله بقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

كما كان سليمانُ يختارُ الأكفاءَ لتنفيذ المهامِّ، فقد اختار الهدهدَ لإيصال الكتابِ إلى ملكة سَبأ، لكونه رأى فيه مخايل الفهم والعِلْم، وقد قدّم لسليمان تقريراً متكاملًا شاملًا، عرف من خلاله لسليمان عليه السلام أحوال مملكة سبأ، من حيث الحالة الاجتماعية والاقتصادية والقوة السياسية، والجغرافية والمسافة، فهو مُلْكٌ ممتدٌّ، له مقوِّماتُ الدّولة ومقدراتها المادية، كما كشفَ الهدهد عن الحياة الدِّينيّة.

واهتمّ سليمان بعنصر التّدريب لزيادة كفاءة مكوِّنات جيشه، فكان يحرصُ على إعداد الخيل ولياقتها البدنيّة، ويراقبُ تمارينها على الجري والعَدْو لتكون جاهزةً للجهاد، وكان في نهاية التّدريبات يلاعُبها، ويمسحُ على سيقانها وأعناقها، ويمرِّر أصابعَه عليها برقّةٍ تكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامه بها، ومحبّته لها، فتزدادُ وفاءً له وتعلُّقاً به، كما تزدادُ إقداماً في طريق الجهاد[1].

**ب ـ الإصلاحُ الماليُّ والإداريُّ:**

يَحتاجُ الإصلاحُ المالي والإداري في الدّولة إلى يقظة مستمرة، ومتابعة مباشرة، ومكافحة للفساد.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣١٦.

ولقد كان سليمانُ عليه السلام يمثِّل الحاكمَ اليقظَ في إدارة مملكته مع مَنْ سخّرهم الله له، فعاملهم وَفْقَ قواعد الضّبْط الإداري، وتَفَقّد أحوالهم وانْضِباطهم، وباشَرَ بنفسه متابعةَ تنفيذِ ما أُوكِلَ إليهم، مع الاستفادةِ من أعوانِه وجهازِ المراقبةِ التّابعِ له، والتقارير المرفُوعة إليه، فكان يتأكّدُ قبل إصدارِ تعليماته، ولا يتساهلُ مع المخالفين والمفسدين(١).

فقد سار بقوانينَ عادلةٍ لضبطِ الأمور؛ بحيث يعاقبُ المسيء، ويحسن للمحسن، قال تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

كما أنه لم يسمحْ بالفساد في نِظام حُكْمه، ومَثّل قدوةً في الثّبات أمام المغريات الدُّنيويّة، ورفض بشدّة الرّشوةَ، واحتقر المالَ الفاسدَ(٢).

**ج ـ وضوحُ الرُّؤْية في السِّياسة الاقتصاديّة:**

من أهمِّ مبادئ الحُكْم الرّشيد الاستخدامُ الأمثلُ الفَعّالُ للموارد والمصادر الاقتصادية، وهذا ينعكسُ على فاعلية المجتمع، ومشاركته في إحداثِ تنميةٍ شاملةٍ وحقيقية. والمتأمِّلُ لقصّة سليمان عليه السلام يجدُ أنّ الله تعالى قد أعطاه مُلْكاً عظيماً لم يُعْطِه أحداً مِن بعده، وكانت حضارتُه امتداداً لحضارة أبيه داود عليه السلام القائمة على التّسخيرِ الإلهيِّ، واتّسمتْ سياستُه بوضوح الرُّؤية من خلال اهتمامِه بأسباب التّقدُّم والعناصر المكوِّنة

(١) المصدر نفسه، ص٣٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٣١٨.

لتلك العملية، وهي تَسْخِيرُ الإمكانات المتاحة المتمثِّلة بالموادِّ الخامِّ ووسائل النقل، وتوظيف الأيادي العاملةِ الماهرة.

ـ فأما الموادُّ الخامُّ، فقد أجرى الله لسليمانَ عليه السلام ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ وغيرها من الموادِّ.

ـ وأما وسائلُ النقل فقد سخّر له الرِّيحَ وسيلةً من وسائل المواصلاتِ غير العادية.

ـ وأما توظيفُ الأيادي العاملة الماهرة، فقد سخّر الله له طائفةً من الشّياطين والجنِّ، يستخدمُهم في الغَوْص في أعماق البحار لاستخراجِ كُنوزِها وخيراتها، وفي البِناء وتَشْييد القُصُور والبيوت. كما شَهِدَ عصرُه نشاطاً تجارياً، وتبادلاً للسِّلع بين مملكته ومملكة صُور، وَفْقَ عهدٍ بينهما يقضي باستيرادِ الخَشَب من لبنان مقابلَ تصدير الحِنْطة والزّيت، وكان يجعلُ بعضَ العرباتِ الحربية، عندما لا تكونُ في خدمة الدِّفاعِ عن الدّولة، في خدمة التِّجارة.

ولتسهيل حركةِ التجارةِ قام بتعبيدِ الطرقات، وتزويدها بمحطّاتٍ لخدمة القوافل التجارية على الطرق التجارية في سورية وفلسطين، وفَرَضَ رسوماً على تلك القوافلِ التِّجاريّة الآتية من الجزيرة العربية المحمّلة بالتّوابل نظير تلك الخدماتِ[1].

وقد سَجّلَ القرآنُ الكريمُ اهتمامَه بالصِّناعة والعُمْران، فقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٢٠، دراسات تاريخية، (٣/ ١٦٦ إلى ١٨٠).

فكانتِ الجِنُّ تعملُ لسليمان عليه السلام ما يخطرُ في باله من المباني والإنشاءات من محاريبَ وتماثيلَ، فيُخْرِجُونَ تلك المحاريبَ والتماثيلَ، في أبدع صورةٍ بما يزيِّنونها من زَخْرفة لواجهاتها بالنّحْت والتطوير، وقدمتِ المحاريبَ على التّماثيل؛ لأنّ الصُّورَ تُوضَع في المحاريبِ، أو تُنْقَشُ على جدرانِ تلك المعابد، والقصور. كما يأمرهم بإقامةِ أضخمِ المشروعات الدُّنيوية، التي كان البشرُ يعجزون عنها: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾؛ فيصنعون له القِصاعَ الضّخْمة كحِياض الإبل، يجتمعُ على القَصْعةِ الواحدةِ ألفُ رجل يأكلون منها.

وأما القدورُ فهي منحوتةٌ من الصخور الصُّم الثّابتات لضخامتها، وكانتْ أفراناً لصَهْرِ الحديدِ والنُّحاس، وهي المرحلةُ السّابقةُ من صَبِّ الحديدِ والنُّحاس والجِفان، وكانت تتطلب أن تكونَ في غاية الصّلابة والسّماكة لتتحملَ شدة حرارةِ الصّهْر المرتفعة.

وذَكَر بعضُ المفسِّرين عند تفسيرهم لقولِ الله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]؛ أنّ هؤلاء الشّياطين يقومُون بمهامّ صناعيّةٍ أخرى بالإضافة إلى ما ذُكِرَ من بناء المدن والقصور، واختراع الصّنائع الغريبة، كصناعات الحمّام والنُّورة والطّواحين والقوارير والصّابون.

كما اهتمّ سليمان عليه السلام بتطوير الآلاتِ العسكرية، إذ أدخل سلاحَ العرباتِ الحربية إلى جيشه، وجَعَل منه قُوّةً مهمّةً، وخصّص لها ثكناتٍ عسكريةً[1].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٢٢.

أما التّنميةُ العمرانيةُ في مملكة سليمان عليه السلام فقد كانت على درجةٍ عاليةٍ من عَظَمة البناءِ، وبديعِ الزُّخْرُفِ التي اختصّت بها قصورُه في ذلك الزّمان، ومن تلك القصور الملكية ذلك الصّرْح الذي أُدْخِلَتْ فيه ملكةُ سبأ، فقد شيّد كلّه من بلُّور زجاجي مختلف الألوان، على عين ماءٍ أو بركةٍ من ماء؛ ممّا دَفَعَ ملكةَ سبأ أن ترفعَ طَرَفَ ثوبها، وتكشفَ عن ساقيها ظنّاً منها أنه مجرى ماء، وبهذه الرُّؤيةِ الواضحةِ حقّق سليمانُ عليه السلام تنميةً شاملةً، بلغتْ مبلغاً عظيماً من الإتقان والجودة والأُبّهة[١].

**٣ ـ المقوِّماتُ التّشريعية والسِّياسيّة:**

من المعلوم أنّ المقوِّمات الإدارية والاقتصادية للحُكْم الرّشيد لا يمكنُ تحقيقها إلا من خلال نظام سياسيٍّ يقومُ على مبادئ الشّفافية والعدالة، وتطبيق النظام والقانون، والمشاركة الحقيقيّة في اختبار حُكّامه وَفْقَ رؤيةٍ استراتيجيّة تُراعي الأعراف الدُّبلوماسية في العلاقاتِ بين الدُّول، وسنوضح ذلك على النحو الآتي:

**أ ـ الشّفافيةُ وسيادة الحقوق والقانون (العدالة):**

تُعَدُّ الشّفافيةُ، وسيادةُ الحقوق والقانون؛ من أهمِّ مبادئ ومقوِّمات الحُكْم الرّشيد، ولا يكونُ ذلك إلا من خلال تطبيق قِيَم العدالة. وتُقاس حضارات الأمم بنظامِها القضائي؛ لأنّ العلاقةَ بين عدالةِ القضاء وتحقيق التّنمية شرطٌ لتطوُّر المجتمعات، ولا يكونُ ذلك إلا بوجود الأمنِ والاستقرار[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٢٢.

(٢) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون المالكي، دار مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٣.

وقد سجّل القرآنُ الكريمُ ملازمةَ سليمان لوالده نبيِّ الله داود عليهما السلام في مجلس القضاء والحُكْم، فقامتْ بينهما علاقةٌ متميِّزةٌ ساهمتْ في بناءِ الشّخصيةِ القويّة من خلالِ إشراكه في إبداء رأيه، وتدريبه على فَصْل النِّزاعات، وإكسابه القدرةَ على اتخاذ القرارات.

لقد عاش سليمانُ عليه السلام في بيت الحُكْم، واطلع على المشاكل السِّياسيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة، والاجتماعيّة، وملفّات القضاء، وتعلّم من والده كيفيةَ التّعامل معها، وقد شجّعه والدُه على إبداء رأيِه، والمشاركة معه في الوصُولِ إلى الحُكْمِ الصّحيح في القضايا.

وقد حَفِظ القرآنُ الكريمُ لنا استدراكَ سليمان عليه السلام على أبيه في قضية الغَنَم والحَرْث. وبإرشادٍ من الله تعالى فهم حقيقة الخلافِ المعروض[1].

وكانت صفاتُ سليمان عليه السلام بعد اختيار الله له للنُّبوّة والملك مساهِمةً في وصوله لسدّة الحُكْم بعد وفاة داود عليه السلام، فقد استحقّ أن يرثَ أباه عليهما السلام في الملك والنُّبوّة، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

ولهذا عقّب الله تعالى بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛

---

(١) النُّكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن حبيب الماورديِّ، تحقيق خضر محمَّد خضر ـ نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة والتُّراث الإسلاميِّ ـ بالكويت، (٣/ ٤٥٧).

فقدّم الحُكْم، مع أنّ العِلْمَ لا بدّ من سَبْقِه للحُكْم، ولكنْ لما كان السِّياق في الحُكْم قدّمه.

ومن هاتين الآيتين اللتين تحدّثتا عن النِّزاع بين صاحب الغَنَم وصاحب الحَرْث، استدلّ الإمامُ مالك على فَضْل عِلْمِ القضاء، فقال: أثنى الله سبحانه وتعالى على داود عليه السلام واجتهاده في الحُكْم، وأثنى على سليمان عليه السلام باجتهاده وفهمه وجهَ الصّواب[1].

**ب ـ المشاركةُ في اتِّخاذ القرار وحرية التّعبير:**

من مبادئ ومقوِّمات الحُكْم الرّشيدِ ضرورةُ إشراكِ المواطن في وَضْع القرارات واتِّخاذها، وقد جَسّدَ سليمانُ عليه السلام هذه المشاركةَ عندما استشار بِطانته الصّالحةَ المؤمنة القويّةَ من ذوي الخبرات والكفاءات العالية في نَقْل عرشِ ملكة سبأ من اليمن إلى الشّام.

كما سجّل القرآنُ الكريم، ضِمْنَ قصّة سليمان عليه السلام، أنّ ملكةَ سبأ كانت تحكمُ شَعْبَها وَفْقَ تجربة سياسية تحترمُ إرادةَ مواطنيها، بالرغم من عظمةِ مُلْكِها، ووفرةِ مالها، وكثرةِ سلاحها، فقد كان حُكْمُها يقومُ على مشاركةِ الملأ ووجوهِ القوم وزعمائهم في الحُكْم والقيادة، تَعْرِضُ عليهم القضايا، وتستشيرُهم في المشكلات، وتحرصُ على سماعِ آرائهم، وتعتمدُ المناسب منها، وهو أشبهُ بنظام الحُكْم الدِّيمقراطيِّ في العصر الحاضر، ويتّضحُ ذلك من خلال ما دار بين ملكة سبأ وأشرافِ قومها، فقد طلبتْ منهم إبداءَ رأيهم لتختبرَ عزمَهم على مقاومةِ عدوِّهم، وحَزْمهم فيما يقيمُ أمرَهُمْ،

(١) تبصرة الحكام، ابن فرحون، ص٣.

وإمضاءهم على الطّاعة لها، ثم عبّرتْ عن المشورة بالفتوى رَفْعاً لمحلِّهم بالإشعار بأنهم قادرونَ على حَلِّ المشكلات الملمّة، ثم زادتْ في التأدُّب واستجلابِ خواطرهم ليشيروا عليها بالصّواب، ولئلا يخالفوها في الرّأي والتّدبير.

وهذا الأمر ليس عارضاً في منهجِ حُكْمها وسياستِها، بل كان دأبَها وعادتَها معهم، فهي عاقلةٌ حكيمةٌ مستشيرةٌ، لا تخاطرُ بالاستبداد بمصالح قومها، ولا تُعرِّض مُلْكَها لمهاوي أخطاءِ المستبدِّين، فأبدتْ لهم رأيها مفضِّلةً جانبَ السِّلْم على الحرب[1].

وأما حريّةُ التّعبير باعتبارها ركيزةً أساسيّةً في منظومةِ الحُكْم الرّشيد، فتتجلّى في إتاحةِ سليمان عليه السلام الفرصةَ للهدهد أن يقدِّم العُذْرَ، والدّليلَ على براءته، وإشعارِه بأنه يعيشُ في أمّةٍ يحكمُها العدلُ والحريةُ والأمان، فسليمان عليه السلام يقبل العذرَ المشروعَ والمقنِعَ.

ولم يتسرّع في تصديقه أو تكذيبه، بل عملَ على التأكُّد من المعلوماتِ الجديدة، وهذا شأنُ القائم بالحُكْم الرّشيد؛ الذي لم يتعجّلْ بإصدار الأحكام إلا بعد استقصاءِ المعلومات حول القضيّةِ المنظُورة، كما أنّ النّملة، التي تُعَدُّ مخلوقاً ضعيفاً بجانب ذلك الحشد المهيبِ لجنودِ سليمان، تُعبِّر عن تخوُّفها، وتوجِّه أمةَ النّمل، وتأمرهم بدخولِ مساكنهم حتى لا تَحْطمهم أقدامُ سليمان وجنوده، ثم تعتذرُ لهذ الجيش الذي على رأسه نبيٌّ كريم فتقول: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ولذا تبسّم سليمانُ عليه السلام

(١) مقوِّمات الحكم الرشيد، ص٣٣٢٧.

ضاحكاً من قولها، فقد شهدتْ له ولجيشه بالعدل والإنصاف، وهذا يدلُّ على عظيمِ حِرْصِهم على إقامةِ العدل، والبعدِ عن الظُّلم[1].

**ج ـ الرُّؤيةُ الاستراتيجيةُ السِّياسيّةُ، ومراعاةُ الأعرافِ الدُّبلوماسيّة:**

إنّ الدُّولَ الناجحةَ لا تُدار السِّياسةُ فيها بعشوائيةٍ، وإنّما تتّخذ قراراتها وَفْقَ رؤيةٍ استراتيجيةٍ واضحةٍ، وهذا ما أدركه سليمانُ عليه السلام في ضَرورةِ أن يمتلكَ قُوّةً عسكريةً تدافعُ عن المملكة من العدوانِ الخارجيِّ، وتُسهم في حِفْظِ الأمن والاستقرار الدّاخلي، وتمكِّن من تطبيقِ القوانينِ القائمةِ على رُوح العدلِ، البعيدة عن الجورِ والظُّلم، التي تُعَدُّ من أتمِّ عواملِ تحقيقِ التّنمية الشّاملة، فقد اهتمّ سليمانُ عليه السلام بالجانبِ العسكري، ومن ذلك اهتمامُه بالحربِ النّفْسيّة باعتبارها رُكْناً من أركانِ السِّياسة الحربية الجهادية، بالتّلويح باستخدامِ القوّةِ العظيمة التي لا يستطيعُ أحدٌ الوقوفَ أمامها، كما استعرضَ مظاهرَ القوّةِ الخارقةِ التي أسهمت في بيانِ قوته العسكرية والحضاريّة التي لا مثيلَ لها في ذلك العصر، كما تتّضحُ الرُّؤيةُ الاستراتيجيةُ كذلك في نَظْرةِ مَلكةِ سبأ، وتَفْضيلها السِّلْم على الحربِ للمحافظة على ما حَقّقته من منجزاتٍ لشعبها، وقد نقلتْ هذا الإحساسَ إلى نفوسِ الملأ من قومها وهي تصفُ الكتابَ بأنه (كريم).

فواضحٌ أنها لا تريدُ المقاومةَ والخصومة، ولكنّها لا تقولُ هذا صراحةً، وإنّما تمهِّدُ له بذلك الوصف، ثم تطلبُ الرّأي بعد ذلك والمشورة، وهنا تظهرُ شخصيةُ المرأةِ العاقلةِ التي تكرهُ الحروبَ والتّدميرَ، وتعرفُ نتائجَها؛

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٢٧.

ولذا أشارتْ عليهم بأن يسلكوا مع هذا الملك مَسْلَكاً سلميّاً بإرسال هديةٍ فخمةٍ إليه، تترضّاه وتختبره[١].

وقد اهتمّ سليمانُ بالعلاقات الدُّبلوماسية لإيصالِ دعوةِ التّوحيد، وتوطيدِ مملكته، ونَجَح في ذلك نجاحاً عظيماً، فقد كان عليه السلام حَصِيْفاً في معاملته للملوك، ومُراعياً للأعراف الدُّبلوماسية؛ كما رأينا في تَواصُلِه مع مملكة سبأ، فقد كانت سياستُه الدّاخلية قائمةً على العدل ورَفْع الظلم، ومساعدةِ المحتاجين والفقراء والارتقاء بالشّعب والدّولة في القِيم الرُّوحية والمادية، والالتزام بشرعِ الله عزَّ وجلَّ.

وأمّا علاقاته الخارجيةُ، فالأصلُ فيها السِّلم، ودعوةُ النّاس للخيرِ مع الاستعداد لأيِّ تجاوزٍ قد تقوم به أيُّ دولةٍ في ذلك العصر.

### سادساً: ثمراتُ الحُكْم الرّشيد في عهد سليمان عليه السلام:

بسببِ التوفيقِ الرّباني، والمنهجِ الرّشيدِ الذي سار عليه سليمانُ عليه السلام، فقد ظهرتْ في عهده ثمراتٌ نهضويّةٌ، وتفوُّقٌ حضاريٌّ في مجالاتٍ إنسانيةٍ كثيرة، ومن أهمِّها:

#### ١ ـ النَّهضة العلميّة:

يُعدُّ العِلْمُ أساس النّهضة في المجتمع، وقد تنبّه سليمان عليه السلام لأهمية العِلْم، فقال واصفاً نفسه وجنده: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

---

(١) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق سبع، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢م، (٣/ ١٩٧).

وأشارت الآيات القرآنية إلى التفوق العِلْمي الذي كان سائداً في زمن سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

فكم من قدرات وطاقات هائلة وصل إليها ذلك المشروع بنهضته العِلْمية[1]!!

**٢ ـ النّهضةُ الإعلاميّةُ:**

لا أحدَ يُغفلُ قيمةَ الإعلام ودوره في أيِّ نهضة، ومن أهمِّ وسائلها البانية لها: الإعلام، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، إلى أهمية استثمارِ العمل الإعلاميِّ والتّواصلِ الإعلاميِّ، فقد حقّق نجاحاتٍ باهرةً، وأهدافاً خالدة.

**٣ ـ النّهضةُ العمرانيّة:**

أشرنا فيما سبق إلى النّهضة العمرانية في عهد النبي سليمان عليه السلام، ونكتفي هنا بإيراد الآيات القرآنية التي سردتْ أقباساً من تلك النّهضة، وأشارت إلى بعض تفاصيلها، كقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]؛ وهذا عنوانُ تقدُّم أيِّ حضارةٍ ونجاحها.

---

(١) القصص القرآني أهدافه وخصائصه، ص١٩٣.

**٤ ـ نهضةُ المواصلاتِ والاتصالات:**

تظهر هذه النّهضةُ في سرعةِ نقل المعلومات، كما في قصّة الهدهد، وفي سرعةِ نقل الأشياء كما في قصّة نَقْل عرشِ ملكة سبأ، وفي استخدام الرِّيح في التنقُّل، وكلُّ ذلك يدلُّ على تطوُّر واضح ونهضة جليّة في مجالات التّواصل والاتصالات والمواصلات.

**٥ ـ النّهضةُ العسكرية:**

تتجلى هذه النّهضة بوضوح، وهي بيّنة لا تحتاجُ دليلًا، ولا توضيحاً، ويكفي فيها وصفُ سليمان لجنده وثقته بقوته العسكرية: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]، وكذلك تظهر في إعداده وتجهيزه لجيشه، واستعراضه له، واعتنائه بخيله: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ [ص: ٣١].

**٦ ـ النّهضةُ الصِّناعية:**

تبدو النّهضةُ الصِّناعيةُ واضحةً من كثرة الصِّناعات في مملكة سليمان عليه السلام، يقول سبحانه: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ [سبأ: ١٣].

هذه أنواعٌ وأشكالٌ أشرتُ إليها، وشرحتُها عند حديثي عن الآيات في سورة سبأ، وهي تنمُّ عن نهضةٍ صناعيةٍ حقيقية متطوِّرة وراسخة، فبناءُ المحاريب (أماكن العبادة) التي تمثِّل فن الهندسة المعمارية، وإقامة التماثيل التي تشكِّل الصِّناعات الزُّخرفية، وصناعة الجِفان (آنية الطبخ) التي مثّلت صناعة أدوات المعيشة، وصناعة القُدور الرّاسيات التي تُشيرُ إلى الصِّناعات

المعدنية الثقيلة، واستخدامه للنُّحاس في الصِّناعة: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وكل ذلك يدلُّ على مقدار التّطوُّرِ الصِّناعي، والنّهضة الصِّناعية في مشروعِ سليمان عليه السلام الحضاري.

**٧ ـ النّهضةُ البحريةُ:**

تجلّت النّهضة البحرية في عهد سليمان عليه السلام باستثمار البحر، والغوص فيه، واستخراج كنوزه، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

ويقول أيضاً سبحانه: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧] (١).

**٨ ـ النّهضة التِّجاريّة:**

كانت هذه النّهضة مزدهرة في البحارِ بالأساطيل البحرية، وفي البرِّ عن طريق القوافل مع بلاد الشّام والعراق ومصر واليمن والعالم القديم، الذي وصلتْ إليها تجارةُ دولة سليمان عليه السلام، فقد كان مشروعُ النّهضةِ الحضاريّ الذي قاده سليمان من خلالِ مملكته قائماً على:

ـ توحيد الله عزَّ وجلَّ، وهو المنهج الذي صحب البشريّة منذ نشأتها، وعليه قامت الحياة وعمرت الأرض، ومن أجله خلق الله الجِنّ والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومحاربة الشِّرك والكفر، والتّصدِّي لأفكاره بالعقل والمنطق وخطاب الأنبياء والمرسلين، وتوظيف موكب الرِّسالات والنُّبوّات في ذلك.

---

(١) القصص القرآني أهدافه وخصائصه، ص١٩٣.

ـ عدَّ سليمان عليه السلام العبودية لله أساسَ القيم كلِّها، فهي قيمة كليّة شاملة مهيمنة على القيم الأخرى، بل على الوجود الإنساني كلِّه، وذلك لأنها تبدأ بالإيمان بالله رباً وإلهاً مشرعاً.

ـ نجح سليمان عليه السلام في تحقيقِ العبوديةِ لله، وعمارة الأرض، والعمل بمقوِّمات الاستخلاف فيها، واستخدم سُنّة الله في عمارتها؛ مستخدماً العقلَ والفِطْرة والحواسّ، والمنهج الرّباني، وحقّق بذلك مفهومَ الاستخلافِ في الأرض.

ـ وقاد حضارةً ربانيّةً تسعى لنشر العلوم والمعارف، والنّظر إلى العِلْم باعتباره يشتمل على جميع المعارفِ الإنسانية، سواء كان مصدرُها العقل، واكتشاف قوانينِ الكون، والتعرُّف على المعادن وخواصِّها، أو الحسّ والتّجربة، أو كانت بتعليم الوحي والشّرع الإلهي، فعملَ على تنفيذِ أحكام الله بين الناس في مملكته المتعدِّدة الأجناس والمخلوقات، وتعامَلَ بنجاحٍ مع سُنَنِ الله، مثل سُنّة الأخْذِ بالأسباب، والابتلاء والتّمكين والتّدافُع... إلخ.

**سابعاً: الملك العظيم:**

استجاب الله عزَّ وجلَّ لدعوة سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

وقد ذَكَر الله عزَّ وجلَّ في كتابه أنه أعطى آلَ إبراهيم الكتابَ والحِكْمَةَ والملكَ العظيم، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

١ ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾؛ المرادُ بالنّاس

محمد ﷺ وأصحابه، أو المرادُ محمد ﷺ وحده، وجاز أن يقعَ عليه لفظُ الجمع وهو واحد؛ لأنه عليه الصّلاة والسلام اجتمعتْ فيه من خصالِ الخير والبركةِ ما لم يجتمعْ مثلها في جماعة، ومن هذا القبيل يقال: فلان أمة وحده، يعني أنّه يقومُ مقامَ أمة[١].

٢ ـ ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، فقد جَعَلْنا في أسْباط بني إسرائيل ـ وهم من ذُرِّية إبراهيم ـ النُّبوّة، وأنزلنا عليهم الكتابَ، وأعطيناهم مُلْكاً كبيراً، حتى جَمَعَ الله لبعضهم النُّبوّةَ والملكَ، كداود وسليمان عليهما السلام[٢].

وذَكَر الطّبريُّ رحمه الله: ذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذُرِّيّته من النُّبوّة والكتاب والملك الذي أعطاه مَنْ أعطاه من أنبيائه، كداود وسليمان، فإنعامُه لم يزلْ مستمراً على عبادِه المؤمنين، فكيف ينكرون إنعامَهُ بالنُّبوّة والنّصر والملك لمحمد ﷺ أفضل الخلق وأجلِّهم وأعظمهم معرفة بالله، وأخشاهم له؟[٣].

لقد تميّز عهدُ سليمان عليه السلام بالملك العظيم، ولا نعلمُ أنّ هناك مُلْكاً أعظمَ من ملكه، فقد كانت مملكته تقودُ الجِنّ والإنس والطّير.

وقد استجاب الله الوهّابُ الكريم لدعاء سليمان عليه السلام، ومنحه هذا

---

(١) التفسير الموضوعي، (٢/ ٩٥).
(٢) المصدر نفسه، (٢/ ٩٥).
(٣) تفسير الطبري، (٤/ ٨٨).

الملك[١]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

### ثامناً: ملكة سبأ وحديث الرّسول ﷺ:

جاء في الحديث النبوي: «**لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأة**»[٢].

هذا الحديثُ لو أُخِذ على عمومه لعارضَ ظاهرَ القرآن، فقد قصّ علينا القرآنُ قصّةَ امرأةٍ قادتْ قومَها أفضلَ ما تكون القيادة، وحَكَمَتْهم أعدلَ ما يكونُ الحُكْم، وتصرّفتْ بحِكْمَةٍ ورشدٍ أحسن ما يكونُ التّصرف، ونَجَوا بحُسْنِ رأيها من التّورُّط في معركةٍ خاسرةٍ يهلك فيها الرجالُ، وتذهبُ الأموال، ولا يجنونَ من ورائها شيئاً، وكان حُكْمُها يقومُ على الشُّورى، فقادت قومَها إلى خيري الدُّنيا والآخرة[٣].

ولذلك ذهب مجموعةٌ من العلماء إلى الردِّ على مَن استدلّ بهذا الحديث أنّ الإسلامَ منع مساواةَ المرأة مع الرجل في الحقوق السِّياسيّة؛ ومنها المناصب الرئيسية في الدّولة، رئاسة كانت، أو وزارة، أو عضواً في مجلس الشورى، أو أيّ إدارة من مختلف إدارات الحكومة، واستدلُّوا لرأيهم بالنقاط الآتية:

أ ـ يمنع الحديثُ الشريفُ المرأةَ من الولاية العامة على الأمة كلها، أيْ

---

(١) أنبياء الله، أحمد بهجت، ص٣٢٩.

(٢) البخاري، رقم ٤١٦٣.

(٣) البرلمان في الدولة الحديثة، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ٢٧٥.

رئاسة الدّولة بدلالة كلمة (أمرهم)، فإنّها تعني أمرَ قيادتهم ورياستهم العامة، أما بعضُ الأمر فلا مانع أن يكونَ للمرأة ولايةٌ فيه، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد، أو التعليم أو الرواية والتحديث، أو الإدارة ونحوها، فهذا ممّا يُسمح به بالإجماع، وقد مارسته المرأةُ على توالي العصور، حتى القضاء أجازه أبو حنيفة فيما تشهدُ فيه، أي في غير القصاص والحدود، وإنّما في الأموال، وقد قال بإباحته جماعةٌ من المجتهدين من أعلام كلِّ مذهبٍ من المذاهب الإسلامية.

وهذا يدلُّ على عَدَم وجودِ دليلٍ شرعيٍّ صريحٍ يمنعُ تولِّيها القضاء، وإلا لتمسّك به ابنُ حزم، وقاتل دونه، وجمد عليه كعادته[1].

ب ـ قال الأستاذُ راشد الغنّوشي في كتابه: «**المرأة بين القرآن وواقع المسلمين**»: والنتيجةُ أنه ليس هنا في الإسلام ما يقطعُ بمنع المرأة من الولايات العامة قضاء أو إمارة، حتى على فرض ذَهَبْنا مع الجمهور إلى مَنْعِها من الولاية العامة (رئاسة الدّولة)، فبأيِّ مستمسكٍ يستمسكُ غاصبو حقِّها المشاركة في إدارة الشؤون العامة في كلّ المستويات[2]؟!

ليس لهم مستمسكٌ غير التقليد، وليتهم قلّدوا الآباءَ في عصورهم الذّهبية؛ عصور تحرُّر العقل وانطلاق الأمة، إذاً لكانوا أهدى سبيلًا، ولقرؤوا عند شيخ المفسِّرين الإمام أبي حنيفة وفقيهنا الثّائر الأندلسي

---

(١) من فقه الدولة في الإسلام، القرضاوي، ص١٦٦.

(٢) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، راشد الغنوشي، مركز المغاربي للبحوث والترجمة، الطبعة الثّالثة، ٢٠٠٠م، ص١٢٦.

ابن حزم، أنهم قد أجازوا للمرأة لا مجرّد المشاركة في الانتخابات، أو الانتماء إلى الأحزاب، أو القيام ببعض وظائف الدّولة، كالكتابة والوزارة، بل قد أجازوا لها تولِّي القضاء، وهو من الولايات العامة التي تُقاس شروطُ الولايةِ عليها.

ولو تحرّروا من تقليدِ آباء عصور الجمود، وامتدّتْ أبصارُهم إلى أبعد من ذلك: إلى عصر التّشْريع، عصر النّبيِّ ﷺ وخلفائه عليهم رضوان الله، ومقاصد الشّريعة الغَرّاء في العدل بين النّاس، والمساواة من أخصِّ معانيه... لألْفَوا المرأةَ لا تشاركُ في الرّأي فحسب في الشُّؤون العامة، بل تشاركُ بالسيف أيضاً، وتتدخّل في ساعة الأزمات بالرّأي السّديد والحلِّ المنقذ، كما تدخّلت أمُّ سَلَمة رضي الله عنها في صُلْح الحديبية لمّا أغضب الصّحابةُ نبيّهم فلم يطيعوه، فدخل عليها مهموماً، فأشارتْ عليه بالحلّ الذي أنقذ الموقف، في أحرج موقف عرفته العلاقةُ بين القائدِ وصحبه، فهل اعترض النّبيُّ ﷺ بحجّة أنّ هذه سياسة، وأنّ السِّياسةَ والحُكْمَ خارجان عن دائرةِ أعمالِ المرأة؟[1].

وهل كان رئيسُ مجلس الشُّورى عبدُ الرحمن بن عوف، وهو ينفِّذ وصية عمر بن الخطاب في إفراز أحد المرشحين السِّتة للخلافة، فما ترك أحداً في المدينة إلا استشاره، حتى إنّه كان يدخلُ إلى خُدُورِ النّساء لأخذ رأيهنّ في المرشّح الأفضل، هل كان غائباً عنه كتاب الله وسُنّة نبيِّه بما في ذلك آيةُ القِوامة وحديث بنت كسرى؟ أم لأنّه كان مستحضراً كلّ ذلك لم

(١) المصدر نفسه، ص١٢٦.

يهملْ رأيَ النساء في الشّأن العظيم، كيف لا والشُّؤون العامة تنعكسُ نتائجُها على الرجال والنِّساء على حدٍّ سواء، فبأيِّ مبرِّر تُقصى المرأةُ عن شأنها، وهي إنسانٌ مكلّف كامل التّكليف[١]؟!

ج ـ قال الشّيخُ الدكتور عبد الله دراز رحمه الله: إن القرآنَ يقرِّرُ مشاركةَ الرجل والمرأة في كيان الدّولة والمجتمع سواء، عدا بعض استثناءاتٍ قليلة متّصلة بخصوصيّتها الجنسية، ويَجْعَلُ لها الحقّ مثله في النّشاط الاجتماعي والسِّياسي بمختلفِ أشكالِه وأنواعه، ومن جُملةِ ذلك الحياة النِّيابية وغير النِّيابية ممّا يتّصل بتمثيل طبقات العامّة والجهود والدّعوات والتّنظيمات الوطنية والكفاحية والاجتماعية، وبتمثيل طبقاتِ الشعب ووَضْع النُّظُم والقوانين، والإشراف على الشُّؤون العامة والجهود والدّعوات والتّنظيمات الوطنية والكفاحية والإصلاحية[٢].

وفي نهاية كتاب الأستاذ راشد الغنوشي: «**المرأة بين القرآن وواقع المسلمين**» قال: إنه ليس في الإسلام ما يبرِّرُ إقصاءَ نصف المجتمع الإسلامي عن دائرة المشاركة والفعل في الشُّؤون العامة، بل إنّ ذلك من الظُّلم للإسلام ولأمته قبل أن يكونَ ظلماً للمرأة ذاتها، لأنّه على قدر ما تنمو مشاركةُ المرأةِ في الحياة العامة على قدر ما يزدادُ وَعْيُها بالعالم، وقدرتها على السّيطرة عليه، وأنه لا سبيلَ إلى ذلك من غير إزالةِ العوائقِ الفكرية والعملية من طريقِ مشاركتها في الشُّؤون العامة، والارتقاء بوَعْيِها بالإسلام

(١) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٢) دستور الأخلاق نقلًا عن نظام الحكم في الإسلام، القاسمي، ص٣٤٣.

والعالم حتى تكون مساهمتُها فعّالةً في صناعة جيلٍ يخرجُ عن خُويصةِ نفسه لينخرطَ في الهموم العامة للأمة والإنسانية.

إذاً، نحن مع حقِّ المرأةِ الذي قد يرفعُ أحياناً إلى مستوى الوجوبِ في مشاركتها في الحياة السِّياسيّة على أساسِ المساواة الكاملة غير المنقوصةِ في إطار احترامِ أخلاقيّات الإسلام، فإنّما التّفاضلُ بالكفاءة والخُلُق والجهد لا بالجنس أو اللون.

وتأمّلْ هذه الآية العظيمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

فما أحوج صَحْوتنا ونهضتنا إلى قياداتٍ نسائيّة على كلِّ صعيدٍ من مرتبة عائشة وخديجة وأم سَلَمة وفاطمة وأسماء وأم عمّار رضي الله عنهم، وزينب الغزالي، والدكتورة سعاد الفاتح... فأين بناتنا؟[1].

إنّ الأصلَ العامّ الذي اجتمعتْ عليه الأمّة هو أنّ جميعَ المسلمين ذكوراً وإناثاً سواءٌ في الخطابِ بالأحكامِ الشّرعية. فخطابُ الذُّكور موجّه للنساء إلا ما وَرَدَ بتخصيصه نصٌّ أو إجماعٌ.

وكما يقولُ الشّاطبيُّ: الرجلُ والمرأةُ مستويان في أصلِ التكليفِ على الجُملة، ومفترقان بالتكليفِ اللائقِ بكلِّ واحدٍ منهما، كما في الحيضِ والنّفاس والعدّة وأشباهها بالنّسبة إلى المرأة، والاختصاص في مثل هذا لا بنصٍّ صريح[2].

---

(١) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، ص١٣٣.

(٢) البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، ص٢٥٧.

٢ ـ ومناسبة الحديث المذكور تُؤيِّد تخصيصه بالولاية العامة، فقد بلغَ النّبيّ ﷺ أنّ الفرسَ بعد وفاة إمبراطورهم، ولّوا عليهم ابنته بوران بنت كسرى فقال ﷺ: «**لن يُفْلِحَ قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة**». فكان الحديثُ وصفاً لحالِ الفُرْسِ المتردِّي، وقراءةً بصيرةً في سُنَن قيامِ الدُّول وانحلالها، فهذا إخبارٌ عن حال، وليس تشريعاً عامّاً ملزماً، ذلك ممّا يدلُّ عليه فقه الحديث[1].

وصحيحٌ أنّ أغلبَ الأصوليين قالوا: إنّ العِبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوصِ السّبب، ولكن هذا غيرُ مجمع عليه، وقد وَرَدَ عنِ ابنِ عبّاسٍ وابن عمر رضي الله عنهما ضرورةُ رعايةِ أسباب النُّزول والمناسبات، وإلا حَدَثَ التّخبط في الفهم، ووقع سوءُ التفسير، كما تورّط في ذلك الحروريةُ من الخوارج وأمثالهم، الذين أخذوا الآياتِ التي نزلتْ في المشركين، ففهموها على المؤمنين، فدلّ هذا على أنه يجبُ أن نرجعَ إلى أسباب ورود الأحاديث في فَهْمِ النصِّ، ولا يُؤخذ عمومُ اللفظ قاعدةً مسلّمة.

ويؤكِّد هذا الحديثُ خاصّة: أنه ـ لو أُخِذَ على عُمومه ـ لعارضَ ظاهرَ القرآن، فقد قصّ الله علينا قصّةَ امرأةٍ نجحتْ في قيادة قومها على المستوى الاجتماعي والسياسي والقيادي، بل قادتهم إلى الإيمان بالله ربِّ العالمين.

كما يؤكِّد صرفُ العموم: الواقع الذي نَنْشُده، وهو أنّ كثيراً من النساء قد كُنّ لأوطانهن خيراً من كثيرٍ من الرجال، وإن بعضَ هؤلاء النساء أرجحُ

(١) في الفقه السياسي الإسلامي، فريد عبد الخالق، ص١٢٦.

في ميزانِ الكفايةِ والمقدرة السِّياسيّة والإدارية من كثيرٍ من حُكّام العرب والمسلمين[١].

٣ ـ إنّ علماءَ الأمة اتّفقوا على مَنْع المرأةِ من الولاية الكُبرى أو الإمامة العُظْمى، وهي التي وَرَدَ في شأنها الحديث، ودلّ عليها سبَبُ وُرُودِه، كما دلّ عليها لفظٌ (ولّوا أمرَهم) وفي رواية: «تملُكهم امرأة»، فهذا إنّما ينطبقُ على المرأة إذا أصبحتْ خليفةً للمسلمين، وهو ما لا يوجدُ اليومَ بعد أن هدمتْ قلعةُ الخلافةِ على يد أتاتورك عام (١٩٢٤م)، وقد يرى بعضُ العلماءِ أن يقيسَ على ذلك ما إذا أصبحتْ ملكةٌ أو رئيسةُ دولةٍ ذات صَدارةٍ نافذة في قومها، لا يُردُّ لها حُكْم، ولا يُرْفَضُ لها أمرٌ، وبذلك يكونون قد ولّوها أمرَهم حقيقةً؛ أي أنّ أمرهم العام أصبحَ بيدها وتحت تصرُّفها، ورَهْن إشارتها.

وقد يخالفُهم آخرون بأنّ رئاسةَ الدّولةِ القُطْريّة في عَصْرِنا أشبه ما تكونُ بولايةِ الولاة قديماً على أحدِ الأقاليمِ كما كان الولاةُ على مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها.

أما ما عدا الإمامةِ والخلافةِ وما في معناها من رئاسةِ الدّولة، فهو ممّا اختلف فيه، وهو يتّسعُ للاجتهاد والنظر، وقد ولّى عمرُ بنُ الخطاب الشِّفاءَ بنتَ عبد الله العدوية رضي الله عنهما على السُّوق تحتسبُ وتراقب، وهو ضَرْبٌ من الولايةِ العامة، وينبغي الأخذُ بالتّدرُّج في هذا وَفْقَ ظروفِ

---

(١) من فقه الدولة في الإسلام، ص١٧٥ ـ ١٧٦.

المجتمع، ودرجةِ نموِّه وتطوُّره، فتُعْطَى المرأةُ ما يناسبها من الوزاراتِ، وتقضي في مجال الأسرة أولاً ثم في الأمور المدنية[١].

٤ ـ إنّ المجتمعَ المعاصرَ في ظلِّ النُّظُم الحديثةِ حين يولِّي المرأةَ منصباً عاماً كالوزارة أو الإدارة أو النِّيابة أو نحو ذلك، فلا يعني ذلك أنه ولاها أمره بالفعل، وقلّدها المسؤوليةَ عنه كاملة، فالواقعُ المشاهدُ أنّ المسؤوليةَ جماعيةٌ والولاية مشتركةٌ، تقومُ بأعبائها مجموعةٌ من المؤسّسات والأجهزةِ، والمرأةُ إنّما تحملُ جزءاً منها مع مَنْ يحملُها[٢].

وبهذا نعلمُ أنّ حُكْم (تاتشر) في بريطانيا أو (أنديرا) في الهند أو(جولد مائير) في فلسطين المحتلة ليس هو ـ على التحقيق والتأمُّل ـ حُكْم امرأةٍ في شعب، بل هو حُكْم المؤسّسات والأنظمةِ، وإن كان فوقَ القمة امرأة. إنّ الذي يحكمُ هو مجلسُ الوزراء بصفته الجماعية، وليستْ رئيسة مجلس الوزراء، ومثل ذلك مجلس الشُّورى، أو مجلس النُّوّاب ونحوهما، فليست هي الحاكمةُ المطلقةُ التي لا يُعْصَى لها أمرٌ، ولا يُرفَضُ لها طلب، فهي إنّما تترأّس حزباً يعارضُه غيره، وقد تُجْرِي هي انتخابات، فتسقط فيها، كما حدث لأنديرا في الهند، وهي في حِزْبها لا تمتلك إلا صوتاً، فإذا عارضتها الأغلبيّةُ غَدَا رأيُها كرأي أي إنسانٍ في عُرْضِ الطّريق[٣].

---

(١) البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، ص٢٧٧.

(٢) من فقه الدولة في الإسلام، ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٦.

وممن ناقشَ هذا الحديثَ «**لن يُفْلِحَ قومٌ ولُّوا أمرَهُم امرأة**» [١] الدكتور قاسم قول بيك محمد بلوج في كتابه: «**شبهات وردود حول الأحاديث الصّحيحة الخاصّة بالمرأة**».

وقد ردّ في كتابه على الانتقادات الموجّهة للحديث[٢]، وما دار حوله من جَدَل. وكذلك الدكتور ناظم محمد المسباح في كتابه: «**المرأة والولاية العامة**» وخرجَ بنتائجَ مهمة، حيث قال:

ـ إنّ شَرطَ الذُّكورة معتبرٌ شرعاً فيمن يتولّى منصبَ الولاية العامة بجميع أنواعها، وعليه فلا يجوزُ أن تتقلّدَ المرأةُ منصبَ الولايةِ العامة، وهذا بإجماعِ العلماءِ باستثناءِ مسألة القضاءِ للمرأةِ فيما يجوزُ أن تشهدَ فيه، فقد أجازه أبو حنيفة وغيره.

ـ إنّ الأدلّة التي استدلّ بها من أجاز التولية مرجوحةٌ لا تقوم بها حُجّة على المقصود[٣]، وناقشَ أدلةَ الفريقين نقاشاً حيادياً علمياً، وانتهى إلى بيان الراجح من المرجوح.

وأما الدكتور عرفة محمد عرفة فقد توسّع في المسألة في كتابه: «**مباشرة المرأة للحقوق والحريات السِّياسيّة**» وذَكَر كلّ الأقوالِ في المسألة. فمن أراد التّوسُّع فليرجعْ إليه، وانتصر لرأي الفقهاءِ القدامى والمعاصرين الذين قالوا

---

(١) البخاري، رقم ٤٤٢٥.

(٢) شبهات وردود حول الأحاديث الصَّحيحة الخاصة بالمرأة، ص٢٠١.

(٣) المرأة والولاية العامة في الإسلام، د. ناظم محمد، ص٢٠٣.

بعَدَم تولِّي المرأة الخلافة (رئاسة الدّولة) سواء كان الحُكْمُ حُكْمَ فردٍ أو حُكْم مؤسّسات، وذَكَر أدلّته في ذلك[١].

وقال: اختلف الفقهاءُ في جواز تولِّي المرأةِ الخلافة على آراء متعدِّدة منها:

**الرّأي الأول**: ـ وهو الذي انتصر إليه ـ فقال: وهو رأيُ الصّحابة والتابعين وجمهور فقهاء الأمة حتى جزمَ بعضُهم بالإجماع، قالوا: إنّ المرأةَ لا يجوزُ أن تليَ أمرَ الخلافة، ولو اتصفتْ بجميع خِلال الكمال وصفات الاستقلال[٢]، وسواء كانت حاكمة مُطْلَقة بيدها مقاليد الأمور، أم كان يشاركُها في الحُكْم أجهزة ومؤسّسات مختلفة. وممن قال بهذا الرّأي من المعاصرين:

ـ لجنة الفتوى في الأزهر الشّريف[٣]، والشّيخ عبد العزيز بن باز[٤]، والعلامة أبو الأعلى المودُودي[٥]، والشّيخ أبو زهرة[٦]، والدكتور مصطفى

(١) مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية، (١/ ٢٨٩).

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (٢/ ٥٥٦)، الحاوي الكبير، الماوردي، (١٦/ ١٥٦)، شرح المواقف، الإيجي، (٧/ ٣٨١)، نيل الأوطار، (٨/ ٣٠٤). شرح القدير، للكمال ابن الهمام، (١/ ١٢)، الأشباه والنظائر، ابن نحيم، ص٣٩٦.

(٣) من فتاواها الصَّادرة عام ١٩٥٢م مجلة رسالة الإسلام، (٣/ ٣٢٤).

(٤) مجلة التَّوحيد السنة الخامسة والعشرون، العدد الخامس، ص٣٣.

(٥) مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية، (١/ ٢٣٤).

(٦) المصدر نفسه، (١/ ٢٣٥).

السباعي[١]، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[٢]، والأستاذ صلاح عبد الغني[٣]، والأستاذ عبد الحليم أبو شقة[٤]، والشّيخ حسنين مخلوف[٥]، والدكتور محمد رأفت عثمان[٦]، والدكتور محمد بلتجي. واستحضر باستدلالاتهم على المسألة من القرآن والسُّنّة والإجماع، وقاعدة سدِّ الذّرائع، والاستناد إلى مهامِّ الخليفة، والاستناد إلى طبيعةِ المرأة[٧].

٥ ـ أشهر القائلين بجواز أن تتولّى المرأةُ رئاسةَ الدّولة مطلقاً، سواء أكان بيدها مقاليد الأمور، أم كان يشاركُها في الحُكْم مؤسّسات مختلفة؛ وهذا الرّأي للإمام ابن جرير الطّبري وأبي ثور[٨]، ومن المعاصرين محمد الغزالي[٩]، وشيخ الأزهر محمد سيِّد طنطاوي[١٠].

٦ ـ **الرّأي الثّالثُ**: يرى أصحابُ هذا الرّأي أنّ المرأةَ لا تصلحُ أن تتولّى الخلافةَ قديماً لكون مقاليد الأمور كانت جميعُها بيد الخليفة، أمّا اليوم فإنّها

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، ص٢٧ ـ ٢٨.
(٢) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرَّباني، ص٦٩.
(٣) الحقوق العامة للمرأة، (١/ ٢٥٣).
(٤) تحرير المرأة في عصر الرِّسالة، (٢/ ٣٦٨).
(٥) فتاوى دار الإفتاء المصرية عام ١٩٥٢م، ص١٠٤.
(٦) الإمامة العظمى، محمد رأفت عثمان، ص١١٦.
(٧) المصدر نفسه، ص١١٦.
(٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (٢/ ٤٦٠).
(٩) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص٥٦.
(١٠) مباشرة المرأة للحقوق السياسية، (١/ ٢٣٧).

تصلحُ أن تكونَ رئيساً للدولة[١]؛ لأنّ رئيسَ الدّولة ليس حاكماً مُطْلَقاً، بل هو جزءٌ من مجموعة مؤسّسات تديرُ هذا الحكم. وعلى رأس القائلين بهذا الرّأي الدكتور محمد عمارة، والدكتور عبد الحميد متولي، والدكتور سليم العوا، والدكتور عبد الحميد الأنصاري[٢].

٧ ـ **الرّأي الرّابع**: وهو لبعض فِرَقِ الخوارج (فرقة تُدْعى الشّبيبة) أجازوا إمامةَ المرأة إذا كانت منهم، وقامت بأمورهم، وخرجتْ على مخالفهم.

٨ ـ **الرّأي الخامس**: ساقه الكاساني في «البدائع» ولم ينسبه لأحد قال: إن المرأةَ إذا صارت إماماً بالقوة والغَلَبة جازتْ إمامتُها حَقْناً للدماء باعتبارها خلافة ضرورة، وتُزال عند الضّرورة[٣].

وبغَضِّ النظرِ عن هذه الاختلافات والآراء، فإنّ القرآنَ الكريمَ قدّم ملكةَ سبأ بصورةِ المرأةِ العاقلة، التي كانت تديرُ حُكْمَها بالنِّظام البرلمانيِّ الشُّوري، والمرأةِ الذّكيّةِ الحريصةِ على سلامةِ شَعْبِها وقادتهم للتّوحيد، وإلى الاندماج الحضاريِّ مع مملكة سليمان عليه السلام صاحبِ أقوى مملكةٍ في عصره، التي قادها بشَرْع الله عزَّ وجلَّ وما دخلتْ في دِينِ الإسلام إلا بعد ما استبان لها أنه الحقُّ، وأنّ سليمانَ عليه السلام نبيٌّ من أنبياءِ الله مؤيّدٌ بالبراهين، والأدلة السّاطعة، والحُجَجِ الدّامغة.

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ٢٣٧).

(٢) مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية، (١/ ٢٣٧).

(٣) المصدر نفسه، (١/ ٢٣٨).

## تاسعاً: تجديد بناء المسجد الأقصى، ولمحاتٌ من تاريخه:

### ١ ـ الأقصى بُني بعد الكعبة بأربعين عاماً:

عن أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مسجدٍ وُضع في الأرض أولاً؟

قال: «**المسجد الحرام**».

قلت: ثم أي؟

قال: «**المسجد الأقصى**».

قلت: كم بينهما؟

قال: «**أربعون سنة**» (١).

إنّ هذا الحديثَ الصّحيحَ يدلُّ على أنّ إبراهيمَ عليه السلام هو باني الكعبة والأقصى، ويُحدِّد المدةَ الزمنيةَ بين بنائهما بأنها أربعون سنة(٢).

وهناك من العلماء من يقولُ أنّ أوّل من بنى بيتَ المقْدِس هو نبيُّ الله يعقوب حفيد إبراهيم عليهم السلام(٣)، وهذا معناه أنّ المسجدَ الأقصى بني في القدس، قبل وجود إسرائيل، وقبل دُخولهم فلسطين بعد موسى عليه السلام، وقبل ملك داود وسليمان، وقبل بناءِ سليمان الهيكل كما يزعمُ اليهود.

---

(١) البخاري، رقم ٣٣٦٦، مسلم، رقم٥٢٠.

(٢) القصص القرآني، الخالدي، (١/ ٤١٤).

(٣) فبهداهم اقتده، ص٣٢٣.

فكونُ القدسِ بلداً إسلامياً هذا أمرٌ قديمٌ، منذ إبراهيم عليه السلام على الأقلّ، وجَعْل الأقصى مسجداً لله تعالى هذا قديمٌ أيضاً، قبل أن يُوجَدَ اليهود، ويدّعوا أنّ لهم حقاً في فلسطين بمئات السنين، فحقُّ المسلمين في القدس سابقٌ لأي حقٍّ يهوديّ أو نصراني ـ إن كان لليهود أو النّصارى حقٌّ فيها ـ وهذا الحقُّ ثابتٌ لهم منذ أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام.

ونعلمُ أنّ المسجدَ الأقصى الذي بناه إبراهيم عليه السلام قد عَدَتْ عليه العَوَادي، وأنه قد تهدّم، ولكن مكانه بقي معروفاً، وبقي (الأقصى) مقدّساً، والرّسولُ ﷺ كان إمام الأنبياء في الصّلاة على أطلالِ بناءِ الأقصى في ليلة الإسراء والمعراج[1]، ومن ثَم قام المسلمون بتجديد بناءِ المسجدِ الأقصى بدايةَ عهد عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، ودخل بيت المقدس، وأعطى الأمان لأهلها، وكُتِبتِ المعاهدةُ العمرية، وبقيت العهدةُ العمرية المشهورة موجودةً حتى اليوم، وهي محفوظةٌ في كنيسة القيامةِ بالقدسِ بنصِّها.

ودخل عمرُ بنُ الخطّاب بعد هذه المعاهدة القدسَ، وفُتحت له أبوابُها، وجَعَلَ يتجوّلُ فيها حتّى وصلَ إلى كنيسةِ القيامة، فأذّن المؤذِّنُ وهو فيها، فقال له البطريك: صلِّ. فقال له: لا، أما إنِّي لو صليتُ هنا لأخذَها منكم المسلمون فيما بعد، ويقولون: صلّى عمرُ هنا.

لقد ضربَ عمرُ رضي الله عنه للعالم مثلاً للسّماحة والشّرف، وكان في موضعِ قُوّة، فلو أراد به ألا يبقي فيها حَجَراً على حجر لفعل، ولكنّ عظمةَ

(١) القصص القرآني، (١/ ٤١٤).

الإسلام أشرقتْ في نفسه، وانعكستْ على أخلاقه، وهو الرّجُلُ الشّديدُ الصّلْبُ المعروفُ بالحزم والعزة.

واستمرّ عمرُ الفاروق في تجواله باحِثاً عن المسجدِ الأقصى، فوجده قد حَوّله النّصارى إلى مكانٍ لإلقاء القمامةِ والقذارة، فشمّر عمرُ بن الخطاب عن ساعديه وبدأ يكنسُ وينظِّفُ المسجدَ، فلما رأى المسلمون والقادةُ والجندُ ذلك تجمّعوا، وبدؤوا ينظفون المسجد الشريف. لقد عملَ بذلك كبارُ الصّحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

ثُمّ أخذ عمرُ عباءته فصلّى عليها، ثم تركها هناك، فكانت أوّلَ صلاةٍ للمسلمين في المسجد الأقصى بعد النّبيِّ ﷺ، حيثُ صلّى ركعتين، قرأ في الرّكعة الأولى سورة (ص) التي ذَكَر فيها داود عليه السلام، وقرأ في الرّكعة الثّانية سورةَ الإسراء، وكان الذي أذِنَ بعد ذلك لأول صلاة هو بلالٌ مؤذِّنُ النّبيِّ ﷺ، وكان بلالٌ لم يؤذِّنْ منذ وفاةِ النّبيِّ إلا في الجابية بعدما تجمّعتِ الجيوشُ الإسلاميةُ.

ثُمّ إنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أمر ببناء المسجدِ الأقصى، وهكذا عادت المكانةُ العظيمةُ للمسجد الأقصى بعد الإهانةِ التي فَعَلَها النّصارى به[1].

**٢ ـ المسجد الأقصى في عهد سليمان عليه السلام:**

استمرّ المسجدُ الأقصى قائماً فترةً من الزّمن يرتادُه المؤمنون من زمن

(١) فلسطين التّاريخ المصور، د. طارق سويدان، ص٨٥.

إبراهيم وبنيه عليهم السلام لعبادة الله، ثم عَدَتْ عليه عَوادي الزّمن، من كوارث وحروب، فتهدّم وسقطتْ جدرانه.

وفي عهد سليمان عليه السلام، قام بتجديد بناءِ المسجدِ الأقصى، ليصلِّي فيه المؤمنون، ويعبدوا الله سبحانه وتعالى، والدّليلُ على أنَّ سليمان عليه السلام قام بتجديد بناء المسجد الأقصى، وبناه مسجداً لله؛ ليصلي فيه المؤمنون، ويعبدوا الله سبحانه وتعالى، كما كان منذ نشأته الأولى للصلاة والذِّكْر وعبادة الله تعالى، ما أخرجه النّسائي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ قال:

**«إنّ سليمانَ بن داود عليهما السلام لمّا بنى بيت المقْدِس، سأل الله عزَّ وجلَّ خلالًا ثلاثة:**

**ـ سأل الله عزَّ وجلَّ حُكْماً يصادفُ حُكْمه، فأوتيه.**

**ـ وسأل الله عزَّ وجلَّ مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأوتيه.**

**ـ وسأل الله عزَّ وجلَّ حين فرغَ من بناء المسجد ألا يأتيه أحدٌ لا ينهزُه إلا الصّلاة فيه، وأن يُخرِجَه من خطيئته كيوم ولدته أمه»** (١).

وقد ذهب العلامةُ برهان الدِّين الزركشي إلى أنّ سليمانَ عليه السلام، إنّما كان له من المسجد الأقصى تجديدُه لا تأسيسه(٢).

ويذهب ابنُ قيِّم الجوزيّة إلى أنّ الذي أسّس بيتَ المقْدِس إنّما هو يعقوب

---

(١) سنن النسائي، (٢/ ٣٤)، الأحاديث الصَّحيحة، رقم ٢٥٨.

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص٣٠.

عليه السلام، وأنّ سليمانَ كان مجدِّداً له، وإلى هذا ذهب ابنُ كثير أيضاً[١].

إنّ سليمانَ عليه السلام جدّد بناءَ بيتِ المقْدِس، وجَدّد بناءَ المسجد الأقصى في عهدِ مملكته التي اشتهرتْ بالتّطور المعماري، وبناء التُّحف والقصور والمحاريب، واستفاد من التقدُّم الذي وصلتْ إليه دولتُه في مجالات عدّة، ومنها في نواحي البناء والعُمران وبيوت العبادة، فكان من الطّبيعيِّ أن يجدِّدَ عمارةَ المسجد الأقصى.

إنّ سليمانَ عليه السلام حلقةٌ مضيئةٌ في سلسلةِ الأنبياء المصطفين، ونحن أولى بالحفاظ على المسجد الأقصى، فقد كان نبياً رسولاً، ومَلِكاً خليفة، فكان حُكْمُه حُكْماً إسلامياً عادلاً.

إنّ المسجدَ الأقصى الذي جدّد بناءه سليمان لم يجعَلْه هيكلًا مقدّساً، ولا (كنيساً) يهودياً، وإنّما جَعَلَه مسجداً للصّلاة والعبادة والذِّكْر[٢].

**٣ ـ طلباتٌ ثلاثةٌ لسليمان عليه السلام:**

بيّن الحديثُ النبويُّ السّابقُ الذي رواه النسائي وابن ماجه[٣] أنّ سليمانَ عليه السلام طلب من ربِّه ثلاثةَ أمور، وبما أنه نبيٌّ مقرّب مجابُ الدّعوة؛ فإنّ الله قد استجابَ له، وأعطاه ما طلب.

ـ سأل اللهَ حُكْماً صائباً، وقضاءً صحيحاً، يوافقُ حُكْمَ الله وقضاءه، فآتاه الله ذلك، وكانت أحكامُه صائبة صحيحة، وكان يستدركُ على قضاء

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن، (٣/ ١١٨).

(٢) القصص القرآني، (٣/ ٥٠٨).

(٣) القصص القرآني، (٣/ ٥٠٩).

أبيه داود عليه السلام، كما عَرَفْنا من قضية الحَرْث والغَنَم، وقصة المرأتين والطِّفل.

ـ سأل اللهَ مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ ليكونَ هذا مظهراً لذِكْر الله وشكره، وليستخدمه في طاعة الله، ونَفْع عباد الله، فآتاه الله ذلك، وسخّر له الإنسَ والجِنّ والطّير، وعلّمه منطق الطّير، وكان جيشُه يضمُّ أصنافاً من هؤلاء.

ـ وسأل اللهَ أن يغفرَ لكلِّ مؤمنٍ صالحٍ يأتي إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه، مهما كان مكانُ إقامته، بشرط أن يكونَ هدفه وجهَ الله، وأن يأتيه مخلصاً لله، وألا ينهزه ولا يحرِّكه إلا الصّلاة، فآتاه الله ذلك، وأخبره أنّ كلّ من كان كذلك فإنّه سيغفرُ له، ويخرجُ من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه.

وبقي هذا الحُكْمُ قائماً حتى قيام السّاعة، وينطبقُ على كلِّ مسلم صالح، يأتي المسجد الأقصى بهذا الهدف وهذه الصِّفة، كما ينطبقُ هذا الحُكْمُ الرّباني على ملايين المسلمين من أمّة محمد ﷺ بفَضْلِ دعاءِ سليمان عليه السلام لهم، وهذا يؤكِّد حقيقةَ إيمان أمة محمد ﷺ بالأنبياء والمرسلين السّابقين جميعاً، ومنهم داود وسليمان عليهما الصّلاة والسلام[1].

وقد جدّد عليه السلام بناء المسجدِ الأقصى[2] بطريقةٍ حضاريةٍ متقدِّمة، فاقت في جمالها وبديع بنائها الصّرْحَ الممرّدَ من قوارير.

---

(١) القصص القرآني، (٣/ ٥٠٩).

(٢) الوجود التَّاريخي للأنبياء، سامي العامري، ص٣٠٩.

**٤ ـ فضائل المسجد الأقصى:**

إنّ المسجدَ الأقصى هو أولى القِبْلَتين، وثالث الحرمين الشّريفَين، ومَسْرَى رسولِ الله ﷺ، وقد حثّ النبيُّ ﷺ أن يَشدُّوا الرِّحال إلى ثلاثة مساجد، ثالثها المسجد الأقصى، وقد وردتْ نصوصٌ شرعيةٌ كثيرةٌ تصرِّحُ بأهميةِ المسجد الأقصى، أهمها:

**أ ـ مسرى رسول الله ﷺ:**

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وفيها إشارةٌ إلى التّواصل بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فمعجزةُ الإسراء والمعراج من أعظمِ معجزاتِ نبيِّنا محمّد، وهي ثابتةٌ في الكتاب والسُّنّة حيث أُسْرِي به من مكة المكرمة إلى بيت المقْدِس، وأمّ الأنبياءَ فيه عليهم السلام، ومنه عُرِج به ـ صُعِد ـ إلى السّماء، وفيها فُرِضَتِ الصّلوات الخمسُ المكتوبة، وذلك لأهمية القِبلةِ الأولى للمسلمين، ولأن بيت المقْدِس كان مهْدَ كثيرٍ من الأنبياء قبله ﷺ، فحصل له الإسراءُ ليجمعَ له فضائل عدّة كرماً من الله إليه[1].

وإنّ الرحلةَ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلةٌ مختارةٌ من اللطيف الخبير، تربطُ بين عقائد التّوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد ﷺ خاتم النّبيِّين كما تربطُ بين الأماكن المقدّسة

(١) داود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص٤٤٥.

لديانات التّوحيد جميعاً، وكأنما أُريدَ بهذه الرحلةِ العجيبةِ إعلانُ وراثة الرّسول ﷺ لمقدّسات الرُّسُل قبله، واشْتِمال رسالته على هذه المقدّسات، وارتباط رسالته بها جميعاً[١].

**ب ـ منطلقُ معراجه ﷺ إلى سدْرةِ المنتهى:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُتيت بالبُراقِ فركبتُه حتى أتيتُ بيتَ المقْدِس، فربطتُه بالحلقة التي يربطُ فيها الأنبياء، ثم دخلتُ المسجدَ فصلّيتُ فيه ركعتين، ثم عُرِجَ بي إلى السّماء**»[٢].

**ج ـ أُولى القِبلتَين:**

كان الرّسولُ ﷺ في مكة يصلِّي بين الرُّكنين الأسود واليماني، فتكون الكعبةُ بين يديه، وهو مستقبل بيت المقْدِس، فصلّى إليه عدّةَ أشهر، فعن البراءِ بن عازب أنّ النّبيّ ﷺ كان أوّل ما قدم المدينةَ نزل على أجداده ـ أو أخواله ـ من الأنصار، وأنّه صلّى قِبَل بيت المقْدِس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً.

وكان يُعجبه أن تكونَ قبلته قِبَل البيت الحرام، وأنّه صلى صلاة العصر، وصلّى معه قومٌ، فخرج رجلٌ فيمن صلى معه فمرّ على أهلِ مسجد وهم راكِعُون فقال: أشهدُ بالله لقد صلّيتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة، فداروا كما هُمْ، قِبَل البيت.

---

(١) في ظلال القرآن، (٤/ ٢٢١٢).

(٢) صحيح مسلم، رقم ٢٥٩، مسند أحمد، (٣/ ١٤٨).

وكان اليهودُ قد أعجبهم إذ كان يصلِّي قبلَ بيت المقْدِس وأهل الكتاب، فلما ولّى وَجْهَهُ قبل البيت أنكروا ذلك(١).

**د ـ النّدْبُ لشدِّ الرِّحال إليه:**

روى البخاريُّ عن الزُّهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرّسول ﷺ، والمسجد الأقصى**» (٢).

**هـ ـ فَضْلُ الصّلاة في المسجد الأقصى:**

قال رسولُ الله ﷺ: «**الصّلاةُ في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصّلاة في مسجدي بألف صلاة، والصّلاة في بيت المقْدِس بخمسمئة صلاة**» (٣).

**و ـ مقرُّ الطّائفةِ المنصورة:**

قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي على الدِّين ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم إلا ما أصابهم من لأواءٍ حتى يأتيَ أمرُ الله، وهم كذلك**» قالوا: يا رسولَ الله وأين هُم؟ قال: «**ببيتِ المقْدِس وأكنافِ بيت المقْدِس**» (٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، فتح الباري، (١/ ٩٦).
(٢) رواه البخاري رقم ١١٨٩، سُنَن ابن ماجه، رقم ١٤٠٩.
(٣) داود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص٤٤٧.
(٤) سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، الألباني، رقم٢٧٠.

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا وإنّ الإيمانَ حين تقعُ الفتنُ بالشام**»[١].

إنّ فلسطينَ أرضٌ مقدّسة، بارك الله حولها، فهي مهجرُ سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومَسْرَى الرّسول ﷺ، وهي أرضُ المحشر والميعاد. ولأهمية بيتِ المقْدِس والرِّباطِ فيه، شَدّ الرِّحالَ إليه كثيرٌ من المسلمين من الصّحابة والتّابعين وغيرهم، فمنهم من جاءها من الفتح الإسلامي لبلاد الشّام، ومنهم من جاءها بعد ذلك بقصد الزيارة والبركة وتلقّي العِلْم، وغير ذلك من المقاصد.

وممن سكن القدس من الصّحابة[٢]:

ـ عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، شهد غزوات رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر، وتُوفِّي في القدس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٣٤هـ)، وله بها عقب[٣].

ـ شدّاد بن أوس الخزرجي الأنصاري، صحابيٌّ ولاه عمرُ إمارةَ حمص، وكان عالماً، نزل فلسطين وسكن القدس، وتُوفِّي فيها في خلافة معاوية، وقبره ظاهر بيت المقْدِس في مقبرة الرحمة، وله بقية وعقب بالقدس[٤].

---

(١) مسند أحمد، (٥/ ١٨٩ ـ ١٩٩).

(٢) داود وسليمان عليهما السلام، مي حسن، ص٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٩.

(٤) الأعلام، الزركلي، (٣/ ٢٣٢).

ـ واثلة بن الأسقع، سكن الشّام قُرْبَ دمشق، ثم تحوّل إلى بيت المقدّس ومات بها[١].

ـ يزيد بن سلام، مولى عبد الملك بن مروان، من أهل القدس، عمل في بناء مسجد قبة الصّخرة والمسجد الأقصى مع رجاء بن حيوة[٢].

ـ عبد الله بن محيريز الجمحي، كان عابداً بالشام، وسكن بيت المقْدِس، وتُوفِّي بها[٣].

ـ زياد بن أبي سودة، مقدّسيٌّ، روى عن عبادة بن الصّامت وأبي هريرة، وهو من الثقات[٤].

وغيرهم من الصّحابة والتابعين، وخيرة أمة الإسلام من العلماء والفقهاء والزهاد والعباد.

**٥ ـ المسجد الأقصى بعد الفتح العمري للقدس:**

بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد الأقصى، بعيداً عن موضع الصخرة التي بُنيت عليها القبة فيما بعد، فلم يكن للحائط أو السور أثرٌ في عهده، لأن النّصارى جعلوا مكانه (مزبلة) إمعاناً في إهانة اليهود، وكان مسجداً متواضعاً من خشب، وكان المسجد الأقصى في زمن احتلال الرُّومان لبلاد الشّام مكاناً مهجوراً، وعليه زبالة وأوساخ، فقام عمر

---

(١) الطبقات، لابن سعد، (٧/ ٤٠٧).

(٢) الإصابة، ابن حجر، (١/ ٤٢٥).

(٣) الطبقات، (٧/ ٤٤٧).

(٤) داود وسليمان عليهما السلام، ص٤٥٠.

رضي الله عنه والمسلون بتنظيفه وتجديد بنائه، بعدما قام الرُّومان باحتلال بلاد الشّام وعملوا بها الأفاعيل.

ففي عام (١٣٥م) استولى الرُّوم على القدس، ثم أمر الإمبراطور (هدريان) (١١٧ ـ ١٣٨م) بتدمير المدينة تماماً، وبنى فوقها مدينة جديدة باسم (إيليا كابيتولينا)، وأبدل المعبد القديم بمعبد آخر كُرِّس للإله الوثني (جوبيتر كابيتولينس)، ثم قام الرُّومان بمذبحة نهائية ختمت مصير اليهود في فلسطين، كدولة وكقومية، وانتهب بذلك علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً ودينياً[١].

إنّ عمر رضي الله عنه أعاد للمسجد الأقصى دوره الروحي والحضاري، وأحيا الله به هذا المسجد المبارك، وأصبح امتداداً طبيعياً لمسيرة الأنبياء والمرسلين، ومناراً لأداء الرِّسالة الإسلامية الخالدة، القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأن الدِّين عند الله هو الإسلام، فقد كان هذا المسجد قد غمره الرُّومان بالقمامة، ففرش عمرُ عباءته، وأخذ يطرح عليها القمامة مكان المسجد الأقصى، ويلقيها في الأودية، واقتدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند، حتى طهروه تطهيراً، وبنى عليه مسجداً[٢].

وكانت أول صلاة للمسلمين في المسجد الأقصى في العهد الرّاشدي بعد فتح القدس، صلّى عمر بن الخطاب ركعتين، قرأ في الركعة الأولى سورة (ص) التي ذُكر فيها داود عليه السلام، وقرأ في الثّانية سورة الإسراء،

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، (٣/ ١٢٧).

(٢) خطر اليهودية العالمية، عبد الله التل.

تعظيماً لهذا المكان، وكان بلال رضي الله عنه هو المؤذِّن لتلك الصّلاة[١].

ثم تتابع المسلمون على تعميره وتجديده، ففي عهد الدولة الأموية قام عبد الملك بن مروان بتجديد بناء المسجد الأقصى وتوسيعه، وأكمله ابنُه الوليد بن عبد الملك سنة (٧٢هـ)، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة الصخرة في بيت المقْدِس[٢].

وينقل صاحب «الأنس الجليل» عن القرطبي قوله: كان فيه من العُمُد ستمئة عمود من الرخام، وفيه من المحاريب سبعة، ومن السلاسل للقناديل أربعمئة سلسلة إلا خمس عشرة، وفيها مئتا سلسلة، وثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى، والباقي في قبة الصخرة الشريفة، وذَرْعُ السلاسل أربعة آلاف ذراع، ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامي، وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل، وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمئة، ووزن الشقفة سبعون رطلًا بالشامي، غير الذي على قبة الصخرة.

ورُتِّب له من الخدم القُوّام ثلاثمئة خادم، اشتريت له من خمس بيت المال، كلّما مات واحد قام مكانه ولدُه أو ولد ولده أو من أهلهم، يجري عليهم ذلك أبداً ما تناسلوا، وفيه من الصّهاريج أربعة وعشرون صهريجاً كباراً، وفيه من المنابر أربعة، ثلاثة منها صفٌّ واحد غربيّ المسجد، وواحد على باب الأسباط[٣].

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٨٦.

(٢) البداية والنهاية، (٩/ ١٥٢).

(٣) داود وسليمان عليهما السلام، مي حسن، ص٤٤١.

وتولّى بناء الصخرة والمسجد الأقصى رجاء بن حيوة، وأُوقف على نفقتها خراجُ مصر لسبع سنين[١].

لقد تهدّم في زلزال وقع في سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)، فأعاد بناءه الخليفة المنصور العباسي سنة (١٤٠هـ)، بعد أن اقتلع الذهب عن أبوابه، وضُربت دنانير ودراهم للإنفاق على بناء المسجد من جديد، وفي عام (١٥٨هـ/ ٧٧٤م) في عهد الدولة العباسية تهدّم البناء الذي أقامه المنصور بسبب زلزال آخر، فأمر الخليفة المهديُّ بإعادة بنائه، فبنى المسجد بعناية كبيرة، وأُنفقت عليه أموال طائلة، وأُعطي المسجد صورته وحجمه إلى اليوم[٢]، ومع ذلك فلم يدم طويلًا، وتهدّم في زلزال وقع أول القرن الثّالث الهجري، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على الأطراف وسائر القُوّاد، وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر سنة (٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م)، وأُعيد بناؤه في زمن الدولة الفاطمية على يد الخليفة الظّاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، وقد ذهب جزء كبير من بناء الخليفة الفاطمي أثناء الحروب الصليبية[٣].

### ٦ ـ المسجد الأقصى وصلاح الدين الأيوبي:

وفي عام (٥٨٣هـ)، التقى صلاح الدين الأيوبي بجموع الصليبيين في معركة حطين وانتصر عليهم، وبعدما استقرّ له الحُكْم في المدينة المقدّسة، أمر بإعادتها إلى ما كانت عليه قبل احتلالها من الصليبيين، وكان هؤلاء قد

(١) بيت المقدس، محمد شرّاب، ص٣٨٢.
(٢) داود وسليمان عليهما السلام، ص٤٤١.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٤٢.

أقدموا على تغيير الكثير من المعالم الإسلامية للمدينة، فزرعوا صليباً كبيراً مُذهّباً على رأس قبة الصخرة، وأمر صلاح الدين بكشفها، وكان فرسان الدّاوية قد بَنَوا مبانيَ لهم غرب المسجد الأقصى لكي يسكنوها، وأنشؤوا فيها استراحات وغير ذلك، وأدخلوا قسماً من هذا المسجد في أبنيتهم، فأمر صلاح الدين بإعادة الأبنية إلى حالها القديم، كما أمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس، ثم عيّن إماماً للمسجد الأقصى، وأقام فيه منبراً، ومحا ما كان فيه وفي الأبنية المجاورة من صور كان الصليبيون قد وضعوها أو رسموها، وأعاد المسيحيِّين الوطنيين من أهل القدس إلى مساكنهم، كما سمح لهم بشراء ما أراد الفرنج بيعه من ممتلكات ومتاع وأموال[1].

وعامل صلاح الدين الفرنج معاملة إنسانية رفيعة، وظهر منه تسامح ورحمة بالفقراء والمحتاجين والأسرى، بل تعدّى ذلك إلى أمراء صلاح الدين وعامة المسلمين.

والواقع أنّ صلاح الدين وذلك الجيل المنصور قد أبدى من التسامح وكرَم الأخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقْدِس الشيء الكثير، كما أظهر من الكرم والشهامة ما يفوق الوصف مع نساء الصليبيين، الذين قُتلوا أو أُسروا أثناء معاركهم مع صلاح الدين، فقد تجمّعن أمام صلاح الدين يبكين، فسأل عن حالهنّ وما يطلبن، فقيل له: إنهنّ يطلبن الرحمة، فعطف عليهن صلاح الدين، وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرّف عليه، وأطلق سراحه، وسمح لهم بالذهاب حيث يريدون، وأنّ النساء

(١) صلاح الدين الأيوبي، للصلابي، ص٥٣٨.

والبنات اللاتي مات أزواجهنّ وآباؤهنّ، فقد أمر صلاح الدين بأن يُصرف لهنّ من خزائنه الخاصّة ما يناسب عيشهنّ ومركزهنّ، وأعطاهنّ حتى ابتهلت ألسنتهنّ بالدُّعاء له[١].

لقد أشاد مؤرِّخو اللاتين بأخلاق صلاح الدين، وقيمه النبيلة الإنسانية، وبروح الفروسية لديه، وهم الذين سردوا أحداث تلك الفترة.

واستطرد (غروسيه) في الحديث عن صلاح الدين فقال: طلب بعض المتعصِّبين من صلاح الدين هدم معابد المسيحيِّين، وتدمير كنيسة القيامة، بهدف إلغاء حجِّ المسيحيِّين (المؤمنين بالثالوث المقدّس)، فصدّهم عن ذلك بكلمة منه قال: لماذا الهدم والتدمير طالما أنّ هدف عبادتهم هو مكان الصليب المقدّس والقبر المقدّس وليس البناء الخارجي؟ وحتى لو سُوِّيت الأبنية بالأرض فإن مختلف الطوائف المسيحية لن تتخلّى عن السّعي للوصول إلى هذا المكان لتفعل إذاً، كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي احتفظ بهذه الأبنية عندما فتح القدس في السنوات الأولى للإسلام.

ويُعلِّق غروسيه على ذلك بالقول: إن كلّ ما يتحلّى به هذا السلطان العظيم من حرية الرّأي والمعتقد يَبرز في هذه العبارة الجميلة[٢].

اقتدى صلاح الدين بفعله هذا بالخليفة الرّاشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي أقرّ النّصارى على هذا المكان، ولم يأمر بهدم البنيان،

---

(١) صلاح الدين والصليبيون، عبد الله سعيد الغامدي، ص٢١٨.

(٢) حروب القدس في التّاريخ، ياسين سويد، ص١٠٨.

وصدق الشّاعر شهابُ الدين أبو الفوارس المتوفّى (٥٧٤هـ) عندما قال [الطويل]:

ملكنا فكان العفوُ منا سَجِيّةً فلما ملكتُم سالَ بالدّمِ أبطَحُ
وحلّلتم قتلَ الأُسارى وطالما عَدَونا على الأسرى نمنُّ ونصفَحُ
وحسبكُمُ هذا التفاوُتُ بيننا وكلُّ وعاءٍ بالذي فيه يَنضَحُ[١]

لقد أبهر صلاح الدين بأخلاقه الإسلامية ملوكَ الغرب وقادتهم، حيث كانوا يقودون جحافل جيوشهم في الشّام، حتى إن الفرنسيين كانوا يقولون: إن دماءه دماء فرنسية.

وكان الألمان والإنكليز والإيطاليون ينسجون قصصاً رائعة عن أخلاق صلاح الدين، ويتحدّثون عنها في قراهم ومدنهم ومسرحياتهم[٢].

كان صلاح الدين رجلًا إسلامياً بكلّ معنى الكلمة، مقتدياً بالرّسول محمد ﷺ، في عفوه وحلمه وسماحته. وقال عنه أحد المؤرِّخين الأوربيين: سيظل في الذاكرة أن الزّمان الدّمويّ والقاسي مثل ذاك الزّمان، لم يتمكن من إفساد إنسان ذي سلطة عظيمة، إنه صلاح الدين[٣].

وإن أكبر دليل على تقدير الإفرنج لهذه البطولة النادرة، والسماحة الكبيرة، اهتمام إمبراطور ألمانيا بزيارة قبر صلاح الدين، عندما زار بلاد الشّام سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٩م) وقد خطب خطبة أشاد فيها بصلاح الدين،

(١) صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد، ص٥١.
(٢) الوجيز في الشام أرض الأنبياء ومعهد الأصفياء، ص٦١.
(٣) المصدر نفسه، ص٦١.

وأرسلت الإمبراطورة إكليلاً من الزهور، لِيُوضع على ضريح البطل العظيم، ولم ينسَ أميرُ الشعراء أحمد شوقي أن يُسجِّل هذه الذِّكْرى فقال: [الوافر]

عظيمُ النّاسِ من يَبكي العِظاما ... وَيَندُبُهم ولو كانوا عظاما
فهل مِن مُبلغٍ غليومَ عنِّي ... مقالاً مُرضِياً ذاك المقاما؟
رعاك اللهُ مِن مَلِكٍ هُمامٍ ... تعهّد في الثّرى مَلِكاً هُماما
أرى النسيان أظمأه، فلما ... وقفتَ بقبره كنتَ الغَماما
أتدري أيّ سلطانٍ تُحيِّي ... وأيّ مُمَلّكٍ تُهدي السّلاما؟!
دعوتَ أجلّ أهلِ الأرضِ حَرباً ... وأشرفَهم إذا سكنوا سلاما[1]

وبعدما طُهِّرَ بيت المقْدِس مّما كان فيه من الصُّلبان والنّواقيس، والرهبان والخنازير. . . ، كلِّف السلطانُ صلاح الدين القاضي محيي الدين بن الزكيِّ بخطبة الجمعة في يوم الرّابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمانية أيام، فنُصب المنبر إلى جانب المحراب المطهّر، ولبس الخطيب الخلعة السوداء، وصعد المنبر، وقد كساه الله البهاءَ وأكرمه بكلمة التقوى، وأعطاه السّكينة والوقار والسناء، فخطب بالناس خطبة عظيمة سنيّة بليغة فصيحة، ذَكَر فيها شرف بيت المقْدِس، وما وَرَدَ فيه من الفضائل والتّرغيبات، وما فيه من الدلائل والأمارات، وما منّ الله به على الحاضرين من هذه النِّعمة التي تعدل الكثير من القربات.

وقد أوردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في (الروضتين) بطولها، فأول ما قال حين تكلّم: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ثم أورد تحميدات القرآن كلّها، وكان أهم مواضيع الخطبة:

(١) صلاح الدين الأيوبي، الصلابي، ص٥٤٨.

ـ قدرة الله تعالى على تحقيق النّصر .

ـ الثّناء على رسول الله الكريم وعلى صحابته .

ـ رضا الله عن المجاهدين .

ـ مآثر المسجد الأقصى .

ـ تهنئة صلاح الدين وجنوده المسلمين بالنّصر .

ـ شكر الله على هذا الفتح .

ـ فضائل الأقصى والقدس .

ـ نهيٌ عن الغرور وارتكاب المعاصي .

ـ دعوة للاستمرار في الجهاد .

ـ دعوة لتحرير ما تبقى من الأرض المقدّسة .

ـ أدعية للسلطان صلاح الدين وللمسلمين في دينهم ودنياهم[١] .

فقد كانت من الخطب التي حفظها التّاريخ على مدار الزمن الطويل، تحتوي على قيم ومبادئ وأخلاق، سُجِّلت في ذاكرة التّاريخ حدثاً عظيماً من أحداثه التي لا تُنسى مهما طال الزّمان .

لقد قام صلاح الدين بعمارة المسجد الأقصى وتجديده وإصلاحه، فبذل جهداً كبيراً في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه، فأحضر له من الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفص المذهّب القسطنطيني، وغير ذلك من المواد

(١) صلاح الدين الأيوبي، الصلابي، ص٥٤٨ .

للتزيين ما لا يمكن وصفه، وشرع في عمارته وتزيينه وإزالة ما على جدرانه من الصور والتماثيل[١].

وخصّ صلاح الدين المحراب باهتمام كبير، فعمل على ترخيمه وتزيينه[٢].

وقد تقدّم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العِراص وإخلائها لأهل الإخلاص، وتنظيفها من الأدناس، وكنس ما في أرجائها من الأرجاس[٣].

وبعد أن أنهى صلاح الدين تطهير بيت المقْدِس ممّا علق به من آثار الصليبيين، رتّب في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المساجد داخل بيت المقْدِس الخطباء والأئمة والمؤذنين والقَوَمة، وأحضر إليها المصاحف والربعات؛ كما قام صلاح الدين بإنشاء المدارس والأربطة، وأوقف على ذلك أوقافاً جليلة، وكان لاسترجاع صلاح الدين لبيت المقدس من أيدي الصليبيين أهمية خاصّة بالنّسبة لصلاح الدين، ومكانة بين أبطال المسلمين، حتى إنه يمكن القول أنه إذا كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد طهّر بيت المقْدِس من براثن الرُّوم في السنة الخامسة عشرة للهجرة، فإن صلاح الدين أعاد تلك الذِّكْرى في القرن السّادس الهجري بعد أن تعرّض بيت المقْدِس لذلك الاعتداء الصليبي الذي استمرّ ما يقارب المئة عام.

---

(١) صلاح الدين الأيوبي، ص٥٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٥١.

ووضع صلاح الدِّين بذلك العمل الجليلِ الأساسَ لمن بعده من سلاطين المسلمين للقضاء على بقايا الصليبيين في بلاد الشّام[١].

وواصل مسيرة الاهتمام بالمسجد الأقصى وترميمه وبناء الكثير من أجزائه المماليكُ، ثم العثمانيون، وقد كانت عنايتهم به كبيرة جدّاً، وإليهم يرجع الفضل ـ بعد الله ـ فيما يمتاز به المسجد الأقصى اليوم من بديع الصنعة، وجمال زخارفه[٢].

## عاشراً: بنو إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام:

انقسمت مملكة سليمان عليه السلام بعد وفاته إلى مملكتين: يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس، ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها نابلس في الجليل، وكان بين الدولتين عداء وقتال، وكان يحدث في بعض الفتوحات من تاريخهما توافق وتفاوت، وكانت تُشَنُّ على الدولتين غزوات من قبل جيرانهم، كما أنّ الدولتين وقع حكامهما وشعبهما في عبادة الأصنام، في كثير من فترات تاريخهما[٣].

وارتكبوا الكبائر، وقد امتلأ عصر المملكتين الذي دام قريباً من ثلاثة قرون ونصف ـ كما ذَكَر بعض المؤرِّخين ـ بمختلف ألوان الفساد وتردِّي أكثر أفراد المجتمع الإسرائيلي في الشمال والجنوب في دَرْك الانحطاط، حتى فقدَ هذا المجتمع أهليّة بقائه، وحلّ عليه غضب الله ولعنتُه، ووقعت

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٥٢.

(٢) داود وسليمان عليهما السلام، ص٤٤٢.

(٣) انظر: سفر عاموس (٢/ ٧)، كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص٥٢.

عليه نقمته وعقوباته، وكان أبرز معالم انحطاطه شيوع الوثنية في كلّ جنباته، حيث ترك كثير من بني إسرائيل عبادة الله الواحد الأحد، وعظّموا أوثان الأقوام والشُّعوب المحيطة بهم، فعبدوا الشمس والقمر والكواكب، واتّخذوا أوثاناً مختلفة من الخشب والشجر والحجر، وارتكبوا المعاصي والكبائر.

لم ينجُ مجتمع الشمال والجنوب في المملكتين الشمالية والجنوبية وحكامهما من الوقوع في الوثنية، وتردِّي المجتمع الإسرائيلي في الفحش والرذيلة، فشاع فيه الزِّنى واللواط، بل وصل الأمر إلى درجة الإباحية القذرة، فكان الأب وابنه يذهبان إلى بيت الصبية الواحدة فيضاجعانها بالحرام[١].

وانتشرت المظالم في ذلك المجتمع، وشارك فيها الملوك والكهنة والقضاة، فظلموا الفقير واليتيم والأرملة، واعتدوا على النُّزلاء المقيمين في مجتمعهم من غير بني إسرائيل، وسلبَ بعضُهم أموالَ بعض، وأخذوا الحقوق من أهلها، وكثر المال في أيدي فئة فاجرة من الناس، وانتشر الرفاه والترف، وشُغل الناس بشرب الخمور والمُلهِيات، وبناء البيوت الفاخرة، وكانت بيوت الفقراء الحقيرة إلى جانبها[٢].

ولقد فسد كثير من النساء في المجتمع الإسرائيلي، وقام في تلك الفترات، وفي كلا المملكتين، أنبياء كرام عليهم السلام من أمثال: إلياس،

---

(١) انظر: سفر عاموس (٢/ ٧)، كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص٥٢.

(٢) سفر موسى، (٦/ ٤ ـ ٧)، كلام في اليهود، ص٥٢.

واليسع، وحزقيال، ودانيال، فأرشدوا الناس، وحذّروهم ممّا وقعوا فيه من الشِّرك والآثام، وقبائح الأعمال، والمظالم، وترك العمل بشريعة الله، وخوّفوهم من نقمة الله عزَّ وجلَّ، ومن تسليط الشُّعوب عليهم، وخوّفوهم أيضاً ممّا وقعوا فيه من الفساد الذي حذّرتهم منه نبوءة التّوراة، التي نزلت في عهد موسى عليه السلام، ولكنهم صَمُّوا آذانهم عن صيحات الأنبياء، واستمرُّوا في غيِّهم، حتى وقع بهم قضاء الله الذي لا يُرَدُّ عن القوم الظّالمين، سقط مُلك بني إسرائيل في الأرض المقدّسة، وانتهى حُكْمُهم فيها، وسِيقُوا أذلاء خارجها، وخضعوا للإمبراطوريات الكبرى، البابلية، والفارسية، والإغريقية، والرُّومانية من سنة (٥٨٦ق.م حتى سنة ١٣٥م) [١].

### ١ ـ الحُكْم العراقي:

في عام (٧٤٠ق.م)، جاء الآشوريون من العراق، فاحتلُّوا فلسطين، وأخذ اليهود يدفعون الجزية للآشوريين، وأنشؤوا فيها مملكة خضع فيها اليهود لحُكْم هؤلاء، ولكن مملكة الآشوريين لم تدم سوى ثماني سنوات، وانتهى حُكْمهم بعدما هاجمهم من داخل العراق أقوام هم (البابليون) أو الكلدانيون، وسيطروا على أرض العراق كاملة، واحتلُّوا عاصمة الآشوريين (نينوى)، وبطبيعة الحال امتدّت سيطرتهم حتى احتلُّوا ممتلكات الآشوريين، ومن ضمنها فلسطين[٢].

أسقط الإمبراطور بختنصّر مملكة يهوذا، وساق أهلَها إلى بابل، وهناك

---

(١) كلام في اليهود، ص٥٤.

(٢) فلسطين التَّاريخ المصور، ص٤٦.

عاشوا قريباً من خمسين سنة في لوعة وأسًى تحت حكم البابليين، الذين أتاحوا لهم أن يَنشطوا في الأعمال والتجارات وتَثمير الأموال[١].

كانت هذه الحقبة التّاريخية لليهود تُعرف باسم السّبي البابلي، وهي مرحلة خطيرة في تاريخ اليهود، لأنها شكّلت مرحلة فاصلة بين مرحلتين في ذلك التّاريخ، خاصّة في ناحية العقيدة، فالديانة اليهودية قبل السّبي شيء مختلف ومغاير لِما بعد السّبي، فخلال السّبي صِيغت ودُوِّنت كلُّ ملامح تاريخهم الذي تلا السّبيَ حتى يومنا هذا.

فقد أسهم السّبي البابليُّ في صنع الأسفار الجديدة لليهود، التي يظهر فيها تأثُّرهم بالثقافات وحضارات الشُّعوب الأخرى، فالسّبي البابليُّ نقطة بداية لتاريخ جديد لليهود، وكذلك صياغة الأسفار الأساسية الخاصّة بحقبة السّبي، التي منها سفر عزرا، وهو من أخطر وأهم الأسفار التي تناولت المشروع الجديد، فقد وضعوا ثالوثهم المتمثِّل في (يهوه ـ الشعب المختار ـ الأرض الموعودة)، وهذا الثّالوث يُقابله (الوثنية ـ العنصرية ـ الاستعمار ـ الهمجية)، والأسفار صيغت في تلك الحقبة، سواء عزرا أو نحميا أو غيرها، ولم يَعُدِ اليهودُ إلى فلسطين بعد السّبي، بل تفرقوا في العراق وغيرها، والذين عادوا اندمجوا واختلطوا بالشُّعوب الأخرى في أرض كنعان، وهذا كان بمنزلة الفشل لفكرة الثّالوث.

أما عن الثّالوث، فما زال القوم يحاولون تحقيقه، ومشروعهم لم يتغيّر حتى يومنا هذا، فهم يَرَون كلّ شعوب الكرة الأرضية وثنيِّين، ويَرَون في دينهم

(١) كلام في اليهود، ص٥٤.

الدِّينَ الأوحد، كما في الجانب الثّاني من الثّالوث ـ العنصرية ـ أي نقاء القوم في العرق والجنس، وأن باقي سكان الكرة الأرضية هم الغويم الذين ليسوا أكثر من خدم لليهود، والجانب الثّالث من الثّالوث ـ وهو أخطر جانب ـ (الهيمنة)، والتي ترتكز على احتلال واستعمار الأرض من النيل إلى الفرات، ويكون القلب فلسطين، ثم الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم[١].

إن القرآن الكريم لم يُشر صراحة إلى السّبي البابلي، إلا أنه تضمّن ما يُشير إلى التقطيع والتمزيق والشتات بالنّسبة لليهود: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] [٢].

ومن الثّابت أن القوم في السّبي لم ينسَوا أنشطتهم التجارية والزراعية والسياسية، فكان للكثير منهم مزارع ومناجم وثروات كبيرة، كما كان لهم أصابع في سياسة الدولة البابلية[٣]، ومما ساعد في ذلك طبيعة معاملة البابليين لهم، وهذا ساعد على المحافظة على كيانهم الاجتماعي، وتمسُّكهم بمصالحهم الاقتصادية، وأمّا على صعيد العبادة والطقوس الدينية فكان القوم قد ضحّوا بالكثير منها، وراودتهم فكرة جديدة وهي: إنشاء معبد في هذه الأرض الدّنِسَة لتوحيد كلمتهم، ومن هنا نشأ (الكنيس)، وتطوّرت الطقوس فيه من تراتيل فيّاضة، وأدعية وتطبيق لمبدأ التنبُّؤ على الحياة اليومية، وهكذا أصبحوا نواة فعلية للمذهب الإسرائيلي الموضوع[٤].

---

(١) بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان، عبد الرحمن الخطيب، ص١٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص١٧٠.

وهذه من أهم نقاط التحوُّل في الديانة اليهودية، بل هي نقطة فارقة في تاريخ اليهود الديني، حيث إنّ التّوراة أو جزءاً كبيراً منها أخذت صورتها التي نراها عليها اليوم في هذه المرحلة[١].

**٢ ـ الحُكْم الفارسي:**

أغارت إمبراطورية الفُرْس على مملكة بابل، وأسقطتها في سنة (٥٣٩ ق.م)، وسمح (قورُش) إمبراطور الفُرْس لبني إسرائيل بالعودة إلى مدينتهم، وقد كان اليهود بعد مضي عشرات السنين على إقامتهم في بابل قد تكاثروا وازدادوا أضعاف عددهم، فلم يعد منهم إلى فلسطين إلا العدد القليل، وكانوا بحدود اثنين وأربعين ألفاً، أما الغالبية العظمى فلم تهاجر، لأنّ بابل وقتها كانت عاصمة الثروة والرفاهية الاقتصادية، وكانت مكاناً للحضارة والترف؛ ولذلك آثر اليهود البقاء فيها لرعاية مصالحهم وثرواتهم.

وهنا تجدر بنا وقفة لملاحظة هذه الظّاهرة المثيرة للانتباه، في شأن اليهود، فهم يدّعون أنّهم شعب الله المختار، ويزعمون أنّ أرض الله المباركة (فلسطين) أرضهم، ولكنهم عندما تُتاح لهم الفرصة بالعودة إليها فهم لا يعودون.

وفي وقتنا الحالي، ورغم كلّ الذي يصنعه الكيان الصهيوني من تهيئة السبل، وبناء المستوطنات، وكل ما يُقدِّم من مغريات وتسهيلات لليهود اليوم، فغالبهم لا يعيشون في فلسطين، فهناك أعداد ضخمة منهم يعيشون في أمريكا، وآخرون كثر أيضاً في روسيا، وأعدادهم تفوق أعداد اليهود في فلسطين.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧١.

رجع بعض اليهود المحافظين الذين كانت تشدهم إلى القدس أيام عهدهم القديم زمن سليمان عليه السلام، وعمل هؤلاء فوراً على مسألة مهمّة بالنّسبة إليهم؛ وهي بناء الهيكل (المزعوم) الذي دمّره (نبوخذ نصر)، فبنوا المعبد مرة أخرى كما يدّعون، ويُسمّى هذا المعبد الثّاني، وهو مشهور في التّاريخ، وموجود في الكتب المقدّسة عندهم، وكذلك هو مُدوّن في التّاريخ الغربي.

وفي ظلِّ تسامح الفُرْس مع اليهود سمحوا لهم ببناء الهيكل مرة أخرى، فجعلوا بناء المعبد بناءً كبيراً، ووسّعوه توسعة عظيمة، وأرجعوا قدس الأقداس (المحراب)، وأعادوا المقدّسات التي استطاعوا أن يحافظوا عليها مرة أخرى[١].

وعاش اليهود جماعة دينية لا أمة لها مُلكٌ ونظامٌ، لقد انتهى الملوك في أسباط بني إسرائيل، واستمرُّوا في أورشليم وما حولها، يعيشون في ظلِّ الأمم القوية من البابليين إلى الفُرْس إلى اليونان إلى الرُّومان[٢].

وبعد عودة القوم إلى أورشليم غلب عليهم الاسم الجديد (اليهود)، لأنّ العائدين كانوا من ذرِّية يهوذا السبط الذي ملك في أورشليم، فصار الناس يدعونهم بهذا الاسم[٣].

---

(١) فلسطين التَّاريخ المصور، ص٥٢.
(٢) كلام في اليهود، ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٦.

إن كلمة يهود و(يهودية)، في الإشارة إلى ديانة معيّنة، لم تظهر إلى الوجود إلا بعد الاحتلال الفارسي لبابل، وحتى الأسفار التوراتية الأولى لم تتضمّن هذه الكلمة، وفي هذا الصّدد يقول المرحوم عبد الحميد همو: إن الأسفار خلَت من ذِكْر اليهودية، حتى إذا خلت الدولة الفارسية الأخمينية نلاحظ أنه في عهدها صار ذكر اليهودية في سفري عزرا ونحميا، وفي سفر أستير، وفيما عدا ذلك فلا ذِكر لليهودية في أسفار التّوراة الخمسة، ولا في أسفار أشعيا ولا إرميا ومراثي إرميا وباروخ وحزقيال، وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا، ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصيفنيا وحجي؛ وزكريا وملاخي ودانيال، مع العلم بأن السِّفر الأخير كُتب في القرن الثّاني قبل الميلاد[١].

وجمع لهم (عزرا) [٢] من محفوظاته أسفاراً خمسة، أطلقوا عليها اسم (التّوراة)، أو (توراة موسى) وفّت به اليهود على الرغم ممّا أدخله على الكتب من تحريفات، وأضاف إليها من إضافات، وما أضاع منها من نصوص ذات أهمية، وقالوا عنه: إنه الله. تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

لقد أعرض اليهود يعد العودة من السّبي عن عبادة الأوثان، واعتقدوا بالله وحده، لكن اعتقادهم بالله كان ولا يزال تشوبه الشّوائب، فصفات الله عزَّ وجلَّ ـ الذي ليس كمثله شيء ـ هي عندهم أقرب ما تكون إلى صفات البشر، و(التّوراة) التي وضعها لهم (عزرا)، والتي ما تزال بين أيديهم، قد

(١) ما بين موسى وعزرا، ص١٨٥، ١٨٦.

(٢) كاهن ومعلم للشريعة في زمن السَّبي وعاد إلى أورشليم.

أجرَتْ على الله ما يجري على الإنسان من أعضاء ظاهرة وباطنة وانفعالات نفسية، وجعلته يتّصل باليهود مباشرة، فرأوه وسمعوا كلامه وسار أمامهم(١)، ونصوص التّوراة المحرّفة تسيء الأدب مع الله، ولا تُقدِّره حقّ قدره(٢).

لقد احتوت التّوراة التي كتبها بعض اليهود، بعد عهد النّبيّ موسى، وعهد يوشع بن نون وطالوت وداود وسليمان عليهم السلام، على الكثير من المفاهيم الخاطئة، التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم، فنبّهنا إليها دون لَبسٍ أو غموض(٣).

**أ ـ تحريف أحبار اليهود للتوراة:**

حكم موسى عليه السلام قومه بالتّوراة، وأمر أحبارهم بحفظ التّوراة والمحافظة عليها، لكنهم لم يُنفِّذوا هذا الأمر، ولم يحفظوها، بل ضيّعوها بعد ذلك بفترة من الزمن. وقد بيّن الله ذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

لقد قام بعض أحبار اليهود بتحريف التّوراة، ولم يُنفِّذوا أمر الله الذي

---

(١) دراسات في التوراة، عطية الشوادفي، ص٩٧.

(٢) كلام في اليهودية، ص٥٦.

(٣) بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان، ص١٥٥.

استحفظهم على كتاب التّوراة، أي: طلب منهم أن يحفظوا التّوراة، ولكنهم بعد فترة من الزّمان، ومرور أجيال من الناس، حرّفها بعض الأحبار، وبدّلوها وزادوا فيها وأنقصوا منها، واشترَوا بها ثمناً قليلًا، وقد أفرد الدكتور الخالدي دراسة قيمة في هذه المواضيع:

- حديث القرآن عن التّوراة.
- جذور الإرهاب اليهوديّ في أسفار العهد القديم.
- سفر التكوين في ميزان القرآن الحكيم.

ومن أراد التّوسُّع فليرجِعْ إليها.

وكذلك الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد في كتابه (**مصادر النّصرانية دراسة ونقد**)، فقد أفاد وأجاد فيما يتعلّق بالتعريف بالعهد القديم، وبيان أقسامه وأسفاره عند البروتستانت، والتّوراة وأسفار موسى الخمسة: التكوين، والخروج، واللويين، والعدد، والتثنية. وكذلك تقسيمها عند الكاثوليك وعند الأرثوذوكس، وعن طبيعة ارتباط النّصارى بالعهد القديم.

وقام الدكتور عبد الرزاق بدراسة نقدية في تاريخ العهد القديم، فدرس النصوصَ، ونسبتها إلى كُتّابها، ووضع الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في ميزان الدراسة النقدية العلمية، وذَكَر في كتابه شهادات غير المسلمين؛ من اليهود والنصارى، الذين بيّنوا أن موسى عليه السلام ليس مُؤلِّف الأسفار الخمسة المنسوبة إليه. وبعد بحث مُعمّق طويل قال الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد: وعلى ضوء ما تقدّم من اعترافات يهودية ونصرانية نستنتج ما يلي:

ـ أنّ الأسفار الخمسة المنسوبة إلى نبيِّ الله موسى، لم يكتبها هو، ولا أمر بكتابتها، ولم تُكتب في حياته، وإنّما كُتبت بعده بزمن طويل جدّاً، يترجّح أن يكونَ ذلك بعد عودة اليهود من السّبي البابلي[1].

ـ أنّ الرّأي الغالب، سواء في الأوسط اليهودية أو النّصرانية: أنّ (عزرا) الكاتب هو الذي أعاد لهم كتابة الأسفار المقدّسة بعد الأسر البابلي، وهناك رأي أقلُّ شهرة، وهو أنّ غاية ما عمله (عزرا) هو جمع الرِّوايات الموجودة عند كُتّاب مُتعدِّدين، ونسخها دون فحص أو ترتيب، وأنه حتى مجرد هذا (الجمع والنسخ) لم يُكمِلْه، أما لماذا لم يُكْمِله، وإلى أين وصل فيه، ومن الذي نهض بالعمل بعده، وهل هو في مستواه نفسه؟ كلّ هذه أسئلة ما تزال الإجابة عنها محاطة بالغموض والحيرة.

ويتّضح أن هناك اتفاقاً بين جميع الطوائف المعنية، وهو أن نسبة هذه الأسفار الخمسة كلِّها لموسى ليست صحيحة، ولا تُساندها الأدلّة التّاريخية والعلمية، وإنّما الخلاف في تعيين الجزء الثّالث بنسبته إليه، أهو كلّ هذه الأسفار أم بعضها؟

**ب ـ التّوراة ما بين وفاة سليمان عليه السلام وما قبل السّبي البابلي:**

ويجدر بالذِّكْر أنّ أسفار اليهود المقدّسة لا تذكر شيئاً عن التّوراة في عهد سليمان إلى ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن، وذلك بعد أن تولّى المُلكَ في مملكة يهوذا الجنوبية المَلِكُ يوشيا، والذي يصفونه بالصّلاح

(١) مصادر النصرانية دراسة ونقد، (٢/ ١٧٠).

والاستقامة والتوجُّه إلى إقامة الشّريعة[١]، فيزعمون أنّ زعيم الكهنة في عهده (حلقيا) وجد شريعة الرّبّ في الهيكل (المزعوم) وذلك متى؟ في السنة الثّامنة عشرة من ملك الملك يوشيا، وفي أي مناسبة؟ حين أرسل إليه الملك يطالبه بحساب جميع الفضة المدخلة إلى هذا الهيكل[٢]. وهنا لدينا وقفات عدّة منها:

ـ أنه طوال مدة مئتين وثلاثة وتسعين عاماً[٣] لم تُوجد أدنى معلومة عن التّوراة، ولم يسأل أحدٌ من الشعب عنها، ثم بعد عمليات عديدة من الهدم والنهب والغزو يكتشف الكاهن حلقيا سفر الشّريعة بالمصادفة في الهيكل.

ـ أن هذا الهيكل الذي كان قد تعرّض للنهب والعدوان أكثر من مرة، ولم يكن طوال هذه المدة مُغلَقاً، فضلًا عن أنّ الكهنة والسّدنة يدخلون كلّ يوم، ولا يُتصوّر وجود جانب أو حجرة لم تقع عليها يد هؤلاء السدنة أو الكهنة.

ـ ثم لماذا بقي يوشيا في الملك سبع عشرة سنة لم يُرسِلْ فيها إلى حلقيا؟! وكيف لم تقع عين حلقيا على سفر الشّريعة طوال هذه المدة قبل إرسال الملك إليه للمحاسبة؟!

ـ ثم أيُّ نسخة من التّوراة عثر عليها حلقيا؟ حيث إنه لم يُذكَر بالتحديد في سفر الملوك الثّاني، وأمّا النّصُّ في سفر أخبار الأيام الثّاني، فقد أضاف أن السِّفر المعثور عليه هو: سفر شريعة الرّبِّ، الذي كان بيد موسى[٤].

---

(١) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٠).
(٢) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٠).
(٣) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٠).
(٤) المصدر نفسه، (١/ ٣٤١).

ـ وعلى هذا يَرِدُ سؤال آخر: ما الذي جعل حلقيا يُوقن بأن ما وجده ـ لو فرضنا صحة دعواه ـ هو سفر شريعة الرّبّ الذي كان بيد موسى عليه السلام؟

ـ خاصّة وأن سفر أخبار الأيام الثّاني نفسه يذكر أن الآباء ـ وطبعاً بمن فيهم آباء حلقيا أيضاً ـ لم يعرفوا ولم يحفظوا كلام الرّبِّ[١].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله: فالعجبُ كلُّ العجب أن تكونَ النسخة في البيت ولا يراها أحد، فهذه النسخة تُوجِّه السلطان والأراكين[٢] إلى اتِّباع الملة الموسوية، جمعها من الرِّوايات اللسانية. ومثل هذا الافتراء والكذب والترويج للملّة وإضاعة الحقّ كان من المُستحبّات الدينية عند متأخِّري اليهود وقدماء المسيحيِّين[٣]. حتى عند المعاصرين منهم، ومن عايش القوم عرف صدق ما أقول، والله المستعان.

إذاً، خلاصة الكلام أنّ حادث اكتشاف حلقيا لسفر الشّريعة لا يخرج عن كونه مسرحية مُدبّرة فيما بين الملك يوشيا وكاتبه: شافان[٤]، وكبير كهنته حلقيا، أو أكذوبة من تلقاء حلقيا وحده في إقناع الملك بها، منتهزاً فرصة رغبة الملك في التّديُّن واستقامة الشعب، والله أعلم[٥].

ولكن تنازلاً للقوم، أو من باب التسليم الجدلي، أقول: على فرض

---

(١) الأسفار المقدَّسة قبل الإسلام، صابر طعمة، ص٦٢، ٦٦.
(٢) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤١).
(٣) المصدر نفسه، (١/ ٣٤١).
(٤) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٢).
(٥) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٢).

ثبوت اكتشاف التّوراة في عهد الملك يوشيا، فإنها بإجماع المؤرِّخين قد فُقدت بعد ذلك بأقل من ربع قرن، وذلك حين هجم نبوخذ نصر على دولة يهوذا، ودمّرها ودمّر الهيكل المزعوم والمنسوب إلى سليمان عليه السلام، والذي سنتحدّث عنه بالتّفصيل بإذن الله تعالى، فقد دمّره، ودمّر كلّ ما فيه.

وإليكم ما يقوله كُتّابهم في هذا: فأصعد عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يُشفِقْ على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرّبّ وخزائن الملك، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً، إلى أن ملكت مملكةُ فارس[1].

ومن المؤكّد، أنّ اليهود، إبّان مرحلة السّبي هذه، لم يكونوا يتداولون فيها بينهم ولو خفية شيئاً من التّوراة أو سفر الشّريعة، ولم يُشِرْ أنبياء هذه الفترة إلى شيء من ذلك، وقد فاضت أسفار العهد القديم بذِكْرهم وذِكْر أخبارهم[2].

فكان سفر الشّريعة أو التّوراة طوال هذه المدة في غيبوبة متواصلة تامة، إلى أن جاء عزرا. يزعم اليهود أنه هيّأ قلبَه لطلب شريعة الرّبِّ والعمل بها، فكتب لهم سِفرَ الشّريعة، وهنا وقفات جديدة لا بُدّ منها، وهي:

---

(١) أخبار الأيام، (٢٦/ ١٧ ـ ٢٠).

(٢) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٣).

ـ كيف وصلت التّوراة إلى عزرا، وبينه وبين موسى عليه السلام أكثر من ثمانية قرون[١]، ولاسيما أن نصوص ما يُسمّى بالعهد القديم نفسها تُفيد أن بني إسرائيل قد أهملوا تعاليم التّوراة أو سفر الشّريعة منذ وقت لا يَبعد كثيراً عن وقت نزولها[٢].

ـ على أحسن الفروض، فإن ما كتبه لهم عزرا ـ إن صح هذا الخبر ـ لا يَعدُو أن يكونَ معلومات متوارثة عن الأحكام الواجبة على بني إسرائيل جيلًا بعد جيل، إلى أن جاء زمن عزرا هذا فدوّنها، وضمّنَها بعضَ الاستنباطات والشروح، كما يُشير إلى ذلك سفر عزرا نفسه حيث يقول: لأنّ عزرا هيّأ قلبَه لطلب شريعة الرّبِّ والعمل بها، ولِيُعلِّم بني إسرائيل فريضة وقضاء.

وعلى هذا، فإن عمله هذا جهد بشري محض، ولا مفرّ له ممّا يعتري العمل البشري من قصور وخلل[٣].

ـ كما أنه لا يستبعد أن يكونَ مكتوب عزرا هذا مجرّدَ افتراء وكذب ودجل، من تلقاء نفسه، لتلبية دواعٍ نفسية خاصّة به، أو لترويح الملة كما نقلتُ عن الشيخ رحمة الله آنفاً[٤]. وقولي: إن هذا غير مستبعد يستند إلى حقيقتين:

---

(١) لزعمهم أن عزرا عاش القرن الخامس أو الرَّابع قبل الميلاد.

(٢) انظر: أخبار الأيام، (٣٤/ ٣١)، مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٣).

(٣) دراسات في الأديان، د. سعود الخلف، ص٦٤.

(٤) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٤).

**أولاهما**: ما ثبت أنّ اليهود السّامريين يتّهمون عزرا بأنه الذي قام بتحريف التّوراة إبّان الأسر البابلي(١).

**والثانية**: أنّ عزرا هذا هو عُزير المذكور في القرآن الكريم، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ولم يأت في القرآن، ولا في السنة الصّحيحة، ما يُفيد صلاح الرجل، فضلًا عن نبوته، فيترجّح عندي ـ والله أعلم ـ أنّ اليهود المعاصرين له إنّما عظّموه ومجّدوه حتى قالوا إنه ابن الله، لمّا كتب لهم كتاباً يوافق هواهم وضلالهم الذي كانوا عليه. وهذا ما اختاره بعضُ من أسلم من اليهود ومنهم السموءل بن يحيى(٢).

ـ ثم إنّ نسبة هذا السفر الذي كتبه عزرا ـ على فرض وجوده ـ إنْ كان قد نسبه إلى الله عزَّ وجلَّ فكذبه ظاهر، إذ لم يدّع أحد لا من المسلمين، ولا من اليهود أو النصارى، أنّ التّوراة أُنزلت مرتين؛ مرة على موسى ومرة على عزرا، وإن كان الذين كتبوا عنه بعد ذلك هم الذين زعموا أن كتابه هذا هو عين توراة موسى عليه السلام، فهم على حدٍّ سواء كذّابون. إن عزرا لم يقل هذا عن نفسه.

ـ كلّ ما تقدّم ينطبق على التوراة التي كتبها موسى بيده كما يزعمون،

---

(١) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٤)، شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، عبد الملك الجويني، ص٥٨ ـ ٦٠.

(٢) نقد التوراة، أحمد حجازي السقا، ص٩٤.

فكيف بالتّوراة التي زعموا أن حلقيا قد عثر عليها في الهيكل في عهد عبد يوشيا؟ نجد أن ما كتبه عزرا كذلك يختلف عمّا قدّمه حلقيا للملك في زمانه، وذلك لأن سفر الشّريعة، الذي وجده حلقيا حسب كلامهم، قد جاء بصريح العبارة في كتابهم أنه قُرئ من أوله إلى آخره مرتين في اليوم، كما يقول سفر الملوك الثّاني[١]، أو مرة فقط في اليوم، حسب رواية سفر أخبار الأيام الثّاني.

بينما قراءة ما جاء به عزرا احتاج إلى أسبوع كامل، كما يذكر سفر نحميا من كتابهم أيضاً، حيث جاء فيه: وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً فيوماً من اليوم الأول إلى اليوم الأخير، وعملوا عيداً سبعة أيام، وفي اليوم الثّامن اعتكاف حسب المرسوم[٢].

فلهذا ذهب أحد المؤرِّخين الغربيين إلى ترجيح كونه كتاباً ضخماً جدّاً، كان يحتوي فقط على جزء مهم من أسفار موسى الخمسة[٣].

حتى ولو سلّمنا جدلاً بوجود هذا السفر المزعوم في عهد عزرا، فلنسأل ماذا كان مصيره بعد ذلك؟ فهذا سؤال لا يستطيع أيُّ يهوديّ أو نصراني إيجادَ جواب مُقنِع عنه، ومن المرجّح أن يكونَ قد دُمِّر في حادثة غزو الملك أنطونيوكس[٤] لأورشليم قبل ميلاد المسيح بنحو مئة وإحدى وستين

(١) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٥).
(٢) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٥).
(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢/ ٣٦٧).
(٤) مصادر النصرانية، (١/ ٣٤٦).

سنة[١]، وقيل: في سنة (١٩٨ق.م)[٢].

وفي هذا يقول سفر المكابين الأول ـ أحد الأسفار المُتمِّمة للسِّتة والأربعين عند الكاثوليك والأرثوذوكس ـ: وكانوا يقترون على أبواب البيوت والساحات، وما وجدوه في أسفار الشّريعة مزّقوه وأحرقوه بالنار[٣]. وكل من وُجد عنده سفر من العهد أو اتّبع الشّريعة فإنّه مقتول بأمر الملك[٤].

هذا بالإضافة إلى ما نزل بالنصارى وبأسفارهم المقدّسة من ألوان العذاب والتنكيل، وأصناف الإبادة والتشريد، كما سبق الحديث عنها بالتّفصيل في الباب التمهيدي.

فهذا كلُّه يتّضح أن لا سند متصل بين ما يُسمّى اليوم بالبنتاتوك، أو أسفار موسى الخمسة، ونصِّ الوحي الإلهي الذي تلقاه موسى، سواء مشافهة أو مكتوباً، وحتى النسخة التي نسخها يشوع عليه السلام فيما يزعمون.

وإن كان من غير المستبعد أن يوجد توافق في بعض القصص والأخبار، وحتى الأحكام، بين هذه الأسفار وبين التّوراة المنزلة، إذ قد يكون ذلك من بقايا المعلومات المتوارثة جيلًا بعد جيل، فلم يشأ الله أن تُنسى، أو ممّا لم تصله أيدي التحريف والتبديل، والله تعالى أعلم[٥].

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٣٤٦).
(٢) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٦).
(٣) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٦).
(٤) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٦).
(٥) المصدر نفسه، (١/ ٣٤٧).

يقول الفيلسوف اليهوديّ سبينوزا: لمّا لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى، وفي الوقتِ نفسِهِ على عهد يشوع، فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السِّفر قد فُقد. . . ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية، بل كان سفراً مختلفاً كليّاً[1].

## ج ـ القرآن الكريم يُثني على التّوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام:

إنّ القرآن الكريم فرّق بين التّوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، وهي التّوراة الرّبانية، وما يتداوله اليهود من نصوص محرّفة، فالتوراة الربانية أثنى عليها القرآن ووصفها بصفات طيبة، فهي نور وضياء وهدى وفرقان وذِكر ورحمة، وإمام وبركة، وتبيان لكلِّ شيء، وهي دستور حياة لبني إسرائيل، شَرّعت لهم الأحكام، ووضّحت لهم الحلال والحرام، وحكم بها أنبياؤهم وصالحوهم.

هذه التّوراة الرّبانية الهادية أمرنا الله أن نُؤمن بها، لأنّ ذلك من الإيمان بالكتب التي أنزلها، وهذا ركن من أركان الإيمان، ومن كفر بالتّوراة فإنّه كافر مُخلّد في النار، ولو آمن بالإسلام والقرآن ونبوّة محمد ﷺ، لذلك نقرِّر هنا: أن نُؤمن بأن التّوراة كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام، وأنها طيبة عظيمة مباركة صادقة، وأحكامها وتشريعاتها صحيحة، عبدَ بها بنو إسرائيل ربّهم.

لكننا نُؤمن أنّ الأجيال اللاحقة من اليهود (ضيّعوا) تلك التّوراة الرّبانية

---

(١) مصادر النصرانية، المصدر نفسه، (١/ ٣٤٧).

المباركة، وخلطوها بكلام أحبارهم، وبذلك أتلفوها وطمسوا أنوارها وغيّروا أحكامها، ولم يحافظوا عليها كما أمرهم الله. ونؤمن أن الله (نسخَ) تلك التّوراة، التي أنزلها على موسى عليه السلام، وحرّفها وضيّعها أحبار اليهود، نسخها بالقرآن، الذي جَعَلَه الله الرِّسالة الخاتمة، وحفظه من التغيير والتحريف حتى قيام السّاعة. وهذا معناه أنه لا يجوز العمل بالتّوراة بعد إنزال القرآن، فإيماننا بها إيمان (تاريخي)، وليس له بُعد واقعي[1].

**د ـ القرآن لا يعترف بالتّوراة اليهودية المحرّفة:**

هذه التّوراة اليهودية (العهد القديم) المحرّفة يكذّبها القرآن في كثير ممّا فيها، ويُبيِّن الأكاذيب والأخطاء التي وقع فيها الأحبار، وهم يكتبونها.

ولم يعترف القرآن أن هذه التّوراة اليهودية كلام الله، لأن التّوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام أضاعها اليهود وكتبوا شيئاً آخر وغيّروها وبدّلوها، وجاء في هذا آيات صريحة عديدة منها:

ـ قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وغير ذلك من الآيات الكريمة. وبما أنّ التّوراة اليهودية المحرّفة من

(١) موسى كليم الله عدو المستكبرين، الصلابي، ص١٢١٣.

(تأليف) الأحبار الكافرين المحرِّفين للتوراة الرّبانية الصّحيحة، فإنّ القرآن لا يعترف بها ولا يُقرُّها، إنّما يُنكرُها ويرفضها، ولا يعتبرها كلام الله، وهذا هو مفهوم الآيات السّابقة التي أدانت الأحبار إدانة صريحة.

وإقرارنا أن التّوراة اليهودية المسماة: (العهد القديم) من صناعة الأحبار وتأليفهم، على مدار التّاريخ اليهوديّ الطويل، لا يمنع وجود (بقايا) قليلة من التّوراة الرّبانية مُتفرِّقة في أسفارها، لكنها لا تخرج عن كونها كلمات أو عبارات متناثرة، هنا وهناك، وهي قليلة جدّاً لا تكاد تُذكر، وسط ذلك الركام من تحريفات الأحبار.

ويستحيل (فرز) ذلك القليل من التّوراة الرّبانية من بين أساطير التّوراة المحرّفة، ثم إن الله نسخ الكلام وما فيه من تشريعات وأحكام والخير الذي فيه وأثبته في القرآن[1].

**هـ ـ القرآن يفصل القول فيما اختلف فيه اليهود:**

القرآن الذي يُكذِّب التّوراة المحرّفة يُفصِّل القول في المسائل العديدة، والتي كان اليهود يختلفون فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٦ ـ ٧٨]؛ تقرِّر الآيات أن اليهود اختلفوا كثيراً في مسائل كثيرة، وكانوا فرقاً متقاتلة متنازعة يُحارب بعُضها بعضاً، ويُكفِّر بعضها بعضاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) حديث القرآن عن التوراة والإنجيل، ص٥٤.

إنّهم ظلُّوا تابعين للسلوقيين، ثم سُمح لهم بحكم بعض المناطق، وبدأت مملكة سيموت تكبر وتتوسع، واستمرّت مملكة (سيموت) بالتّوسُّع والامتداد حتى عام (٧٦ق. م)، حيث وصلت إلى البحر، ولكنها بالرغم من ذلك ظلّت تتبع الإغريق رسميّاً وقانونيّاً وسياسيّاً[١].

**٣ ـ الحضارة الإغريقية:**

هي واحدة من حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، وتشمل: مصر، وما بين النهرين (أي دجلة والفرات)، وبلاد الإغريق، والرُّومان[٢]، وأصحاب الحضارات هذه هم اليونانيون الذين كانوا يمثلون أمة عظيمة القدر بين الأمم، وسُمُّوا بذلك أي (الإغريق) لتغلغل حضارتهم وتأثيرها بين أعضاء الجماعات اليهودية في مصر وبرقة، وسورية وآسيا الصغرى وفلسطين، وقد استمرّت طيلة العصر الرُّوماني، كما بَيّنتُ ذلك في ثنايا البحث[٣].

ومن الثّابت أنّ الحضارة الإغريقية قد بدأت متأخِّرة عن حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط الأخرى، إلا أنه كان لموقعها الاستراتيجي، في منطقة البحر الأبيض المتوسط، أثره البارز في الاتصال بالبلاد ذات الحضارات القديمة في هذا البحر (في شمال فلسطين) تماماً، كما اتّصلوا بالحضارات الشرقية والجنوبية لحوض البحر، واكتسبوا من هذه الحضارات

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، محمد عبد المعطي، ص٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٥.

الشيء الكثير، وكان على رأس هذه الحضارات التي استفادوا منها الحضارة المصرية القديمة[١].

وقد أخذوا منها الكثير من معارفهم الدينية والفلسفية والعلمية، كالفَلك والطبِّ والزراعة والهندسة والفنون الجميلة وفنون العمارة والنحت والتصوير، وما يتجاوز الفنّ الرفيع إلى أشياء أخرى تُسمّى الفنون التطبيقية، وتُسمّى الحياة اليومية، وقد تُسمّى السياسية أيضاً[٢].

وكان كثير من فلاسفة الإغريق المشهورين قد تلقّوا تعليمهم في مصر، فـ(أفلاطون) مثلًا، درس في جامعات مصر، وقد زار مصر كثيرون من عظماء اليونان المشهورين أمثال (فيثاغورس) و(ديمقريطوس): ومع ذلك فقد استطاعت بلاد اليونان أن تسبق غيرها من البلاد التي أخذت حضارتها عنها، خاصّةً في مجال الفلسفة، وذلك لأن هذه البلاد لم تحكمها دولة عريقة، ولم تكن فيها إلى جانب الدول الحاكمة دولة من دول الكهنة التي تتأصّل في البلاد، وتتوازن فيها أسوار المعرفة والبحث في أصول الخلق والحياة، أو في المسائل الإلهية التي يتأثّر بها الكُهّان ورؤساء الدِّين[٣].

وانتشرت الديانة الوثنية وتعدُّد الآلهة، وكانت قوانين اليونان ترى الامتناع عن عبادة الآلهة اليونانية جريمةً كبرى يُعاقَب عليها بالإعدام، وهذا هو القانون الذي حُكم به على سقراط . . . . . .

(١) المصدر نفسه.

(٢) المسيح عيسى ابن مريم، الصلابي، ص٣٦.

(٣) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، ص٣٦.

بالموت[١].

إن الحياة في بلاد اليونان لم تكن دنيوية كما يصفها المؤرِّخون فقط، بل كان للدِّين فيها شأن كبير في كلِّ مكان، إلا أنه كان ذا طابع فرديٍّ لا طابع (قومي) عامٍّ، بمعنى أنه لم يكن للدولة دينٌ رسميٌّ يتمسّك به الجميع، أو عقائد ثابتة مقرّرة، ولم يكن قوامُ الدِّين الإقرارَ بعقائد معينة، بل كان قوامه الاشتراك في الطُّقوس الرّسمية، وكان في وسع أي إنسان أن يُؤمن بما شاء من العقائد على شريطة ألا يَكفُرَ بآلهة المدينة أو يَسبّها[٢].

ولقد كانت هذه الفردية الدينية، وما تبعها من فوضى دينية، نتيجةَ احتكاك الإغريق بالشّرق، وتأثُّر بعضهم بالمفاهيم الدينية السّائدة فيه، فكان سبباً عجّل تفكيك المجتمع اليوناني، ثم سقوطه سريعاً تحت ضربات الرُّومان، ومع ذلك فقد خلّف الإغريق ما كان ذا أثر فعال في صياغة شكل الحياة في الإمبراطورية الرُّومانية ذاتها، وما كان ذا أثر فعّال في الدِّين المسيحيِّ نفسه[٣].

**ويمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:**

**ـ تمزيق الكيان الإنساني الواحد بالإعلاء من شأن بعض المواهب التي منحها الله للإنسان، والحطِّ من شأن بعضها الآخر:**

فقد أعلى الإغريق ـ على سبيل المثال ـ من شأن العقل، وحطُّوا من شأن

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، (٥/ ٩١).

(٢) مظاهر الوثنية، ص٣٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

الجسد، فحقّروا العمل اليدوي والجري وراء الثّراء، ورفعوا من شأن المحارب السياسي والمسؤولين عن الزراعة، وحرموا العبيد وغيرهم، ممّن يزاولون الحرف اليدوية، من حقوق المواطنة والتمتُّع بالديمقراطية[١].

**ـ ترتّب على ذلك أن كان هناك تمايز صارخ بين الإغريق وغير الإغريق في داخل حدود مجتمعهم الإغريقي، أو في خارجه:**

ففي داخل حدود بلادهم نجد أرسطو ينظر إلى العبد على أنه آلة بشرية، ويظنُّ أن الاسترقاق سيبقى حتى اليوم الذي تُؤدِّي فيه الآلاتُ التي تدور بنفسها جميع الأعمال الحقيرة.

وأما خارج اليونان فقد كانت الروح الإنسانية لليونانيين وطنية قومية، ولذلك كانوا استعماريِّين من الطراز الأول، وقد ساعدهم على ذلك تجارتهم الدولية التي أدّت إلى ظهورهم وظهور حضارتهم التي شهد بها التّاريخ[٢].

**ـ المادة الغليظة:**

ظهر الميل إلى تجسيد المجرّدات برغم الاشتغال بالفلسفة، ومِن ثَمّ ساد عندهم التفسير المادي للوجود والإنسان، وانعكست هذه النزعة المادية الوثنية على فكرة الألوهية عند الإغريق، فإنّه ليس ثمة دين يقرب آلهته من الآدميين قرب آلهة اليونان[٣].

---

(١) مظاهر الاقتصادية الكبرى، ص١٨ ـ ١٩.

(٢) قصة الحضارة، (٢/ ٦٨).

(٣) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، ص٣٧٠.

فكان اليونانيون يُؤمِنون بأن آلهتهم يأكلون ويشربون، ويلعبون ويلهون، ويخوضون المعارك، فيَغلبون ويُغلبون، ويتألّمون ويفرحون ويحزنون، والويل لمن تعرّض لهم أو أغضبهم، فإنّ غضبَهم شديد، ولذلك حُكم على سقراط أن يشرب السمّ، ومات شهيد الجهر بالحقيقة، لأنه أفشى أسرار الوحدانية وخلود الروح، واعتبروه كافراً بالآلهة اليونانية[١]، ولذلك عبدوا آلهة شتّى، فهناك آلهة للحِرَف والمهن المختلفة، وآلهة للحرب، وآلهة مُستمدّة من الطبيعة، كما عبدوا رمزي الإخصاب الرئيسيين في الرجل والمرأة، وعبدوا بعض الحيوانات، كما عبدوا الموتى[٢].

**٤ ـ الحُكْم الرُّوماني:**

قرّر الرُّومان وهم من أصل إيطالي التّوسُّع، فبدؤوا يأخذون ممالك الإغريق مملكة مملكة، حتى وصلوا إلى بلاد الشّام فاحتلوها، ومن ثَمّ وصلوا إلى القدس فاحتلوها أيضاً، وذلك سنة (٦٣ق.م)، وعيّنوا عليها كاهناً اسمه (ريسونك)، ثم أصبح هذا الكاهن كبيراً لليهود، ودام الحُكْم فيهم على هذه الصورة (٢٣) سنة.

**أ ـ ملك اليهود هيرودس:**

عيَّن الرُّومان ملكاً لليهود اسمه (هيرودس)، مشهور في التّاريخ باسم (هيردس)، وفي التّاريخ العربيِّ باسم هيرود: لم يكن هذا الملك من الأسرة المكابية الحاكمة، بل تم اختياره على أيدي الرُّومان، فكان موالياً لهم،

(١) مظاهر الوثنية، ص٣٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٧٠.

وطاغية شديداً على اليهود، ولكي يُثبِتَ مكانته بين اليهود، ويجْعَلَهم يتّبعونه أعاد تجديد الهيكل، وضاعف مساحته، وأصبحت هذه المنطقة (الأردن وفلسطين) في عهده منطقة صراع بين الرُّومان والفرس، فتارة تكون بأيدي الفُرْس وتارة بأيدي الرُّوم، وفي عام (٣٤ق.م) استطاع (هيرود) أن يجمع قُوّة يطرد بها الفرس، ثم أحكم سيطرته على تلك المناطق، وكانت فترة حكمه فترة ازدهار لها، وظلّت الأمور مستقرّةً بيده فترة طويلة، وفي هذه الفترة زارت كليوباترا حاكمة مصر الفرعونية القدس، في طريق عودتها من زيارتها للعراق والفرات، فكان لهذا الحادث وقع عظيم جدّاً في تلك المناطق، لما كان لكليوباترا من شهرة عظيمة[١].

**ب ـ عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام في عهد الدولة الرُّومانية:**

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقبل ميلاد يحيى عليه السلام في عام (٤ق.م) مات (هيرود) ملك اليهود، وتمزّقت دولة اليهود أو دويلة اليهود التّابعة للرومان بين أولاده الثلاثة، والتي لم يكن لها حكم مستقلٌّ عن الدولة الرُّومانية، بل كانت تابعة لها، ثم بعد ذلك بأربع سنين كان ميلاد المسيح عليه السلام، وقبل مولده بثلاثة شهور وُلد النّبيُّ يحيى عليه السلام، الذي اشتهر بينهم باسم (يوحنا المعمداني) [٢]. وقد ذَكرتُ قصّة يحيى وزكريا وعيسى عليهم السلام بالتّفصيل في كتابي (**المسيح عيسى ابن مريم الحقيقة كاملة**).

---

(١) فلسطين التَّاريخ المصور، ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

### ج ـ حكم بطليموس الرُّوماني:

انتقل الحُكْم من ابن (هيرود) إلى الرُّومان الذين حكموا حكماً مباشراً، وألغَوا حُكمَ الممالك اليهودية الذاتي، فالمسيح جاء في زمن كان للرومان على القدس سيطرة غير مباشرة، أي: أن القضاء والدِّين كان في أيدي اليهود وقتها.

وفي عام (٢٦م) تولّى حكم فلسطين (بطليموس) الرُّوماني، ولم يكن يهوديّاً، وفي فترة حكمه حدثت أحداث رهيبة جدّاً، فقد حكم بطليموس هذا في فترة وجود الأنبياء الثلاثة (زكريا ويحيى وعيسى) عليهم السلام.

وتحكي كتب التّاريخ: أن بطليموس أراد أن يتزوّج من ابنة أخيه لجمالها البارع جدّاً، ولكن زواج المرأة من عمِّها كان محرماً في دينهم، فأحبّ أن يأخذ فتوى أن زواج المرأة من عمها ليسَ محرماً في دين الله، وأن من يفعل ذلك لا يكفر، ففُوجئ بطليموس بهذا الإعلان، وخاصّة أنه كان يتظاهر بالتّديُّن باليهودية، وبالتعاون مع اليهود، واحترام مقدّساتهم، وكان يتبع كلام اليهود في مثل هذه القضايا، فلما سمع بفتوى يحيى عليه السلام أُسقط في يده، ولكن ابنة أخي بطليموس أرادت أن تُغوي عمّها، فقامت بالرقص أمامه، وأشربته الخمر حتى سكر، ثم أغرته بقتل يحيى عليه السلام، وما زالت به حتى قام تحت تأثير النشوة في رأسه بالأمر بقتله، ثم أمر بعد ذلك بقتل زكريا عليه السلام، كما وَرَدَ في رواية تاريخية مشهورة، فقتل ذلك الفاجرُ نبيّين عظيمين في تلك الفترة، غير أنّ اليهود لم يُحرِّكوا ساكناً لمقتل أنبيائهم، وكأن الأمر لا يعنيهم[1].

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٢.

**الحادي عشر: عهد عيسى عليه السلام:**

كان هذا العهد الرُّوماني هو الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام بمعجزة ربانيّة من دون أب، كما جاء تفصيل ذلك في القرآن الكريم.

كانت الحالة السياسية في عصر المسيح عليه السلام من أسوأ ما يكون، وأبلغ منها في السوء الحالة الاجتماعية، فبسبب السلطة المطلقة التي كانت بيد الحُكّام ضاع النظام مع القانون، فحدث تفاوت كبير بين الحُكّام والمحكومين، فكانت الثروة والتّرَف والطُّغيان من ناحية، والفقر والهوان من ناحية أخرى.

إضافة إلى الضرائب التي كانت تجيء لحساب روما، وانحصرت أهداف رجال الدِّين في جمع الأموال، وخلا المجتمع من التّرابط والتّآلف، وانتشرت العصبية بين الناس، وظهرت الفوارق الطبقية.

وكانت التعاليم الإلهية التي جاء بها عيسى عليه السلام مناسبة لهذه البيئة، وجاءت علاجاً لمشكلاتها، فبينما كانت تسيطر الأجواء المادية في ذلك المجتمع جاءت تعاليم عيسى عليه السلام روحية سامية، لتُعالج ذلك الماديّ، وذلك الابتعاد عن حقيقة الدِّين الصّحيح.

إن تفاصيل حياة عيسى عليه السلام وأمه مريم وأسرتها (آل عمران) وقصة زكريا ويحيى عليهما السلام في العهد الرُّوماني لبلاد الشّام حفظها القرآن الكريم، وأهمُّ ما جاء عنها:

ـ إن تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه وأسرته يفوق ـ بلا ريب ـ تكريم كلٍّ من التّوراة والإنجيل الموجودَين حاليّاً، وكان القرآن الكريم بالإضافة

إلى هذا التكريم هو المُصحِّح للأخطاء والاتِّهامات والافتراءات الباطلة، التي كانت تُوجّه إلى السيِّد المسيح وأمِّه الطّاهرة، على ألسنة اليهود والمسيحيِّين أنفسهم.

ـ في القرآن الكريم توجد سورة آل عمران، وهي اسم أسرة المسيح عليه السلام، ولفظة (آل) كلمة تُخاطَب بها الأُسَر الكريمة الطّيِّبة، وهذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم، وهناك سورة باسم سورة (مريم)، وهو اسم السيدة مريم العذراء، والدة المسيح، عليهما السلام، على حين لا يوجد في القرآن الكريم اسم لأسرة نبيِّ الإسلام محمد ﷺ، إذ لا توجد سورة تحمل اسم (بني هاشم) أو (بني عبد المطلب)، ولا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدة الرّسول ﷺ.

ـ ذَكَر الله عزَّ وجلَّ نشأة عيسى عليه السلام ببيان نشأة أمِّه، بياناً لبطلان ما يعتقده النّصارى فيه من أنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك، فعيسى له أم، وأمُّ عيسى لها أم وأب، ولهما أمهات وآباء إلى آدم.

ـ وُصفت السيدة مريم عليها السلام بالصِّدِّيقة، لكمال إخلاصها وانقيادها لله عزَّ وجلَّ ظاهراً وباطناً، والتعبُّد بطاعته سبحانه في حركة وسكون مع إخلاصٍ عظيم في القصد لله عزَّ وجلَّ. وُصفت بالصِّدِّيقة، لكثرة تصديقها بآيات ربِّها، وتصديقها ولَدها فيما أخبرها به، ووُصفت بصدق وعد ربِّها وهو ميثاق الإيمان.

ـ جاءت تفاصيل مولد عيسى عليه السلام في سورة مريم، بدقة متناهية، وأوصافٍ مُحكَمَة للمكان والحالة النفسية التي مرّت بها مريم عليها السلام، من أخذها للمكان البعيد، ومجيء المخاض، وآلامها عند الوضع، وتمنِّيها

الموت، ومناداة ابنها لها من تحتها، وما صاحب ذلك من نفحات وبركات.

ـ جعل الله صوم مريم وصمتها عن الكلام آيةً لها، ودليلًا على براءتها وطهارتها، فبينما صامت هي عن الكلام، وهي القادرة عليه، فقد أنطق الله وليدها عيسى عليه السلام الذي لم تمض على ولادته إلا فترة يسيرة، وهو في المهد، فكان كلامه أقوى وأبلغ في إزالة التُّهمة عنها، كما أنّ السكوت عن السفهاء وعدم الردِّ عليهم من أخلاق الصدِّيقة العفيفة الطّاهرة المُطهّرة.

ـ عندما نطق عيسى عليه السلام في المهد أخرس كلّ من اتّهم والدتَه، وبيّن معجزته الخالدة في كون الله خلقه من دون أب، وبيّن رسالته في الحياة، وأنّه عبد الله آتاه الكتاب وجَعَلَه نبيّاً، وأوصاه بالصّلاة والزّكاة، وبرِّه بوالدته، وقدم نفسه لقوم أمه، وذكر عبوديته لله الواحد، وذكر ما سيُؤتيه الله من النبوّة والكتاب، ومن السِّمات والمزايا الإيجابية القائمة على برِّه بأمه، وتواضعه وعدم تجبُّره أو تكبُّره، وما سيُضفيه عليه من السلام والأمان في حياته، وتوقّف عرضُ القرآن لقصة ميلاد عيسى عليه السلام عند هذا الحدِّ.

ـ بعدما ذَكَر الله عزَّ وجلَّ سيرةَ مريم وابنها عليهما السلام، بشفافية عالية ومصداقية لا يوجد مثيل لها، علّق على القصّة بتبيانه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤ ـ ٣٥].

ـ بَيّنت الآيات القرآنية بأن عيسى عليه السلام عبدٌ أنعَمَ الله عليه، وداعية إلى التّوحيد وعبادة الله عزَّ وجلَّ.

ـ عرض القرآن الكريم موكب الإيمان الجليل يقوده ذلك الرّهط من

الرُّسل: من نوح عليه السلام إلى إبراهيم إلى خاتم النّبيِّين، وكان من بينهم عيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى يُعلَم أنّه نبيٌّ كباقي الأنبياء والمرسلين، وليس هو الله، ولا ثالث ثلاثة، ولا ابن الله.

ـ شملت رسالة المسيح كذلك الإيمان بالوحي، وأن التعاليم التي يُبلغها ليست من عنده وإنّما يُوحي بها إليه ربُّه، وذَكَر اللهُ المسيحَ في القرآن الكريم من جملة مَن يُوحى إليهم من النّبيِّين[1].

ـ بيّنت الآيات الكريمة أنّ أصول الشّرائع ووحدة الدِّين عند الله حقيقة دَلّتْ عليها النصوص، كالأمر بالصّلاة والزّكاة والصِّيام والقصاص والجهاد... إلخ.

ـ اتفقت جميع الرِّسالات السماوية على أصول الإيمان، على امتداد دعوات الرُّسُل عليهم الصّلاة والسلام، ولم تختلف هذه الرِّسالات في تقرير أصول الإيمان قبل أن ينال منها التحريف والتبديل؛ لأنها تتحدّث عن مقرّرات ثابتة لا يقوم الإيمان إلا بها، فهي حقائق ثابتة لا تتطوّر ولا تتغيّر، ولا يدخلها النسخ كما يدخل فروع الشّرائع، وقد جاءت النصوص القرآنية تُؤكِّد هذه الحقيقة.

ـ كان همُّ عيسى عليه السلام أن يدعو الناس إلى طاعة الله، والتوجُّه إليه بالعبادة دون سواه، وتحقيق التّوحيد تحقيقاً حقيقياً مبنيّاً على إيمانٍ عميق، ومعرفة راسخة، ومن أصول دعوته الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتب السماوية، والأنبياء والمرسلين، والإيمان بالقدر.

---

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص٤٥٨.

ـ إن عيسى عليه السلام دعا إلى الإسلام، وهو دين الله الخالد الذي لا يَقبل الله سواه، وأن هذا الدين هو الدِّين الذي فرضه الله على البشرية، منذ خلقهم، جاء به آدم وإدريس ونوح وإبراهيم عليهم السلام، وأنّه تمّ برسالة خاتم النّبيِّين، وأن هذا الدِّين جاء به النبيُّون كلُّهم، وهو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الوحدانية الخالصة التي لا يشوبها أدنى شرك. وهو الدِّين الذي يشمل العقائد الصّحيحة والأحكام العامة التي لا تتغيّر بتغيُّر الزّمان والمكان، أو بتغيُّر أحوال الناس في سلسلة حياتهم الإنسانية على وجه الأرض، مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم، ومهما تغيّرت مهنهم وحرفهم وثقافتهم في الحياة الدُّنيا.

وقد كان عيسى عليه السلام يدعو إلى اعتناق رسالة الإسلام، الدِّين المؤسّس على الاعتراف بالخالق ووحدانيته.

ـ شاء الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عيسى عليه السلام آيةً، ولذلك جعل معجزاته عديدة في حياته، وصاحَبته منذ خَلْقه إلى موته قُبَيل قيام السّاعة، ومن أشهر معجزاته ميلاده بلا أب بقدرة الله، وتأييده بروح القدس، وتعليمه الكتاب والحِكْمَة والتّوراة والإنجيل، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، والخلق من الطِّين ونفخ الروح بإذن الله، وإخباره عن الغيوب، ونزول المائدة من السّماء بدعائه.

ـ الحواريُّون هم أنصار عيسى عليه السلام، فقد استجابوا لدعوة عيسى عليه السلام، وأصبحوا أنصار الله، آمنوا بالله وبما أنزل، واتّبعوا رسولَه.

ـ تعرّض عيسى عليه السلام لمكر اليهود، وحاولوا قتلَه، ولكن الله حماه ونجّاه ورفعه إليه.

**١ ـ المكر بعيسى عليه السلام ورفعه إلى السّماء:**

لم تَرُقْ تعاليمُ المسيح عليه السلام لكثير من اليهود، الذين حقّ عليهم قول الله تعالى في كتابه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

ورأوا فيها خطرًا على مصالحهم وثرواتهم، وضاق الكهنة والفريسيون من دعوته ـ التّوحيد والإيمان الصّحيح، وعبادة الله عزَّ وجلَّ كما ينبغي ـ ودعوته إلى القناعة والعِفّة والزُّهد، ومن نهيه عن الرِّبا والرشوة والفساد والظلم، فتمالؤوا عليه، ووشوا به إلى الحاكم(١).

لقد خافوا على مصالحهم، واتّخذوا من تديُّنهم المزعوم بدين موسى عليه السلام والأنبياء من بعده حُجّةً للتملُّص من الدين الجديد، وزعموا أن لهم منزلة دينية لا يُساميهم فيها أحدٌ، واتّخذوا من هذا ما يصحُّ أن يُسمّى أرستقراطية دينية؟ فزعموا أن لهم المكانة السّامية، ولغيرهم المنزلة الدُّون، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية وآمنوا برسالة موسى عليه السلام، فكانت هناك طائفة يقال لها السّامرة، وكان الإسرائيليون يعاملون آحادها معاملة المنبوذين، فلما جاء عيسى عليه السلام وسوّى بين بني البشر في دعوته أنكروا عليه ذلك، وناصبوه العداوة.

ولقد كانوا يجعلون لأحبارهم وعلماء الدِّين فيهم المنزلة السّامية والمكانة العالية بين الناس، فجاء المسيح وجعل الناس جميعًا سواء أمام

(١) رسائل الأنبياء، عمر أحمد عمر، ٢٣١١.

الخالق العظيم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى وحُسْن العبادة وتحقيق الإيمان بالله، لكلِّ هذا تقدّم اليهود لمناوأة المسيح، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعوته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا أن الضِّعاف والفقراء يُجيبون نداءه، ويلتفُّون حوله، مقتنعين بقوله، أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحُكّام بشأنه، ويُحرِّضون الرُّومان عليه(١).

وقالوا للحاكم: إن هنا رجلًا يُضِلُّ الناس ويصدُّهم عن طاعة الملك ويُفسد الرعايا، ويُفرِّق بين الأب وابنه، وإنه ولد زانية، إلى غير ذلك ممّا تقلّدوه في رقابهم، ورموه به من الكذب، حتى تمكّنوا من حمل الحاكم على أن يُصدِر الأمرَ بالقبض والحكم عليه بالإعدام صَلبًا، وأرسل جندًا ليقبضوا عليه، فلما عثروا عليه وأحاطوا به، واقتحموا بيته، نجّاه الله منهم ورفعه إليه، وألقى شبهَه على من تقدّمهم إليه، فلما دخلوا وراءه قبضوا عليه، وهم يحسبون أنه عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشّوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنّه نجّى نبيّه، ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، ويعتقدون أنهم قد ظفروا به(٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٥٣.
(٢) رسائل الأنبياء، عمر أحمد عمر، ٢/ ٣١١.

تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٤ ـ ٥٨].

* ﴿وَمَكَرُوا۟﴾: اليهود الكافرون، مكروا بعيسى عليه السلام مكرًا خبيثًا، وتآمروا عليه وأرادوا قتله.

* ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: أبطل الله مكرَ اليهود، وأفشل كيدَهم، وحمى عيسى عليه السلام منهم.

* ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: الله خير مَن ينصر أولياءه على أعدائه، وخير من يبطل كيد أعدائه ويُحبط مؤامراتهم(١).

لقد أسندت الآية إلى اليهود مكرًا خبيثًا مذمومًا ضدّ عيسى عليه السلام، وأرادوا قتله، ورسموا لذلك خطّةً دقيقة، ومكروا به مكرًا شيطانيًّا خبيثًا، وأسندت الآية إلى الله مكرًا طيِّبًا محمودًا، وهو إبطال مكرهم السَّيِّئ، وإنجاء عيسى عليه السلام من كيدهم، فأنقذه من بين أيديهم بأن ألقى شبهه على غيره، فأخذوا شبهه وقتلوه، ظانِّين أنهم قتلوا عيسى، وبهذا مكر الله بهم وسَخِر منهم، وأخرجه الله من وسطهم حيًّا، وحفظه بحفظه، وحماه بحمايته(٢).

ـ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وهذه

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٤٧.
(٢) المرجع السابق، ٤/ ٣٤٧.

الآية تحدّثت عن حماية الله له بإجمال، فلما أراد اليهود إيذاءه وقتله كفّ الله أيديَهم عنه(١).

أ ـ ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]:

أبطل الله مكر اليهود ضدّ عيسى عليه السلام بأن توفّاه ورفعه إليه وطهّره منهم، وقد اتّفق علماء المسلمين على نجاة عيسى من القتل والصّلب، واختلفوا في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.

ـ فقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: إنّي رافعك إليّ، ومُطهِّرك من الذين كفروا، ومتُوفِّيك، وذلك بعد أن أُنزلك إلى الأرض في آخر الزّمان، وعلى هذا يكون معنى ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾، وإماتته له عند نزوله قُبيل قيام السّاعة، فالوفاة على هذا القول بمعنى الموت.

ـ وقال آخرون: إنّي قابضك من الأرض، فرافعك إليّ، قالوا: ومعنى «الوفاة» القبض، لما يقال: «توفَّيت من فلان ما لي عليه»، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: «إني مُتوفِّيك ورافعك» أي: قابضك من الأرض حياً إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك، ورجّح هذا القول الإمام الطبري(٢).

---

(١) المرجع نفسه، ٤/ ٣٤٨.

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ٤/ ٣٥٠. وتفسير الطبري، تقريب وتهذيب، ص٤٥٦.

ـ وقال آخرون: الوفاة هنا موت حقيقيٌّ، فالآية على ظاهرها، فالله أنقذ عيسى عليه السلام من اليهود عندما أرادوا قتله، ثم توفّاه بعد ذلك وقبض روحه وأماته، ثم رفعه بعد موته(١).

ـ وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى النوم، فالله ألقى النوم على عيسى عليه السلام، ولما نام رفعه إليه، ومعنى الآية: إنّي مُنيمُكَ ورافعك إليّ في نومك.

ـ ورجّح هذا القول ابن كثير إذ قال: رفعه إلى السّماء بعدما توفّاه بالنوم على الصّحيح المقطوع به، وخلّصه ممّن كان أراد أذيّتَه من اليهود الذين وَشَوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزّمان(٢).

**ب ـ معنيان للتّوفّي في القرآن: الموت والنوم:**

**ـ إنّ إسناد التوفّي إلى الله في القرآن أحيانًا يُراد به الموت وقبض الروح، وهذا وَرَدَ في موضعين من القرآن:**

**الأول:** قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، أي: أعبد الله الذي يُميتكم ويَقبض أرواحَكم.

**الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]، أي: الله هو الذي خلقكم وجعلكم أحياء، تعيشون حياتكم الدُّنيا، ثم يتوفّاكم عند انتهاء أعماركم، ويقبض أرواحكم ويُميتكم.

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ٤/ ٣٥٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢/ ٩١.

**ـ أحيانًا يراد به النوم، حيث وردت آيات من القرآن تعدُّ النوم توفِّيًا، وتسنده إلى الله، وهذا في موضعين في القرآن أيضًا:**

**الأول**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]، والمعنى: الله الذي يجعلكم تنامون بالليل ويتوفّى أرواحكم أثناء نومكم، ثم يُعيد أرواحَكم إلى أجسادكم في النهار: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، وضمير الهاء في (فيه) يعود على النهار.

**الثاني**: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] وقد عدَّتِ الآيةُ النّومَ موتًا، وقسّمت الناس بعد النوم إلى قسمين:

ـ فهناك أناس ينامون ويموتون أثناء النوم، ويكون الله قد قدّر انتهاء آجالهم عند تلك (النومة)، فيتوفّاهم ويقبض أرواحهم أثناء النوم، ويُمسِكَ أرواحَهم عنده، ولا يُعيدها إلى أجسادهم، ويصبحون أمواتًا جثثًا هامدة، وهؤلاء هم الذين قال عنهم: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾.

ـ وهناك أناس ينامون، ويتوفّى الله أرواحهم أثناء النوم، لكن تكون قد بقيت من أعمارهم بقية، فيُعيد الله أرواحَهم إلى أبدانهم عند الاستيقاظ من النوم، ويُصبحون أحياء يتحرّكون، وهؤلاء هم الذين قال الله عنهم: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

وهذان الصِّنفان من الناس يتوفّى الله أرواحَهم عند نومهم، فالنوم موت

ووفاة، لكن يَعقبه استيقاظٌ وبعثٌ في الصباح، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾: الله يقبض الأنفس حين نومها، ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾: والله يتوفّى الأنفس التي لم تمت في منامها، فيُخرج أرواحها من أجسادها عند نومها، ويُعيدها إلى الأجساد عند استيقاظها(١).

وهاتان الآيتان (الأنعام: ٦٠، والزمر: ٤٢) صريحتان في أن النوم وفاة صغرى، وأن الله يتوفّى أرواح النائمين، ويُخرجها من أجسادهم أثناء نومهم، ثم يُعيدها لمن كُتب لهم الحياة عند استيقاظهم، وقد أكّد هذا المعنى ـ النوم وفاة والاستيقاظ بعث ـ رسولُ الله ﷺ في أدعية النوم والاستيقاظ، فقد كان النّبيُّ ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: «**اللّهمّ باسمِكَ أحيا، وباسمِكَ أموتُ. وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور**»(٢). والشاهد أنه توافق كلامُ رسول الله ﷺ مع الآية الكريمة، في اعتبار النوم وفاةً وموتاً، والاستيقاظ بعثًا وحياة(٣).

وإن النصوص السّابقة تُصرِّح بأن النوم موتٌ ووفاة، وأن الاستيقاظ بعثٌ وحياة، وهذا معناه أنّ التّوفِّي والوفاة في القرآن الكريم ترد بمعنى الموت الحقيقي وخروج الروح من الجسد، وقد تعني النوم وخروج الروح من الجسد أثناء النوم، لتعود إليه عند الاستيقاظ(٤).

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٥٤.
(٢) البخاري، رقم ٦٣١٢، وانظر: مسلم رقم ٢٧١١.
(٣) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ٤/ ٣٥٥.
(٤) المرجع نفسه، ٤/ ٣٥٥.

**ج ـ تَوفّى الله عيسى مرتين: وفاة نوم ووفاة الموت:**

بعد هذا الاستعراض الموجز لإسناد (التّوفِّي) إلى الله في القرآن، ننظر في حديث القرآن عن توفِّي الله لعيسى عليه السلام. وقد وَرَدَ هذا مرتين في القرآن:

**المرة الأولى**: عندما أراد اليهود صلبه وقتله، ومكروا به، فأنجاه الله منهم، وذلك بأن توفّاه ورفعه إليه، فأنجاه الله منهم، وقال له قبل توفِّيه ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وهو توفِّي نوم، وذلك بأن ألقى الله النوم على عيسى عليه السلام، ولمّا نام رفعه إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

**المرة الثّانية**: عندما سيُنزله الله قبيل قيام السّاعة ليستكمل باقي عمره الذي حدّده الله له، حيث سيتوفاه الوفاة الحقيقية بقبض روحه وخروجها من جسده وموته كما يموت الناس، وذلك التوفِّي هو توفِّي موت.

ولا يمكن أن يكونَ التوفّي في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ توفِّي موت، ثم رفعه الله إليه بعد موته، لورود نصوص صحيحة صريحة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزّمان، وسنذكرها لاحقًا في محلِّها بإذن الله تعالى، فلو كان أماته من قبل، فلن يُنزله في آخر الزّمان، لأن الله لن يجمع عليه موتتين في الدُّنيا[1].

**د ـ ألقى الله النوم على عيسى ثم رفعه:**

إنّ الخلاصة في معنى آية آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٥٧. وانظر: تفسير الطبري، تقريب وتهذيب، ٢/ ٢٨٣.

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، بأنْ أُلقي عليك النومَ عندما يأتي اليهود لقتلك، وسأرفعك إليّ في السّماء عند نومك، وبذلك سأُطهِّرك من اليهود الذين كفروا، فلن تمتدّ أيديهم المجرمة إليك، ولن يؤذوك.

لقد أخبر الله عيسى عليه السلام بهذا قبل أن يأتي إليه اليهود لقتله، ووَعَده بإنجائه منهم؛ وذلك ليُطمْئنه ويُبشِّره ويُسلِّيه، ويكون على يقين بأن الله معه.

وجاء الوعد بالنجاة في الآية بصيغة اسم الفاعل: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ففي الآية أربع كلمات، كلُّها اسم فاعل: مُتوفِّيك، ورافعك، ومُطهِّرك، وجاعل، والتعبير باسم الفاعل لتأكيد الوقوع وتحقيق الوعد، ولهذا دخل عيسى عليه السلام المواجهة الأخيرة مع اليهود، وواجه كيدَهم ومكرهم، وهو على يقين أن الله سيُنجيه منهم، بأن يتوفّاه ثم يَرفعه إليه، ولما هجم عليه اليهود مع الجنود: أنامَه الله، ثم رفعه إلى السّماء، رفع روحَه وجسدَه وهو حيٌّ، بطريقة معجزة[1].

لقد علمنا من الكتاب والسُّنّة أن الله قد رفع رسولين كريمين إلى السّماء، وهما حيّان غير ميّتين، عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ ليلة المعراج، فبينما لم يدم العروج بمحمد ﷺ أكثر من ساعات، حيث

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٥٨.

أعاده الله إلى مكة قبل بزوغ فجر تلك الليلة، فإن الله عزَّ وجلَّ الحكيم شاء أن يبقى عيسى عليه السلام في السّماء إلى قُبيل السّاعة[١].

٢ ـ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾:

إنّ القرآن الكريم تحدّث عن محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام في ثلاثة مواضع في ثلاث سور:

ـ إشارة سريعة إلى كفِّ بني إسرائيل عنه لما جاءهم بالبيِّنات، وذلك في سورة المائدة: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

ـ حديث مُجمَل في حماية عيسى عليه السلام منهم، بأن ألقى عليه النوم، ثمّ رفعه إليه، وذلك في سورة آل عمران: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

والحديث أكثر تفصيلًا ـ لكنه ما زال مُجمَلًا ـ عن نفي قتل اليهود وصلبهم لعيسى عليه السلام، لأنّ الله رفعه إليه، وقيامهم بقتل وصلب شبيه له، وذلك في آيات سورة النساء، التي سنشرحها بإذن الله تعالى.

ـ قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا

(١) المرجع نفسه، ٤/ ٣٥٨.

مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٣ ـ ١٥٩].

**أ ـ من مسلسل جرائم اليهود:**

تتحدّث أوّلُ آيتين من هذه الآيات الثماني عن بعض جرائم اليهود مع رسول الله ﷺ، وبعض مخالفاتهم لنبيِّهم موسى عليه السلام.

ـ يَذكر الله لرسوله محمد ﷺ سوءَ تعامل اليهود مع الأنبياء، فقد سألوه أن يُنزِّل عليهم كتابًا من السّماء: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾، ويواسيه على ما يواجه من قبائح اليهود، مُخبرًا إياه بأن أسلافهم من بني إسرائيل قد سألوا موسى عليه السلام من قبل سؤالاً أكبر وأفظع، فقد طلبوا منه أن يُريَهم الله جهرة عيانًا، وأن يقف أمامهم مجسّمًا ويقول أنا الله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وعاقبهم الله على ذلك السؤال، فأخذتهم الصّاعقة بسبب ذلك الظُّلم الفاجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾.

ـ ومن جرائمهم مع موسى عليه السلام أيضًا أنهم اتّخذوا العجل إلهًا لما غاب عنهم وذهب إلى جبل الطور لمناجاة الله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾، وقد أخذ الله عليهم الميثاق لمّا رفع فوقهم جبلَ الطور في حياة موسى عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾، وأخذ عليهم الميثاق الغليظ بعد وفاة موسى عليه السلام، عندما أمرهم أن يدخلوا باب الأرض المقدّسة ساجدين شاكرين لله: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، وأخذ عليهم الميثاق الغليظ بعد ذلك عندما نهاهم عن الاعتداء على حرمة يوم السبت، ونهاهم عن صيد السمك فيه: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، ولم يلتزموا بالميثاق الغليظ الذي أخذه عليهم عند جبل الطور، ولم يدخلوا باب الأرض المقدّسة ساجدين، وإنّما دخلوا محرِّفين يزحفون على اسْتاهم، ولم يلتزموا بحرمة يوم السبت، فمسخهم الله قردة خاسئين[1].

ـ وسجّلت الآيات التّالية (١٥٥ ـ ١٥٩) جرائم اليهود، التي استحقوا بها لعنة الله وسخطه، ومن أفظع هذه الجرائم تصميمهم على قتل وصلب عيسى عليه السلام، ولولا أن الله رفعه إليه لقتلوه وصلبوه، وبدأت الآياتُ بذِكْر نقضهم الميثاق الغليظ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

**ب ـ من أسباب لعنة الله لليهود:**

تقدّمت الآياتُ الآنفة الذِّكر بتسجيل تلك الأسباب:

**أ ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾:**

ونقض الميثاق الغليظ يقود إلى لعنة.

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٦٢.

ب ـ ﴿ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ :

كفروا بالحق لما جاءهم، وهذا الكفر أوقعَ بهم اللعنة.

ج ـ ﴿ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ :

اليهود قَتَلةٌ، وفعلوا ذلك بغيًا وعدوانًا دون حقٍّ، ولا يمكن أن يُقتل نبيٌّ بحقٍّ، وهذا سبب في لعنتهم.

د ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ :

رفضوا قبول الحقِّ الذي جاءهم به محمد، وزعموا أنّ قلوبهم عليها أغطية سميكة، فلا تفقَهُ ولا تَعقِلُ ما يقوله عليه الصّلاة والسلام.

وقد كذّبهم الله في قولهم هذا، فأخبر أنّه هو سبحانه الذي طبع وختم عليها بسبب كفرهم، ولذلك لا تهتدي مهما جاءها من الهدى: ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾، وبما أنّ الله طبع على قلوبهم بسبب كفرهم، فإنّهم لم يُؤمِنوا الإيمانَ الصّحيح الكامل الذي أوجبه الله عليهم، وإنّما آمنوا إيمانًا (قَلِيلًا)، وهو إيمان مزاجي (تجزيئي)، فهذا لا يقبل في الإيمان ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، وإيمانهم التجزيئي القليل تَمثّل في إيمانهم ببعض كتب الله كالتّوراة، لكنهم كفروا ببعض كتب الله كالإنجيل والقرآن.

كما تمثّل ذلك الإيمان القليل المرفوض في إيمانهم ببعض رسل الله، كموسى وهارون وداود وسليمان عليهم الصّلاة والسلام، لكنهم كفروا ببعض رسل الله، كعيسى ومحمد (عليهما الصّلاة والسلام). ومعلوم أنّ مَن كفر ببعض كتب الله فهو كافر بها كلِّها، ومن كفر ببعض رسل الله فقد كفر بهم كلِّهم، ولا ينفع في ذلك الإيمان التجزيئي القليل.

هـ ـ ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ :

لعن الله اليهود بسبب كفرهم، وليس السّبب الخامس هذا (بِكُفرِهِم) تكرارًا للسبب الثّاني ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه لا تكرار في العرض القرآني، والسّبب الثّاني ذكر كفرهم مقيّدًا، وهو كفرهم بآيات الله، ومعلومٌ أن الكفرَ بآيات الله أو بعضها كفرٌ بالله، مُخرِجٌ من دِين الله.

وأما هذا السّبب الخامس، فقد أطلق كفرهم ولم يُقيّده (وبِكُفرِهِم) لكن عندما نربطه مع ما بعده، من مكرهم بعيسى عليه السلام، فإنه يدلُّ على أن المراد به كفرهم برسل الله، لأنّهم أرادوا قتل أحد رسله، فكُفرُ اليهود بآيات الله تسبّب بلعنهم، وكُفرُهم برسل الله سببٌ آخر خاصٌّ للعنتهم.

و ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾ :

موقف اليهود المجرمين من مريم العفيفة البتول عليها السلام، سببٌ مستقلٌّ من أسباب لعنتهم، يُضاف للأسباب الأخرى(١).

والبهتان العظيم الذي قالوه عليها هو: فريتهم عليها واتِّهامها بالزنى، وهي الطّاهرة العفيفة، وتصريحهم بأن ابنها عيسى عليه السلام ابن زنىً، لعائن الله عليهم.

ز ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ :

هذا القول الكبير الفاجر الذي قالوه يُسجِّل جريمتهم الشنيعة التي أقدموا عليها، وهي تصميمهم على قتل عيسى عليه السلام، بل قتلهم شخصًا

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٦٥.

يظنُّونه المسيح عيسى ابن مريم، وقد لعنهم الله بسبب هذا القول الفظيع، وقد جمعوا في هذا القول بين التفاخر فيما صمّموا عليه من قتل عيسى عليه السلام والتباهي به، وبين السُّخرية بعيسى عليه السلام والتهكُّم عليه، والسُّخرية في الصِّفات التي أطلقوها على عيسى عليه السلام.

﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ لقد عرّفوه بالكلمات الأربع التي أطلقوها، ومع أنها حقيقية في إطلاقها عليه، فهو المسيح، وهو عيسى، وهو ابن مريم، وهو رسول الله، لكنهم لم يطلقوها عليه من باب الإيمان بها، فلو كانوا مؤمنين بها لما صمّموا على قتله، إنّما أطلقوها عليه ساخرين مُتهكِّمين(١).

قال الإمام ابن كثير: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي يدّعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكُّم والاستهزاء، وهذا كقول المشركين لرسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] (٢).

### ج ـ اليهود ما قتلوا عيسى ولا صلبوه:

لمّا سجل الله تعالى عليهم جرائمهم السّبع الفظيعة، التي استحقُّوا بها لعنته وغضبه وسخطه، كذّبهم في زعمهم قتل عيسى عليه السلام، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

(١) الخالدي، المرجع السابق، ٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٤٣.

حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

فبيّن الله تعالى كذبَ اليهود فيما زعموه، وأنّهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه، ولكن قتلوا وصلبوا شبيهَه، والصلبُ هو تعليقُ الإنسان للقتل، والصليب: أصله الخشب الذي يُصلَب عليه المقتول، والصليب الذي يتقرّب به النصارى، وسُمِّي بذلك، لكونه على هيئة الخشب الذي زعموا أنه صُلب عليه عيسى عليه السلام[١].

واليهود من مكر الله بهم لم يقتلوا عيسى، وإنّما قتلوا الشبيه وصلبوه، ظانِّين بأنهم قتلوا عيسى[٢]، والذي شُبِّه لهم هو الشخص المقتول، حيث ألقى الله شبه عيسى عليه السلام على الشخص الآخر، فأخذوه وقتلوه، وهم يُوقنون أنه عيسى، مع أنه لم يكن عيسى في الحقيقة[٣].

**٣ ـ ما الذي جرى ليلة القبض على الشبيه:**

إنّ قضيةَ قتل عيسى عليه السلام وصَلْبه قضيـة يتخبّط فيها اليهود، كما يتخبّط فيها النّصارى بالظُّنون، فاليهود يقولون: إنهم قتلوه، ويَسخرون من قوله: إنّه رسول الله، فيُقرِّرون له هذه الصفة على سبيل السُّخرية. والنصارى يقولون: إنه صُلب ودُفن، ولكنّه قام بعد ثلاثة أيام.

وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما يقول عن يقين، فلقد تتابعت

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، ص٤٩٩.
(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٦٧.
(٣) المرجع نفسه، ٤/ ٣٦٩.

الأحداثُ سراعًا، وتضاربت الرِّوايات، وتداخلت في تلك الفترة، بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين، إلا ما يقصُّه ربُّ العالمين.

وتروي الأناجيل الأربعة قصّة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته، كلُّها كُتبت بعد فترة من عهد المسيح، كانت كلُّها اضطهاداً لديانته ولتلاميذه، يتعذّر معه تحرّي الصواب وإظهار الحقِّ في جوٍّ السريّة والخوف والتّشريد، وقد كُتبت معها أناجيل كثيرة، ولكن هذه الأناجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثّاني للميلاد، واعتُبرت رسمية، واعتُرف بها، لأسباب ليست كلُّها فوق مستوى الشُّبُهات(١).

وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبرًا يقينيًّا عن تلك الواقعة التي حدثت في ظلام الليل قبل الفجر، ولا يجد المختلفون فيها سنداً يُرجِّح رواية على رواية: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ﴾.

وأما الله تعالى في كتابه العزيز فقد قرّر قراره الفصل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ . . . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨] (٢).

وقد اهتمّ مؤرِّخو الإسلام بهذه الحادثة، وخيرُ من لخّص تلك الأحداث المُفسِّر والمؤرِّخ الكبير ابن كثير، وهو من علماء بلاد الشّام المطّلعين على

---

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، نقلًا عن ظلال القرآن، المملكة العربية السعودية، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدَّعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٠٤هـ، ٢/ ٨٠٢.

(٢) في ظلال القران، ٢/ ٨٠٢.

تاريخها، وإليك ما فصّله حول هذه الحادثة في تفسيره حيث قال:

وكان من خبر اليهود ـ عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه ـ أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبيِّنات والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النُّبوّة والمعجزات الباهرة، إذ كان يُبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي بها الموتى بإذن الله، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذّبوه وخالفوه، وسَعَوا في أذاه بكلِّ ما أمكنهم، حتى جعل عيسى عليه السلام لا يُساكنهم في بلدة، بل يُكثِر السياحة هو وأمُّه.

ثم لم يُقنعهم ذلك حتى سَعَوا إلى ملك دمشق في ذلك الزّمان ـ وكان رجلًا مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان ـ وأنهوا إليه أن في بيت المقْدِس رجلًا يفتن الناس ويُضلُّهم، ويُفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشّوك على رأسه، ويكفّ أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والي القدس ذلك.

وذهب هو وطائفة من اليهود إلى البيت الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر ـ وقيل: سبعة عشر نفرًا ـ وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هناك.

فلما أحسّ بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيُّكم يُلقى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شابٌّ منهم، فكأنّه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشّاب ـ فقال: أنت هو ـ وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفُتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنَةٌ

من النوم، فرُفِع إلى السّماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلمّا رُفع عيسى من سقف البيت خرج أولئك النّفر من البيت، فلمّا رأى اليهود والجنود ذلك الشّابّ ظنُّوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشّوكَ على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سَعَوا في صلبه وتبجّحوا بذلك، وسلّم لهم طوائفُ من النّصارى ذلك، لجهلهم وقلّةِ عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنّهم شاهدوا رفعَه، وأما الباقون فإنّهم ظنُّوا كما ظنّ اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت.

وهذا كلُّه من امتحان الله لعباده، وله في ذلك الحِكْمَة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلّاه وبيّنه وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم ﷺ، حيث بيّن أنهم ما قتلوا عيسى عليه السلام وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم، حيث ألقى الله شبهه على ذلك الشّابِّ، فبدا لهم عيسى، فقتلوا الشّابّ وصلبوه ظانِّين أنه عيسى.

وأخبر الله أنّ الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام من اليهود الذين ادّعوا قتلَه، والنصارى الجهال الذين سلّموا لهم بذلك، كلُّهم في شكٍّ وحيرة وضلال من ذلك، وأخبر الله أنهم ما قتلوه، متيقِّنين أنه هو، وإنّما كانوا شاكِّين مُتوهِّمين، وأما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه، والله هو العزيز الحكيم[1].

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٧٢، نقلًا عن تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤ بتصرف.

وفي رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السّماء خرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي. ثم قال: أيُّكم يُلقى عليه شبهي، فيُقتَل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شابٌّ من أحدثهم سنّاً، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشّاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشّاب، فقال: أنا. فقال: هو أنت. فأُلقي عليه شَبَهُ عيسى، ورُفع عيسى من روزنة في البيت إلى السّماء، وجاء الطّلَبَةُ من اليهود، فأخذوا الشّبه فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر بعيسى بعضُهم اثنتي عشرة مرة، كما قال لهم.

**وافترق النّصارى في عيسى ثلاث فرق:**

* قالت فرقة منهم: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السّماء. وهؤلاء هم اليعقوبية.

* وقالت فرقة أخرى: كان ابنُ الله فينا ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

* وقالت فرقة أخرى: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم المسلمون. فتظاهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المسلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلامُ طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ.

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس[1].

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٧٣. انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

**د ـ ترتيب أحداث مسلسل تلك الليلة:**

**من خلال النظر فيما سبق، يمكننا تصوُّر تلك الليلة، وتصوير ما جرى فيها بإيجاز:**

ـ نجح اليهود في إقناع الحاكم الرُّوماني في إلقاء القبض على عيسى وقتله، حيث أمر الحاكم بتنفيذ ذلك.

ـ توجّهت مجموعة من الجنود الرُّومان واليهود إلى المكان الذي يوجد فيه عيسى عليه السلام، لتنفيذ أمر الحاكم.

ـ المكان الذي كان يُقيم فيه عيسى كان في بيت المقْدِس، حسب سياق أحداث القتل والصلب ودرب الآلام بعد ذلك.

ـ كان عيسى عليه السلام في أحد بيوت القدس في تلك الليلة، مع اثني عشر رجلًا من الحواريِّين ـ كما قال ابنُ عباس رضي الله عنهما.

ـ علم عيسى عليه السلام بقدوم الجنود واليهود لاعتقاله وقتله وصلبه، فلم يخفْ ولم يحزن ولم يقلق، لأنه يُوقن أن الله معه يحفظه ويحميه.

ـ أخبر الله عيسى عليه السلام أنهم لن يصلوا إليه ولن يُؤذوه، وأنه سيُلقي شبهه على أحد تلاميذه الحواريِّين، وأنه سيرفعه إليه، وطلب منه أن يسألهم ليتبرّع أحدهم لِيُلقي الله عليه شبهَ عيسى عليه السلام، فيكون المصلوبَ الشّهيد.

ـ أخبر عيسى عليه السلام الحواريِّين أن الله سيَحميه من الجنود واليهود، وأنه سيرفعه إليه، وذلك لِيُطمئِنَهم عليه.

ـ عرض عيسى عليه السلام على الحواريِّين الاثني عشر أن يتبرّع أحدهم لِيَفديه بنفسه، بأن يُلقى شبهُه عليه، فيُؤخذ ويُقتل ويُصلب ويموت شهيدًا، وضمن لذلك الفدائيِّ أن يكونَ معه في الجنة.

ـ استجاب لعرض عيسى عليه السلام شابٌّ، لعلّه كان من أصغر الموجودين سنًّا، فاستصغره عيسى عليه السلام، وأراد مَن هو أكبر منه، ولكن لم يَستجبْ له في المرات الثلاث التي انتدبهم فيها إلا هو، فقال له عيسى عليه السلام: هو أنت!

ـ لم يُذكَر اسم ذلك الشّابِّ المتطوِّع العظيم، الذي بذل نفسه وحياته وعمره لله، فهو من مُبهَمات القصّة.

ـ أجرى الله على ذلك الشّابِّ أمرَه، وأوقع عليه آيته الخارقة، حيث حوّله الله من ملامحه الأصلية، التي خلقه عليها، إلى ملامح عيسى عليه السلام، فما هي إلا لحظات حتى تحوّل الشخص إلى شبه عيسى، وكل من رآه لا يشكُّ أنه عيسى، ولا يُعرف كيف فعل الله ذلك، لأننا لا نعرف كيفيات أفعال الله تعالى.

ـ نظر الحواريُّون الذين في البيت إلى ذلك الشخص، فإذا هو عيسى، لأنه أشبهه شبهًا كاملًا، وهم يعلمون أن الله ألقى شبهَ عيسى عليه.

ـ لما وصل اليهود والجنود إلى ذلك البيت كان فيه شخصان، كلّ منهما عيسى، عيسى الحقيقي النبيّ الكريم عليه الصّلاة والسلام، وعيسى الآخر، الذي ألقى الله شبَهَ عيسى عليه، والحواريُّون يَرَون الشخصين.

ـ لما أراد اليهود والجنود دخول البيت أجرى الله آيةً أخرى باهرة، حيث فتح في سقف البيت فتحة بأمره سبحانه وتعالى.

ـ ألقى الله على عيسى عليه السلام سِنَةً من النوم، وهو بين تلاميذه وحوارييه، تمهيدًا لرفعه إلى السّماء من الفتحة التي في سقف البيت، والحواريُّون الذين في المنزل ينظرون إليه، ويلاحظون هذه الآية الباهرة من آيات الله، وقد اطمأنُّوا على نجاة نبيِّهم وحبيبهم عيسى عليه السلام[1].

ـ دخل اليهود والجنود البيت، ورأوا أمامهم (عيسى) وهو في الحقيقة عيسى الثّاني، عيسى الشبيه بـ: عيسى النّبيّ، الذي كان قد رُفع إلى السّماء، ونظروا إليه وهم لا يشكّون لحظة أنه عيسى.

ـ أخذ الجنود عيسى الشبيه لقتله وصلبه، ويبدو أنه لم يُكلِّمْهم كلمةً واحدة، ولم يَنفِ أنه عيسى، ولم يُخبِرْهم أن عيسى الحقيقي النّبيّ في السّماء، وأنهم فشلوا في القبض عليه وقتله، فإنّه استعدّ للقتل والاستشهاد.

ـ لا نعرف ماذا جرى للحواريِّين الأحد عشر الآخرين، الذين كانوا في المنزل، هل اعتُقلوا أم هربوا أم قُتِل بعضهم وأُفرج عن الآخرين، فهذا من مُبهَمات القصّة.

ـ أخذ الجنود واليهود عيسى الثّاني الشبيه، وصلبوه على الخشبة، وقتلوه على الصّليب، وخرجت روحُ هذا الفدائي المؤمن ـ وهو على الصليب ـ ولقي الله شهيدًا، بينما كان عيسى النّبيّ عليه الصّلاة والسلام في السّماء.

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٧٥.

ـ كان الناس يأتون إلى الشّابِّ المصلوب الشهيد ينظرون إليه، فإذا به عيسى، ولا يَشكُّون لحظة أنه عيسى؛ وهم لا يعرفون المعجزة التي أجراها الله، وكانوا بين فرح شامت وبين حزين متألِّم، وبعد حين أنزلوا الشهيد المصلوب ودفنوا جثّته.

ـ كانوا اليهود فرحين شامتين؛ لأنّهم قتلوا عيسى وصلبوه ـ وهو في الحقيقة عيسى الشبيه ـ وأذاعوا في الناس، وقالوا ساخرين: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله.

ـ لم تعلم النّصارى ما جرى من معجزات ربانيّة في تلك الليلة، فأيقنوا أن الذي شاهدوه ميِّتًا على الصليب هو نبيُّهم عيسى ابن مريم، فصدّقوا اليهود في تبجُّحهم في قتله، وقالوا: قتلوا وصلبوا نبيّنا عيسى[1].

ـ صبّ اليهود والرُّومان العذاب على الحواريِّين، وعلى كلِّ مَن آمن بعيسى عليه السلام، وقتلوا منهم وصلبوا وسجنوا وشرّدوا، ولم يلتقط النّصارى أنفاسهم ليُفكِّروا بتأنٍّ وتمهُّل فيما جرى في تلك الليلة، ووقع اختلاف شديد بين النّصارى في أحداث الليلة المذكورة، فصدّقوا اليهود في ادِّعائهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، ودخل الشِّركُ على النّصرانية، فاختلفوا في عيسى عليه السلام، فمنهم من اعتبره إلهًا، ومنهم من اعتبره ابنًا لله.

ـ بقيت أحداث تلك الليلة الحقيقية خافية على اليهود والنصارى، وكلُّ ظنِّهم أن المقتول المصلوب هو عيسى ابن مريم رسول الله، حتى بعث الله

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، ٤/ ٣٧٦.

محمدًا رسولاً ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وذكر في آياته حقيقة ما جرى[١].

**٤ ـ نظرات في الآيات التي تحدّثت عن قتل الشبيه:**

بعد تلخيص تلك الأحداث في النقـاط السّابقة المتسلسلة نفهم معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

**أ ـ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾:**

لم يقتل اليهود عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه على الصليب.

**ب ـ ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾:**

ألقى الله شبه عيسى ابن مريم على تلميذه، فصار ذلك التلميذ المشبّه أمام الناس يُشبهه تمامًا، وأخذ اليهود والجنود عيسى الثّاني الشبيه وقتلوه وصلبوه، لكن عيسى ابن مريم الحقيقي رسول الله لم يقتلوه ولم يصلبوه.

**ج ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ﴾:**

فهناك شخص مقتول، يُشبه عيسى تمامًا، لكن من هو؟ أهو عيسى الحقيقي أم عيسى الشبه؟ اختلفوا في ذلك القتل والصلب على من وقع.

**د ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟﴾:**

ينطبق على الطّائفتين: اليهود الذين قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٧٧.

ابن مريم رسول الله، والنصارى الذين قالوا: رسولنا عيسى قتله وصلبه اليهودُ. لقد كانت الطّائفتان في شكٍّ من هوية المقتول المصلوب.

هـ ـ ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾:

ليس عند اليهود والنصارى علم جازم يقيني في المقتول، هل هو عيسى أم غيره؟

و ـ ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾:

بعد أن نفى عن اليهود والنصارى العلم بهوية المقتول، أثبت لهم الظنّ فيه، وأنكر عليهم اتِّباع ذلك الظّنِّ الذي لا يقود إلى اليقين، وإنّما إلى الحيرة والشكِّ، والمعنى: شاهد اليهود والنصارى شخصًا مقتولاً مصلوبًا يُشبه عيسى شبهًا تامًّا كاملًا، فاختلفوا في تحديد هويته، أهو عيسى أم غيره، ولم يُحقِّقوا في ذلك علمًا، وصاروا في شكٍّ وحيرة، لأنّهم اتّبعوا الظنّ، واتِّباع الظّنِّ يقود للشكِّ، ولا يُوصل صاحبَه إلى علم[1].

ز ـ ومعنى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾:

بعدما نفى عنهم العلم بهوية المقتول، نفى عن اليهود القتلَ اليقينيّ لعيسى عليه السلام فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾، والضمير الهاء في ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ يعود على عيسى عليه السلام، أي: ما قتلوا عيسى مُتيقِّنين أنه عيسى، بل كانوا في ذلك شاكِّين مُتوهِّمين.

لقد قتلوا شخصًا ظنُّوه عيسى، لكنهم ما قتلوا عيسى يقيناً، وإذا كانوا

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٧٨.

ما قتلوا عيسى ابن مريم رسول الله، فأين عيسى إذاً؟ وماذا كانت نهايته؟ وماذا جرى له في تلك الليلة؟

الجواب في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

ح ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾:

بل: حرف إضراب، فقد تمّ فيها الإضراب عن الكلام السّابق وإبطاله وإلغاؤه، وهو مزاعم اليهود بقتل عيسى، وإن قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾: إبطال وإلغاء لقول اليهود: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ وهو صريح في أن الله رفعه بروحه وبدنه حيًّا من سقف البيت إلى السّماء.

لقد وعد الله عيسى قبل تلك الحادثة أن يتوفّاه ويرفعه إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إنّي سألقي عليك النوم، ثم أرفعك إليّ، وبذلك أُطهِّرك من الذين كفروا، ولما صار عيسى في الخطر، وجاء اليهود والجنود لقتله وصلبه، حقّق الله له وعدَه، وتوفّاه وألقى عليه النوم، ثم جعل فتحةً في سقف البيت ورفعَه إليه في السّماء، وكان رفعُه بروحه وبدنه، رفعًا ربانيًّا خاصًّا، وهو آية بيِّنة ومعجزة باهرة.

ط ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

عقّبت الآية على رفع عيسى إلى السّماء بالإشارة إلى عزّة الله، وهذا تعقيب يتناسب مع ما قبله، فالله عزيز قويٌّ قادر قاهر، ينصر أولياءه ويحفظهم ويُفرِّج عنهم ويحميهم من أعدائهم، كلّ ذلك بعزّته، ولذلك رفع عيسى عليه السلام إليه، ونجّاه من مكر اليهود بعزّته، والله حكيم في تدبيره

وتقديره وقضائه وتصريف أمور خلقه، ومن حكمته إنجاء رسوله عليه السلام بتلك الطّريقة الباهرة، وإيقاع أعدائه في الحيرة والظنِّ والشكِّ والوهم(١).

وعندما ننظر في حديث القرآن عن أحداث تلك الليلة فإنّنا نرى تأكيد اليهود على قتل عيسى، وذلك التأكيد ظهر في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ حيث جمعوا بين اسمه ولقبه ووصفه، للتأكيد على جزمهم بقتله. ونرى أيضًا تأكيد القرآن على كذبهم في تأكيدهم باستخدام ثلاث جمل منفية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾، ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾.

لقد نفى قتلَهم له، ثم أكّد ذلك بنفي صلبهم له، والنّفيان متلازمان، فبما أنهم لم يقتلوه، فإنّهم لم يصلبوه، والنفي الثّالث ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، وبما أنّ اليهود لم يقتلوا عيسى رسول الله، وإنّما رفعه الله إليه، فهو حيٌّ عنده في السّماء، لم يمتْ، وسينزل في آخر الزّمان بأمر الله، ويعيش باقي عمره الذي قدّره الله له، وسيُؤمن به أهلُ الكتاب الذين يكونون أحياء عند نزوله على أنه عبد الله ورسوله.

وقد أشار إلى هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] (٢). وسيأتي الحديث عن هذه الآية عندما نتكلّم على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزّمان.

**٥ ـ اضطراب الأناجيل في أحداث تلك الليلة وأقربها إنجيل برنابا:**

إنّ الأناجيل الأربعة: (متّى، لوقا، مرقس، يوحنّا)، وهي المعتمدة عند

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٨١.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٣٨٢.

النصارى، اضطربت في حديثها عن تلك الليلة اضطرابًا كبيرًا، واختلفت اختلافًا بينًا، وتناقضت تناقضًا واضحًا، حيّر النّصارى المؤمنين بهذه الأناجيل، وجَعَلَهم في شكٍّ واضطراب، لا يعرفون ماذا جرى في تلك الليلة.

وأقرب ما سُجِّل في تلك الأناجيل، من الحقيقة القرآنية التي عرضناها، هو ما وَرَدَ في إنجيل (برنابا)، وهو الإنجيل الذي لا يُؤمِن به النصارى، ولا يعتمدونه، حيث يرى (برنابا) ـ أحد حواريي عيسى عليه السلام ـ أن أحد الحواريِّين، وهو (يهوذا الإسخريوطي)، هو الذي وشى بعيسى وتآمر عليه وخانه، واتّفق مع اليهود للمجيء إليه واعتقاله، ولما جاء بهم ألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذوا (يهوذا) وصلبوه على أنه عيسى، ويختلف برنابا في هذه النقطة مع ما سبق ذكره من قول ابن عباس وجمهور العلماء من أن المشبّه الفدائيّ هو أحد الحواريِّين الصّالحين، تبرّع وتطوّع ليُقتل، وينجو عيسى عليه السلام، والله أعلم بالذي حصل.

ورد في الفصل الحادي عشر بعد المئتين من إنجيل برنابا أن عيسى عليه السلام أخبرهم، قبل أيام من الحادثة، أنه حان وقت مغادرته لهذا العالم: «ولما كان يسوع في بيت (نيقوديموس) وراء جدول (قدرون) عزّى تلاميذه قائلًا: لقد دَنَت السّاعةُ التي أنطلق فيها من هذا العالم، تعزّوا ولا تحزنوا، لأنني أمضي ولا أشعر بمحنة» [١].

(١) إنجيل برنابا، تحقيق: سيف الدين أحمد فاضل، دار القلم، دمشق، ط١، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص٢٨٤.

وورد في الفصل الثّالث عشر بعد المئتين من إنجيل برنابا حوار بين عيسى عليه السلام والحواريِّين، ومنهم يهوذا الإسخريوطي: «وقال يسوعُ أيضاً: الحقّ أقول لكم: إن واحدًا منكم سيُسلِمُني، فأُباع كخروف، ولكن ويلٌ له، لأنه سيتمُّ كلُّ ما قال داود أبونا عنه أنه سيسقط في الهوة التي أعدّها للآخرين؟ فنظر من ثَمّ التلاميذ بعضهم إلى بعض، قائلين بحزن: من سيكون الخائن؟ فقال حينئذ يهوذا: أنا هو يا مُعلِّم؟ أجاب يسوع: لقد قلتَ أنت لي مَن الذي سيُسلمني» (١).

وخُصِّصَ الفصل الخامس عشر والسادس عشر بعد المئتين في الإنجيل للحديث عن ليلة رفع عيسى، والقبض على الخائن.

قال: «ولما دنت الجنود مع يهوذا، من المحلِّ الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دُنُوّ جمع غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفًا، وكان الأحد عشر نيامًا، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السّماء الثّالثة، في صحبة الملائكة التي تُسبِّح الله إلى الأبد، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلُّهم نيامًا، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغيّر يهوذا في النُّطق والوجه، فصار شبيهًا بيسوع، حتى اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يُفتِّش، لينظر أين كان المُعلِّم، لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا، أنسيتنا الآن؟

---

(١) إنجيل برنابا، ص٢٨٤.

أما هو فقد قال مبتسمًا: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الإسخريوطي، وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود، وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهًا بيسوع من كلِّ وجه، أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين، ويوحنا الذي كان مُلتفًّا بملحفة من الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عُريانًا، لأنّ الله سمع دعاء يسوع، وخلّص الأحد عشر من الشرِّ، فأخذ الجنود يهوذا، وأوثقوه ساخرين منه، لأنه أنكر ـ وهو صادق ـ أنه يسوع.

فقال الجنود مستهزئين به: يا سيِّدي لا تخفْ لأننا قد أتينا لنجعلك مَلِكًا على بني إسرائيل، وإنّما أوثقناك لأننا نعلم أنّك ترفض المملكة. أجاب يهوذا: لعلكم جُننتم: إنّكُم أتيتُم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصريّ كأنه لصٌّ، أفتوثقونني، أنا الذي أرشدتكم إليه» (١).

ويُكمل برنابا سرد القصّة إلى أن صُلب يهوذا الإسخريوطي، ودُفن على أنه عيسى؛ لأن الله ألقى شبه عيسى عليه(٢).

وهذا العرض من برنابا ـ وهو شاهد عيان ـ يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٣).

**٦ ـ اضطهاد اليهود للنصارى:**

ثم إنّ اليهود اضطهدوا المسيحيِّين أنصار المسيح عليه السلام اضطهاداً

(١) المرجع السابق، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص٢٨٩ ـ ٢٩٣.
(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، ٤/ ٣٨٦.

عظيماً، حتى اختفى هؤلاء الحواريُّون وهربوا من القدس، ولجأ بعضهم إلى روما، وبدأت الدّعوة المسيحية بالسرِّ، ولم يكن الإنجيل قد كُتب، ولكنه كُتب بعد ذلك بـ (٢٦٠سنة)، فأُدخلت الكثير من الرِّوايات والتحريف، حيث يوجد في نسخ الإنجيل أنّ المسيح نفسَه قد صُلب. ونسخ أخرى تذكر أحداثاً حصلت بعد المسيح بعشرين سنة، فكيف يُعقَل أن تكونَ من رواية المسيح بعد ذلك؟

فواضح جدّاً أن الإنجيل حُرِّف وأُضيف إليه إضافات كثيرة، لم تكن زمن المسيح عليه السلام، وتابع اليهود اضطهادهم للمسيحيِّين، وباتوا يقتلون أيّ مسيحي يجدونه أو ينفونه خارج فلسطين، وساعدت هذه الظروف في انتشار التحريف في الإنجيل، وزيادة الرِّوايات المكذوبة والخرافات فيه.

بعد المسيح بثلاث سنوات تُوفِّي (بطليموس)، وسمح الإمبراطور الرُّوماني الجديد لذرِّية هيرود بأن يعودوا للحكم الذاتي، بشرط أن يدفعوا الضرائب، فبدأ اليهود يعودون إلى الحُكْم الرُّوماني، واستمرّ الحواريُّون يدعون بالسرِّ وأحياناً بالعلن، وبدأ الصِّراع الشّديد بينهم وبين اليهود داخل فلسطين وفي خارجها، وصار اليهود يطردون أيّ مسيحيٍّ يقبضون عليه خارج فلسطين، ومن الذين هربوا كما ذكرنا حواريُّو المسيح، ومنهم بطرس الذي هرب إلى روما، وهناك بدأ يُؤسِّس الجماعات المسيحية السِّريةَ، وجعل يُركِّز في دعوته على اليهود الموجودين في روما وما حولها[1].

---

(١) فلسطين التَّاريخ المصور، ص٦٥.

وممّن دخلوا في المسيحية رجلٌ يُدعى (بولس)، وكان هذا الأخير من ألدِّ أعداء المسيحية، ثم انقلب فجأة ودون مقدمات إلى المسيحية، وأصبح عقلها المُفكِّر، وراعيها المُدبِّر، وكان أوّل إعلان له أنّ المسيح ابنُ الله، ونسب إلى المسيح أنه الإله المتجسِّد الذي نزل لِيُصلَب ويُخلِّص البشرية، على غرار الآلهة المخلِّصين الوثنيين.

ولقد انتشرت عقيدة بولس في الخلاص بسبب ما استخدمه لنشر دعوته، والطّريقة التي سار عليها، إذ رأى أن يَخرج بالمسيحية من دائرتها الضيقة في بيت المقْدِس إلى الميدان الواسع في البيئات غير اليهودية. ولكي تناسب دعوتُه هذا المجتمعَ الجديد أجرى بعض التعديلات للعقائد التي لا يَرضى عنها هذا المجتمع الجديد.

إن عقيدة الخلاص المسيحية، التي وضعها (بولس)، قائمة على أُسس باطلة، وهي أنّ آدم عليه السلام أخطأ، وهذه الخطيئة انتقلت بالوراثة إلى كلّ أبنائه، والطّريق الوحيد للخلاص منها هو ما زعموه من أن الله نزل وتجسّد في صورة بشرية، ليُصلب ويتغلّب على الموت، فيقوم، وبذلك ينال الناس الخلاص[1].

لقد رَدَدتُ على العقائد التي نُسبت إلى عيسى عليه السلام بُهتاناً وكذباً واختلاقاً في كتابي (**المسيح عيسى ابن مريم الحقيقة كاملة**).

لقد نشطت الحركة السرية للدعوة المسيحية في روما بعد هروب بعض دعاتها من فلسطين، وعندما اكتشف الإمبراطور (نيرون) حاكم روما هذه

---

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص٣٨٨.

الحركات السرية بدأ بالبحث عنها، وتمكّن من القبض على (بطرس) وعلى (بولس)، وأمر بإعدامهما، ولكن أتباعهما استمرُّوا على دعوتهم، متأثِّرين بما كان موجوداً في روما من تماثيل وغيرها، وأضافوا عليها، فوضعوا تمثالاً للمسيح، ووضعوا آخر لمريم عليهما السلام[1]، في مكان سيطرت عليه الوثنية الرُّومانية في تلك المرحلة.

**٧ ـ ثورة اليهود على الرُّومان وتدمير القدس:**

ثار اليهود على الرُّومان في القدس، فأمر الإمبراطور الرُّوماني بحصار القدس، فحُوصرت أربع سنين، لم يستطع خلالها الرُّومان أن يفتحوها، وعيّن الإمبراطورُ أحدَ أولاده وقادته الرئيسيين، واسمه (قاصبيان)، قائداً على فلسطين، للقضاء على ثورة اليهود، وذلك في عام (٦٦م)، ولكنه لم يستطع فتح القدس، وإسقاط الثورة، وظلّ الصِّراع بين اليهود والرُّومان قائماً، وطال الحصار على اليهود.

وبعد أربع سنين تمكّن ابن القائد (قاصيبان)، ويدعى (تيتوس)، من أن يدخل القدس بعد عناء طويل، اهتزّت على أثره قُوّة وجبروت الإمبراطورية الرُّومانية، بسبب طول الفترة التي قضاها في حصار القدس؛ ولذلك كان أول ما فعله (تيتوس) هو تدمير المدينة تدميراً كاملًا، وزعم اليهود أنه دمّر الهيكل مرة أخرى بالكامل، حسب ما جاء في الرِّوايات اليهودية، ولم يبقَ في الهيكل حجرٌ على حجر، وعيّن على القدس حاميةً رومانية، وأُسِرَ اليهود، وأُخذوا من فلسطين مرة أخرى، ليعودوا عبيداً في روما،

(١) فلسطين التَّاريخ المصور، ص٦٥.

وكان هذا بداية منشأ اليهود في أوربا، وظلّ بقية اليهود مختفين في داخل فلسطين[١].

**أ ـ إيلياء وخربة اليهود:**

في عام (١٣٢م)، تجمع اليهود مرة أخرى في هذا العام، واندلع التمرُّد الثّاني ضد الرُّومان في مقاطعة يهودا الرُّومانية، لأسباب غير معروفة، وقد قرّر الإمبراطور هارديان فرض مزيد من الثقافة والمعتقدات الرُّومانية على مقاطعة يهودا، واعتزم هدم القدس، وبناء مستعمرة رومانية مكانها، وبناء معبد روماني مكان الهيكل، كما أنه أصدر قراراً يمنع الختان[٢].

قاد التمرُّد اليهوديّ (بارخوخبا)، واسمه مشهور في تاريخ اليهود، واستطاع أن يُسيطر على إحدى القلاع ويتحصّن بها، ولكن الإمبراطور الرُّوماني (هادريان) قضى على هذه الثورة، ودمّر كلّ ما بناه اليهود، بل إنه مسح كلّ أثر يهوديّ من الأرض مسحاً، وأمر ببناء مدينة جديدة على أنقاض الأماكن اليهودية، ثم بنى هذا الإمبراطور بناء سماه (إيلياء)، وهو اسمه الأول (إيليا هادفيان)، وقيل اسم أسرته التي ينتمي إليها، وبنى قلعة في المكان المشهور اليوم الذي يُسمّى (خربة اليهود)، ذلك أنه دمّر قلعة (بارخوخبا)، وبنى مكانها قلعة أخرى، ويسميها العرب (خربة اليهود)؛ لأنّ الإمبراطور خرّب مكان اليهود ومكان الهيكل والأماكن المقدّسة، ثم بنى معابد رومانية، وبنى هيكلًا عظيماً للإله الرُّوماني (جوبيتر) مكان هيكل

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٦٦.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (١/ ٤٢٤).

اليهود، واشتهرت القدس باسم جديد هو (إيلياء)، بعد أن كانت (أورشليم)، وهذا هو اسمها المشهور في زمن المسلمين، وذلك ما وَرَدَ في صحيح البخاري في قصّة الرِّسالة التي أرسلها النّبيّ ﷺ إلى هرقل[١].

**ب ـ منع اليهود من دخول القدس وتشريدهم:**

بعد أن سيطر الرُّومان هذه السّيطرة الكاملة على القدس أو إيلياء، أصدر الإمبراطور قراراً خطيراً يقضي بمنع دخول أيِّ يهوديٍّ إلى القدس، بعد أن كان يُسمح لهم بالعبادة فيها فقط، وبقي هذا المنع لليهود سارياً (٢٠٠) سنة، حتى صار زمن الإمبراطور الرُّوماني (آروليوس) الذي سمح لهم بالدُّخول للعبادة فقط، وتشرّد في هذه الفترة بنو إسرائيل في الأرض تشرُّداً عظيماً، ولم يبق لهم وجود في فلسطين[٢].

وسيطرت الدولة الرُّومانية سيطرة كاملة، ومِن ثَمّ أصبحت بعد انقسام الدولة الرُّومانية إلى الشرقية والغربية تحت سيطرة الدولة البيزنطية حتى الفتح الإسلامي العظيم.

**٨ ـ الإمبراطور قسطنطين يُعنِّف المسيحية:**

في عام (٣٢٤م)، حدث أمر هامٌّ جدّاً في روما، حيث اعتنق إمبراطور روما قسطنطين المسيحيةَ بعد دراية للفلسفة والأديان والآلهة، لكنّه أدخل مع المسيحية الفلسفات وعبادته السّابقة والآلهة، وحاول الإمبراطور توحيد كلمة النّصارى تحت سلطانه، خشية على إمبراطوريته من الانقسام والفرقة،

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٧.

فجمع القساوسة في مؤتمر نيقية، وتآمر مع بطريرك الإسكندرية، واتفقا على القول بوجود ثلاثة آلهة، وحاربت السلطات الحاكمة كلّ مَن كان يقول بغير تلك المقالة.

كما أن الإمبراطور قسطنطين كان وثنيّاً قبل أن يعتنق المسيحية، فلا غرابة أن يُؤيِّد المقالة التي تُنادي بوجود ثلاثة آلهة، لأن ذلك يتوافق مع هواه وعقيدته السّابقة الوثنية[١].

وقد كان لدخول الوثنيين في النّصرانية، أمثال الإمبراطور قسطنطين، الأثر الأكبر في تلقيح النّصرانية بالتعاليم الوثنية، وتولّدت عقيدة التثليث من قرارات المجامع الكنسية المتعدِّدة، وفي أزمنة مختلفة.

**ـ مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) قرر ألوهية المسيح[٢]:**

واستطاع الإمبراطور قسطنطين أن يُسيطر على الدولة البيزنطية، التي كانت عاصمتها (القسطنطينية)، (إسطنبول في وقتنا الحاضر)، فظلّت القسطنطينية في أملاك روما، وكذلك سيطر على ممتلكات بيزنطة، ومنها الشّام وفلسطين، واعتنقت والدة هذا الإمبراطور المسيحية أيضاً، وكان أن زارت القدس، فلمّا وصلتها جعلت تسأل عن تاريخ المسيح عليه السلام، فأرشدوها إلى الآثار والأماكن، فلما رأتها أمرت ببناء كنيسة القيامة، وعليه فإن كنيسة القيامة ليست من زمن المسيح عليه السلام، وإنّما بُنيت بعده بـ(٣٢٤) سنة، بنتها تلك المرأة في المكان الذي صُلب فيه شبيه المسيح

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص٤٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٦٣.

عليه السلام، وكان من القرارات التي اتّخذها قسطنطين قرارٌ جدّد فيه منع اليهود من دخول القدس، فلم يلقَ اليهودُ المعاملة الحسنة من الإمبراطور الجديد، واستمرّ كذلك حكام الإمبراطورية الرُّومانية على السياسة نفسها إلى أن جاء (جوليان).

ارتدّ هذا الأخير عن المسيحية، وتبنّى اليهودية، ونتيجة لذلك أراد إعادة مقدّسات اليهود، وهمّ أولاً بإعادة بناء الهيكل اليهوديّ الذي رُدم مرات كما رأينا، وصار مكانه بناء (جوبيتر)، غير أنه انشغل بأحداث كثيرة جدّاً منعته من ذلك[1].

**٩ ـ انقسام الإمبراطورية وحكم هرقل:**

استمرّ الصِّراع بين اليهودية والمسيحية إلى أن جاء عام (٣٩٥م)، حيث انقسمت الإمبراطورية الرُّومانية قسمين، قسم في الشرق عاصمته (بيزنطة)، وسُمِّي الإمبراطورية البيزنطية، وحاكمها (هرقل)، وقسم غربيٌّ كان في يد روما، وسُمِّي الإمبراطورية الرُّومانية، وباتت الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، ومن ممتلكاتها فلسطين والشام، والإمبراطورية الرُّومانية الغربية في أوربا وعاصمتها روما، وظلّ الأمر في فلسطين هكذا إلى زمن النّبيّ ﷺ أي بقيت فلسطين تحت حكم الرُّومان البيزنطيين، ولم يكن لليهود خلال هذه الفترة وجود بارز في القدس، وإنّما كان النّصارى هم الذين يحكمون في تلك المناطق.

وكان اليهود في فلسطين في تلك الفترة مبعثرين في أرجائها، دون أيِّ

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص ٦٨.

ثقل سياسي أو عسكري فيها، وبالرغم من أنّ بعض ملوك الرُّومان مثل (جوليان) قد تبنّوا اليهودية، ولكن الذين جاؤوا بعده عادوا إلى النّصرانية، فلم يعد لليهود حقيقة وجود قويٍّ في فلسطين، وهكذا استمرّ هذا الوضع حتى مجيء الدولة الإسلامية بقيادة النّبيّ ﷺ[١].

**١٠ ـ الفُرْس يطردون الرُّوم من القدس:**

في عام (٦١٤م) غزا الفُرْسُ فلسطينَ، بقيادة كسرى الثّاني ملك الفرس، واستطاعوا أن يُسيطروا على فلسطين ويطردوا منها النّصارى الرُّوم، وانتهبوا القدس، وحطّموا ودمّروا كنيسة القيامة، ونهبوا كنوزها، وشارك اليهود في هذه المعركة إلى جانب الفُرْس، انتقاماً من النّصارى بسبب ما فعله النّصارى بهم، وجرت مذبحة عظيمة شارك فيها اليهود، حيث قُتل خلق كثير من النّصارى الرُّومان. قُدِّر عددهم في هذه المعركة بنحو ستين ألف قتيل، وشارك اليهود كذلك في تدمير كنيسة القيامة وكنائس كثيرة أخرى في القدس وغيرها، ذلك أنّ اليهود كانوا يعدّون النّصرانية انحرافاً من اليهودية، ويعدّونها كفراً بدينهم، وكانوا يطعنون في المسيح وأمه عليهما السلام، ولذلك لم يتورّعوا عن المشاركة في هذه المجزرة العظيمة التي جرت للنصارى، ولقد كان اليهود يطمعون بذلك أن يَسمح لهم الفُرْسُ بإقامة دولة في فلسطين، أو على الأقل في القدس، ولكن على عكس توقُّعاتهم رفض الفُرْس ذلك، وفرضوا على اليهود ضرائب ثقيلة جدّاً عليهم[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٧١.

ذَكَر القرآن الكريم الصِّراع الدولي في تلك الفترة التّاريخية بين الفُرْس والرُّوم، ونزلت سورة الرُّوم، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: ١ ـ ٧].

كان مشركو قريش يُحبُّون أن يظهر أهل فارس على الرُّوم، لأنّهم وإيّاهم أهل أوثان، بينما كان المسلمون يُحبُّون أن يظهر الرُّوم على فارس، لأنّهم أهل كتاب، كما أورد المفسِّرون تفصيلات كثيرة عن الرِّهان الذي جرى بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبعض مشركي مكة حول المعركة القادمة بين الفُرْس والرُّوم، التي جزم فيها القرآن الكريم بانتصار الرُّوم وهزيمة الفرس[1].

**أ ـ وعد القرآن بأن الرُّوم سينتصرون مرّة أخرى على الفُرْس في بضع سنين:**

أي أقل من تسع سنوات (البضع من ٣ ـ ٩ سنوات)، والحقيقة كان هذا خبراً غريباً جدّاً، لأن هزيمة الرُّوم كانت كبيرة، وكان الفُرْس دولة عظمى، بل كانت دولتهم أعظم دولة في العالم وقتذاك، فكيف تُهزَم أمام الرُّوم المكسورين؟

جعل كفار قريش من هذا الخبر القرآني أمراً للاستهزاء بالقرآن الكريم،

---

(١) تفسير القرطبي، (٢١/ ١٢).

وكذّبوه أيّما تكذيب، فراهنهم أبو بكر الصديق ـ قبل أن يُحرَّم الرِّهانُ ـ على مئة بعير، أنّ هذا سيحدث خلال تسع سنين فراهنوه(١).

وذهب ابن عطية إلى رأي يستحقُّ التدبُّر، حيث قال: الأقرب أن يُعلّل ذلك ـ أي: فرح المؤمنين ـ بما يقتضيه النظر من محبة أن يَغلب العدوُّ الأصغر ـ الرُّوم ـ لأنه أيسرُ مؤونة، ومتى غَلب الأكبرُ ـ الفُرْس ـ كثُر الخوفُ منه، فتأمّلْ هذا المعنى، مع ما كان رسول الله ﷺ يرجوه من ظهور دينه، وشرع الله الذي بعثه به، وغلبته على الأمم، وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بِمَلِكٍ يستأصله، ويُريحهم منه(٢).

وابن عطية رحمه الله يرى أنّ فرح المؤمنين الأكبر ليس سببه أنّ الرُّوم أهل كتاب، وأن انتصارهم على الفُرْس سيكون دليلًا ماديّاً على صدق الخبر القرآني، وإنّما سببه هو أن الله تعالى وظّف القوة الجهازية الرُّومانية لصالح المسلمين، الذين لم يَقمْ لهم سلطان جهازيٌّ بعدُ، إذ إنّه بعد أن يُسلِّط الرُّومَ على الدولة الفارسية، فيحطموها، ويكسروا شوكتها، سيخرجون من المعارك منتصرين، ولكنهم منهكو القوة، ممّا سيُمهِّد طريقاً لنصر المسلمين عليهم، وينفتح للإسلام بذلك طريق للبروز كقوة عالمية جديدة على أنقاض القوتين المندحرتين(٣).

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٧١.

(٢) تفسير ابن عطية، (١١/ ٤٢٥).

(٣) أصول الفكر السياسي، عبد القادر التيجاني، ص١٥٨.

**ب ـ انحراف اليهود عن دعوة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وعزلهم عن منصب قيادة الإنسانية:**

يرى القارئ في سورة الإسراء: أن الله ذَكَر قصّة الإسراء في آية واحدة فقط، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، ثم أخذ في ذِكْر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبّه إلى أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، والارتباط بين الآيات في سورة الإسراء يُشير إلى أن اليهود سيُعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية، لما ارتكبوا من جرائم، لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأنه سيصير إلى رسول الله ﷺ، ويُجمع له مركز الدّعوة الإبراهيمية كلِّها[(١)].

إنّ سورة الإسراء تعرّضت للاستبداد الإسرائيلي، وبيّنت كيف تهاوى بين مخالب القوى الدولية الكبرى في ذلك الزّمان (الفرس والرُّوم)، ولذلك فإن من الفوائد العظيمة في رحلة الإسراء لرسول الله ﷺ وأُمّته، بالمسجد الأقصى، هي آياته التّاريخية، التي كان يعكسها الصِّراع الرُّوماني الفارسي ـ الإسرائيلي ـ قبل الإسراء[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ

(١) الرَّحيق المختوم، لصفيِّ الرَّحمن المباركفوري، الطَّبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، مؤسَّسة الرِّسالة ـ لبنان، ص١٢٠.

(٢) أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ص١٤٩.

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢ ـ ٧].

ذَكَر ابن كثير في «البداية والنهاية»: أن (بختنصّر) غزا اليهود بأمر من ملك الفرس[(١)]، وقد قام بتخريب مملكة اليهود، وجاس خلال الديار، وتفرّقت بسبب ذلك بنو إسرائيل فنزلت طائفة في الحجاز، وطائفة في يثرب، وطائفة بوادي القرى، وذهبت شرذمة لمصر[(٢)]، وقد وقع هذا الدّمار الفارسي لدولة اليهود، في القرن السّادس قبل الميلاد (٥٩٧ق.م).

أما الدمار الثّاني، وهو الدمار الرُّوماني للدولة اليهودية (بعد أن أُعيد بناؤها)، فقد وقع في القرن الميلادي الأول (٧٠م)، وذلك حين هدم القائد الرُّوماني (تيتوس) هيكل أورشليم، وفرّ اليهود من وجه الاضطهاد الرُّوماني السياسي والدِّيني، وتتابعت هجرتهم، وانتهى بعضهم إلى جنوب الجزيرة العربية، حيث سبقهم أجدادهم الأوائل[(٣)].

---

(١) يرى الدكتور فرست مرعي أن بختنصر كلداني وليس فارسيّاً، ولم يؤمر من الملك الفارسي.

(٢) أصول الفكر السياسي، ص١٥٢.

(٣) ابن خلدون، (٢/ ٢٠٦).

فالشتات اليهوديّ، في أطراف الجزيرة العربية، ما زال يحمل جرثومة الفساد في الأرض، فإذا كان الرّسول ﷺ قد استوعب الظّاهرة القرشية، واستعدّ لها، فعليه أن يُحلِّل الظّاهرة اليهودية ويستعدّ لها[١].

فاليهود ليسوا أمة تاريخية كعاد وثمود، تُورد أخبارها للإرشاد والاعتبار، إنّما هم أمة لها حضور كثيف في الواقع العربيِّ الذي يعيش فيه الرّسول ﷺ، ويتحرّك فيه، لإقامة دولة الإسلام، فقد كانوا يُشكِّلون ـ فوق مكانتهم الاقتصادية ـ مركز سلطة فكرية؛ لما لهم من أحبار، وأخبار وكتب تراث نبوي، تُؤهِّلهم لتحديد مواصفات النُّبوّة، وطلب المعجزات، ووضع الشروط لصدق الرُّسُل وصحة الرِّسالات، فاليهود كانوا يستخدمون التّوراة لمحاربة القرآن، وإذا كان محمد ﷺ يتوقّع معركة مع قريش؛ فعليه أن يتوقّع معارك مع اليهود[٢].

ولقد صورت سورة الإسراء جانباً من الصِّراع الدولي بين الفُرْس والرُّوم واليهود، ونزلت بعدها سورة الرُّوم، وهي كذلك تتحدّث عن الصِّراع الدولي[٣].

**١١ ـ الرُّوم يستردُّون القدس (عام ٥هـ/ ٦٢٧م):**

وبعد خمس سنوات من الهجرة، أي بعد سبع سنين من انكسار الرُّوم، قام (هرقل) بإعداد جيش ضخم، وهاجم الفُرْس في فلسطين، واستطاع أن

---

(١) أصول الفكر السياسي، ص١٥١.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٣.
(٣) السيرة النبوية، الصلابي، (١/ ٣٢٢).

يهزمهم. ومن غرابة الأمر أنّ اليهود شاركوا مع النّصارى في معركتهم ضدّ الفُرْس، لأنّ الفُرْس أثقلوا كاهل اليهود بالضرائب، ولم يمنحوهم شيئاً ممّا طمعوا فيه من السيادة والمُلك، في أرض فلسطين والقدس، فكان أن قاتل اليهود إلى جانب النّصارى ضدّ الفُرْس، وكان أن تلقّى اليهود وعوداً من النّصارى بتمكينهم في أرض فلسطين، فيما لو قاتلوا بجانبهم، وتمّت هزيمة الفُرْس، وتحقّق وعدُ الله تعالى في القرآن الكريم في أقل من تسع سنين، كما أخبر تماماً[١].

**١٢ ـ النّصارى يضطهدون اليهود:**

رغم أنّ النّصارى وعدوا اليهود بالعفو، وإعطائهم المكانة، إلا أنّ رجال الدِّين النّصارى الذين كانوا هناك أعادوا إلى ذاكرة الرُّومان المجزرة التي قام بها اليهود مع الفُرْس في قتل النّصارى، وعادوا يُذكِّرون بهدم الكنائس والمقدّسات المسيحية، فرفضوا أن يَعفوا عن اليهود، وأصرُّوا على (هرقل) أن يقتل اليهود بدل العفو عنهم.

واستجاب (هرقل) لمطالب رجال الدِّين النّصارى، فنكث عهدَهم مع اليهود، وأمر بقتلهم، وأحدث النّصارى مجزرةً عظيمة باليهود، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وفرّ الباقون خارج فلسطين، واختفى قسمٌ منهم داخلها، فلم يبقَ لهم ذِكْر في الأرض المقدّسة[٢].

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

**الثاني عشر: هيكل سليمان المزعوم:**

لم يرد ذِكْر لهيكل سليمان في القرآن الكريم، وإنّما أشار القرآن الكريم إلى قصر سليمان عليه السلام المصنوع من القوارير، وهو آية في الإعجاز والجمال، حتى إن ملكة سبأ أسلمت لله ربِّ العالمين بعد مشاهدتها لهذا الإنجاز المُعجِز، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

كما أشار القرآن الكريم إلى أنّ الشّياطين والجنّ كانوا يعملون لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب، وهي أماكن العبادة الخالصة لله ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾، ونحن نُؤمن بأن بناء أماكن العبادة كان بناء في غاية الرّوعة والجمال والدِّقة، لا كبناء الآشوريين والبابليين في ذلك الوقت، فقد بنى سليمان دولة قامت بنهضة حضارية شاملة، منها البناء المعماري المتفوِّق والمُتميِّز في ذلك الوقت، وطبيعي أن يَبني سليمان عليه السلام دُورَ العبادة في دولته الواسعة.

وأما هيكل سليمان عليه السلام المزعوم، والنصوص التي تخيّلها كاتبو تاريخ اليهود على أن مكانه المسجد الأقصى حالياً، فهذا محض افتراء وتزوير للحقائق.

وهناك تناقض واضح في روايات الأسفار، التي تحدّثت عن الهيكل، وعن تحديد مكان بيت الله، ممّا يؤكِّد أنّ قضية الهيكل من أوّلها إلى آخرها لا يُمكن تصديقها؛ لأن ما وَرَدَ عنها في الأسفار من التناقضات والاختلافات

لا يُمكن أن تكونَ وحياً سماويّاً صادقاً، فإن الوحي لا يتناقض.

وهناك خلاف كبير بين علماء اليهود وحاخاماتهم في تحديد مكان الهيكل، وهذا دليل دامغ وقوي على أن هيكل سليمان أكذوبة وأسطورة[١].

ـ إن الآثار الأموية والعباسية والعثمانية تدلّ على إسلامية المسجد الأقصى البحتة، التي لا يشترك معها أيُّ ديانة أخرى، وينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أثر لهم في المسجد الأقصى.

ـ إن وجود المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم بأزمان طويلة، من أقوى الأدلّة التّاريخيّة التي تُبطل مزاعم اليهود، وتكشف مدى مصداقيّة الرُّؤية الإسلاميّة في حقِّ المسلمين بالمسجد الأقصى وفلسطين[٢].

وقد تحدّث الكثير **من المفكرين والمثقّفين والعلماء عن الهيكل، وتلخيص ما وصلوا إليه من أبحاث كالآتي:**

**ـ الدكتور طارق سويدان:**

قال: وتُورِد بعض المصادر أنّ سليمان عليه السلام هو النبيُّ الذي بنى الهيكل، الذي يزعم اليهودُ وجودَه إلى اليوم، والصّحيح الوارد في المصادر الإسلامية المعتمدة أن النّبيّ سليمان عليه السلام كان قد جدّد بناء المسجد الأقصى القديم، ولم يَبين هيكلًا، وإنّما جاءت كلمة (هيكل) من كتب بني إسرائيل المحرّفة، التي لا تعتمد دليلًا أو سنداً. ولكي نوضح قضية الهيكل لا بُدّ من بيان النقاط التّالية، التي وردت في كتب اليهود المقدّسة:

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، بشير إسماعيل، ص٣٥٧.

(٢) القدس التَّاريخ المصور، ص٤٣.

أ ـ قام ببناء الهيكل المزعوم كثير من الجنود والبنّائين، الذين عُرفوا فيما بعد باسم (الماسون) أي البناؤون، ومن هنا أتت كلمة (الماسونية) من أصل (بنّائي الهيكل)، وهي حركة يهودية خطيرة مُنحرِفة، تهدف إلى بسط نفوذ اليهود وأتباعهم في كلّ بلاد العالم، ولهم طقوس وشعائر عجيبة ومنحرفة، ترجع إلى ذلك الزّمان، وهي حركة معادية للإسلام ولكلِّ الأديان عدا اليهودية. والانضمام إليها حرام وجريمة كبرى، وفيها عون للأعداء ضدّ المسلمين.

ب ـ تُشير الرِّوايات أنّ الهيكل بُني في مكان ما في القدس إلى جانب الأقصى، ولكن لا يوجد أيُّ تاريخ واضح أو دليل يُحدِّد مكان بنائه، ولكن يوجد وصف دقيق لشكله الدّاخلي والخارجي في الكتب المقدّسة اليهودية.

ج ـ وصفُ بناء هذا الهيكل في الكتب اليهودية أقرب للخيال منه للواقع، وفيه مبالغات كبيرة وتهويلات، جعلته قصراً كاملًا من الذهب. ويزعم اليهود أن في كتبهم المقدّسة وصفاً دقيقاً له، وفيها أن المحراب وهو قدس الأقداس يبلغ طوله (١٠) أمتار، وعرضه (١٠) أمتار، وسماكته (١٠) أمتار، مُغشًّى بالذهب، وهناك سلاسل كبيرة من الذهب ممتدّة أمام المحراب، وتماثيل الملائكة المجنحة فيه، سماكة كلِّ واحد عشرة أذرع، كلُّها أيضاً من الذهب.

هـ ـ كثير من المؤرِّخين يُشكِّكون في صحة ما رُوي عن الهيكل، لأنّ الكتب المقدّسة لم تُكتب إلا بعد عهد موسى بمئات السنين، تَعرّضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل، باعتراف كهنة اليهود أنفسهم.

**و ـ** اليهود اليوم يبحثون عن الهيكل ويُنقِّبون عنه، وقد جاء في كتبهم وكثير من الرِّوايات والأخبار في كتب المؤرِّخين أنّ هذا الهيكل هُدم وأُحرق بالكامل، ولم يبقَ منه حجرٌ على حجر[١].

**د ـ بشير إسماعيل حمو:**

كتب رسالة (**هيكل سليمان في عقيدة اليهود وأثره في هدم المسجد الأقصى**)، وهذا البحث بيّن عقيدة اليهود في هيكل سليمان، المتمثِّلة في زعم اليهود أنّ سليمان عليه السلام بناه معبداً للرّبِّ سبحانه وتعالى، من خلال المقصود من الهيكل، ومكانته عند اليهود، والنصوص الدينية التي اعتمد عليها اليهود في إيمانهم به، ثم الردِّ على الادعاءات اليهودية في هيكل سليمان عليه السلام وإبطالها، من خلال وجود تناقض واضح بين روايات الأسفار التي تحدّثت عن الهيكل، وعن تحديد مكانه، كلُّ هذا يؤكِّد أّن قضيّة الهيكل من أوّلها إلى آخرها لا يُمكن تصديقها، وأنّ المسجد الأقصى كان موجوداً قبل الهيكل المزعوم بأزمنة طويلة، وأنّ سليمان عليه السلام لم يَبنِ هيكلاً، كما يزعم اليهود.

وبيّن البحث أثر تلك العقيدة في مخططات اليهود لهدم المسجد الأقصى، وكشف سبب اختيارهم بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى، والخطوات العملية التي قام بها اليهود، والتي تسبق هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم، وعلى رأسها الحفريات تحت المسجد الأقصى.

---

(١) القدس التَّاريخ المصور، ص٤٤.

وبيّن البحث واجب المسلمين في مواجهة هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه[١].

**١ ـ معنى الهيكل:**

الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش) أي: بيت المقْدِس، أو (هيخال)، وتعني البيت الكبير في اللغة السّامية، وهو: الطّريقة التي كان يُشار بها إلى مسكن الإله ـ على حدِّ زعمهم ـ ومن أهم أسماء الهيكل: بيت يهوه. والهيكل أُعِدّ أساساً ليكون مسكناً للإله[٢]. ففي سفر الملوك: حينئذ تكلّم سليمان: قال الرّبُّ إنه يسكن في الضباب، إنِّي قد بنيتُ لك بيتَ سكني، مكاناً لسكناك[٣].

وكما يعتقد اليهود بأنّ خيمة الاجتماع، التي يُسمُّونها (قبة الزّمان)، كانت موجودة قبل عبادتهم العجل، والذي هو متقدِّم على مجيئهم بيت المقْدِس، وأنها مسكن الربِّ، وقد كانت مع بني إسرائيل في التِّيه، يُصلُّون إليها، وهي قِبلتهم، وأن يوشع بن نون لما دخل بيت المقْدِس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقْدِس، فكانوا يُصلُّون إليها، فلما بادت صلّوا إلى ملحقها، وهي الصخرة. ويَرَون أن أرض المسجد الأقصى هي أرض الهيكل، وأن مسجد الصخرة هو: مكان قدس الأقداس، داخل الهيكل[٤].

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، بشير إسماعيل حمو، ص٣٣٤.
(٢) موسوعة اليهود، (٤/ ١٥٩).
(٣) سفر الملوك الأول، (٨/ ١٢ ـ ١٣).
(٤) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٤.

وهنا تكمن خطورة هذا المعتقد، وما يترتّب عليه من ضرورة هدم المسجد الأقصى، المقام على أرض الهيكل ـ حسب زعمهم ـ وذلك لبناء الهيكل المزعوم مكانه[١].

**٢ ـ جبل الهيكل:**

مصطلح يُقابله في العبرية كلمة (هرهبايت)، ويُسمّى في الدراسات العربية: (هضبة الحرم)، ويقال له أيضاً (جبل موريا)، و(جبل بيت المقْدِس)، وهي منطقة في جنوب شرقي القدس، يعتقد اليهود أن الهيكلين: الأول والثاني قد أُقيما على هذه الهضبة، وأنّ إبراهيم عليه السلام ضحّى بإسحاق عليه السلام ـ حسب اعتقاد اليهود ـ على هذا الجبل[٢].

وتُعتبر هذه البقعة أكثرَ الأماكن قداسة عند اليهود، ومِن ثَمّ فإنّهم لا يُمكنهم دخولُها إلا بعد تطبيق بعض شعائر الطّهارة التي تحتاج إقامتها إلى رماد البقرة الحمراء، وهو ما يَستحيل في الوقت الحاضر، ومِن ثَمّ يُحرِّم معظمُ فقهاء اليهود على اليهود دخول تلك المنطقة. ويُوجد في تلك البقعة حوالي مئة أثر إسلامي، أهمُّها المسجد الأقصى ومسجد القبة[٣].

**٣ ـ الهيكل الأول:**

ورد في الكتاب المقدّس أنّ داود عليه السلام اشترى أرضاً من أرونة

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٤.

(٢) يعتقد اليهود أن الذبيح هو إسحاق، والحقيقة هو إسماعيل.

(٣) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٥.

اليبوسي لبناء الهيكل، ففي سفر صموئيل الثّاني: فقال الملك لأرونة: لا بل أشتري منك بثمن، ولا أصعد للرّبِّ إلهي محرقات مجانية[١].

وفي سفر أخبار الأيام الأول: فقال الملك داود لأرنان: لا؛ بل شراء أشتريه بفضة كاملة، لأني لا آخذ مالك للرّبِّ فأصعد محرَقة مجانية[٢].

وأعدّ داود للهيكل الأموال ومواد البناء[٣]، وأنه لم يَقمْ بالبناء لانشغاله بالحروب، وسفكه لدماء كثيرة، وقد منعه الرّبُّ من البناء لأجل ذلك، ووعد الرّبُّ داودَ عليه السلام بأن يكونَ ابنُه سليمان ـ وريثه ـ هو الذي يقوم ببناء الهيكل[٤].

وحسب الكتاب المقدّس: فقد أتمّ سليمان بناء الهيكل في سبع سنين[٥]، وبناه فوق جبل مُريّا في القدس، وهو جبل بيت المقْدِس، أو هضبة الحرم، حيث يوجد فوقها سور الحرم الشريف، الذي يشمل المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وعدد من الأروقة والأبنية، ويُسمِّي اليهود المكان جبل الهيكل[٦].

وتذكر أسفار العهد القديم أنّ الهيكل بقي على ما هو عليه قرابة أربعة قرون

---

(١) سفر صموئيل الثَّاني، (٢٤/ ٢٤)
(٢) سفر أخبار الأيام الأول، (١١/ ٢٤).
(٣) سفر الملوك الأول: الإصحاح الخامس.
(٤) سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح الثَّاني والعشرون.
(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس.
(٦) موسوعة المسيري اليهود، (٤/ ١١٦).

وربع، أي: منذ حوالي سنة (٩٦٨ ق.م)، إلى أن هاجم البابليون بقيادة الملك نبوخذ نصر (بختنصر) القدس، وسبَوا أهلها، واستولوا على ما في الهيكل من ثروات، ثم هدموه سنة (٥٨٦ ق.م)، أو سنة (٥٨٧ ق.م)[١].

**٤ ـ الهيكل الثّاني:**

الهيكل الثّاني ـ حسب مزاعم الكتاب المقدّس ـ هو: هيكل زروبابل، أحد كبار كهنة اليهود، الذي بناه سنة (٥١٥ ق.م)، بعد أن أذن الملك الفارسي (قورش) لليهود بالذّهاب إلى القدس سنة (٥٣٨ ق.م)، وكان البناء الجديد أضخم من البناء الأول؛ لكنّه أقلُّ تكلفة وعظمة. وظلّ هذا الهيكل قائماً مدة خمسة قرون، والأسفار التي وَرَدَ الحديث فيها عن هذا الهيكل هي: عزرا، حجي، وزكريا[٢].

ويذكر الكتاب المقدّسُ أنّ الهيكل الثّاني بُني بأمر من الربِّ، وبأمر من ملوك الفرس: قورش، وداريوس الأول، وأرتحشتا[٣].

**٥ ـ هيكل هيرودس:**

قام هيرودس الوالي اليهوديّ على فلسطين، من قبل الرُّومان، ببناء هيكل على أنقاض هيكل زروبابل، الذي أصابه الخراب بعد خمسمئة عام من بنائه، فهدمه وقام ببناء هيكل آخر مكانه أضخم منه.

بدأ (هيرودس) العمل فيه وقتاً طويلًا، ولكنه مات قبل أن يُتمّه، وتمّ

---

(١) سفر الملوك الثَّاني، (٢٥/ ٨ ـ ٩).

(٢) قاموس الكتاب المقدَّس، (٢/ ٤٦٥).

(٣) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٦.

البناء في عهد أغريباس الثّاني سنة (٦٤م)، وقد هُدم هذا الهيكل سنة (٧٠م)، على يد القائد الرُّوماني (تيتوس) أو (تيطس) فلافيوسي، الذي حاصر القدس ودكّ أسوارها، وأشاع فيها الخراب، وأضرم النار في الهيكل، وبعد أن سلب ما فيه هدمه. وهذا هو التدمير الثّاني للهيكل[١].

وإذا كان (تيطس) قد دمّر المدينة والهيكل، وأبقى الحطام مكانه، فإنّ الإمبراطور الرُّوماني (أدريانوس) أزال معالم المدينة، ومعالم الهيكل تماماً سنة (١٣٥م)، وأقام مكانه هيكلًا وثنيّاً باسم (جوبيتار) ـ ربُّ الآلهة عند الرُّومان ـ إذ لم تكن المسيحية قد اعتُرف بها بعد، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمّره المسيحيون في عهد الإمبراطور قسطنطين[٢].

والسؤال الذي يُطرح هنا: هل بعد هذا الهدم المتكرِّر للهيكل، وإقامة الهيكل الوثني مكانه، ثم تدميره في عهد الإمبراطور قسطنطين، هل بعد كلّ ذلك يبقى للهيكل أثر؟ هذا إن صحّ بناء الهيكل أصلًا.

**٦ ـ الهيكل الثّالث:**

**الهيكل الثّالث**: مصطلح ديني يهوديّ يُشير إلى عودة اليهود، بقيادة الماشيّح ـ و(الماشيّح): كلمة عبرية تعني (المسيح المخلِّص) ـ إلى صهيون لإعادة بناء الهيكل آخر الزّمان.

فالهيكل الأول هو: هيكل سليمان الذي هدمه نبوخذ نصر.

والهيكل الثّاني هو: هيكل هيرودس الذي هدمه (تيطس).

---

(١) مغالطات اليهود، طويلة، ص٢٧٩.
(٢) اليهودية، سلبي، ص٨٨.

والهيكل الثّالث والأخير: هو الذي سيُبنى في العصر المشيحاني ـ على حد زعمهم ـ.

وقد جعل الصهاينة الاستيطان الصهيوني هو العود المشيحانية، ومن ثَمّ فإن الدولة الصهيونية هي الهيكل الثّالث(١).

وهذا هو الهيكل الذي يسعى اليهود لإعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، كما في تصريحات قادتهم الدينيين والسياسيين، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً بإذن الله(٢).

**٧ ـ اختيار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى وسبب ذلك:**

تقول (جريس هالسل) ـ بعد الجولة التي قامت بها إلى الأرض المقدّسة في عام (١٩٨٥م)، وزارت فيها مع مجموعة من الحجاج المسيحيِّين الصهاينة مدينة القدس: قال لنا الدّليلُ، وهو يُشير إلى قبة الصخرة وإلى المسجد الأقصى: هناك سنبني الهيكل الثّالث، لقد أعددنا جميع الخطط لبناء الهيكل، حتى إن موادّ البناء أصبحت جاهزة، إنها محفوظة في مكان سرِّيٍّ. هناك معامل يعمل فيها الإسرائيليون، إنتاج التحف الفنية، التي سنستعملها في الهيكل الجديد، إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشاً من الحرير الخالص، لاستعماله في صناعة أثواب الحاخاميين في الهيكل(٣).

وعن سبب اختيار اليهود بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى في

---

(١) هيكل سليمان عقيدة اليهود، ص٣٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٣٦.
(٣) النبوة والسياسة، هالسل، ص٧٤.

مدينة القدس، يقول د. جميل عبد السيد قرح: لم يسمح الله للمَلِك والنبيِّ داود عليه السلام ببناء الهيكل، لأنّ يديه كانتا مُلطّخَتين بدماء الكثيرين، الذين قتلهم في الحروب، بل أمره أن يبني ابنُه الملك سليمان عليه السلام الهيكلَ بنحو ألف سنة قبل الميلاد، وليس في أي مكان آخر، وإلا أصبحت عبادتهم ناقصة ومرفوضة، عند تدشين الهيكل قدّم الملك سليمان، وجميع بني إسرائيل، ذبائح للرب: (٢٢) ألفاً من البقر، و(٢٠) ألفاً من الغنم، واحتفلوا سبعة أيام، هكذا تقول كتب التراث اليهودية[١].

ولذلك يصرُّ اليهود على إعادة بناء الهيكل في هذا المكان بالذات، ليُعيدوا ممارسة عبادتهم حسب طقوسهم وشعائرهم الموجودة في كتبهم التراثية، التي اختلطت فيها الأمور الدينية بالكتابات التّاريخية، والتي جمعت بين الحقائق والتحريف والتبديل، ويرون أنّ بناء الهيكل في هذا المكان يُمهِّد لمجيء المسيح كما يعتقدون.

ويعتبر بعضُ اليهود أنّ عبادتهم ناقصة ومرفوضة الآن، ولن يغفر الله خطاياهم. وهذا هو سبب إصرارهم الشّديد على بناء هذا الهيكل، ولو بالقوة، في هذا المكان نفسه؛ لممارسة هذه الفرائض بالنّسبة إليهم في تقديم القرابين على الذبح في الهيكل من جديد، لأن دم القرابين يُكفِّر عن النفس الخاطئة، كما في كتبهم، ومنذ احتلال مدينة القدس عام (١٩٦٧م) وهم يعملون باستمرار للسيطرة عليها، وتغيير معالمها، بهدف تهويدها، وإنهاء الوجود الإسلامي فيها.

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٧.

وقد استُخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل، وقامت بإجراءات عديدة ضدّ المدينة وسكانها، حيث كان الاستيطان في المدينة، وفي الأراضي التّابعة لها، أحدَ أهمِّ الوسائل لتحقيق هدف الاحتلال الصهيوني الأساسي تجاه مدينة القدس(١).

**٨ ـ مكانة الهيكل عند اليهود:**

وردت أقوال كثيرة في كتب الباحثين والمؤرِّخين عن مكانة الهيكل عند اليهود، فمما قالوه في ذلك:

ـ قول المؤرِّخ ديورانت: كان بناء الهيكل أهمّ الحادثات الكبرى في ملحمة اليهود بعد نشر كتاب القانون، وذلك أن الهيكل لم يكن بيتاً لليهود فحسب، بل كان مركزاً روحيّاً لليهود، وعاصمة مُلكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذِكْرى لهم، كأنه عَلَمٌ من نار، يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له شأن في رفع الدِّين اليهوديّ، من جيل بدائي متعدِّد الآلهة إلى عقيدة راسخة غير متسامحة(٢).

وهذا يدلُّ على الانحراف الكبير بعد بناء الهيكل في العهد الفارسي للقدس، والإشارة إلى الانحراف العقيدي في تلك المرحلة في قول المؤرِّخ الكبير (من جيل بدائي متعدِّد الآلهة).

ومعروف لدى الباحثين أن بني إسرائيل يرجعون إلى يعقوب عليه السلام، وكان على عقيدة التّوحيد الصّافية ضد الشرك بأشكاله وأنواعه،

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٧.

(٢) قصة الحضارة، ديورانت، (٢/ ٣٣٨).

وكذلك يوسف وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام.

ـ قول المؤرِّخ (لودز): لقد بالغ كتبةُ العهد القديم في العصور المتأخِّرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميّزة في الديانة اليهودية نتيجة لتدمير مملكة إسرائيل سنة (٧٢٢ق.م) من قبل الآشوريين، وكان الفضل كلّه يرجع إلى إصلاح يوشا (٦٢٢ق.م) الذي أعلن أنّ الهيكل هو المعبد الشّرعي الوحيد لليهود، بحيث أصبح الهيكل بالنّسبة للديانة اليهودية، وحتى إبطال تقديم القرابين عام (٧٠) بعد الميلاد، قلب الديانة الوطنية[١].

ـ قول الحاخام اليهوديّ (شلوم آمنين): يجب ألا ننسى أنّ السّبب الرئيسيّ للعودة من المهاجر، ولإقامة دولتنا، هو: بناء الهيكل، والهيكل هو: قمة الهرم[٢].

وقد تحدّث التلمود عن الهيكل في مواضيع مُتعدِّدة، ومن ذلك زعم التلمود أن الرّبّ ـ تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً ـ بعد تدمير الهيكل إلى الآن، لم ينقطع عن البكاء والنحيب، ويُردِّد عبارات النّدم على سماحه بهدم الهيكل، فقد وَرَدَ في التلمود في الكتاب الثّاني الذي بعنوان (فساد الدين) الفصل الأول تحت عنوان: العِزّة الإلهية على حسب التلمود: ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يَمِلْ إلى الرقص مع حواء، بعدما زيّنها بملابسها، وعَقَصَ لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في

(١) داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، أحمد عيسى، ص٨٢.
(٢) النبوة والسياسة، هالسل، ص٨٢.

تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي، ويُمضي ثلاثة أجزاء من الليل يزأر كالأسد قائلًا: تبّاً لي لأني صرّحت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي(١).

ولا شكّ في أن هذا من الخرافات والأكاذيب والأباطيل، وتشويه للذات الإلهية العظيمة: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

ويقول الدكتور عبد الوهّاب المسيري عن مكانة الهيكل في وجدان اليهود: يشغل الهيكل مكانة خاصّة في الوجدان اليهودي، كما يُعبِّر عن التيار الحلولي، وهو يُسمّى (البنان) لأنه يُطهِّر يسرائيل من خطاياها، ويجعَلها بيضاء كاللبن، وكان التّصوُّر أنّ الهيكل يقع في مركز العالم، فقد بُني في وسط القدس، التي تقع في وسط الدُّنيا، فقُدس الأقداس، الذي يقع وسط الهيكل، هو بمنزلة سُرّةِ العالم، والهيكل كنز الإله مثل جماعة يسرائيل، وهو عنده أثمن من السموات والأرض، بل إن الإله قرّر بناء الهيكل قبل خلق الكون بنفسه.

ويُشكِّل هدم الهيكل صورة أساسية في الوجدان الديني اليهودي، فهو يُذكر عند الميلاد والموت، وعند الزواج يُحطَّم أمام العروسين كوبٌ فارغ،

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص٣٦.

ليُذكِّرهما بهدم الهيكل، ويرى الصهاينة أن ظهور الصهيونية يعود إلى اللحظة التي هُدم فيها الهيكل، وفُرض الشّتات على اليهود، ويقوم الصهاينة بالتأريخ لوقائع تاريخ العبرانيين وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في فلسطين، بمصطلحات مثل (الهيكل الأول) و(الهيكل الثّاني). ويُشير ابن جوريون وكثير من الإسرائيليين إلى دولة إسرائيل، باعتبارها (الهيكل الثّالث) [١].

وقال الدكتور المسيري رحمه الله: تُستخدم عبارة (إعادة بناء الهيكل) بمعنيين:

**الأول**: إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من بابل، ومِن ثَمّ يُسمّى (الهيكل الثّاني) تمييزاً له عن الهيكل الذي هدمه نبوخذ نصر، واستخدام العبارة بهذا المعنى نادر.

**الثاني**: هو الاستخدام الأكثر شيوعاً، باعتبار أن الهيكل الثّاني هو الذي بناه هيرودس، وهدمه تيتوس. ويذهب الفقه اليهوديّ إلى أنّ الهيكل لا بُدّ أن يُعاد بناؤه، وتُقام فيه شعائر العبادة القربانيّة مرة أُخرى، ولهذا تمّ تدوين الشعائر في التلمود مع وصف دقيق للهيكل، وتتضارب الآراء مع هذا حول موعد بناء الهيكل وكيفيّة بنائه. والرّأي الغالب فقهيّاً هو أنّ اليهود يجب عليهم أن ينتظروا حلول العصر المشيحاني بمشيئة الإله، وعندئذ يُمكنهم بناؤه. والتعجيل بالبناء نوع من الهرطقة.

وهناك رأي فقهي يرى أنّ على اليهود إقامة بناء مؤقّت قبل العصر

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة، (١/ ٤١٠).

المشيحاني، وهو رأي الأقلية، ولكنه ظلّ موجوداً بسبب طبيعة اليهودية كتركيب جيولوجي.

وقد استفاد الصهاينة من هذا التناقض، فوصفوا الرُّؤية الأرثوذوكسية بالسلبية، وقرّروا أخذ زمام الأمور من أيديهم، وينقسم اليهود في العصر الحديث إزاء مسألة بناء الهيكل إلى فريقين: صهاينة، وغير صهاينة.

أما غير الصهاينة فيعارضون العودة الفعلية، ومِن ثَمّ يعارضون إعادة بناء الهيكل، فالإصلاحيون يَرَون أنّ الهيكل لا يُمكن إعادة بنائه أبداً.

وأما الأرثوذوكس فيرون أن إعادة بناء الهيكل مرتبطة بعودة الماشيح، ويرى المحافظون أنها مجاز.

وأما الصهاينة فينقسمون في موقفهم من إعادة بناء الهيكل إلى دينيين ولادينيين.

اللادينيون لا يهتمون كثيراً بالعبادة القربانية، وإعادة بناء الهيكل، ويرون محاولات الصهاينة المتديِّنين إعادة بناء الهيكل مسألة هَوَس يُهدِّد المستوطن الصهيوني بالخطر، دون فائدة مادية ملموسة.

ويرى الصهاينة المُتديِّنون (المُتطرِّفون) المسألة من منظور إعادة بناء الهيكل ذات أهمية مركزية لهم، وهم يُركِّزون جلّ اهتماهم عليها.

وقد حدثتْ عدّة محاولات، من جانب الجماعات الصهيونية، تستهدف تفجير الأماكن المقدّسة، وهناك منظمة يهودية تُسمّى أمناء جبل الهيكل، تجعل بناء الهيكل الثّالث هدفَها الأساسي.

ورغم هذا الانقسام بشأن إعادة بناء الهيكل فإن بعض الأطروحات، التي

كانت تُصنّف في الماضي بوصفها دينية مهووسة، صارت مقبولة، بل أصبحت جزءاً أساسيّاً من الخطاب السياسي الصهيوني، أو ضمن برامج الأحزاب المعتدلة، وعادة ما تُوظِّف المؤسسة الصهيونية الحاكمة الصهاينة الدينيين في تحقيق أهدافها، ولهذا يَسمحون لهم بإقامة احتفالاتهم السنوية بوضع حجر أساس الهيكل، حتى يظلّ القدس والحرم الشريف، بل الحقّ العربيُّ ككل، موضع تساؤل، وخاضعاً للتفاوض، ويرى المسيحيون الأصوليون أنّ إعادة بناء الهيكل الشرط الأساسي للعودة الثّانية للمسيح، وقد عُقد عام (١٩٩٠م) مؤتمر في إسرائيل لمناقشة القضية[١].

**٩ ـ حائط البراق أم حائط المبكى:**

الاعتقاد السّائد هو أنّ حائط البراق جزء من الحائط الخارجي للهيكل الذي رسمه هيرودس ودمّره تيتس القائد الرُّوماني عام (٧٠م)، وهو عبارة عن حائط كبير مبنيٍّ من حجارة ضخمة، ويعتقد المؤرِّخون المسلمون أنه المكان الذي ربط عنده جبريل بُراقَ الرّسول محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، ومن هنا جاء اسمه الإسلامي (حائط البراق)، ولا يزال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسي، وتحديداً هو جزء من جداره الغربي[٢].

وقد ذَكَر الإمام البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**ثم انطلق بي جبريلُ حتى دخلنا المدينة ـ بيت المقْدِس ـ من بابها اليمانيِّ، فأتى قبلة المسجد**

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة، المصدر السابق، (٢/ ٤١٢).

(٢) عقيدة أهل الإيمان في هيكل نبيّ الله سليمان، سليمان العريفي، ص١٥٦.

**ـ الأقصى ـ فربط بها دابته، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر»** [١].

فقال أبو بكر: صفها لي يا رسول الله. فقال ﷺ: «**هي كذه وكذه**»، قال أنس: كان أبو بكر قد رآها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عن رسول الله ﷺ: «**أُتيت بالبراق، فركبت حتى أتيت بيت المقْدِس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم عُرج بي إلى السّماء**» [٢].

ويقول الدكتور عبد الوهّاب المسيري عن حائط المبكى: (حائط المبكى) هو الحائط الغربيُّ، ويُسمِّيه المسلمون (حائط البراق)، يقال إنه جزء من السور الخارجي الذي بناه هيرود، لِيُحيط بالهيكل والمباني المُلحَقة به، ويُعدّ من أقدس الأماكن عند اليهود في الوقت الحاضر، يبلغ طوله مئة وستين قدماً، وارتفاعه ستين قدماً سُمي باسم حائط المبكى، لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح، وجاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التّاسع من آب (أغسطس)، يوم هدم الهيكل على يد تيتوس، والتاريخ الذي بدأت تُقام فيه الصلوات بالقرب من الحائط غير معروف، وحتى القرن السّادس عشر تجد أن المصادر التي تتحدّث عن يهود القدس تُشير إلى ارتباطهم بموقع الهيكل وحسب.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٦٦.

(٢) عقيدة أهل الإيمان في هيكل نبيّ الله سليمان، سليمان العريفي، المصدر نفسه، (٢/ ٣٥٦).

كما يبدو أنه أصبح محلّ قداسة بدءاً من (١٥٢٠م) بعد الفتح العثماني وهجرة اليهود الماراتو، حَمَلة لواء النزعة الحلولية المتطرِّفة في اليهودية، فالنزعة الحلولية تَظهر دائماً في شكل تقديس الأماكن والأشياء، كما أن وجودهم داخل التشكيل الحضاري الإسلامي ترك أثره العميق فيهم، فشعيرة الحج إلى مكة، والطواف حول الكعبة، وجدت صداها في تقديس حائط المبكى[١].

**١٠ ـ عدم قدسية الأسفار التي تتحدّث عن وجود الهيكل:**

السِّفران اللّذان تحدّثا عن وجود الهيكل، وهما: سفر الملوك الأول والثاني، ينسب اليهود كتابتهما إلى أرميا، وهذا غير صحيح، وليس هناك دليل واحد يُؤيِّده، فسفر الملوك الثّاني تمتدُّ حوادثه إلى ما بعد عصر أرميا، ومن ثَمّ فلا يُعقَل أن يكونَ هو كاتبه[٢].

والصّحيح ـ كما ذَكَر العلماء ـ أنّ السِّفرين عبارة عن مجموعة من المدوّنات التّاريخية؛ جُمعت ونُسِّقت معاً، واستقى كاتبهما موادّه من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسِيَر الأنبياء، واعتمد على كثير من الرِّوايات الشّفهية، والحكايات الشّعبية[٣]. ولقد ذهب العلماء إلى أنّ هذين السِّفرين قد تمّ تأليفهما مرتين، وبصيغتين مختلفتين:

---

(١) موسوعة المسيري في اليهود واليهودية والصهيونية، (١/ ١٤١٣).

(٢) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٨.

فالصيغة الأولى، أواخر القرن السّابع ق.م أو ما بين (٦٢٢ـ٦٠٩ ق.م)، أي: ما قبل السّبي.

والصيغة الثّانية وُضعت في السّبي، حيث جاء مؤلفٌ ثانٍ وأعاد تأليفه من جديد. ويُستدلُّ على ذلك بعبارات كثيرة جاءت في السِّفرين، ويُرجّح أن ذا التأليف قد تمّ ما بين عامي (٥٦١ ـ ٥٣٨ ق.م) [١].

ويذكر الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) أن أسفار صموئيل والملوك قد شكّ العلماء في قيمتهما التّاريخية، حيث تختلط الأحداث بالأساطير، وأنّ (أدموند جاكوب) وجد فيهما أخطاء متعدِّدة، وأنّ الحدث الواحد له روايات مزدوجة وحتى ثلاثية[٢].

وقد طعن العلماء في سفري أخبار الأيام: الأول، والثاني، اللّذين جاء فيهما ذكر لبناء سليمان للهيكل، وشكّكوا في كونهما كتاباً موثوقاً فيه، وبيان ذلك: أنّ علماء التقليد اليهوديّ زعموا أن كاتب السِّفرين: الكاهن (عزرا)، لكن الناقد اليهوديّ (باروخ سبينوزا) [٣] قال: إن المؤلِّفين الحقيقيِّين لهذا السفر لا يُعلَم عنهم شيء يقينيٌّ، كما لا يُعلم شيء عن سلطتهم وعقيدتهم. وقد شارك (سبينوزا) فيما ذهب إليه عدد من العلماء[٤].

وذَكَر الدكتور بشير إسماعيل حمو التناقض بين روايات الأسفار التي

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٩.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص٣٧.

(٣) فيلسوف يهوديّ برتغالي من رواد الدراسات النقدية للعهد القديم.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي الزغبي، ص٣٧٢.

تحدّثت عن الهيكل، وتحدّثت عن اختلاف حاخامات وعلماء اليهود في تحديد مكان الهيكل، فوق جبل موريا، كما جاء في الكتاب المقدّس، وبيّن أنّ الكتاب المقدّس يقول: إنّ الرّبّ أمر بهدم الهيكل، ولم يأمر بإعادة بنائه، وذَكَر ذلك بالتّفصيل. ويُنصَح بالاطلاع على كتابه[1].

**١١ ـ علم الآثار، ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى:**

منذ أن احتلّ اليهود الشطر الشرقيّ من القدس عام (١٩٦٧م) إلى اليوم، وهم يحاولون العثور على أي أثر يدلُّ على بقايا الهيكل المزعوم، ويُثبِت مكانه تحت الحرم القدسيِّ الشريف، وقد قامت حكومات الاحتلال الإسرائيلي المتعاقبة بإجراء حفريات وأنفاق تحت أسوار جبل بيت المقْدِس، وتحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها: الغربي والجنوبي، وامتدّت الحفريات إلى الأرضية الدّاخلية تحت ساحة المسجد، وتحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، واستمرّت الحفريات بشقِّ نفقٍ واسع طويل، اخترق المسجد من شرقه إلى غربه، وأقام اليهود في النفق كنيساً يهوديًّا صغيراً، افتتحه رسميّاً رئيس الدولة ورئيس الوزراء الإسرائيلي عام (١٩٨٦م)، وفي عام (١٩٨١م) أعلنت الهيئات اليهودية الدينية اكتشاف نفق كبير تحت الحرم القدسي.

ولقد مرّت عمليات الحفر والتنقيب بمراحل، لأن هدفها هو: تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجدين: الأقصى وقبة الصخرة، لترك المسجدين قائمين على فراغ؛ ليكونا ـ لا قدّر الله ـ عرضة للانهيار والسُّقوط.

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٣٩ ـ ٣٤٣.

ولقد افتتحت حكومة الاحتلال الإسرائيلي نفقين، يمرّان من تحت المسجد الأقصى، من جداره الجنوبي، تزعم إسرائيل أنّهما كانا يُستخدمان لنقل المياه إلى الهيكل المزعوم، افتُتح النفقُ الأول عام (١٩٩٦م) في عهد رئيس الوزراء السّابق بنيامين نتنياهو؛ بينما افتُتح النّفق الثّاني بعيداً عن أعين وسائل الإعلام، في عهد رئيس وزراء إسرائيل إيهود باراك[١].

ويتساءل الدكتور صالح الرقب: هل وجد علماء الآثار اليهود والأوربيون والأمريكان، خلال عمليات الحفر والتنقيب، أثراً واحداً يدلُّ على الهيكل المقدّس المزعوم؟ أو يُثبِت أن المسجدين: الأقصى وقبة الصخرة قد أقيما على أنقاض ذلك الهيكل، كما تزعم الصهيونية واليهودية المسيحية؟!

ويُجيب عن ذلك الشيخ محمد أبو شقرا، الذي عقد مؤتمراً صحفيّاً في عام (١٩٨٣م)، تحدّث فيه عن تتابع أعمال الحفريات الأثرية، تحت المسجد فقال: إنّ الحفريات الأثرية تحت المسجد لم تُسفِر إلا على إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية، ولم يجد الإسرائيليُّون أية أدلة تُؤكِّد أن معبداً (الهيكل) أُقيم في أي وقت في هذا المكان[٢].

فهذه الآثار الأموية والعباسية والعثمانية تدلُّ على إسلاميّة المسجد الأقصى البحتة، التي لا يشترك معها فيها أي ديانة أخرى، وينسف

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٤.

الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أثر لهم في المسجد الأقصى[١].

يقول الأستاذ منصور عبد الحكيم: ولقد أثبت علماء الآثار، من اليهود والأوربيين والأمريكان، الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق، تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولا تحت المسجد الأقصى، ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم الرّأيَ كثير من الباحثين اليهود والغربيين، ممّا دفع بعضَهم إلى أن يقول إنّ الهيكل قصّة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود (إسرائيل فلنتشتاين) من جامعة تل أبيب[٢].

إن المسجد الأقصى بُني قبل عهد سليمان عليه السلام بأزمنة طويلة، كما مرّ معنا، فكيف يكون هيكل سليمان المزعوم تحت المسجد الأقصى كما يزعم اليهود.

إنَّ سليمان عليه السلام جدَّد بناء المسجد الأقصى، وذلك أمرٌ طبيعيٌّ؛ لأنه كان مسلماً وموحِّداً ومُفْرِداً لله في عبادته عز وجل، وهو من ذريَّة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وسار على نهج موكب الأنبياء والمرسلين، فلم يكن يهوديًّا ولا نصرانياً، وهو حقّ ثابت للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

وقال تعالى حاكياً قول سليمان: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٤٤.
(٢) سليمان عليه السلام النَّبيّ الملك، منصور عبد الحكيم، ص١٤٢.

وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

**ويتبين من كلِّ ما سبق:**

ـ أنّ الهيكل عقيدة يهودية، وله قدسية خاصّة في الفكر اليهودي.

ـ أن اليهود يعملون ويُخطِّطون لإعادة بنائه من جديد، في المكان نفسه الذي يزعمون أنه بني فيه هيكل سليمان، وهو فوق هضبة الحرم القدسي، حيث مكان المسجدين الإسلاميين: الأقصى وقبة الصخرة.

ـ أنّ ما يعتقده اليهود في الهيكل هو مزاعم باطلة، وأن النصوص التوراتية التي تحدّثت عن الهيكل مليئة بالتناقض والكذب[١]، فقد تبيّن التناقض الشّديد بين الكثير من نصوص العهد القديم، وهو الذي يُمثِّل محور وأساس الرواية اليهودية، بل وحتى تفصيلاتها في أغلب الأحيان.

وقد قام الدكتور محمود عبده نور الدين ببيان هذه التناقضات والأكاذيب، في بحثه القيِّم **(الهيكل اليهودي، الرواية اليهودية والمنطق التّاريخي)** [٢].

ـ أنّ الحفريات تحت الحرم القدسي الشريف، التي يقوم بها اليهود منذ احتلالهم للقدس، لم تُثبِت شيئاً من مزاعم اليهود في وجود الهيكل، وأنّ علماء الآثار، من اليهود وغيرهم، قد كذّبوا مزاعم اليهود في وجود الهيكل تحت الحرم القدسي[٣].

---

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٤٥.

(٢) الهيكل اليهودي، ٣٢٧٦.

(٣) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص٣٤٥.

ـ أحقِّية المسلمين في حائط البراق: عندما حدثت اضطرابات في القدس بين اليهود والمسلمين، وزعم اليهود أنّ حائط البراق جزءٌ من هيكلهم القديم، وحدثت ردود فعل مختلفة فلسطينية وعربية وإسلامية، واستمرّت الاضطرابات سنين، وفي عام (١٩٣٠م)، تم تشكيل لجنة دولية لدراسة المشكلة، وكتابة تقرير عنها، ووافق مجلس الأمم في (١٤ مايو ١٩٣٠م) على تشكيل هذه اللجنة بقيادة (شو)، وقد حضرت اللجنة إلى القدس في (١٩ يونيو ١٩٣٠م) وأقامت شهراً كاملًا، واستمعت لعدد كبير من شهود العرب واليهود، كما اطّلعت على جميع الوثائق المقدّمة إليها من الفريقين، واستمعت إلى مرافعات المحامين، الذين أحضرهم الطرفان، ثم كتبت تقريرها؛ الذي منه:

ـ للمسلمين وحدهم تعود ملكية الجدار الغربي، ولهم وحدهم الحقُّ العينيُّ فيه، ولكونه يُؤلِّف جزءاً لا يتجزّأ من مساحة الحرم الشريف، التي هي من أملاك وقف الملك الأفضل ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، وكذلك تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط، وأمام المحلّة المعروفة بحارة المغاربة، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشّرع الإسلامي[1].

فهذا التقرير الدولي يشهد بحقِّ المسلمين بحائط البراق التّاريخي والدِّيني والقانوني.

ـ جاء في دائرة المعارف البريطانية: ليس من المؤكّد أن الهيكل كان في حرم المسجد الأقصى، خاصّة أن تيتوس عندما هدمه عام (٧٠م) لم يترك

---

(١) الهيكل اليهوديّ الرواية اليهودية، ص٣٢٧٢.

شيئاً قائماً فيه، وطُمست سائر معالمه، فالبحث عنه إذاً عبث[١].

ومع هذه الحقائق التّاريخية الدّامغة إلا أنّ المتابع لحركة اليهود المعاصرة يُوقن بجديتهم في هدم المسجد الأقصى، وفق عقيدتهم المسيطرة عليهم، ومحاولة الارتباط التّاريخي بسليمان عليه السلام، الذي هو في الحقيقة نبيٌّ من أنبياء الله، دعا إلى التّوحيد، وحكم بين الناس بالعدل، بعيداً كلّ البعد عن العنصرية والأباطيل التي يدعو إليها الاحتلال الصهيوني، وممارسته الظّالمة والجائرة؛ فكلُّ الممارسات العنصرية التي مارسها شارون أو بن غوريون أو نتنياهو أو ليبرمان أو باراك أو أي سياسي صهيوني لا علاقة لها بمنهج سليمان عليه السلام، ولا عقيدته، ولا سلوكه.

إن أفكار الحركة الصهيونية الاستيطانية هي أفكار استعمارية، تسعى للسيطرة على أرض فلسطين، والقضاء على شعبها المجاهد بحقد عنصري، وتزوير تاريخي ممزوج بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وأين هذه الحركة العنصرية الاستعمارية الظلامية القمعية الدموية من عصر الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام، اللّذين جاءت سيرهم العظيمة وقصصهم الرشيدة في القرآن الكريم؟ فذكرت عدلهم وتوحيدهم، ومخافتهم من الله عزَّ وجلَّ، وسعيَهم لعمارة الأرض، ورفع الظلم عن الناس، والارتباط الرّاشد بموكب الأنبياء والمرسلين، من آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ.

إن من حقّنا كمسلمين صادقين الدفاع عن الحقيقة التّاريخية والسيرة العظيمة، والقدوة الحسنة لكلٍّ من داود وسليمان عليهما السلام، وتخليصهما

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢٧٨.

ممّا نُسب إليهما من أكاذيب وعقائد باطلة، لا دليل عليها ولا برهان، إلا الأوهام والخرافات والأساطير، ومن حقِّنا الدفاع عن نبوّتهم وتخليص سِيَرهم ممّا نُسب إليها من طعون وافتراءات، فعقيدتنا الإسلامية الصّافية، التي جاءت في القرآن الكريم والسُّنة النّبويّة الصّحيحة، تُوجب علينا ذلك.

إن القرآن الكريم بيّن أكثر الحقائق الدّامغة لسيرة داود وسليمان عليهما السلام، فردّ على التشويه اليهوديّ لهذين النّبيِّين العظيمين، ولقد شوّهوا سليمان عليه السلام، واتّهموه بالكفر بالله، وأنه انحاز وراء الأصنام، وقالوا: إن سليمان ما حكم مُلكَه إلا بالسِّحر والاستعانة بالشّياطين، وكذلك شوّهوا أباه داود عليه السلام، وقُلتم: إن سليمان عليه السلام استعبدكم، وجعل النِّير فوق رقابكم، وتناسيتم أنه نبيٌّ مرسَلٌ، وحفيد أنبياء مُرسَلين، وقُلتم عنه أنه استدان الأموال، وأرهق الناس بالضرائب، ليبني هيكلكم المزعوم، ويا للعجب؟ فأين هو هذا الهيكل الذي بناه النّبيُّ سليمان على حساب أموالكم والضرائب التي فرضها عليكم؟

يا للعجب العجاب تقولون ذلك، ثم تدّعون أن الهيكل رمز وجودكم ودولتكم الغابرة، فما بالكم تَكفرون بالنبي سليمان عليه السلام، وتُلبِسونه لَبوس المُجرمين المُشركين السّحرة، ثم تقولون: إن الهيكل الذي بناه رمزُ وجودكم في فلسطين؟!

إنّنا نخالفكم فيما ذهبتم إليه من هذا التشويه، المبني على الأكاذيب، وإنّما نقول: إن النّبيّ سليمان عليه السلام نبيٌّ مُرسَل على نهج من سبقه من الأنبياء والمرسلين، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وغيرهم، عليهم الصّلاة والسلام،

أرسله الله لإقامة العدل بين خلقه، وعمارة الأرض على شرعه، وهو هبة من الله لأبيه داود عليهما السلام.

والنبي سليمان عليه السلام دعا الناس ملوكاً وأناساً إلى عقيدة التّوحيد وعبادة الله عزَّ وجلَّ، وكان ذلك ما أراده من ملكة سبأ لِيَثْنِيَها وقومها عن عبادة غير الله، وأن يَدلّهم على الصراط المستقيم، فكتابه الذي أرسله إليها بدأه بـ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولم يبدأه باسم (يهود) أو باسم (رب الجنود) أو باسم (الإله) القومي لبني إسرائيل.

والنبي سليمان عليه السلام لم يكفر، ولم يستخدم السِّحر لتقوية ملكه، فهو نبيٌّ، وقوته مستمدّةٌ من الله عزَّ وجلَّ.

إننا كمسلمين نعتزُّ بسليمان عليه السلام، ونؤمن به كنبيٍّ مُرسَل، وإنْ حاربوه فنحن مَن ندافع عنه، وعن نبوته وسلوكه، وليس لكم أي علاقة به لا من قريب ولا من بعيد[1]، وندعوكم إلى التوبة النصوح، والرجوع إلى سيرته المحفوظة في القرآن الكريم، بل إن تاريخ بني إسرائيل الحقيقي، في منعرجاته المتنوعة وسِيَرِ أنبيائه العظماء، لا تجدون كتاباً كالقرآن الكريم حافظ على سِيَرهم بالتمام والكمال والصفاء والنقاء، وبيّن محلّ الاقتداء بهم كالذِّكر الحكيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٦ ـ ٧٨].

(١) سليمان عليه السلام صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية، ص١٥٣ ـ ١٥٥.

**١٢ ـ عقيدة أرض الميعاد:**

كانت الفكرة لدى العالَم في تجميع اليهود في دولة من أيام (نابليون بونابرت) الفرنسي عام (١٧٩٩م)، حيث دعا يهود آسيا وإفريقيا للانضمام إلى حملته من أجل بناء مدينة القدس القديمة، وقد جنّد منهم عدداً كبيراً في جيشه، إلا أن هزيمة نابليون واندحاره حال دون ذلك.

ثم ابتدأت الفكرة تظهر على السطح مرة أخرى، وبدأ العديد من زعماء الغرب وكبار اليهود يهتمُّون بها، ويُؤسِّسون كثيراً من الجمعيات المنادية لهذا الأمر[١]، وكانت عقيدة أرض الميعاد حاضرة بقوة في المتأثِّرين بأفكار وثقافة وتاريخ العهد القديم للديانة اليهودية والمذهب البروتستانتي النّصراني، وتتلخّص هذه العقيدة في أن الله عزَّ وجلَّ قد أعطى اليهود منذ أن كان اسمهم (بني إسرائيل) أرض فلسطين، ووعدهم بملكها إلى الأبد وأباح لهم ـ على حسب زعمهم ـ أن يقتلوا ويطردوا كلّ الأقوام الذين كانوا يعيشون فيها، كما دعاهم ألا يُمكِّنوا أحداً من العيش فيها إلى جوارهم، فهي ملك خاصٌّ لهم، وميراث خاصٌّ بهم، هذا ما آمن به اليهود منذ القديم، وهذه هي العقيدة التي استقرّت في نفوسهم، حتى بعد أن طُردوا من فلسطين منذ ألفي سنة تقريباً.

لقد ظلُّوا قروناً كثيرة وهم ينتظرون المَلِكَ المُخَلِّصَ والقائد المنصور (الماشيح المنتظَر)، ليجمعهم ويقودهم إلى فلسطين، لكن اليهودية

---

(١) دراسات في الأديان، د. سعود عبد العزيز، ص٦١.

الصهيونية سبقت المسيح المنتظَر، وقادتهم في هذه المرة إلى فلسطين، وأعلنوا عن قيام دولتهم في منتصف عام (١٩٤٨م).

لقد غرست النبوءات الكثيرة التي نسبوها إلى أنبيائهم هذه العقيدة في قلوبهم، وأنا هنا لا لأناقش هذه النبوءات ومدى صدقها، فتاريخ اليهود القديم في فلسطين يُكذِّبها وينسفها نسفاً.

وهناك العشرات من النصوص في العهد القديم تقول بأنهم أُورثوا الأرض بشرط الإيمان والطّاعة، وإن هم أخلُّوا بالشّرط فسوف يُطرَدون ويُشتّتون في أنحاء الدُّنيا كلِّها، وهذا ما كان.

مضى على طرد اليهود من فلسطين قرون كثيرة، وصلوات العودة إلى أرض الآباء والأجداد على لسان كلِّ واحد منهم، وظلُّوا يُردِّدون في أعيادهم تحيتهم المحفوظة (العام القادم أورشليم)، وحين بدأ التخطيط لقيام دولتهم الحالية أجمع زعماء اليهود كلُّهم على أن تكونَ فلسطين هي أرض دولتهم، وهذا ما تقرّر في مؤتمرهم الأول في (بال) بسويسرا عام (١٨٩٧م) [١]، وجاء في خطاب هذا المؤتمر: إنّا نضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف يُؤوي الأمة اليهودية، ثم اقتُرح برنامج يدعو إلى تشجيع القيام بهجرة واسعة إلى فلسطين، والحصول على اعتراف دولي بشرعية التوطين.

وكان من قرارات ذلك المؤتمر: إنشاء (المنظمة الصهيونية العالمية) لتحقيق أهداف المؤتمر، والتي تولّت أيضاً إنشاء جمعيات عديدة علنية وسرية، لتخدم هذا الهدف[٢].

---

(١) كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص٣٧٤.

(٢) التاريخ اليهوديّ العام، ص١٩٦.

وقد صرّح زعماء اليهود بتصريحات واضحة لرسم مسار تحقيق هذا الهدف الذي اجتمعوا عليه:

* يقول تيودور هرتزل في كتابه (**الدولة اليهودية**): فلسطين وطننا التّاريخي الذي لا يُمكِن نسيانه.

* ويقول ديفيد بن غوريون: إن الصهيونية لم تبدأ بمؤتمر (بال)، ولا بوعد بلفور، ولا بقرارات الأمم المتحدة، بل يوم وعد الله أبانا إبراهيم بأرض فلسطين مُلكاً أبديّاً[١].

* ويقول مناحيم بيغن: إن هذه الأرض أُعطيت لنا بموجب الوعد، ومن حقِّنا الاحتفاظ بها[٢].

* ويقول الجنرال العسكري موشي دايان: إذا كنا نملك التّوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التّوراة، فلا بُدّ أن نملك الأرض التوراتية[٣].

* وتقول غولدا مائير: إن هذه البلاد وُجدت تنفيذاً لوعد صدر من الرّبِّ بالذات، ومن السُّخف أن نطالبه بحجج حول شرعيتها.

ولا تسأل عن تصريحات الحاخامات الكثيرة والمثيرة، فهذا الحاخام زفي يهودا كوك ـ الشخصية الأكثر تعبيراً عن الصهيونية الدينية ـ يقول: إن جميع هذه البلاد لنا، ولا يمكن تسليم أجزاء منها للآخرين، ورثناها عن

---

(١) كلام في اليهود، ص٣٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٧٥.

(٣) سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، جورجي كنعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص٢٧.

آبائنا، لهذا يجب أن يكونَ واضحاً: لا توجد مناطق عربية[١].

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: إن اليهود لهم فكرة وحيدة لا تتغيّر وهي: أنهم الشعب المختار، وأنهم سادة العالم، وأن ما في العالم من مال هو لهم، يجب أن يستردُّوه، وأنهم يجب أن يهدموا المسجد الأقصى، ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان، وسوف ينزل الرّبُّ ليحلّ في هذا الهيكل، ويحكم على طريقة شعبه المختار: شعب بني إسرائيل[٢].

إن هذه العقائد الفاسدة والثقافة المنحرفة، والأفكار المغشوشة في المشروع اليهوديّ الصهيوني، لا يُمكِن الوقوف أمامها، إلا بالعقائد الصّحيحة، والثقافة السّليمة، والأفكار الصّافية، التي منبعها كتابُ الله وسُنَّة رسوله الكريم.

**١٣ ـ رجال العقيدة اليهودية الصهيونية:**

ظهر من اليهود في القرنين التّاسع عشر والعشرين دجّالون كُثُر على مستوى عالٍ من الكفاءات المختلفة، ولقد ناضلوا نضالاً كبيراً في سبيل معتقداتهم، وحَلّ ما يُسمّى بالمشكلة اليهودية، وإقامة دولة لقومهم، ترفع عنهم الاضطهادات الكثيرة التي عانوا منها قروناً، وخاصّة في بلاد الغرب المسيحي[٣].

كان هؤلاء أعداءً للعرب والمسلمين، اغتصبوا جزءاً عزيزاً من وطنهم،

---

(١) أنبياء إسرائيل الجدد، د. عبد الغفار دويك، ص٣٦٦.

(٢) اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، ص٣٠٤.

(٣) كلام في اليهود، ص٣٧٧.

وأوقعوا مجازر رهيبة بشعبهم، وهجّروا مئات الآلاف من قراهم، وهدموا مئات القرى، وأقاموا على أشلائها (إسرائيل)، لقد ارتكبوا جرائم شنيعة، وقاموا بأعمال همجية مُخزية، لكنهم كانوا رجالاً كباراً في نظر قومهم وفي أنظار آخرين، قدّموا لقومهم اليهود خدمات جليلة، وخلّصوهم من معاناة طويلة لهم عبر القرون[1]، على حساب المُستضعَفين من أبناء الشعب الفلسطيني المسلم، الذي وقع عليه الظُّلم والجور والتهجير وسفك الدماء. . . إلخ.

وهؤلاء القادة الصهاينة (المعاصرون) هم علمانيون استخدموا اليهودية المنحرفة «العقيدة التي حرّفها رجال دينهم» لجمع شتات اليهود، وإعطائهم جانباً روحياً، ومستنداً شرعياً، وهم رغم سيرهم على باطل، لكن تجدهم بخلاف العلمانيين العرب الذين يحاربون ويشوّهون قيم ومعالم ومآثر ورموز الدِّين الإسلاميّ خدمة لأفكارهم واستجابة لإيديولوجيا غير أصيلة هدفها النيل من عقيدة المسلمين ومبادئهم، وتماسكهم الاجتماعي والأخلاقي والروحي.

**ومن أشهر قادة اليهود الذين ساهموا في بناء كيانهم المحتل هم:**

- تيودور هرتزل.
- حاييم وايزمان.
- ديفيد بن غوريون.

---

(١) كلام في اليهود، المصدر نفسه، ص٣٧٨.

وكان هؤلاء القادة وغيرهم من رجالات اليهود قد جمعت بينهم أفكارٌ جعلتهم كأنهم فريق عملٍ موحّد، يعمل لهدف واضح، ومن أهم هذه الأفكار:

ـ حلم تأسيس الدولة وقيامها كان رسالتهم الأولى في هذه الحياة، وشُغلَهم الشّاغل طيلة سنوات حياتهم.

ـ عاش جميعهم كلّ أدوار حياتهم في عمل متواصل، ونضال مستمرٍّ، وتحمّلوا المشاقّ الكثيرة، وقدّموا لأمتهم الخدمات الجليلة.

ـ ارتبطوا بأرض فلسطين برباط عقدي، فهي في اعتقادهم أرض الميعاد، وارتبطوا بشعبهم برباط ديني رساليٍّ، فهو في نظرهم شعب الله المختار، الذي ينتظره عمل عظيم يقوم به بين الشُّعوب والأمم، وإليك شيء من مواقف هؤلاء القادة وأعمالهم:

**أ ـ تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م):**

ـ أبو الصهيونية، والداعية الأكبر لقيام الدولة اليهودية كحلٍّ عصريٍّ لليهود في العالم.

ـ ألّف كتاب (**الدولة اليهودية**)، وتحدّث فيه في تفاصيل التفاصيل، كأنه يبني بيديه الدولة اليهودية لبنة لبنة، كما يقول الدكتور أحمد طربين[1].

ـ اعتبر كتابه دليل عمل للحركة الصهيونية، ودستوراً لمستقبلها.

ـ جمع قادة اليهود في زمانه في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال)

(١) كلام في اليهود، ص٣٨٠.

بسويسرا في عام (١٨٩٧م)، وبشّرهم في نهاية المؤتمر بأن الدولة سوف تقوم على أرض فلسطين بعد خمسين سنة، وفعلًا تحقق ذلك بتواطؤ الغرب.

ـ قضى قريباً من نصف عمره القصير داعياً لقيام الدولة، واتّصل بكبار زعماء عصره من أجل هذا الغرض، واجتهد طويلًا حتى التقى بالسلطان العثماني عبد الحميد الثّاني، الذي رفض أن يسمح لليهود باستيطان فلسطين، لكنه لم ييأس، وحاول أن يكونَ إمبراطور ألمانيا شفيعاً له عند السلطان العثماني، فلم ينجح، واتّصل بشمبرلن وزير المستعمرات البريطاني، ووزير خارجية روسيا، وزار فلسطين، وقضى مُبكِّراً والأمل يحدوه بقيام دولة لليهود في فلسطين، الذي أرسل إليها من قبل رسولاً ليرى هل هي كما يزعم بعضهم خالية من السكان، لكن الرّسول أجابه: العروس جميلة، لكنها مخطوبة، تأكيداً على وجود مواطنين فيها، ومع ذلك لم يعبأ بسكان الأرض، واتّجه كسائر زعماء اليهود لاغتصابها، وجَعلها وطناً لليهود[1].

**ب ـ حاييم وايزمان (١٨٧٤ ـ ١٩٥٢م):**

ـ يهوديٌّ روسيٌّ، وعالم كيمياء، أقام في بريطانيا في مرحلة شبابه، لاعتقاده أن مصالحها يمكن أن تتلاقى مع أحلام اليهود.

ـ خدم الإنكليز في الحرب العالمية الأولى خدمة كبيرة، باكتشافه مادة (الأسيتون) التي أفادتهم كثيراً في حربهم.

ـ استطاع من خلال اتِّصاله ببعض الإنكليز خصوصاً (بلفور) وزير

---

(١) كلام في اليهود، ص٣٨٠.

الخارجية أن يحصل لقومه على (وعد بلفور) في عام ١٩١٧م، وبعد مئات من اللِّقاءات والاجتماعات كان هذا الوعدُ الظّالم بدايةً للدعم الكبير الذي قدّمته بريطانيا لليهود لبناء دولتهم في فلسطين.

ـ شجّع الهجرة إلى فلسطين، وهاجر هو إليها، وساهم في إقامة الجامعة العبرية، واختير أول رئيس لدولة اليهود بعد قيامها في عام (١٩٤٨م).

ـ آمن إيماناً عميقاً بما جاء في الأسفار المقدّسة عن عودة اليهود إلى فلسطين، ومن أقواله: إن الرّبّ سيجمع المشرّدين من إسرائيل، وسيجمع المشتّتين من يهوذا، ومن أركان الأرض الأربعة.

ـ أصرّ على إبقاء صحراء النقب في المنطقة اليهودية في قرار التقسيم، وأصرّ على حرب العرب، وطردهم من فلسطين[١].

**ج ـ ديفيد بن غوريون (١٨٨٦ ـ ١٩٧٣م):**

ـ يهوديٌّ روسيٌّ، هاجر إلى فلسطين في عام (١٩٠٦م)، وكان عمره عشرين سنة، وبدأ نضالاً مستمرّاً إلى أن قامت الدولة في عام (١٩٤٨م) واعتُبر المؤسِّسَ الأكبر لها.

ـ ابتدأ عمله في فلسطين عاملًا زراعيّاً، وحارساً ليليّاً.

ـ نفته السلطات البريطانية من فلسطين، بسبب نشاطه الغير منتظم، ولكنه عاد مع الفيلق اليهوديّ التّابع لبريطانيا في عام (١٩١٨م).

ـ أسّس (الهستدروت)، وهي نقابة العمال اليهودية، وساهم في إنشاء

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨٠.

حزب المباي، ثم حزب العمال، الذي حكم إسرائيل طويلًا.

ـ انتُخب عضواً في الوكالة اليهودية، وكانت بمنزلة حكومة لإدارة شؤون اليهود.

ـ أذاع نبأ إعلان قيام الدولة في منتصف عام (١٩٤٨م)، وشكّل الوزارة اليهودية عدّة مرات، وتولّى إنشاء الجيش اليهودي، وطلب ألا يُشار إلى حدود الدولة، وألا يُكتب لها دستور.

ـ قضى سبعاً وستين عاماً من حياته في نضال مستمرٍّ، وكان يُؤمن بتفوُّق الشعب اليهودي، وله أحلام مشيحانية عريضة، أي أحلام وردية استيطانية استرجاعية، تحوِّل فكرة العودة من طابع ديني إلى عودة فعلية.

ـ آمن بالفكر التّوسُّعي، وشجّع الهجرة إلى فلسطين كثيراً، وأسهم في طرد العرب من ديارهم، والتنكيل بهم.

ـ كان يستمدُّ رؤيته للواقع التّاريخي والتّوراة بأنّه والتلمود من انتصار الجيش الإسرائيلي المستمرِّ، الذي وصفه بأنّه خيرُ مُفسِّر للتوراة.

ـ حظي باحترامٍ وإعجابٍ كبيرَين، واعتُبر السياسي الأكبر في تاريخ دولة إسرائيل، وترك بصمته فيها حتى هذا التّاريخ.

إن إسرائيل أسّس عقيدتها في أرض الميعاد الرِّجالُ اليهود الكبار، وذلك قبل أن تُقيمها إنكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ويعترف بها الاتحاد السوفييتي[1].

---

(١) كلام في اليهود، ص٣٨٢.

ولقد درس اليهود حال المستعمرين، فوجدوا أن بريطانيا أنسب الدول لهذا الأمر؛ لأن رغبتها تتّفق مع أحلام اليهود، فهي ترغب في وضع داء في وسط الأمة الإسلامية موالٍ للغرب، واليهود يحلمون في وطن قومي لهم[١].

**١٤ ـ الدعم الأوربي والأمريكي لليهود:**

كانت أكثر البلاد العربية تحت سيطرة بريطانيا، فدبّر قادة اليهود معها مؤامرة، وأخذوا بذلك وعداً من (بلفور) رئيس وزراء بريطانيا، ثم وزير خارجيتها عام (١٩١٧م)، أعلن فيه أن بريطانيا تمنح اليهود حقّ إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وأنّها ستسعى جاهدة في تحقيق ذلك.

وكان اليهود قد بدؤوا الهجرة إلى فلسطين في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني، فاستطاع اليهود بسبب الهجرة تكوين دولة داخل دولة، وكانت الحكومة البريطانية تحميهم من المسلمين، وتتعامل معهم بكلِّ تسامح، في الوقت الذي تتعامل فيه مع المسلمين بكلِّ شدة وتنكيل، ولما ضعفت بريطانيا عن تحقيق أماني اليهود أحالت الأمر للأمم المتحدة، التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية، التي بدورها استلمت الدّور البريطاني في المنطقة، فأرسلت الأمم المتحدة لجانها إلى فلسطين، ثم قرّرت هذه اللِّجان تقسيم فلسطين بتخطيط يهوديّ وضغط أمريكي، فأُعلن قرار التقسيم لفلسطين بين المسلمين واليهود في (٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م).

فقرّرت الحكومة البريطانية بعده الانسحاب من فلسطين، تاركة البلاد

---

(١) دراسات في الأديان، ص٦٢.

لأهلها، وذلك بعد أن تأكّدت أن اليهود قادرون على تسلُّم زمام الأمر، وتزامناً مع خروجها في مايو عام (١٩٤٨م) أعلن اليهود دولتهم، التي اعترفت بها أمريكا بعد إحدى عشرة دقيقة، وكانت روسيا قد سبقتها بالاعتراف، ثم استمرّ دعمها حتى تقوم على قدميها، وخاضت ضدّ المسلمين عدّة حروب مُنِيَ فيها المسلمون بهزائم؛ بسبب بُعدهم عن دينهم، وتفرُّقهم إلى أمم وأحزاب، وخيانة بعضهم[١].

وقد رأت الدول الغربية وأمريكا أنها ستكسب مكسبين عظيمين من إقامة هذا الكيان في جسد الأمة الإسلامية:

**أحدهما**: أنها تَسلَم من شرور اليهود، وسيطرتهم، وفسادهم، وتحكُّمهم في ثروات بلادهم وقراراتها.

**ثانيهما**: أنها تضع في قلب الأمة الإسلامية دولة حليفة لهم، وهي في الوقتِ نفسِهِ علة تستنزف قوى الأمة الإسلامية، وتضع بذور الفرقة والخلاف بين أمرائها، حتى لا تقوم لها قائمة[٢].

وهذا المخطط قديم وليس جديداً، فقد اجتمعت الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا عام (١٩٠٧م) للبحث في عوامل البقاء لدُوَلهم واستعمارهم، ومما خرجوا به من قرارات ما يُعرف بتقرير (كاميل باترمان)، ونورد نصّه لأهميته، حيث جاء فيه:

إن الخطر في الاستعمار يكمن في البحر الأبيض المتوسط، فعلى

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٤.

الشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر شعب واحد، تتوفّر له وحدة التّاريخ والدين واللغة، وكلُّ مقوِّمات التجمُّع والترابط، هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية ونزعته للتحرُّر، فلو أَخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة، وإمكانات الصناعة الأوربية، وانتشر التعليم بها، فستحلُّ الضّربةُ القاضية بالاستعمار الغربي.

فيجب إذاً على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزُّؤ هذه المنطقة، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكُّك وتأخُّر، ولتحقيق هذا الهدف يلزم فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب، يحتلُّ الجسر الذي يربط آسيا بإفريقيا، بحيث يُشكِّل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قُوّة صديقة للاستعمار وعدوّة لسكان المنطقة[١]، ويتّضح من هذا التقاء المصالح الغربية والأطماع اليهودية، وأنهم جميعاً كادوا الأمة الإسلامية[٢].

وأما الدّعم الأمريكيُّ لإسرائيل، فهو يُغني عن الحديث عن دعم ما سواها من الدول، لقد تعدّدت صور هذا الدعم وتنوّعت، من دعم سياسي، إلى مالي واقتصادي، وإلى دعم عسكري، ولقد فاق هذا الدّعمُ كلّ تصوُّر، إذ اعتبرت أمريكا دولة (إسرائيل) حليفاً استراتيجيّاً دائماً، فقدّمت لها وما تزال معونات تتجاوز عشرات المليارات من الهبات النقدية

(١) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٢.

والمعونات الاقتصادية، وقدّمت لها السِّلاح الفتّاك المُدمِّر الذي قتل الأطفال الفلسطينيين واللبنانيين والمصريين، وأمدّتها بالجسور الجوية المتّصلة من العتاد الحربي في أزماتها، لاسيّما في حرب أكتوبر (١٩٧٣م)، ودعمتها في المواقف السياسية، واعترضت بالفيتو الظّالم على كثير من قرارات مجلس الأمن، التي أُريد بها إدانة (إسرائيل).

ولا ننسى موقفها المنحاز جدّاً لإسرائيل يوم التصويت على قبولها كدولة شرعية، من قبل مجلس الأمن في عام (١٩٤٨م)، فلقد بذلت واشنطن قصارى جهدها في إقناع بعض الدول بالترغيب والترهيب على التصويت إلى جانب هذا القرار، وإن أمريكا فتحت خزائنها ومستودعاتها وترساناتها الحربية لهذا الكيان الوليد، وتوجّهت بثقلها السياسي إلى خدمتها[١].

وبلا شك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي نفّذت تلك الجريمة، ووضعت الخنجر المسموم في يد القاتل اليهوديّ الأثيم، وبمساعدتها السياسية والمالية والعسكرية لليهود إثر الحرب العالمية الثّانية، وتأييدها لهم في الأمم المتحدة، ومجالات السياسة الدولية، وبإغداقها عليهم بالأموال بغير حساب، فهي من أكثر الدّاعمين للكيان الصهيوني، وهي تتحمّل وزرها ومسؤوليتها، ولا تقلُّ بحال عن وزر بريطانيا ومسؤوليتها في كارثة فلسطين العظمى، أمام الله ثم التّاريخ وبني الإنسان[٢].

---

(١) كلام في اليهود، ص٣٩١.

(٢) اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص١٩٩.

لقد اجتمعت عوامل عديدة؛ سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية ودينية في دعم قيام كيان لليهود في فلسطين، ومن أهم تلك العوامل:

ـ الفكر الديني عند البروتستانت الأمريكان الذين يُشكِّلون معظم سكان الولايات المتحدة، ذلك الفكر المؤمن بعودة المسيح عيسى ابن مريم ثانية إلى هذه الأرض، ويشترط لعودته أن تقوم دولة لليهود في فلسطين.

إن هذا الفكر له نصيب كبير في حمل الإدارة الأمريكية على دعم إسرائيل، وكان عدد كبير من رؤساء إسرائيل يعتقدون هذا المعتقد، وفي طليعتهم: كارتر، وريغان، وكلينتون، وبوش الابن، إضافة إلى الملايين من الأمريكان الصهاينة ورجال الدين البروتستانت، الذين يُروِّجون لهذا الفكر، وهناك مُبرِّر مهمٌّ جدّاً يغفل عنه كثير من الباحثين المحلِّيِّين، وهو أن الولايات المتحدة دولة استعمارية بامتياز، وإن كان استعمارها يختلف عن الاستعمار التقليدي المندثر، إنها لا تريد استعمار الأرض، بل تريد استعمار البترول وغيره من خيرات العالم العربي، تريد أن تجعل هذا العالم سوقاً تجاريّاً لها، لا يزاحمها عليه أحد، وهي حتماً في هذا المجال مع (إسرائيل) التي استعمرت الأرض، وتريد استعمار الشرق العربي اقتصاديّاً وصناعيّاً.

هذا هو الذي جمع بين الدولتين، وأرسى لهذا الحلف المتين بينهما. ومن ناحية أخرى فإن أمريكا لا تثق بالعرب أبداً، ولو قدّموا لها كلّ شيء[1].

---

(١) كلام في اليهود، ص٣٩٢.

ـ إن أمريكا تتخوّف من العرب بسبب خلفيتهم الإسلامية، فهم ربما يفيئون إلى هذه الخلفيّة مستقبلًا، وأعظم ما يُخيفها ويخيف إسرائيل أن تنهض العرب نهضة إسلامية من جديد، ومن هنا كان لا بُدّ من هذا الحلف الاستراتيجي غير المقدّس بين أمريكا وإسرائيل(١).

لقد كلّفت إسرائيلُ الغربَ عموماً وأمريكا خصوصاً كثيراً جدّاً، كلّفتهم مالاً عظيماً، ومواقف مخزية كثيرة، وانحطاطاً أخلاقيّاً كبيراً، ومسؤولية أمام الله والتاريخ عظيمة(٢).

ويقول (أنطون لاغارديا): شكّلت (إسرائيل) ـ ولا تزال ـ خنجراً يهوديًّا في قلب العالم العربي، ويفصل مصر وشمال إفريقيا عن الهلال الخصيب وشبه جزيرة العرب، ومجرّدُ وجودها عند العرب هو إذلال لهم لأنها تُمثِّل دولة صليبية جديدة(٣). ولكن من أعان على صنع هذا الإذلال؟ إنه الغرب عموماً، والصهيونية الأمريكية خصوصاً(٤).

ـ كما أنه لا شكّ في أنَّ قادة العرب، وكثير من نخبهم السياسية والفكرية والثقافية، أسهمت في ذلك، لأنّهم جهلوا رسالتهم، ونَسُوا تاريخهم، وعاشوا في دنيا الناس أذناباً، وعن كتاب الله وهدى نبيِّه غرباء.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.
(٣) أرض الميعاد لمن؟ كولن تشابن، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٣٤ ـ ١٣٥.
(٤) كلام في اليهود، ص٣٩٤.

إنّ مجموعة الشُّعوب الإسلامية تشعر بجزع مُرٍّ للحروب التي بين العرب واليهود، ولكن الطّريقة التي جرَت بها هذه الحروب، ومظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله كانت مسيطرة على نفوس العرب، وهم يخوضون تلك الحروب، إذ إن العرب كانوا في العقود الماضية، وفي حربهم مع دولة الكيان الصهيوني، أزهد الناس في كتابهم، وكان اليهود ألصق الناس بتوراتهم. كان اللِّص مُتحمِّساً في الهجوم، وكان ربُّ البيت بارداً في الدفاع[١].

وبلغ نجاح الغزو الثقافي لبلادنا أن الحرب تُعلَن لفرض دين واجتياح أمة، ومع ذلك تتبارى وسائل الإعلام في تضليل الفكر العربيّ، وتصف هذه الحرب بأي شيء إلا أن تتّصل بالدين، ولم ذلك؟ حتى لا يستيقظ الوعي الإسلامي العارم، وتتجاوب الأصداء بضرورة العودة العامة الجادة إلى الإسلام، لوقف هذا الفناء القادم.

لكن آمالنا أن غرائز الأمم تصحو لملاقاة الخطر الدّاهم، وأن التنادي بالإسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة، وسوف يكون غداً صيحة النّصر ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣][٢].

وقد تحدّث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن إسرائيل، وبيّن في مقالاته أنها دولة قامت على أعمدة من: التّوراة والبندقية، والتخطيط اليهوديّ الذكي، والعون الصليبي الكبير، والتخاذل العربي المُدبّر.

إن البُعد الديني اليهوديّ كان ولا زال حاضراً في تأسيس الكيان

(١) اليهود المعتدون، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٢.

الصهيوني في فلسطين، وقد كتب (وايزمن) في مذكراته السياسية، قائلًا: «إن اللُّورد بلفور ولويد جورج وغيرهم من قادة إنجلترا أعطوني الوعد بمشاعر دينية» [١]. وهذا ما يحدث الآن مَنوطٌ برجوع الأمة، قادة وحكومات وشعوباً ودولاً.

في معركة الجزائر كان الاستعمار الفرنسي شموليّاً استيطانيّاً استعماريّاً، استهدف كلّ مقوِّمات الشعب الجزائري، واستمرّ نحو (١٣٠) عاماً، ومع هذا استطاع الشعب أن يقاوم ويُحرِّر بلاده من المستعمر بعقيدته الإسلامية، وتمكُّنه بالقرآن الكريم، وهدي سيد المرسلين، وأخذه بسنن الصِّراع، ولاسيّما في مرحلة الجهاد الأخيرة، التي ترتّب عليها استقلال الجزائر ودحر المحتل الفرنسي.

كان الثوار الجزائريون يُسمُّون صحيفتهم (الجهاد)، وكان للعلماء دور كبير في توجيه القادة السياسيين والاجتماعيين والنخب المتنوِّعة وعموم الشعب للتّمسُّك بالإسلام، وبرز الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، من خلال جمعية العلماء الجزائريين، في تفجير الطّاقات الكامنة في الشعب، وتربيتهم على القيم الروحية والأخلاقيّة المُستمدّة من القرآن الكريم، وابن باديس رحمه الله كان مناهضاً صلباً للاستعمار الثقافي والفكري والعسكري والسياسي الفرنسي، وقد اشتهرت قصيدته التي غدت نشيداً تغنّت به أجيال كثيرة من أبناء مسلمي الجزائر: [مجزوء الكامل]

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٧.

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ ... وَإلى العُروبةِ يَنتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَن اصْلِهِ ... أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ
أَوْ رَامَ إدمَاجًا لَهُ ... رَامَ المُحَال من الطّلَبْ[1]
يَا نَشءُ يا ذُخرَ الجَزائِرِ ... في الشّدائِدِ والكُرَبْ
يَا نَشءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا ... وَبِكَ الصّباحُ قَدِ اقْتَربْ
خُذْ لِلحَياةِ سِلَاحَها ... وَخُضِ الخُطُوبَ وَلاَ تَهبْ
وَارْفعْ مَنارَ الْعَدْلِ وَالـ ... ـإحْسانِ وَاصْدُمْ مَن غَصَبْ
وَاقلَعْ جُذورَ الخَائنينَ ... فَمِنْهُمُ كُلُّ الْعَطَبْ
وَأَذِقْ نفُوسَ الظّالِمِينَ ... سُمًّا ويُمْزَج بالرّهَبْ
وَاهْزُزْ نفوسَ الجَامِدينَ ... فَرُبّمَا حَيّ الْخَشَبْ
مَنْ كَانَ يَبْغي وُدّنَا ... فَعَلَى الْكَرَامَةِ وَالرّحبْ
أوْ كَانَ يَبْغي ذُلّنَا ... فَلَهُ المَهَانَةُ والحَرَبْ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا ... بالنُّورِ خُطّ وَباللّهَبْ
حتّى يَعودَ لقَومنَا ... من مَجدِهم مَا قَدْ ذَهَبْ
هَذا لكُمْ عَهْدِي بِهِ ... حَتّى أُوَسّدَ في التُّرَبْ
فَإذَا هَلَكْتُ فَصَيْحتي ... تَحيَا الجَزائرُ وَالْعرَبْ[2]

إن ابن باديس وزعماء الثورة الجزائرية من بعده، وخلفهم الشعب

(١) كفاح الشعب الجزائري، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، (٢/ ٥٦٩).
(٢) المصدر نفسه، (٢/ ١٩).

الجزائري، قاوموا الغزو الفكري الفرنسي، وأشعلوا جذوة الثورة، واستمرّ لهيبها حتى أُحرق المستعمر بالإسلام، وكان يتمثّل الإسلام في سلوكه وأفعاله وأقواله، ويُربِّي عليه تلاميذه، ويُعرِّف الناس به بنظرته الشّاملة لدينهم.

ومما قاله في هذا الصدد: ونحن لما نظرنا إلى الإسلام وجدناه الدين الذي:

ـ يحترم الإنسانية في جميع أجناسها، فيقول جل وعلا: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ـ ويُقرِّر التّساوي والأُخوّة بين جميع الأجناس، ويُبيِّن أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل، وأن التفاضل بالأعمال الصّالحة فقط، فيقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ـ ويدعو تلك الأجناس كلّها إلى التعاطُف والتّراحُم بما يجمعها في وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ـ ويُقرِّر التّضامُن الإنسانيّ العامّ بأن الإحسان إلى واحد إحسان للجميع، والإساءة إلى واحد إساءة للجميع، فيقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

ـ ويُقرِّر شرائع الأمة، ويُهوِّن عليها شأن الاختلاف، ويدعوها كلّها إلى التسابق في الخيرات، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨].

ـ يُؤمن المسلمون بالكتب السماوية الأخرى، ويُسلِّمون أمر التصرُّف لأهلها، ويحترمون الاختلاف الديني والفكري من قبل الشُّعوب كافة، ويقول القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

ـ يأمر الدِّين الإسلامي بالعدل العام مع العدوِّ والصّديق، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ـ يُحرِّم الدِّينُ الإسلامي الاعتداء تحريماً عامّاً على البغيض والحبيب، فيقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ـ ويأمر بحُسْن التخاطب، فيقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فلما عرفنا هذا، وأكثر من هذا في الإسلام، وهو الدِّين الذي فطرنا عليه الله بفضله، علمنا أنه دين الإنسانية، الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، وأن إيصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه، فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر دينه، وخدمة كلِّ ما هو بسبيله ومن ناحيته، فإن عشتُ له فإني أعيش للإنسانية، لخيرها وسعادتها، في جميع أجناسها وأوطانها، وفي جميع مظاهر عاطفتها

وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين به ونعيش له، ونعمل من أجله، فهذا ـ أيها الإخوان ـ معنى قولي: إنّني أعيشُ للإسلام[١].

إن اهتمام ابن باديس بالإسلام، وارتباطه به، يُعتبر محوراً جوهريّاً في استراتيجية التغيير التي سار عليها في حياته، ويرجع ذلك إلى قناعته بقدرة تعاليم الإسلام على التصدِّي لمخططات الاستعمار، وأكاذيب المستشرقين، ودعاة التنصير، والأهم من ذلك التّصدِّي لمؤامرات الغزاة، الذين كانوا يستهدفون النيل من الكيان الروحي للجزائر، ومن ثَمّةَ ابتلاع الوطن أرضاً وعقيدة وثقافة، ولذلك يُدافع ابن باديس عن الإسلام، ويجاهد في سبيل حمايته من خطر الابتلاع، وحماية بلاده ممّا يُدبّر لها، إذ لا فرق عنده بين الدِّين والوطن، فالدفاع عن الوطن يتضمّن حتماً الدفاع عن الدين.

وهذه هي استراتيجية ابن باديس التي أصبحت استراتيجية جمعية العلماء، فهو لم يفصل في معاركه التي خاضها، في هذا السّبيل، هو ورفاقه بين الإسلام والجزائر[٢].

وما غادر ابن باديس الحياة إلا بعد أن نجح في ترسيخ القيم والمبادئ ومقاصد القرآن الكريم في الشعب الجزائري، بقلمه ولسانه وتلاميذه وجهاده ودعواته، ولقد أحدث إصلاحاً شاملًا، واحتفظت الجزائر بشخصيتها الإسلامية، وقاومت التّفرنُسَ والاندماج والاستعمار بفضل الله، ثم ابن باديس ومن كان على نهجه ومنواله، في النضال والجهاد، وبفضل

---

(١) إمام الجزائر، ص١٦٦، كفاح الشعب الجزائري، (٢/ ٥٥٥).

(٢) كفاح الشعب الجزائري، (٢/ ٥٥٥).

أبناء الشعب الجزائري الذين استجابوا لخطاب الهوية والعقيدة والحضارة والتاريخ والأشواق الروحية، فقد مهّد ابن باديس بفكره المستنير وعبقريته الفذة، وتعاليمه العظيمة، وتضحياته الكبيرة، لولادة الثورة الجزائرية عام (١٩٥٤م) [١].

اندلعت ثورة الجزائر، وكانت الولايات المتحدة وحلف الناتو وروسيا مساندة لفرنسا، إلا أنّ الله عزَّ وجلَّ أخذ بأيدي الشعب الجزائري، فوفّقهم في أخذ السُّنَن في الصِّراع، فكانت عوامل النّصر التي تعامل معها قادة الجزائر والشعب الجزائري كثيرة، منها:

- القيادة السياسية والعسكرية الواعية.
- التخطيط والتنظيم في كلّ المجالات.
- وضوح الرُّؤية والهدف المنشود.
- دور الإسلام كعقيدة ودين في التضحية والفداء وطلب الشهادة.
- التواصل مع كلِّ ألوان الطيف الجزائري وتنظيمه وترتيبه في جبهة عريضة ضدّ المستعمر.
- بناء جيش التحرير على أُسس حديثة ماديّة، وقيم معنوية وروحية، مُستمدّة من الإسلام.
- تشكيل جهاز مخابرات قويٍّ تابع للحكومة المؤقتة.
- الإعلان عن ميثاق وطني حدّد مبادئ ثورة الجزائر وأهدافها.

---

(١) المصدر نفسه، (٢/ ٢٢).

ـ تشكيل فريق سياسي دبلوماسي للتواصل مع الأحرار في العالم شعوباً ودولاً، وجلب التأييد لقضيتهم العادلة.

ـ نجاحهم في التواصل مع المحيط العربيِّ والإسلامي وأحرار العالم، فقد وقفت الشُّعوب العربية والإسلامية مع حكامها لدعم الجزائر.

ـ خطاب إعلامي متوازن يُعلي من قيمة الحرية، وحقِّ الشعب الجزائري في العيش الكريم، ونيل حريته، ودحر المحتلِّ البغيض.

ـ فكرة جامعة الشعب (الحرية والاستقلال ضدّ الاحتلال الفرنسي وعبوديته) غُذِّيت بعقيدة إسلامية، وقيم حضارية، ومبادئ إسلامية.

وغير ذلك من العوامل، إضافة إلى أن قيادة ثورة الجزائر تعاملت مع السُّنَن بذكاء فلم تهمل:

- سنة الأخذ بالأسباب.
- وسنة التّدافُع العسكري والسياسي والثقافي والفكري والحضاري.
- وسنة التدرُّج في الإعداد للثورة.
- وصبرت على سنة الابتلاء، وأخذت بأسباب التّمكين المعنوية والمادية وشروطه، وحقّقت أهدافه، وغير ذلك من السُّنَن الاجتماعية والنفسية والتاريخية.

كانت ملحمة عظيمة في انتصار الحقِّ على الباطل، والخير على الشر، والحرية على العبودية، والاستقلال أخيراً عن الاستعمار، لقد كتبتُ ثلاثة مجلدات عن كفاح الشعب الجزائري، وخرجتُ بقناعة راسخة أنّ الشّعب

الفلسطيني سينجح حتماً بإذن الله في تحرير بلاده من المحتلِّين، وعوامل النجاح مُتوفِّرة أكثر من الثورة الجزائرية، كما أنني أنصح قادة الشعب الفلسطيني بدراسة تجارب الشعور، واستلهام الدُّروس والعِبَر، واستخراج الفوائد في مسير الكفاح والجهاد.

**١٥ ـ تزييف الحقائق وادِّعاء الحقّ اليهوديّ في قضية فلسطين:**

سعت (الصهيونية) ـ في محاولات جادة ـ لتشويه وطمس القضية الفلسطينية، وذلك في حملات من التضليل المتعمّد والادعاءات الكاذبة، والدعاية المخادعة، والتي تراكمت طوال العقود لكي تُبرهن لليهود أولاً، وللرأي العام العالميِّ ثانياً، أحقِّيتَها دون غيرها بفلسطين، واستندت الدعاية الصهيونية في تبرير احتلالها لفلسطين، وما جاورها من مناطق (المشرق العربي)، على حقوق اخترعها اليهود، وكانت قبلًا لا وجود لها في أي قاموس علمي، أو سياسي، أو تاريخي، أو اجتماعي، أو غيره، في أي عصر من العصور، ومن ذلك[١]:

**أ ـ الحقّ التّاريخي:**

ومضمون الحقِّ التّاريخي استيطان اليهود الغابرين (فلسطين)، وإقامة كيان سياسيٍّ فيها، في فترات قصيرة ومنقطعة من الزمن[٢]. وهذا الحقُّ المزعوم ساقط لما يأتي:

---

(١) العنصرية اليهودية، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، (٣/ ٥٢١).

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل، هنري كتن، ص١٤٩.

ـ أن العرب أوّلُ مَن استوطن (فلسطين)، ولم ينقطع وجودهم فيها على مرِّ التّاريخ إلى يومنا هذا، وأقدم هجرة حفظها التّاريخ إلى فلسطين هي هجرة سكان الجزيرة العربية من الكنعانيين، بعدما أخذ الجفاف ينتشر في المناطق الصحراوية، فاضطروا إلى الهجرة إلى مناطق ذات موارد مائية وفيرة، فكانت الهجرة إلى فلسطين وما جاورها شرقاً وغرباً، حيث كانت من أخصب الأراضي بالخيرات الزراعية والمعدنية منذ العصور القديمة، ويُطلَق عليها بلاد الشّام، أي سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن.

والكنعانيون أصلهم من ذرِّية كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقد نُسب إليه سكان الجزيرة، وهم في أدقِّ الأخبار هاجروا إلى فلسطين في النصف الأول من الألف الثّالثة قبل الميلاد، واستوطنوا في وسط فلسطين، وباسمهم سُمِّيت (أرض كنعان)، وهو الاسم الذي يكثر وروده في التّوراة، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس حضارة فلسطين القديمة، وكانت المستوطنات الكنعانية منقسمةً إلى دويلات صغيرة محصّنةً، على غرار دويلات المدن جنوبي العراق، وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها، فاضطرّ بعضُها إلى التمركُز في سفوح جبال لبنان.

وهكذا نشأت المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل، وقد سمّى اليونانيون مجموعة هذه المدن البحرية، التي كانوا على اتِّصال بها (فينيقيا) ومعنى هذه الكلمة: (أرجواني أحمر).

وظل الفينيقيُّون متّصلين بالكنعانيين حتى عهد الرُّومان، ويرى (غوستاف لوبون) أن قبيلة غير سامية هاجرت من جزيرة (إقريطش) من اليونان، تُعرف

باسم فلسطين، وملكت السّاحل الجنوبي في أرض فلسطين[١].

وكانت النشأة الأولى لمدينة القدس على أيدي العرب اليبوسيين، الذين وصلوا إلى موقع القدس في موجة انتقال بشريٍّ من شبه الجزيرة العربية في حدود عام (٢٣٠٠ق.م).

وقد أثبت علماء الآثار بعد الحفريات والتنقيب، ودراسة بعض الآثار من حصون المدينة أنها أُنشئت عام (١٨٠٠ق.م)، أي قبل غزوة العبرانيين لها قرابة (٨٠٠ق.م).

وإن القبائل، التي يكثر ذِكرها في التّوراة المحرّفة، منهم المعاليق، وهم من العرب الخُلّص، وأنهم سكنوا فلسطين الوسطى والجنوبية قبل وصول العبرانيين إليها، وأما التراث الإسرائيلي فينصُّ على أنهم من ذرِّية عيسو ابن إسحاق من زوجته رفقة، وبعد عهد يشوع تمكّن الإسرائيليون الوافدون من خارج فلسطين من الاستيلاء على (غزة) و(عقرون)، ولكن عاد الفلسطينيون فأوقعوا هزائم شديدة بالإسرائيليين في أواخر عهد القضاة، واستولوا على تابوت العهد، وبقي الإسرائيليون تحت حكمهم أربعين سنة، وفي عهد صموئيل استرجع الإسرائيليون المدن السّاحلية التي استولى عليها الفلسطينيون، وكانت الحرب بينهم دُوَلاً حتى تقلّد الحُكْم نبيُّ الله المَلكُ داود عليه السلام خلفاً لشاول، فاستطاع أن يستردّ تابوت العهد من أهل فلسطين[٢].

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص١٩، دراسات اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٤٠.

(٢) دراسات في اليهود والمسيحية وأديان الهند، ص٤١.

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات، وهي عمون في الشمال، ومُؤاب في الوسط، وأدوم في الجنوب، ونُسب هؤلاء إلى آرام بن سام بن نوح، كما جاء في سفر التكوين في الإصحاح العاشر الفقرة الثّانية والعشرين[١].

ومن المرجّح أن اشتقاق كلمة (إرم)، الواردة في القرآن الكريم، هو من اسمهم، لأن هؤلاء سرعان ما تحوّلوا من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية، وأن خصب موقعهم ساعدهم على ذاك التحوُّل، هذه هي القبائل التي كانت تسكن فلسطين وما حولها باختصار[٢].

الإسرائيليون منذ (١٩٦٧م) بدؤوا بالتنقيب وإجراء الحفريات في محيط القدس، وخصوصاً أسفل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، بحثاً عن الهيكل المزعوم، ولكنّهم لم يجدوا شيئاً، وأصابهم اليأس، بل وقد وجدوا آثاراً وشواهد تُؤكِّد عروبة المدينة وإسلاميّتَها، وإن كان شيء من آثارهم فقد انتهت بعد حروب البابليين والإيرانيين، ولم يبقَ شيء من الآثار الإسرائيلية، وخاصّة بعد حرب (تيتس) الرُّوماني، بل أقام مكانه معبداً عظيماً لأحد آلهته، وغيّر اسمَ أورشليم إلى (إيليا) [٣]، كما مرّ سابقاً.

إن العرب لم ينقطع وجودهم التّاريخي في فلسطين منذ الحضارات القديمة إلى يومنا هذا، كما أن فلسطين قد تعاقب على حكمها عدّة دول:

---

(١) المصدر نفسه، ص٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٢.

الكنعانية، والمصرية، والفلسطينية، واليهودية، والآشورية، والبابلية، والفارسية، واليونانية، والرُّومانية، والإسلامية، والصليبية، ثم الإسلامية، فلو فُتح البابُ بناءً على أن دولة حكمت أراضي شعوب دولة أخرى لتغيّرت خارطة العالم رأساً على عقب، ولكان حقُّ النّصارى في فلسطين أعظمَ من حقِّ اليهود، لأنّهم كانوا بعدهم تاريخيّاً في فلسطين، علماً بأن المسلمين فتحوا فلسطين[١]، وهي تحت حكم النّصارى لا اليهود.

**ب ـ الحقّ الديني:**

إن مضمون **الحقِّ الدينيِّ**: الوعود الإلهية الواردة في (العهد القديم) لأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام بتمكينهم ونسلهم ممّا بين النيل إلى الفرات، ولاسيما فلسطين، مُلكاً أبديّاً، فقد جاء في العهد القديم: في ذلك اليوم قطع الرّبُّ على أبرام ميثاقاً قائلًا: لِنَسلِكَ أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى الكبير نهر الفرات[٢]، وهذا الحقُّ المزعوم ساقط أيضاً، لأن (العهد القديم) قد ثبت تحريفه[٣]، فلا يُستبعَد أن تكونَ هذه الوعود من التحريف داخل أسفاره، وعلى فرض صحة هذه الوعود جدلاً، فليس لليهود حقٌّ لما يأتي:

**أن هذه الوعود الإلهية مشروطة بشرطين، هما:**

ـ طاعةُ الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ

(١) العنصرية اليهودية، (٣/ ٥٦٢).
(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٢).
(٣) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٢).

أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ولكنهم عَصَوه، ولذلك حكم عليهم الخبيرُ بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ـ أن هذه الوعود مشروطة بفترة زمنية محدّدة تمّت خلال حكم اليهود لـ (فلسطين)، حتى زوال ملكهم عام (٥٨٦ق.م).

كما أن نسل إبراهيم عليه السلام لا ينحصر في إسحاق، والد يعقوب (إسرائيل) عليهما السلام، الذي من نسله بنو إسرائيل، وإنّما يشمل أيضاً إسماعيل عليه السلام، الذي من نسله (العرب)، وعلى رأسهم رسول الإسلام محمد ﷺ، الذي نسخ دينُه الأديان الأخرى كافةً، وقد ملكت أمته ما جاء في هذه العهود وزيادة، إلى يومنا هذا، بل إلى أن تقوم السّاعة بإذن الله تعالى.

فتكون هذا الوعود ـ على فرض صحتها ـ قد تحقّقت لبني إسرائيل؛ لمّا كانوا يعملون وفق منهج الله تعالى؛ فلمّا تخلّوا عن ذلك نُسخت ديانتهم (اليهودية) بـ(النّصرانية) أولاً، ثم بـ (الإسلام) أخيراً، الذي حقّق أتباعه المسلمون ما جاء في الوعود وزيادة، كما ذَكَرنا قبل قليل، والحمد لله تعالى[1].

كما أن الامتداد الطبيعي والوارث الحقيقي لحضارة داود وسليمان عليهما السلام، وتراثهم الحقيقي وتاريخهم المنير، هي الحضارة

(١) العنصرية اليهودية، (٣/ ٥٦٣).

الإسلامية، التي أسّسها وقادها النبيُّ الخاتم محمد ﷺ، فالمسلمون وأتباع محمد ﷺ أولى بداود وسليمان عليهما السلام من اليهود المعاصرين والسابقين، الذين أساؤوا إليهم في كتبهم وتاريخهم وتراثهم، كما مرّ معنا، بعكس الدِّين الإسلاميّ والتاريخ الإسلامي، الذي حفظ سِيَرَهم ودُوَلَهم وآثارهم في الحياة، سواء كانت دينية أو سياسية، أو حضارية أو روحية أو أخلاقيّة، في القرآن الكريم والسُّنة النّبويّة المطهّرة.

**ج ـ الحقُّ القومي:**

إن مضمون (الحق القومي): انتماء جميع اليهود، في جميع أنحاء العالم، إلى قومية يهودية مُتميِّزة، لها ذاتيّتُها ومعالمها وقِيَمُها الروحية والمادية، وموطنه الوحيد فلسطين، وهذا الحقّ المزعوم ساقط أيضاً، لأن أكثرية يهود العالم بما يزيد عن (٩٠٪) لا تنتمي إلى بني إسرائيل الأقدمين، الذين كانوا يقطنون (فلسطين)، بل إنّهم ليسوا من نسل (سام) أصلًا، وإنّما هم من نسل (يافث) اعتنقوا (الديانة اليهودية) في أثناء فتح التبشير بها، فيما بين (القرنين الثّالث والثالث عشر الميلاديين) [١].

إنّ الواقع يُكذِّب اليهودَ في دعواهم نقاء جنسهم، وذلك أن النظرة العامة في هيئتهم وسحنتهم تدلُّ على تباين أصولهم، ففيهم ذو السحنة الأوربية، وذو السحنة العربية، وذو السحنة الإفريقية.

ومع هذا التباين لا يمكن ادِّعاء أن أصلهم واحد، إذ لا بُدّ أن يكونوا اختلطوا بأمم أخرى، أورثتهم هذا التباين في السِّمات، ثم إن اليهود ذَكَروا

(١) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٤).

في كتابهم أن كثيراً منهم تزوّجوا نساء أجنبيات، وأن نساءهم أخذنَ رجالاً أجانب[١].

كما أنه ثبت تاريخيّاً أن أمة كبيرة من شعب دولة الخزر تهوّدوا في القرن الثّامن الميلادي، وكان ذلك الشعب من قبلُ وثنيّاً، وهو شعب تركيٌّ آريٌّ كان يقطن منطقة آسيا الوسطى، ودولتهم التي تُسمّى باسمهم دولة الخزر كانت تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين، وتشمل منطقة شمال أذربيجان وأرمينيا وأوكرانيا، وجميع منطقة جنوب آسيا إلى حدود موسكو عاصمة روسيا، وكان بحر قزوين يُسمّى بحر الخزر.

وقد جاء في (الموسوعة اليهودية) عن الخزر ما يلي: الخزر شعب تركيُّ الأصل، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا... أكرهته القبائل البدوية في السهول على توطيد أُسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية، قبل قيام الفرنجيين سنة (٨٥٥م) بتأسيس الملكية الروسية، في هذا الوقت (٨٥٥م) كانت مملكة الخزر في أوج قوتها، تخوض غمار حروب دائمة، وعند نهاية القرن الثّامن تحوّل ملك الخزر ونبلاؤه وعدد كبير من شعبه الوثنيين إلى الديانة اليهودية، كان عدد السكان اليهود ضخماً في جميع أنحاء مقاطعة الخزر خلال الفترة الواقعة بين القرن السّابع والقرن العاشر الميلادي.

بدا عند حوالي القرن التّاسع أن جميع الخزر أصبحوا يهوداً، وأنهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط[٢].

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٦٨.

(٢) يهود اليوم ليسوا يهوداً، بينيامين فريدمان، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص١٩.

ثم إن هذه الدولة سقطت بعد ذلك في يد الرُّوس، الذين احتلُّوها وقضَوا عليها تماماً، واستولوا على جميع أراضيها، وقد تلاشت هذه الدولة من خارطة أوربا، في القرن الثّالث عشر الميلادي، وتوزّع شعبها على دول أوربا الشرقية والغربية، هنغاريا وبولندا ورومانيا والمجر وروسيا[١].

فهذا يدلُّ دلالة واضحة أن اليهود الذين يُسمّون الأشكنازيم هم يهود أوربا، لا يمتُّون بصلة إلى يعقوب عليه السلام وذرِّيته[٢].

وقد قام الدكتور أحمد عبد الله الزغبي بالردِّ على زعم اليهود في الحقّ القومي، بحجج دامغة ودراسة مستفيضة، فمن أراد التّوسُّع فليرجعْ إليه[٣].

**د ـ الحقّ الإنساني:**

إن مضمون (الحق الإنساني): أن اضطهاد اليهود على مدى التّاريخ، في كلّ بلد وُجدوا فيه أقلِّيّةً دينيّةً مُستضعَفة، منذ العهد الفرعوني المصري، حتى العهد النازي الألماني، وكونهم لا يزالون عُرضةً لهذا الاضطهاد في أيِّ حين، يُخوِّلهم إنشاء دولة خاصّة بهم في موطن آبائهم ـ المزعوم ـ فلسطين، وهذا الحقّ المزعوم ساقط أيضاً لما يأتي:

ـ أن الاضطهاد عامٌّ لليهود وغيرهم، من الشُّعوب الأخرى، هو في القديم والحديث[٤]:

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٣) العنصرية اليهودية، (٤/ ٢٠٨ ـ ٢٥٥).

(٤) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٥).

ـ كالشّعب الجزائري من فرنسا.

ـ والمغربي من إيطاليا.

ـ والمصري والعراقي من بريطانيا.

ـ والبوسنة والهرسك من صربيا.

ـ والجمهوريات الإسلامية والقوقاز من روسيا.

وكثير من الشُّعوب العربية والإسلامية والآسيوية والإفريقية تعرّضت للاستعمار الأوربي الحديث.

ـ أن العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً، لا يتحمّلون تبعات اضطهاد العالم لليهود، فهم لم يضطهدوهم، بل أزهى عصور اليهود كانت بين المسلمين، وإذا كان هناك من أحد يتحمّل تلك الاضطهادات فهو مَن اضطهدهم[1].

**وهناك مغالطة تبثُّها الدِّعايةُ الصهيونية، وهي أن الأراضي العربية واسعة، والعرب يضنُّون على اليهود بهذه البقعة الصغيرة (فلسطين)، وهذه المغالطة يدحضها ما يلي:**

ـ أن الأوطان لا يمكن التّنازل عنها للأعداء، مهما كانت صغيرة، ومهما كان البديل كبيراً.

ـ أن الأقلِّيات في الوطن العربيّ الإسلامي كثيرة، فهناك الأقلِّيات الدينية النّصرانية (الأرثوذوكس القبط) والمارونيُّون والأرمن وغيرهم، وهناك

---

(١) العنصرية اليهودية، (٣/ ٥٦٥).

الأقلِّيات العرقية: الأكراد والبربر والتركمان والزنوج... إلخ، ولو فُتح هذا الباب لضاعت أوطان العرب والمسلمين.

ـ أن مطامع الصهيونية لا تقتصر على (فلسطين)، وإنّما تشمل أكثر مناطق المشرق العربي الإسلامي[١].

**هـ ـ الحقّ القانوني:**

إن مضمون (الحق القانوني) ثلاثة أقسام، هي:

ـ **وعد بلفور**: القاضي بإقامة وطن قومي للشعب اليهوديّ في فلسطين عام (١٩١٧م ـ ١٣٣٦هـ).

ـ **صكُّ الانتداب**: القاضي بانتداب بريطانيا على (فلسطين)، لتحقيق الوطن القومي اليهوديّ عام (١٩٢١م ـ ١٣٣٩هـ).

ـ **قرار التقسيم**: القاضي بتقسيم (فلسطين) إلى دولتين: عربية ويهودية عام (١٩٢٧م ـ ١٣٤٧هـ).

وإن هذا الحقّ المزعوم ساقط أيضاً ـ لأنه ليس لـ(بريطانيا) التي وعدت، وهي لا تملك، اليهودَ الذين لا يستحقُّون، بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولا لـ (عصبة الأمم المتحدة) التي انتدبت (بريطانيا) على (فلسطين)؛ لتحقيق هذا الوطن القومي لليهود، ولا لـ (هيئة الأمم المتحدة) التي أقرّت تقسيم (فلسطين) إلى دولتين بين العرب واليهود، والتي اعترفت بـ(إسرائيل) من خلالها عضواً فيها، ولا لأي أحد حقّ في التصرُّف في مصائر الشُّعوب[٢].

---

(١) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٥).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٧).

وتعقيباً على هذه الحقوق المزعومة لليهود في فلسطين يقول الدّاعية الإسلامي أحمد ديدات، في محاضرة ألقاها في (كيب تاون ـ جنوب إفريقيا) بعنوان (العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق) عام (١٩٨٩م ـ ١٤٠٩هـ): إن للعرب حقوقاً أكبر من حقوق الإسرائيليين، في أرض فلسطين.

إن للفلسطينيين حقوقاً في أرض فلسطين، مماثلة لحقوق الفرنسيين في أرض فرنسا، ولحقوق البريطانيين في أرض بريطانيا، وحقُّ العرب التّاريخي لا يحتاج إلى أية جهود للدعاية والترويج له، فهو حقٌّ ثابت وواضح بذاته، والخطأ الذي يُمارَس بحقِّهم إنّما هو حقيقيٌّ للغاية[1].

هذه بعض الحقائق التّاريخية المُتعلِّقة بهذا الكتاب (**الأنبياء الملوك داود وسليمان وهيكل سليمان المزعوم**).

تتبّعتُ الجذور التّاريخية والعقدية والحضارية، واعتمدتُ على كتاب الله عزَّ وجلَّ والسُّنة النّبويّة الصّحيحة، ثم سبرتُ أقوال المُفسِّرين، وتبحّرتُ فيها، وفي كتب التّاريخ والحضارة، ودراسة العهد القديم، وتأريخ التّوراة، وطبيعة الصِّراع على فلسطين، والحضارات التي تعاقبت عليها، وحقوقنا العادلة في مسرى رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى، وحقنا في العيش الكريم، وتحرير بلادنا المغتصبة (فلسطين) من الظّالمين، كما تمّ تحريرها في عهد عمر بالأخلاق العمرية، وفي عهد صلاح الدين بالصِّفات الصّلاحية.

فعلينا أن نكون مع الله عزَّ وجلَّ حتى يكون الله معنا، وأن نتمسّك بالإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً، وأن يكونَ فقه الجهاد القرآني

---

(١) المصدر نفسه، (٣/ ٥٦٨).

والنبويِّ والرّاشديِّ والصّلاحيِّ والنُّوريِّ حاضراً في معركة تحرير فلسطين.

فلا نجعلها معركة استرداد الأرض فقط، ولا نجعَلَها فلسطينية فقط، ولا عربية فقط، بل نجعَلها معركة إسلامية، إنها قضية المسلمين جميعاً، وليست قضية العرب وحدهم.

إن الأمة التي أخرجت صلاح الدين، وحالُها كان أسوأ من حالنا اليوم، وأشد انقساماً، وأكثر عيوباً، لا تعجز أن تُخرِج اليوم مثل صلاح الدين، وإن نكبة فلسطين بالصليبيين كانت أشدّ من نكبتها بإسرائيل، وقد مرّت بسُنن الابتلاء والتّدافُع، والتّمكين للمسلمين في نهاية المطاف، وإذا عجزنا نحن أن نعود إلى مثل سيرة صلاح الدين وجيله، ليُكتب لنا مثلُ نصر حطين، فسيُخرِج الله من أصلابنا من هم أتقى منا وأطهر، ويستردُّون فلسطين بإذن الله تعالى.

إن قضية فلسطين لن تموت، إنها عقيدة في قلب كلِّ مسلم، هل سمعتم أو قرأتم أن عقيدة يحملها في قلبه أكثر من مليار مسلم يُمكِن أن تموت؟

إن الناس يموتون في سبيل العقيدة، وما ماتت قطُّ عقيدة من أجل حياة إنسان، إن طال يوم الصهاينة في فلسطين، فلقد مرّ بها يوم أطول، وتسلّط عليها عدوٌّ أكبر، الصليبيون، أي دول أوربا كلها، ومن بعدهم المغول والتّتر، أي قبائل المشرق كلُّها[1].

ولكن الصليبيين والمغول انهزموا أمام عقيدة المسلمين، وقادتُهم من

(١) الأفكار الطنطاوية، الاستعمار وفلسطين، مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة، ص١٣٥ إلى ١٤٤.

العرب والكرد والترك والفرس والأمازيغ . . . إلخ. وإنّ أقلّ ما يمكن فعله من أجل قضية الأمة الإسلامية المركزية:

ـ غرس العقيدة الإسلامية ومعاني العزِّ والمجد والأمل في نفوس هذا الجيل والأجيال القادمة.

ـ رفض مخططات الاستسلام، وتسليم الرّاية للشباب الصّامد.

ـ دعم الجهاد بالنفس والمال والرّأي والإعلام والتّشجيع والتّثبيت والدُّعاء.

ـ إبراز القيادات الحكيمة، التي تمتلك رؤية محلِّية وإقليمية ودولية.

ـ تحويل القضية الفلسطينية لمشروع تحرير للأمة الإسلامية، لكي تُسهم بحكامها وشعوبها في دعم حركة التحرُّر سياسيّاً واقتصاديّاً، واجتماعيّاً وعلميّاً، وتربويّاً وإعلاميّاً. . إلخ.

ـ تحويل دائرة الشُّعوب العربية والإسلامية، وأحرار العالم، لدعم مستمرٍّ للشعب الفلسطيني المكافح والصابر.

ـ العمل على توحيد جبهة المقاومة الفلسطينية، والاحتراس من الاختراقات الأمنية والفكرية التي تُولِّد الفرقة، وتُضعِف التّماسُك، وتُمزِّق الصّفّ.

ـ نقل القضية من المستوى العربي والإسلامي إلى العالمي، والتركيز على القيم الإنسانية التي تكبر بنضال الشُّعوب، وسعيها للحصول على حريتها وتحرير أوطانها من الغاصبين.

ـ أخذ فصائل المقاومة بسنة الأخذ بالأسباب على الأصعدّة الإعلامية والأمنية والعسكرية كافّة.

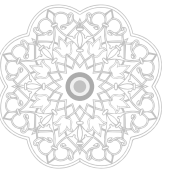
ـ اهتمام الأمة الإسلامية، حكومات وشعوباً ومنظمات إنسانية وخيرية، بأسر الشهداء والأسرى والمُبعَدين، والقابعين خلف أسوار السُّجون، والمرضى والمحتاجين.

ـ ربط الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية بتاريخ الإسلام العقائدي والتاريخي والحضاري والثقافي؛ الذي يستمدُّ منه الشعبُ الفلسطيني روحَ النِّضال والكفاح والجهاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

* * *



## الخلاصة

أعطى الله تعالى داود وسليمان عليهما السلام مُلكاً عظيماً وحِكمةً بالغةً، فجمع لهما بين المُلك والنُّبوّة، وكانت المِنحة الإلهية لداود عليه السلام من بعد نُبوته، بأن رزقه بولده سليمان عليه السلام، والذي ورث النُّبوّة والمُلك عن أبيه، وسَخّر الله تعالى له الإنس والجن والحيوانات، لتمكين دعوة التّوحيد، ورسالة الله تعالى في الأرض.

وقد عرض القرآن الكريم قصّة النبيّين الكريمين (داود وسليمان عليهما السلام) من بدايتها إلى نهايتها، وتجلّت سِمات مُلكهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥ ـ ١٦]. فكان داود وسليمان عليهما السلام كثيري الشُّكر والثّناء والتعبُّد والإنابة والاستغفار، لفضل الله عليهما، ونِعمه العظيمة في تمكين دعوة التّوحيد على أيديهما.

كان تناولي لقصة النبيّين القائدين الكريمين عليهما السلام مترابطة ومتواصلة ومنسجمة في سياق هذا الكتاب، نظراً لحجم التداخل بينهما، وكانت تلك الإحاطة المتواضعة، بعد الرجوع للآيات القرآنية والأحاديث

النبوية، وبعد الوقوف على مصادر التفاسير، والكتب العِلمية التي تناولت دراسة قِصتهما في الكتاب العزيز، وقد خَلصتُ لأهم نتائجها ودُروسها وعِبرها وفوائدها، ونذكرها على النحو الآتي:

١ ـ إن السُّنن الرّبانية ثابتة في الكون، وتقع على الإنسان في كلِّ زمان ومكان، وسُنّةُ التّدافُع من السُّنَن التي تتعلّق بالتّمكين، وكذلك تتعلّق بالحكم والسلطان تعلُّقاً وثيقاً.

٢ ـ إن من الضّروري أن تعي الأمة الإسلامية سنّة الله تعالى في دفع الناس بعضهم ببعض، وذلك لِتُدرِك بأن سُنّة الله تعالى في تدمير الباطل هي في أن يقوم في الأرض حقٌّ يتمثّل في أمة، ومِن ثَمّ يقذف الله تعالى الحقّ على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق.

٣ ـ في الحديث عن أصل القدس، تُبيِّن دراسات كثيرة بأن النشأة الأولى لمدينة القدس كانت على أيدي العرب اليبوسيين، الذين وصلوا إلى موقع القدس في موجة الانتقال البشري المبكرة من شبه الجزيرة العربية، في حدود عام (٢٣٠٠ق.م).

٤ ـ يُعدُّ العربُ أوّلَ من استوطن (فلسطين)، ولم ينقطع وجودهم فيها على مرِّ التّاريخ إلى يومنا هذا، وإن أقدم هجرة حفظتها مصادر التّاريخ إلى فلسطين هي هجرة سكان الجزيرة العربية من الكنعانيين، بعدما أخذ الجفاف ينتشر في المناطق الصحراوية، فاضطر الكنعانيون إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكانت الهجرة إلى فلسطين وما جاورها شمالاً وشرقاً وجنوباً.

٥ ـ لقد تعاقب على حُكم فلسطين دولٌ عدّة، وفي مقدمتها الكنعانية، والمصرية، والفلسطينية، واليهودية، والآشورية، والبابلية، والفارسية، واليونانية، والرُّومانية، والإسلامية، والصليبية، ثم الإسلامية.

٦ ـ استطاع الفراعنة أن يهزموا الهكسوس، ويُطهِّروا بلادهم منهم، ويطردوهم من مصر، فتغيّرت الأحوال على بني إسرائيل، ودخلت مصر في طور جديد من الحُكْم الفرعوني، ولما انتقل الحُكْم في مصر إلى الفراعنة، قاموا باضطهاد بني إسرائيل، بسبب أنهم اعتبروا الإسرائيليين أعواناً للهكسوس المستعمرين الغزاة.

٧ ـ في واقع الأمر، يبدأ تاريخ بني إسرائيل من يعقوب عليه السلام، وتُعدّ صلتهم بإبراهيم خليل الله كصلتهم بإسماعيل عليهما السلام.

٨ ـ بدأت قصّة بني إسرائيل في مصر بعد مجيء يوسف عليه السلام إليها، ودعوة والده وإخوته للمقام فيها، بعدما تمكّن في الحُكْم، وأصبح الرجل الثّاني فيها (عزيز مصر ووزيرها الأول).

٩ ـ أصبح بنو إسرائيل بعد هزيمة الفراعنة للهكسوس جماعةً غيرَ مرغوب في بقائهم، فأذاقهم الفراعنة المصريُّون شتّى ألوان العذاب، واتّخذوا منهم عبيداً في بيوتهم، وأُجرَاء في أراضيهم.

١٠ ـ تقدر الفترة الزمنية بين وفاة موسى عليه السلام وتولِّي داود عليه السلام المُلكَ، قرابة القرن ونصف القرن.

١١ ـ تُعَدُّ قصص بني إسرائيل من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم، وجاءت بوفرة وتنوُّع، لأن الله تعالى علم أن أجيالاً من هذه الأمة

ستمرُّ بأمور كالتي مَرَّ بها بنو إسرائيل، لكي يتجنّبوا ما وقع فيه بنو إسرائيل من أخطاء.

١٢ ـ إن الآيات من سورة البقرة، التي تكلّمت على بني إسرائيل مع مَلكهم طالوت، مثالٌ للذين غُلبوا على أمرهم، ومِن ثَمّ بُدِّلوا من الذِّلّة عزةً، وهي قصّة تكشف عن سُنَن الاجتماع والحروب، وأمثلِ طرق الحُكْم وإدارة البلاد.

١٣ ـ بدأت دولة بني إسرائيل على يد الملك طالوت ثم قويت، وتمكّنت على عهد داود عليه السلام، ومِن ثَمّ تمدّدت وتوسّعت وترسّخت واستقرّت على يد النّبيِّ المَلِك سليمان عليه السلام.

١٤ ـ إنّ القرآن الكريم يُثبِتُ نبوّةَ داود وسليمان عليهما السلام، وخصّ الله تعالى سيدنا داود عليه السلام في الآيات من سورة النساء بذِكر خاصٍّ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾، لمكانته عليه السلام، وإثبات نبوته بإتيانه الحِكْمَة المُفسّرة بالنُّبوّة.

١٥ ـ النُّبوّة اتِّصال بين الخالق والمخلوق في تبليغ الشرع الخفيف، وسفارة بين الله تعالى الواحد الأحد وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه، لِيُخرجهم من الظُّلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدُّنيا إلى سَعَة الدُّنيا والآخرة.

١٦ ـ إن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يُبلِّغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرِّسالة لا يحصل إلا بذلك.

١٧ ـ إنّ الإيمان بالنُّبوّة هو الطّريق المُؤدِّي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ ومحبّته، والسبيل المُفضي إلى رضوان الله وجنته، والمُوصِل إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته.

١٨ ـ يُعَدُّ الإيمان بأنبياء الله ورسله ركناً من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتى يُؤمن بجميع الأنبياء، ويُصدِّق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشادهم، وإخراج الناس من الظُّلمات إلى النور، وأنهم بَلّغوا ما أُنزل إليهم من ربِّهم البلاغَ المُبين.

١٩ ـ وُجد دين الإسلام في معناه العام مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وهو دين الأنبياء جميعاً. أما الإسلام بمعناه الخاصِّ فهو الذي بُعث به محمد ﷺ.

٢٠ ـ إن الإسلام هو دين كلِّ نبيٍّ من الأنبياء، وخلاصة دعوة كلِّ رسول، فكلُّ نبيٍّ جاء بالإسلام.

٢١ ـ إنّ شريعة الله تعالى للناس طرف من سننه في خلق الكون، وكتابه المنزل بيان للحقِّ الذي يقوم عليه نظام السُّنَن، وإن العدل في الحُكْم وفي تسيير شؤون الحياة قاطبة الذي يُطالَب به الخلفاء في الأرض، والحُكّام بين الناس، إنّما هو طرف من الحقِّ الكلِّيِّ، لا يستقيم أمر الناس إلا حين يتناسق مع بقية الأطراف، وإن الانحراف في الحكم إنّما هو انحراف عن نظام السُّنَن الذي قامت عليه السّماء والأرض، وهو شَرٌّ كبير، له تبعاتٌ لا تُحصى.

٢٢ ـ إن القرآن الكريم وصف داود عليه السلام بالإيمان بالله، وشرّفه الله عزَّ وجلَّ بالعبادة، واتّصف بالصّبر والشجاعة والحِكْمَة، والحُكم

بالحقِّ، والاستغراق الكبير في تسبيح الله وحمده والثّناء عليه، وذَكَرَه في موكب الأنبياء والمرسلين، وآتاه الله الزّبور، وشدّ مُلكَه الذي كان في طاعة الله، واشتهر بالصِّيام والقيام والشكر لله عزَّ وجلَّ، بالجوارح واللسان والقلب، إلى غير ذلك من الصِّفات النبيلة، والأخلاق الكريمة، والمُثُل الحميدة.

**٢٣** ـ كان داود عليه السلام مَلِكاً نبيّاً، وعلّمه الله جلّ جلاله صناعة الزّرد وعدّة الحرب، وكان أول من جمع بين المُلكِ والنُّبوّة.

**٢٤** ـ كان من أسمى أهداف دولة داود عليه السلام الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكَر، وكان ينهج مع الظّلمَة والعصاة منهجاً شديداً، تظهر فيه معالم القوة والرّدع، وإعلاء كلمة الحق.

**٢٥** ـ تعلّم داود عليه السلام سياسة الملك، وأحوال الناس، ومنازع النفوس، وأحوال البلدان، وما تُنتجه من خيرات، وغير ذلك، وكان مَنْحُ الله سبحانه وتعالى له النُّبوّة التي أفاضها عليه، والتجارب التي ساقها إليه، والذخيرة التي بين يديه من أحوال الحاكمين السّابقين، والهداة المُرشِدين، وما أُوتيه من علم التّوراة، والأخبار الصِّحاح عن النّبيِّين السّابقين، كل ذلك رَفَع مقامه، وهيّأ له الأسباب ليحكم بالحق.

**٢٦** ـ ورد اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم ستّ عشرةَ مرة، وذُكر في القرآن على صور متعددة، فأحياناً وَرَدَ اسمه فقط دون الإشارة إلى قصته، وأحياناً ذُكر مقروناً مع تفضيل الله له بإنزال الزّبور عليه، وأحياناً

بذكر اسمه في سياق بدء أمره، وذلك بعدما قتل قائدَ أعدائه جالوت، وأحياناً بذِكر اسمه في سياق لعن الكفار من بني إسرائيل.

٢٧ ـ أنعم الله تعالى على عبده ونبيِّه داود عليه السلام بما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النُّبوّة والمُلك المُتمكِّن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه من الصّوت الشجيّ، الذي كان إذا سبّح تُسبِّح معه الجبال الرّاسيات الشامخات، وتقف له الطُّيور السّارحات والعاديات والرائحات، وتُجاوِبُه بأنواع اللُّغات.

٢٨ ـ شدّ الله مُلكَ داود، وقوّاه وثبّته، ومنحه كلّ ما يحتاجه مُلكُه من وسائل القوة والتثبت، من المال والرِّجال والعتاد والسِّلاح والدُّروع والتّشريع.

٢٩ ـ كانت أحكام داود وأقضيته عليه السلام صائبة صحيحة، إذ إنه النّبيُّ المؤيّدُ من الله، والمعصوم بعصمة الله له، وكانت أحكامه وأقضيته تُؤدِّي إلى فصل الخطاب، وقطع الخلاف، وإنهاء النزاع.

٣٠ ـ كان داود عليه السلام عاملًا ماهراً في صنع الدُّروع، وإليه نُسبت، فقيل: دروع داوديّة.

٣١ ـ كان داود عليه السلام في شبابه قبل النبوّة راعياً للغنم، وكان يعمل ويكسب بالصِّناعة، ويأكل من عمل يده، ويَستغني عن غيره.

٣٢ ـ إنّ تعلُّم الحِرف والأعمال التي يحتاجها المجتمع من فروض الكفاية، ولهذا كان أنبياء الله والصّالحون يَتعاطَون الحرف التي يحتاجها

الناس؛ ليكون ذلك منهم دلالة على مشروعية هذه الحرف، وتعلُّمِها وتعاطيها.

**٣٣** ـ الزّبور كتابٌ أنزله الله على نبيِّه داود عليه السلام، ولا تُوجد نسخة كاملة للزبور باقية في المصادر الإسلامية المعروفة لدينا، والموجود منه فقرات متناثرة تتفاوت طولاً وقصراً.

**٣٤** ـ إن المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام، والمذكورة في العهد القديم، ليست هي الزّبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام، ولا هي ممّا كان داود يُناجي به ربّه تبارك وتعالى.

**٣٥** ـ إن مملكة داود وسليمان عليهما السلام كانت قائمة على العدل والحقِّ، وكان باب الاجتهاد مفتوحاً للوصول للحكم العادل، وقد نُقل عن داود وسليمان عليهما السلام أحكامٌ كثيرة في القضاء، وفصل الخصومات، فكانوا ملوكاً وقضاة وأنبياء وحُكّاماً حقيقيين.

**٣٦** ـ إن تسبيح الجبال والطّير مع داود المذكور تسبيحٌ حقيقيٌّ؛ لأن الله جلّ وعلا جعل لها مدارك تُسبِّح من خلالها، يعلمها جلّ وعلا، ونحن بقصورنا البشري لا نعلمها.

**٣٧** ـ إن الله سبحانه وتعالى منح الحديد لداود عليه السلام، وعَلّمه كيف يُلينه؛ لأن الفائدة تتحقّق بوجود الخام والقدرة على تشكيله، ولا شكّ في أن ذلك ساعد على بناء حضارة عظيمة، جمعت بين المنهج الرّباني والتطوُّر العمراني والصناعي.

**٣٨** ـ إنّ داود عليه السلام هو أكثر أنبياء بني إسرائيل وروداً في القرآن

بعد موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصّلاة والتسليم، وقد صرّح الله بتفضيله، وميّز كتابه الزّبور بالذِّكر في أكثر من موضع، وهو الأمر الذي يدلُّ على أنه من أفضل الأنبياء بعد أُولي العَزْم من الرسل.

**٣٩** ـ حقّق داود عليه السلام مقام المراقبة لله عزَّ وجلَّ، مع يقينه بأن الله لا يَخفى عليه خافية في ليل أو نهار، في سرٍّ أو إعلان، في خلوة أو اجتماع، وأورثه هذا اليقين في قلبه خوفاً وحياءً من الله في خلواته، وأخلص لله في جميع أعماله، ونشر التّوحيد بين آل داود والناس في زمانه، ودعاهم لإفراد الله بالعبوديّة وحده.

**٤٠** ـ كتب الله لداود عليه السلام نجاحاً بعيد المدى في أن يُخلِّص قومه الإسرائيليين من جالوت وجنوده، وفي أن يُحقِّق لهم الاستقلال التّامّ، وأن يُوجِد لنفسه نفوذاً في بلاد الشّام.

**٤١** ـ تُوفِّي داود عليه السلام، وذلك بعدما خُيِّر عند موته، فاختار جوار الله تعالى، ودُفن في المكان الذي مات فيه.

**٤٢** ـ يُمثل حكم داود وسليمان عليهما السلام فترة رخاء وازدهار على المستوى الإنساني في تاريخ الأرض، وقد سادت قِيَم الحقِّ والعدل والرحمة والإحسان في حكمهما عليهما السلام.

**٤٣** ـ إنّ ما وَرَدَ عن نبيِّ الله سليمان عليه السلام أنه قطع أعناق الخيل وأرجلَها؛ لا يَثبت منها شيء بالدليل من الكتاب والسُّنّة.

**٤٤** ـ كثيرة هي الأقوال التي تُفسِّر فتنة سليمان عليه السلام التي ذكرت في القرآن، ولكنّها كلّها مردودة، إذ لا دليل موثوقاً حولها أولاً، ومِن ثَمّ إن

كثيراً منها يتعارض وعصمة الأنبياء، والمكانة السّامية التي اختصّهم الله تعالى بها.

**٤٥** ـ لم يطلب سليمان عليه السلام المُلكَ للظُّلم أو البَغي، وإنّما طلبه للتقوِّي به على تنفيذ شريعة الله تعالى في الأرض، وإقامة حدوده، وتعظيم شعائره، ولزوم طاعته جل في علاه.

**٤٦** ـ إنّ سليمان عليه السلام جدّد بناء المسجد الأقصى، وذلك طبيعيٌّ لأنه كان مسلماً مُوحِّداً، من ذرِّية أبي الأنبياء إبراهيم، وسار على نهج موكب الأنبياء والمرسلين.

**٤٧** ـ ذُكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم سبع عشرة مرة؛ في سورة البقرة مرتين، وفي سورة النساء مرة، وفي سورة الأنعام مرة، وفي سورة الأنبياء ثلاث مرات، وفي سورة النمل سبع مرات، وفي سورة سبأ مرة، وفي سورة (ص) مرتين.

**٤٨** ـ تضمّنت قصّة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم كثيراً من معجزاته، كما حوت الكثير من قيم الحُكْم الرشيد، ومعايير العدل والقضاء والحسبة والتربية والأخلاق، كما اشتملت على مناهج الدّعوة وأساليبها وأهدافها.

**٤٩** ـ إن قصّة سليمان عليه السلام مع النملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ، وتسخير الجنِّ والطّير له، تُظهر نعمة الله عليه، وهي نعمة الله سبحانه بالعلم والمُلك والنُّبوّة.

٥٠ ـ ورث سليمان عن داود عليهما السلام خلافةً إيمانية، ومملكة متكاملة، فحافظ عليها، وقوّاها، ووسّع حدودها، وضمّ إليها بقاعاً أخرى، وطبّق فيها شرع الله على الناس في زمانه، وسار بهم في طريق مرضاة الله.

٥١ ـ لا بُدّ لقادة البناء والنهوض الحضاري من صفة اليقظة والمتابعة، والقوانين الضّابطة لحركة الجيوش ومؤسسات الدول، وفهم سُنّة الأخذ بالأسباب، والسّير على النهج المستقيم في إدارة الشؤون العامة والخاصّة.

٥٢ ـ إن من القيم والمبادئ التي تضمّنتها البسملة، في قصّة نبيّ الله سليمان عليه السلام، قيمة الإيمان بوجود الله عزَّ وجلَّ، وإثبات بعض صفاته، وبيان قيمة تعظيم الله بمقتضى صفاته وأسمائه الحسنى، بأنه عزَّ وجلَّ رحمن رحيم، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، أو الخضوع لسواه، وتخليص النفس من سيطرة الغَير والخوف منه.

٥٣ ـ كان للعلاقة بين سليمان عليه السلام ووالده داود عليه السلام منذ طفولته وفي شبابه الأثر البالغ في صقل شخصيته، وتحديد أهدافه، ومعاني رسالته في الحياة، فقد نشأ في بيئة تلقّى فيها تربية نبوية صالحة، فهو ابن النبيّ داود عليه السلام الذي وُصِف بالعبودية، والذي تميّز في جهاده، وصلاته وصيامه، وذِكْره وثنائه، وحمده لله عزَّ وجلَّ.

٥٤ ـ سار سليمان عليه السلام على نهج والده النّبيِّ المَلِك داود عليه السلام، وتأثّر بأخلاقه وسلوكه ودعوته وأعماله وأهدافه، وإدارته للملك، وقدّما نموذجاً من نماذج تحقيق العبادة في دفع المظالم وإقامة العدل ودلالة

الناس على توحيد الله وإفراده بالعبادة، ومساعدة المحتاجين، وعمارة الدولة بالبناء والتجارة، والانفتاح على الآخرين وفق منهج الله وشرعه.

٥٥ ـ تبرز أهمية العلم الرّباني المُستمَدِّ من الله سبحانه وتعالى في بناء الحضارات، وترسيخ مقوِّمات الحُكْم الرشيد في الدولة، وضبط مسار القيادة والشُّعوب والمؤسسات وفق قيم الشّريعة الرّبانية، التي جَعَلَها الله بصائر للناس وهدايات لهم في حياتهم الدِّينية والدُّنيوية، وكيفية التعامل مع العلوم المتنوِّعة في إسعاد الناس، وفق المنهج الرّباني.

٥٦ ـ من المقوِّمات الأساسية للحكم الرشيد الاهتمام بالأمور التنظيمية والإصلاحات الإدارية والمالية في المجتمع، وسليمان عليه السلام قدّم درساً في القيادة الحكيمة وفق رؤية إدارية واقتصادية رشيدة، فحقّق التنمية الشّاملة في دولته.

٥٧ ـ يُعَدُّ سليمان عليه السلام مَلِكاً توفّرت له مُقوِّمات الدولة ومُقدّراتها المادية، واهتمّ بعنصر التدريب لزيادة كفاءة جيشه، فكان يحرص على إعداد الخيل ولياقاتها البدنية، ويُراقب تمارينها على الجري والعَدْو، لِتكون جاهزة للجهاد.

٥٨ ـ إن الطّير عابدةٌ لله تعالى بلغةٍ خاصّةٍ، وأصوات مُعيّنة؛ تُنفِّذ أمر ربِّها ولا تتمرّد عليه، وقد تلقّت أمر خالقها بالقَبول، وكانت تشارك داود عليه السلام عبادته وتسبيحه، وللجبال لغة خاصّةٌ تُسبِّح بها الله، ونحن لا نسمعها ولا نفقهها، وللطيور أصوات خاصّة تُسبِّح بها الله ونحن نسمعها ولا نفقهها.

٥٩ ـ أعجب بعض المفسِّرين بالتفاصيل الإسرائيلية المكذوبة، التي وردت في قصّة داود وسليمان عليهما السلام، التي تُسيء لمقامهم، فسجّلوها في تفاسيرهم، وفسّروا بها آيات القصّة، ونسَوا أنّهم يتحدّثون عن أنبياء ورسل كِرام، عصمهم الله وحفظهم، فكانوا أتقى وأفضل الناس، أما المفسِّرون والمؤرِّخون المنهجيون فقد رفضوا تلك الإسرائيليات، وتهيّبوا الخوض في أحداثها، واكتفَوا بذِكر المعنى الإجماليِّ لآياتها.

٦٠ ـ خاضت بعض كتب التفسير في القصص التي وردت في القرآن الكريم عن داود وسليمان عليهما السلام، بسبب التأثُّر بالإسرائيليات، ونسبوا إليهما ما يتنافى مع عصمة الأنبياء، ولكن علماء أهل السنة يُجمِعون على أن الأنبياء معصومون عن الكبائر.

٦١ ـ استخدم سليمان عليه السلام معدن النحاس في العمارة والبناء، وشيّد العديد من المباني والقلاع والمساجد، والقِصاع والقدور، وقد استفاد من معدّات الحديد كذلك ومعادن أخرى في الصناعات الحربية والمدنية، لتقوية دولته وازدهار حضارتها، والقيام بواجب العمارة في الأرض، وفق مفهوم الخلافة فيها.

٦٢ ـ ما يعتقده اليهود في هيكل سليمان هو مزاعم باطلة، والنصوص التوراتية التي تحدّثت عن الهيكل مليئة بالتناقض والكذب، فقد تبيّن التناقض الشّديد بين الكثير من نصوص العهد القديم، وهو الذي يُمثِّل محور وأساس الرواية اليهودية، بل وحتى تفصيلاتها في أغلب الأحيان.

٦٣ ـ إن من حقِّنا كمسلمين الدفاع عن الحقيقة التّاريخية، والسيرة

العظيمة، والقدوة الحسنة، لكلٍّ من داود وسليمان عليهما السلام، وتخليصهما ممّا نُسب إليهما من أكاذيب وعقائد باطلة، لا دليل عليها ولا برهان، إلا الأوهام والخرافات والأساطير، فعقيدتنا الإسلامية الصّافية التي جاءت في القرآن الكريم والسُّنة النّبويّة الصّحيحة تُوجب علينا ذلك.

٦٤ ـ إن القرآن الكريم بيّن أكثر الحقائق الدامغة عن سيرة داود وسليمان عليهما السلام، فردّ على التشويه اليهوديّ لهذين النّبيِّين العظيمين، ولقد شوّهوا صُورةَ سليمان عليه السلام، واتّهموه بالكفر بالله، وأنه انحاز وراء الأصنام، وقالوا: إن سليمان ما حكم مُلكَه إلا بالسِّحر والاستعانة بالشّياطين، وكذلك شوّهوا أباه داود عليه السلام، وقُلتم إنه استعبدكم، وجعل النِّير فوق رقابكم، وتناسيتم أنه نبيٌّ مرسل، وحفيد أنبياء مرسلين، وقلتم عنه أنه استدان الأموال، وأرهق الناس بالضرائب، ليبني هيكلكم المزعوم.

٦٥ ـ لقد بيّن العلماء بأنه لا يجوز استخدام الشّياطين من قبل الإنس، لا لعلاج ولا لغيره؛ بحُجَّة أن الله خصّ نبيّه سليمان عليه السلام بتسخير الجنِّ والشّياطين.

٦٦ ـ عاش سليمان عليه السلام مع الله، وفهم أسماءه الحسنى، وآمن بصفاته العلا، ونراه يدعو الله باسمه الوهّاب، فقد كان مُستغرِقاً في هبات الله منذ طفولته، ورأى ذلك في مُلك أبيه، فأحبّ اللهَ عزَّ وجلَّ، وأخلص العبادة له، وطرق أبوابه، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى بجميع أصنافها وأنواعها.

٦٧ ـ إن سليمان عليه السلام لم يطلب المُلك الواسع ليتنعّم به أو يتباهى به، وإنّما طلبه ليُسخِّره في خدمة الدّعوة إلى الله، ونشر العدل، ومواجهة أعداء الله.

٦٨ ـ انتهت بوفاة سليمان عليه السلام مرحلة العصر الذهبي لبني إسرائيل، والمتمثِّل في دولتهم الفتية وخلافتهم الرّبانية.

٦٩ ـ لم تستمرّ دولة سليمان عليه السلام بعد وفاته كثيراً، إذ سرعان ما دبّت فيها الفرقةُ والاختلاف، فانفصلت سبأ عن الدولة، ثم زاد الاختلاف حتى انقسمت الدولة في الأرض المقدّسة إلى أقسام، وحكمها ملوك ضعفاء، وقعوا في المخالفات والمعاصي والذنوب الكبيرة، وكان نتيجة ذلك أن أوقع الله بهم غضبه وعذابه، فأزال دولتهم ودمّر كيانَهم، ومكّن أعداءهم منهم، فأخرجوهم من الأرض المقدّسة، وتشتّتوا في بقاع الأرض.

٧٠ ـ تعرّضت سيرةُ سليمان عليه السلام للأكاذيب والأباطيل، وقد تداول الناسُ عبر التّاريخ كُتب السِّحر التي تُعبِّد الناس للشياطين، وتُقيم بينهم وبين ربِّهم حجاباً وحاجزاً، ونسبوا هذه الكتب إلى نبيِّ الله سليمان عليه السلام، وسليمان عليه السلام منها براء.

٧١ـ إنّ من فوائد قصّة سليمان عليه السلام أنّها تبين لنا معالم ومقوِّمات الحُكْم الرشيد، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو إدارية أو قانونية أو اقتصادية أو تشريعية أو سياسية.

٧٢ ـ كان من ثمرات الحُكْم الرشيد في دولة سليمان عليه السلام بناء

نهضة علمية، ونهضة عمرانية، ونهضة إعلامية، ونهضة عسكرية، ونهضة صناعية، ونهضة بحرية، ونهضة تجارية.

٧٣ ـ انتشر السِّحر والعمل به في بني إسرائيل، فسلّط الله تعالى عليهم البابليين، في زمن حكم ملكهم البابلي بختنصر، في القرن السّادس قبل الميلاد، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ عدداً كبيراً منهم أسرى إلى بابل في العراق، وفي أثناء أسرهم انتشر السِّحر في بابل، وراح اليهود ينشرون الفساد في المجتمع البابلي، وذلك بهدف إضعاف أهل بابل وإفسادهم.

٧٤ ـ تابع اليهود تعلُّم السِّحر، ونشره في الأرض، وهناك ارتباط وثيق بين السِّحر والشّياطين، لأن السِّحر وسيلة من وسائل الشّياطين في استهواء الناس وإغوائهم وقيادتهم والتأثير فيهم.

٧٥ـ إن من سِمات القائد الفذِّ واليَقِظ الإحساس بالمسؤولية، والأمانة في تفقُّد أتباعه وجنوده وموظفيه، وتلمُّس احتياجاتهم ومتطلّباتهم، والإحساس بمعاناتهم ومشكلاتهم، والعمل على وضع الحلول الجادّة لعلاجها، من أجل توفير البيئة الإيجابية المنتجة.

٧٦ ـ إنّ الأصل العام الذي اجتمعت عليه الأمّة هو أن جميع المسلمين ذكوراً وإناثاً متساوين في الخطاب بالأحكام الشّرعية، فخطاب الذكور موجّه للنساء، إلا ما وَرَدَ بتخصيصه نصٌّ أو إجماع.

٧٧ ـ هناك تناقض واضح في روايات الأسفار التي تحدّثت عن الهيكل، وعن تحديد مكان بيت الله، ممّا يُؤكِّد أنّ قضية الهيكل من أوّلها إلى آخرها لا يُمكِن تصديقها.

٧٨ـ يُشكِّك كثير من المؤرِّخين في صحة ما رُوي عن الهيكل؛ لأنّ الكتب المقدّسة لم تُكتب إلا بعد عهد موسى عليه السلام بمئات السنين، حيث تعرّضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل باعتراف كثير من رجال الدِّين اليهود أنفسهم.

٧٩ ـ لليهود ثلاث إطلاقات للهيكل، ولكلٍّ واحدة معنًى مختلف عن الآخر؛ فالهيكل الأول هو: هيكل سليمان الذي هدمه نبوخذ نصر، والهيكل الثّاني هو: هيكل هيرودس الذي هدمه (تيطس)، والهيكل الثّالث والأخير: هو الذي سيُبنى في العصر المشيحاني ـ على حدِّ زعمهم ـ وقد جعل الصهاينة الاستيطان الصهيوني هو العودة المشيحانية، ومن ثمّ فإن الدولة الصهيونية هي الهيكل الثّالث.

٨٠ ـ يُصرُّ اليهود على إعادة بناء الهيكل في هذا المكان بالذات، ليُعيدوا ممارسة عبادتهم حسب طقوسهم وشعائرهم الموجودة في كتبهم التراثية، التي اختلطت فيها الأمور الدينية بالكتابات التّاريخية، والتي جَمعت بين الحقائق والتحريف والتبديل، ويَرَون أنّ بناء الهيكل في هذا المكان يُمهِّد لمجيء المسيح كما يعتقدون.

٨١ ـ يشغل الهيكل مكانة خاصّة في الوجدان اليهودي، كما يُعبِّر عن التيار الحلولي، وهو يُسمّى (البنان) لأنه يُطهِّر يسرائيل من خطاياها.

٨٢ ـ شكّل الصهاينة دولتهم في فلسطين على ادِّعاءات تاريخية، وقامت على أعمدة رئيسية، هي: التّوراة، والبندقية، والتخطيط اليهوديّ الذكي، والإسناد الغربي الكبير، والخذلان العربي الرّسمي المُدبّر.

٨٣ ـ إنّ البُعد الدينيّ اليهوديّ كان ولا يزال حاضراً في تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين.

٨٤ ـ (حائط المبكى) هو الحائط الغربيُّ، ويُسمِّيه المسلمون (حائط البراق)، ويقال إنه جزء من السُّور الخارجي الذي بناه هيرود، وذلك ليحيط بالهيكل، والمباني الملحقة به، ويُعدُّ من أقدس الأماكن عند اليهود في الوقت الحاضر.

٨٥ ـ إنّ السِّفرين اللّذين تحدّثا عن الهكيل هما عبارة عن مجموعة من المدونات التّاريخية؛ جُمعت ونُسِّقت معاً، واستقى كاتبهما موادّه من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية، والحكايات الشعبية.

٨٦ ـ أثبت علماء الآثار من اليهود والأوربيين والأمريكان، الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثرٌ واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولا تحت المسجد الأقصى، ولا تحت قبة الصخرة.

٨٧ ـ إن اعتقاد اليهود الذي لم يتغيّر هو أنهم الشعب المختار، وأنهم سادة العالم، وأن ما في العالم من مال هو لهم يجب أن يَستردُّوه، وأنهم يجب أن يهدموا المسجد الأقصى ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان، وسوف ينزل الرّبُّ ليحل في هذا الهيكل، ويحكم على طريقة شعبه المختار: شعب بني إسرائيل.

٨٨ ـ سعت الصهيونية في محاولات جادّة لدفن قضية فلسطين تحت أكوام من روايات التضليل المتعمّد، والوقائع الكاذبة، والدعاية المُخادعة، التي تراكمت على مرِّ العقود، حتى تُبرهن لليهود أولاً، وللرأي العام العالمي ثانياً، أحقيّتَها دون غيرها بملكية فلسطين.

٨٩ ـ إن مضمون (الحق القومي): انتماء جميع اليهود، في جميع أنحاء العالم، إلى قومية يهودية مُتميِّزة، لها ذاتيتها ومعالمها وقيمها الروحية والمادية، وموطنها الوحيد فلسطين، وهذا الحقّ المزعوم ساقط؛ لأن أكثرية يهود العالم بما يزيد عن (٩٠٪) لا تنتمي إلى بني إسرائيل الأقدمين، الذين كانوا يقطنون (فلسطين)، بل إنهم ليسوا من نسل (سام) أصلًا، وإنّما هم من نسل (يافث) اعتنقوا (الديانة اليهودية) في أثناء فتح التبشير بها، فيما بين (القرنين الثّالث، والثالث عشر الميلاديين).

٩٠ ـ إن الواقع يُكذِّب الصهاينة اليوم في دعواهم نقاء جنسهم، وذلك أن النظرة العامة في هيئتهم وسحنتهم تدلُّ على تباين أصولهم، ففيهم ذو السحنة الأوربية، وذو السحنة العربية، وذو السحنة الإفريقية.

٩١ ـ وجود المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم، بأزمان طويلة، هو من أقوى الأدلّة التّاريخيّة الّتي تُبطِل مزاعم اليهود، وتكشف مدى مصداقيّة الرُّؤية الإسلاميّة في حقِّ المسلمين بالمسجد الأقصى وفلسطين.

٩٢ ـ إن الآثار الأموية والعباسية والسلجوقية والأيوبية والمملوكية والعثمانية تدلُّ على إسلامية المسجد الأقصى التّامة، التي لا تشترك معها

أي ديانة أخرى، وذلك ينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أيِّ أثر لهم في المسجد الأقصى، ومدينة القدس عاصمة فلسطين قديماً وحديثاً.

**٩٣** ـ إن للفلسطينيين حقوقاً في أرض فلسطين، لا تختلف عن حقِّ أي شعب بأرضه، كما هو الحال مع حقوق الفرنسيين في أرض فرنسا، وحقوق البريطانيين في أرض بريطانيا، والصينيين في الصين وغير ذلك. وإن حقّ العرب التّاريخي لا يحتاج إلى أية جهود للدعاية والترويج له، فهو حقٌّ ثابت وواضح بذاته، وإن الخطأ الذي يُمارَس بحقِّهم إنّما هو حقيقي للغاية.

**٩٤** ـ إن عالمية العهد لنوح عليه السلام في التوراة هو عهد أبدي لجميع ذريته وأبنائه، وهؤلاء الذين نجوا معه في السّفينة، أي لجميع أبناء البشرية، وليس لذرية سام بن نوح فقط، حسب الادّعاءات الإسرائيلية، وذلك على حساب بقية إخوته وحقهم هم وذرية من نجوا مع نوح في السفينة. فهذا العهد ليس خاصاً ببني إسرائيل وحدهم من بين الأمم والشعوب الأخرى، ولكنه عام وخاص بجماعة المؤمنين في أيّ زمان، وفي كل مكان، وأن الخاصَّ باليهود سبق أن تحقق لهم بالعودة من السبي البابلي، وما بعد ذلك ليس هم المقصودين به، وإننا بعد مراجعة تلك الكتابات، وما قاله علماءُ اللاهوت الغربيون حولها، يمكننا أن نقولَ بكل ثقة: إن أتباع الدين الإسلامي هم المعنيون بها دون غيرهم[١].

**٩٥** ـ إن ممارسات الصهاينة في القدس من طرد أهالي الأحياء المقدسية

---

(١) نقض خرافة الهيكل المزعوم، مصطفى إنشاصي، الدار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٩م، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

مثل حي سلوان والأحياء المجاورة للمسجد الأقصى، واغتصاب منازلهم والاستيلاء عليها بالقوة، وإسكان مستجلبين يهود من شتات الأرض فيها، وكذلك انتهاكه حرمة مقابر المسلمين واغتصابها، وإقامة المشاريع الصهيونية الدينية والعامة عليها. . . إلخ، بزعم أنها تقع مكان ما يزعم أنه (مدينة داود) التي تمتد إلى داخل سور المسجد الأقصى، وأنها استرجاع تاريخه وأرضه، وإعادة بناء تلك المدينة الوهم، وذلك وغيره هو طمس وإلغاء وانتهاك لتاريخ وحضارة الشعب الفلسطيني بالقوة، وتغيير واقع قائم بكل معالمه التاريخية والجغرافية والحضارية لصالح تاريخ وحضارة يهودية مزعومة، واختلاق واقع وجود لشعب لم يسكن أجداده هذه الأرض، ولا سمعوا بها يوماً[1].

**٩٦** ـ إن الامتداد الطبيعي، والوارث الحقيقي، لحضارة داود وسليمان عليهما السلام، وتراثهم الحقيقي، وتاريخهم المُشرِّف، هي الحضارة الإسلامية، التي أسّسها خاتم النّبيِّين وإمام المرسلين ورسول العالمين محمد ﷺ، فالمسلمون أتباعه ﷺ هم أولى بداود وسليمان عليهما السلام من اليهود المعاصرين والسابقين، الذين أساؤوا إليهم في كُتبهم وتاريخهم وتراثهم وسلوكهم الفاسد، كما مرّ معنا، على عكس القرآن الكريم والسُّنة النّبويّة وكتب التّاريخ الإسلامي، التي حفظت سِيَرهم ودورهم الحضاري والإيماني، وآثارهم الروحية والمادية، في شتّى مناحي الحياة.

**٩٧** ـ إن الدول المعاصرة التي تملك خام الحديد تستطيع أن تُرهِبَ

(١) إنشاصي، المرجع نفسه، ص٨١ ـ ٨٢.

أعداءها بما ينتجه لها هذا الخام من مقدرة على التسلُّح الثقيل، وتستطيع أيضاً أن تخطو خطوات واسعة لكي تقف في مصافِّ الدول الصناعية العظمى، التي يُشكِّل الحديد العمود الفقري لصناعاتها وغناها.

**٩٨** ـ إن قضية فلسطين لا تموت، فهي مرتبطة بوجدان الأمة وعقيدتها وتاريخها ودينها، وإن الأمة التي أخرجت صلاح الدين، وهي أسوأ من حالنا اليوم، وأشد انقساماً، وأكثر عيوباً، لا تعجز عن أن تُخرِج اليوم مثل صلاح الدين، وإن نكبة فلسطين بالصليبيين كانت أشدّ من نكبتها بإسرائيل، وقد مرّت بسنن الابتلاء والتّدافُع، والتّمكين للمسلمين في نهاية المطاف.

**٩٩** ـ سبق القرآن الكريم كلّ النُّظُم المعاصرة في الحديث عن مُقوِّمات الحُكْم الرّاشد، الذي سعى لتحقيق التنمية الشّاملة في المجتمع، بما يتضمّن من التوجيهات الأساسية لطريقة الحكم.

**١٠٠** ـ إن سيرتَي داود وسليمان عليهما السلام تحملان الكثير من الدُّروس والعِبَر، التي لا تزال مفتوحة للتقصِّي والاستقراء والاقتداء بها في حياتنا المعاصرة؛ إنها قصص تبثُّ الأمل في النفوس، وتُذكِّرنا بقوة الإيمان والصّبر، والتوكُّل على الله في كلّ أوقات الحياة.

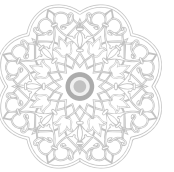
**١٠١** ـ تُشكِّل قصص النبيّين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام الدعوية والقيادية نموذجاً لكلِّ مَن يحاول التعمُّق في رحلة البحث عن العِلم والحِكْمَة، ومعرفة معالم التخطيط النبويّ في القيادة والإدارة والسياسة، والخبرة في العلاقات الدولية في الحاضر والمستقبل.

**١٠٢** ـ يدعو الإسلام جميع الأجناس، على مرِّ العصور والأزمان، إلى

التعاطف والتراحم بين الأمم، التي تجمعها وحدة الأصل، ووشائج القرابة القريبة والبعيدة، فيقول الله تعالى في مُحكَم تنزيله:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

❊ ❊ ❊



# المصادر والمراجع


١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **إبراهيم خليل الله عليه السلام؛ داعية التّوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة**، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

٣ ـ **ابن باديس، حياته وآثاره**، عبد الحميد الصنهاجي، مكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٤ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٥ ـ **الأحاديث الصّحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، الدار الشّامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٦ ـ **أحاديث الصّحيحين المنتقدة الخاصّة بالأنبياء**، أسامة الشنقيطي، دون طبعة.

٧ ـ **أحسن القصص في القرآن الكريم**، نائلة هاشم صبري، دار النفائس، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

٨ ـ **أحكام القرآن، ابن العربي**، دار الكتب العلمية، الطبعة الثّالثة، ١٤٢٤هـ.

٩ ـ **أخلاق الأنبياء**، محمد عبد الله الدرويش، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، (د. ت).

١٠ ـ **الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرّسل**، محمد وصفي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١١ ـ **أرض الميعاد لمن**، كولن تشابن، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٢ ـ **أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها**، خالد محمد، نور حوران للنشر والتوزيع، دار العرب للدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٣ ـ **الأشباه والنظائر، ابن نجيم**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤ ـ **الإصابة في تمييز الصّحابة**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمّد البجاوي، دار النّهضة ـ مصر.

١٥ ـ **أصول الفكر السِّياسيِّ في القرآن المكِّي**، للتجاني عبد القادر حامد، الطّبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م، دار البشير، عمّان ـ الأردن.

١٦ ـ **أضواء البيان**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الطبعة الخامسة، ١٤٤١هـ.

١٧ ـ **إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران**، يحيى وزيري، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٨ ـ **إعلام السّاجد بأحكام المساجد**، أبو عبد الله الزركشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الرّابعة، ١٤١٦هـ.

١٩ ـ **الإعلامية في الخطاب القرآني**، زهراء البرقعاوي، دار كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٢٠ ـ **الأفكار الطنطاوية، الاستعمار وفلسطين**، مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة.

٢١ ـ **الإمامة العظمى**، عبد الله الدميجي، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٢ ـ **أنبياء إسرائيل الجدد**، د. عبد الغفار دويد، دون طبعة.

٢٣ ـ **أنبياء القرآن**، عبد المجيد همو، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

٢٤ ـ **أنبياء الله**، أحمد بهجت، دار الشروق، الطبعة السّابعة والعشرون، ٢٠٠١م.

٢٥ ـ **إنجيل برنابا**، تحقيق: سيف الدين أحمد فاضل، الكويت: دار القلم، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٦ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

**٢٧ ـ أيسر التفاسير**، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م.

**٢٨ ـ البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

**٢٩ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ابن رشد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

**٣٠ ـ البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٧م.

**٣١ ـ البرلمان في الدولة الحديثة**، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

**٣٢ ـ البناء السردي في القصّة القرآنية**، منيرة الزهراني، يحيى وزيري، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

**٣٣ ـ بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان عليه السلام**، عبد الرحمن الخطيب، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨م.

**٣٤ ـ البيان في علم المناسبات**، فايز السريح، دار القبس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

**٣٥ ـ بيت المقْدِس**، محمد شرّاب، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٣٦ ـ **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، فتحي الزغبي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٣٧ ـ **تاريخ القضاة**، محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٣٨ ـ **تأملات في سورة مريم**، د. عادل أحمد الرويني، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٣٩ ـ **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ابن فرحون المالكي، دار مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤٠ ـ **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٤١ ـ **التحرير والتنوير**، الطّاهر بن عاشور، الدار التونسية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٤٢ ـ **التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السُّنَن**، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مكتبة مشكاة الإسلامية، لبنان، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٤٣ ـ **تفسير ابن باديس**، عبد الحميد بن باديس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤٤ ـ **تفسير ابن كثير**، دار طيبة، الطبعة الثّانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٥ ـ **التفسير الإسلامي للتاريخ**، د. عماد الدين خليل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

٤٦ ـ **التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم**، رفيق المصري، دار القلم، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٤٧ ـ **تفسير البغوي «معالم التنزيل»**، البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ.

٤٨ ـ **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.

٤٩ ـ **تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٠ ـ **تفسير الزهراوين البقرة وآل عمران**، محمد صالح المنجد، دار العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.

٥١ ـ **تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٤، ١٤٣٥هـ.

٥٢ ـ **التفسير الشّامل للقرآن**، أمير عبد العزيز، دار أرشيف العلم، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٥٣ ـ **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٣م.

٥٤ ـ **تفسير القرآن الثري الجامع**، د. محمد هلال، دار ابن كثير وابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥٥ ـ **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

٥٦ ـ **التفسير الكبير: مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرّازي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٧ ـ **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.

٥٨ ـ **تفسير المراغي**، أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م.

٥٩ ـ **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٦٠ ـ **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٦١ ـ **تفسير النابلسي «تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة»**، د. محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٦٢ ـ **تفسير سورة الإسراء**، أحمد نوفل، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٦٣ ـ **التلازم بين العقيدة والشّريعة وآثاره**، د. طارق سعيد القحطاني، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٦٤ ـ **التّمكين للأمّة الإسلاميّة في ضوء القرآن الكريم**، لمحمّد السيد حمد يوسف، دار السّلام ـ مصر، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٥ ـ **التنمية الشّاملة**، د. علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٦٦ ـ **الثّناء في القرآن الكريم**، هتون سامي عبد الرحمن فلمبان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٦٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرِّسالة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٦٨ ـ **جماليات النظم القرآني**، د. عويض العطوي، مركز تدبر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٦٩ ـ **الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عليه السلام**، عبد التواب محمد إبراهيم.

٧٠ ـ **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشّافعي**، الماوردي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧١ ـ **حديث القرآن عن التّوراة والإنجيل**، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الأردن، دار النفائس، ط١، ٢٠١٧م.

٧٢ ـ **حروب القدس في التّاريخ**، ياسين سويد، شركة الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

٧٣ ـ **حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول**، صالح الفوزان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٧٤ ـ **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشّافية**، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، السعودية، دار ابن القيم، ط٢، ١٩٨٧م.

٧٥ ـ **الحقوق العامة للمرأة في عصر الرِّسالة**، عبد الحليم أبوشقة، مركز حقوق التراث العربي.

٧٦ ـ **الحكم والتّحاكم في خطاب الوحي**، لعبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطّبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٧٧ ـ **الحلال والحرام**، محمد يوسف القرضاوي، دار الكتب المصرية، ٢٠١٣م.

٧٨ ـ **خصائص معجزات سليمان**، زينب محمد سوار.

٧٩ ـ **خطر اليهودية العالمية**، عبد الله التل، دار القلم، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٨٠ ـ **داود في الأسفار اليهودية**، مي المدهون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ١٤٢٠ ـ ١٤٢١هـ.

٨١ ـ **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٨٢ ـ **دراسات في الأديان اليهودية والنّصرانية**، د. سعود الخلف، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٨٣ ـ **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٨٤ ـ **الدّعوة إلى الله في سورة إبراهيم**، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٨٥ ـ **دلائل النُّبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة**، للحافظ أبي بكر أحمد البيهقيِّ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٨٦ ـ **الرّحيق المختوم**، لصفيِّ الرّحمن المباركفوري، مؤسسة الرِّسالة ـ لبنان، الطّبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٨٧ ـ **رسائل الأنبياء**، عمر أحمد هاشم.

٨٨ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨٩ ـ **الزّبور في المصادر الإسلامية**، د. صلاح الباجوري، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية الدّعوة وأصول الدين.

**٩٠ ـ زهرة التفاسير**، محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

**٩١ ـ السحر أنواعه وأحكامه وتطبيقاته المعاصرة**، د. هيفاء ناصر الرشيد، دار الناشر المتميّز، دار النصيحة.

**٩٢ ـ سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية**، جورجي كنعان، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

**٩٣ ـ سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

**٩٤ ـ سلطان العلم في سورة النمل**، د. نبيل محمد، رسالة علمية، جامعة الملك خالد للعلوم الشّرعية والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨م.

**٩٥ ـ سليمان النّبيّ الملك**، منصور عبد الحكيم، دار الكتاب العربي، دمشق ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

**٩٦ ـ سليمان عليه السلام في القرآن والسنة**، همام حسن يوسف، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٦م.

**٩٧ ـ سليمان في القرآن الكريم**، همام حسن سلوم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير.

**٩٨ ـ السمات القيادية المستنبطة من قصّة سليمان عليه السلام**، عبد محمد باربيد، جامعة الأزهر، كلية التربية، رسالة علمية.

**٩٩ ـ السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث**، محمد الغزالي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

**١٠٠ ـ سنن ابن ماجه**، للحافظ أبي عبد الله محمّد بن زيد القزويني، دار الفكر.

**١٠١ ـ سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان السِّجستانيِّ، تحقيق وتعليق عزّت الدّعاس، سورية، ١٣٩١هـ.

**١٠٢ ـ السنن الاجتماعية في القرآن**، محمد المحزون، دار طيبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

**١٠٣ ـ سنن التّمكين وأثرها على السياسة الشّرعية**، إبراهيم المبارك، دار اليسر، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

**١٠٤ ـ سنن النّسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النّسائي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة، ١٩٦٤م.

**١٠٥ ـ السيرة النبوية**، الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

**١٠٦ ـ شبهات وردود حول الأحاديث الخاصّة بالمرأة**، د. قاسم قول بيك، محمد بلوج.

**١٠٧ ـ شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني**، محمد رائف، دار الفاروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٠٨ ـ **شرح ابن بطال**، أبو الحسن بن بطال، دار مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١٠٩ ـ **شرح المواقف**، الإيجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

١١٠ ـ **شرعة الله للأنبياء**، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠١٨م.

١١١ ـ **الشِّفا في التّعريف بحقوق المصطفى**، للإمام القاضي عياض، إستانبول.

١١٢ ـ **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والإنجيل من التبديل**، عبد الملك الجويني.

١١٣ ـ **صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٤ ـ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١١٥ ـ **صحيح الترمذي**، الألباني، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٦ ـ **صحيح قصص الأنبياء**، أحمد جاد، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١١٧ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.

١١٨ ـ **الصراع بين الحقّ والباطل**، العنزي، جامعة أم القرى، كلية الدّعوة وأصول الدين.

١١٩ ـ **صرخة النُّبوّة في وجه الخرافة التوراتية**، د. حسن الباش، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٢٠ ـ **صفات الأنبياء من قصص القرآن «إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط»**، عقيل حسين عقيل، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

١٢١ ـ **صفوة التفاسير**، محمد علي الصّابوني، دار الصّابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ **صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقْدِس**، الصلابي، دار ابن كثير.

١٢٣ ـ **صلاح الدين الأيوبي**، أحمد عبد الجواد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٢٤ ـ **صلاح الدين والصليبيون**، عبد الله سعيد الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ.

١٢٥ ـ **صورة المرأة الحاكمة**، ريم المرايات.

١٢٦ ـ **الطبقات**، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٧ ـ **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، عبد الكريم نوفان عبيدات، كنوز إشبيلية، ط٣، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٢٨ ـ **عالم السحر والشعوذة**، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط٤، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢٩ ـ **العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة**، منصور راشد التميمي، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣٠ ـ **عظات وعبر من قصص الأنبياء**، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٣١ ـ **العقائد الإسلامية**، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٣٢ ـ **العقيدة الإسلامية وأسسها**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت ـ دمشق، ط٢، ١٩٧٩م.

١٣٣ ـ **العقيدة اليهودية**، د. سعد الدين صالح، دار الصفا، الطبعة الثّانية، ١٩٩٠م.

١٣٤ ـ **عقيدة أهل الإيمان في هيكل نبيّ الله سليمان**، د. محمد العريفي، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، ٢٠١٠م.

١٣٥ ـ **علم الدولة، سليمان عليه السلام**، د. نواف الحليسي.

١٣٦ ـ **عمدة التفاسير**، اختصار أحمد شاكر، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٣٧ ـ **عمدة الحُفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السّمين الحلبيّ شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدّايم، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٨ ـ **العنصرية اليهودية**، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٣٩ ـ **فبهداهم اقتده «قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء»**، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

١٤٠ ـ **فتاوى السبكي**، أبو الحسن تقي الدين السبكي، دار المعارف، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٤١ ـ **فتاوى دار الإفتاء المصرية**.

١٤٢ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.

١٤٣ ـ **فتح الباري شرح في صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز وآخرين، القاهرة، المطبعة السلفية، ط١.

١٤٤ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**، صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٥ ـ **فتح القدير**، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤٦ ـ **فتح القدير**، الكمال ابن الهمام، دار الفكر، دون طبعة.

١٤٧ ـ **فتنة داود عليه السلام**، نوال عبد السلام، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٤.

١٤٨ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٤٩ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، لابن حزم، مكتبة السّلام العالميّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٥٠ ـ **فقه النّصر والتّمكين في القرآن الكريم**، علي محمّد الصلّابي، بيروت، دار المعرفة، ط٥، ٢٠٠٩م.

١٥١ ـ **فلسطين التّاريخ المصور**، د. طارق سويدان، شركة الإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٥٢ ـ **فلسطين في ضوء الحقّ والعدل**، هنري كتن، مكتبة لبنان ناشرون، دون طبعة.

١٥٣ ـ **فوائد قصص نبيّ الله سليمان**، عبد الفتاح محمود.

١٥٤ ـ **في الفقه السياسي الإسلامي الفريد**، فريد عبد الخالق، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

**١٥٥ ـ في صحبة الرسل الكرام**، السيّد عبد المقصود عسكر، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ٢٠٠٠م.

**١٥٦ ـ في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

**١٥٧ ـ قاموس الكتاب المقدّس**، بطرس عبد الملك ورفيقاه، دار الثقافة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٥م.

**١٥٨ ـ القائد؛ دراسة تحليلية لشخصيات قيادية في القرآن الكريم**، عبد الستار المرسومي، دار المعراج، ط٢، ٢٠٢٠م.

**١٥٩ ـ القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم**، موريس بوكاي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثّالثة، ١٩٩٠م.

**١٦٠ ـ قصة الحضارة**، ول ديورانت، تقديم محيي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل، بيروت، د.ت.

**١٦١ ـ قصة الخلق**، محمد بن عبد الله الخرعان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط ١، ٢٠٠٨م.

**١٦٢ ـ قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام**، علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٢١م.

**١٦٣ ـ قصص الأنبياء في رحاب الكون**، د. عبد الحليم محمود، دار الرشاد، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.

١٦٤ ـ **قصص الأنبياء**، إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٥ ـ **قصص الأنبياء**، مصطفى العدوي، مكتبة مكة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

١٦٦ ـ **قصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط ٣، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠١٠ م.

١٦٧ ـ **قصص القرآن**، سميح عاطف، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٦٨ ـ **قصص القرآن**، عمرو الشّاعر، دار النفائس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٦٩ ـ **القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه**، سليمان الدقور، عَمان، دار النّفائس، ٢٠١٨م.

١٧٠ ـ **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق ـ الدار الشّامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧١ ـ **القيم التربوية في قصّة نبيّ الله سليمان**، سمر ربابعة، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠١٤م.

١٧٢ ـ **قيم حضارية في القرآن الكريم**، توفيق سبع، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢م.

١٧٣ ـ **كتاب النبوّات**، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٤ ـ **كفاح الشعب الجزائري**، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٧٥ ـ **كلام في اليهود، مجموعة مقالات في اليهود وفي دولتهم المعاصرة**، محمد علي دولة، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠١٣ م.

١٧٦ ـ **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، د. يوسف نصر الله، دار الكتاب، الطبعة الثّانية، ٢٠١٩م.

١٧٧ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)** ، الخازن، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.

١٧٨ ـ **لغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم**، د. علي الجواري، دار دجلة ناشرون وموزعون، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٧٩ ـ **لمحات تربوية إدارية**، د. فوقية محمد ياقوت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

١٨٠ ـ **مباشرة المرأة للحقوق السياسية**، عرفة محمد عرفة، دار الكتب القانونية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٨١ ـ **مجالس النور**، محمد عياش الكبيسي، الدوحة، جامعة قطر، ط١، ٢٠١٩م.

١٨٢ ـ **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

١٨٣ ـ **محاضرات في النّصرانية**، محمد أبو زهرة، المملكة العربية السعودية، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدّعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٠٤هـ.

١٨٤ ـ **مختصر تفسير ابن كثير**، محمد علي الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

١٨٥ ـ **مدارج السّالكين**، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٨٦ ـ **المرأة بين الفقه والقانون**، مصطفى السباعي، دار الوراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٨٧ ـ **المرأة بين القرآن وواقع المسلمين**، راشد الغنوشي، مركز المغاربي للبحوث والترجمة، الطبعة الثّالثة، ٢٠٠٠م.

١٨٨ ـ **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرّباني**، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دون طبعة.

١٨٩ ـ **المرأة والولاية العامة في الإسلام**، ناظم محمد، مكتبة الإمام الذهبي، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٩٠ ـ **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

**١٩١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

**١٩٢ ـ المسيح عيسى ابن مريم**، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.

**١٩٣ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

**١٩٤ ـ القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥م.

**١٩٥ ـ المضامين التربوية في قصّة موسى والعبد الصّالح كما وردت في القرآن الكريم**، عويض بن حمود العطوي، السودان، مجلة الدراسات النفسية، ع١١، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢م.

**١٩٦ ـ مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب**، محمد عبد المعطي، دار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

**١٩٧ ـ مع قصص السّابقين**، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

**١٩٨ ـ معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

**١٩٩ ـ معجزات الأنبياء**، عبد المنعم الهاشمي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثّانية، دون تاريخ.

٢٠٠ ـ **المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن**، محمد التنويجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٠١ ـ **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ٢٠١١م.

٢٠٢ ـ **مغالطات اليهود**، د. عبد الوهاب طويلة، دار القلم، ٢٠١٠م.

٢٠٣ ـ **مفتاح دار السعادة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

٢٠٤ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**، الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشّامية، بيروت، ط٤، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٠٥ ـ **مقارنة الأديان «اليهودية»**، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٠م.

٢٠٦ ـ **مقدِّمة ابن خلدون**، للعلّامة عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد بن خلدون، ط المكتبة التِّجارية الكبرى ـ القاهرة، دون تاريخ.

٢٠٧ ـ **المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، الغزالي، الجفان والجابي، قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠٨ ـ **مقوِّمات بناء الحضارة في سورة النمل**، سعيد أحمد، مجلة البحوث والدراسات الشّرعية.

٢٠٩ ـ **من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي**، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٢١٠ ـ **من فقه الدولة في الإسلام**، يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢١١ ـ **مواقف الأنبياء في القرآن**، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١٢ ـ **الموجهات الدعوية والإعلامية في سورة النمل**، منى محمد.

٢١٣ ـ **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، ١٩٩٩م.

٢١٤ ـ **موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المُستضعَفين**، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

٢١٥ ـ **موقف الإسلام من السحر**، حياة سعيد عمر، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م.

٢١٦ ـ **نظام الحُكْم في الشّريعة والتّاريخ الإسلامي**، ظافر القاسمي، دار النفائس، الطّبعة السّادسة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢١٧ ـ **نقد التّوراة**، أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، دون طبعة وتاريخ.

٢١٨ ـ **النكت والعيون (تفسير الماوردي)** ، أبو الحسن الماوردي،

تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

٢١٩ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيِّد الأخيار**، لمحمّد بن علي الشّوكاني، دار الحديث ـ القاهرة.

٢٢٠ ـ **هيكل سليمان في عقيدة اليهود**، بشير إسماعيل، رسالة علمية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية ـ غزة، ٢٠٢١م.

٢٢١ـ **واقعنا المعاصر** لمحمّد قطب، مؤسّسة المدينة للصّحافة والطِّباعة والنّشر ـ جدّة، الطّبعة الثّانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٢٢٢ ـ **الوجود التّاريخي للأنبياء**، سامي العامري، رواسخ، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ.

٢٢٣ ـ **الوجيز في الشّام أرض الأنبياء ومهد الأصفياء**، منير غندور، دار الفارابي للمعارف، دون طبعة.

٢٢٤ ـ **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

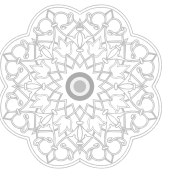
٢٢٥ ـ **وقفات في حياة الأنبياء عليهم السّلام**، الشيخ خالد عبد العليم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٢٦ ـ **ولله الأسماء الحسنى**، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٢٧ ـ **اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل**، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢٢٨ ـ **يهود اليوم ليسوا يهوداً**، بينيامين فريدمان، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

❊ ❊ ❊



## كتب صدرت للمؤلف

١ ـ السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢ ـ سيرة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٣ ـ سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٤ ـ سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٥ ـ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٦ ـ سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

٧ ـ الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

٨ ـ فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

٩ ـ تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

١٠ ـ تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

١١ ـ عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

١٢ ـ الوسطية في القرآن الكريم.

١٣ ـ الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

١٤ ـ معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

١٥ ـ عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

١٦ ـ خلافة عبد الله بن الزبير.

١٧ ـ عصر الدولة الزنكية.

١٨ ـ عماد الدين زنكي.

١٩ ـ نور الدين زنكي.

٢٠ ـ دولة السلاجقة.

٢١ ـ الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

٢٢ ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني.

٢٣ ـ الشيخ عمر المختار.

٢٤ ـ عبد الملك بن مروان وبنوه.

٢٥ ـ فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

٢٦ ـ حقيقة الخلاف بين الصحابة.

٢٧ ـ وسطية القرآن في العقائد.

٢٨ ـ فتنة مقتل عثمان.

٢٩ ـ السلطان عبد الحميد الثاني.

٣٠ ـ دولة المرابطين.

٣١ ـ دولة الموحدين.

٣٢ ـ عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

٣٣ ـ الدولة الفاطمية.

٣٤ ـ حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

٣٥ ـ صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

٣٦ ـ استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

٣٧ ـ الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

٣٨ ـ الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

٣٩ ـ المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

٤٠ ـ سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

٤١ ـ الشورى في الإسلام.

٤٢ ـ الإيمان بالله جل جلاله.

٤٣ ـ الإيمان باليوم الآخر.

٤٤ ـ الإيمان بالقدر.

٤٥ ـ الإيمان بالرسل والرسالات.

٤٦ ـ الإيمان بالملائكة.

٤٧ ـ الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

٤٨ ـ السلطان محمد الفاتح.

٤٩ ـ المعجزة الخالدة.

٥٠ ـ الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها.

٥١ ـ البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

٥٢ ـ التداول على السلطة التنفيذية.

٥٣ ـ الشورى فريضة إسلامية.

٥٤ ـ الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير، وحرية التعبير والاعتقاد، والحريات الشخصية.

٥٥ ـ العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

٥٦ ـ المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

٥٧ ـ العدل في التصور الإسلامي.

٥٨ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

٥٩ ـ الأمير عبد القادر الجزائري.

٦٠ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

٦١ ـ سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

٦٢ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

٦٣ـ أعلام التصوف السُّني «ثمانية أجزاء».

٦٤ ـ المشروع الوطني للسلام والمصالحة.

٦٥ ـ الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ ـ ١٩٢٢م) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.

٦٦ ـ الإباضية. . . مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

٦٧ ـ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام (الحقيقة الكاملة).

٦٨ ـ قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام.

٦٩ ـ نوح عليه السلام والطوفان العظيم؛ ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

٧٠ ـ إبراهيمُ خليل الله عليه السّلام؛ داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة.

٧١ ـ موسى عليه السلام (كليم الله)؛ عدو المستكبرين وقائد المستضعفين.

٧٢ ـ قصة الحوار بين موسى والخضر (عليهما السلام).

٧٣ ـ موسى عليه السلام في سورة طه.

٧٤ ـ موسى عليه السلام في سورة القصص.

٧٥ ـ موسى عليه السلام في سورة الشعراء.

٧٦ ـ قصة مؤمن آل فرعون.

٧٧ ـ لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات).

٧٨ ـ سقوط الدولة العثمانية (الأسباب والتداعيات).

٧٩ ـ سقوط الدولة الأموية (الأسباب والتداعيات).

٨٠ ـ مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

٨١ ـ النبي الوزير يوسف الصديق عليه السلام «من الابتلاء إلى التمكين».

٨١ ـ الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم.

* * *



## المؤلف في سطور

**د. علي محمَّد محمَّد الصَّلابي**

**مفكر ومؤرخ وفقيه**

ـ ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

ـ نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣م، وبالترتيب الأول.

ـ حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦م.

ـ نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م.

ـ اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم والفقه والتاريخ والفكر الإسلامي.

ـ زادت مؤلفات الدكتور الصلابي عن ثمانين مؤلفًا أبرزها:

* السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

* سير الخلفاء الراشدين.

* الدولة الحديثة المسلمة.

* الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط.

* فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح.

* وسطية القرآن الكريم في العقائد.

* صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي.

* تاريخ كفاح الشعب الجزائري.

* العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

* الإباضية... مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

* المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام (الحقيقة الكاملة).

* قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام.

* نوح عليه السلام والطوفان العظيم؛ ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

* إبراهيمُ خليل الله عليه السّلام؛ داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة.

* موسى عليه السلام (كليم الله)؛ عدو المستكبرين وقائد المستضعفين.

* قصة الحوار بين موسى والخضر عليهما السلام.

* موسى عليه السلام في سورة طه.

* موسى عليه السلام في سورة القصص.

* موسى عليه السلام في سورة الشعراء.

* قصة مؤمن آل فرعون.
* لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات).
* سقوط الدولة العثمانية (الأسباب والتداعيات).
* سقوط الدولة الأموية (الأسباب والتداعيات).
* مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.
* النبي الوزير يوسف الصديق عليه السلام «من الابتلاء إلى التمكين».
* الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم.

* * *

# فهرس الموضوعات


**إهداء** ..... ٥

**تقديم** ..... ٧

**مقدمة الكتاب** ..... ١٥

**المدخل** ..... ٣١

١ ـ أنبياء الفرع الإسرائيلي ..... ٣٢

٢ ـ ختم النُّبوّة بالفرع الإسماعيلي ..... ٣٣

٣ ـ بداية تاريخ بني إسرائيل من يعقوب ..... ٣٣

٤ ـ نحن نؤمن بأنبياء بني إسرائيل ..... ٣٤

٥ ـ حياة بني إسرائيل في مصر ..... ٣٦

٦ ـ وفاة يوسف عليه السلام ..... ٣٧

٧ ـ حكم الفراعنة لمصر وهزيمة الهكسوس ..... ٣٨

٨ ـ بدء نجم الإسرائيليين بالأفول ..... ٣٩

٩ ـ امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدّسة في تلك الفترة
ومرحلة التِّيه ..... ٤١

١٠ ـ وفاة موسى عليه السلام ..... ٤٥
١١ ـ يوشع بن نون ودخول الأرض المقدّسة ..... ٤٩
أ ـ حُجّة من قالوا بنبوّة يوشع ..... ٤٩
ب ـ من قال بعدم نبوّة يشوع ..... ٥٠
ج ـ يوشع بن نون المجاهد الصّالح ..... ٥١
د ـ مخالفات بني إسرائيل بعد يوشع بن نون عليه السلام ..... ٥٤
هـ ـ تبديل بني إسرائيل أوامر الله قولاً وفعلاً، والحديث النّبويّ في ذلك ..... ٥٥
و ـ الله يُعاقب بني إسرائيل بالرِّجز والطاعون ..... ٥٦
١٢ ـ عهد القضاة ..... ٥٨
أ ـ النّوع الأول ..... ٥٨
ب ـ النّوع الثّاني ..... ٥٩
١٣ ـ المدة الزمنية بين موسى وداود عليهما السلام ..... ٦١
**المبحث الأول: ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة طالوت وداود عليه السلام** ..... ٦٣
**أولًا:** قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ... وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . ٦٦
١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ..... ٦٦
٢ ـ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ..... ٦٨
٣ ـ ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ ... ٦٩

٤ ـ ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ ..... ٧٠
٥ ـ ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ..... ٧٠
من فوائد الآية الكريمة ..... ٧١
**ثانياً**: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ... وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ... ٧٣
١ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ... ٧٣
٢ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ ... وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ ٧٤
٣ ـ ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ ٧٦
سبب القيادة والحكمة ..... ٧٧
أ ـ قوة العقل وسعة العلم وكثرة التجارب ..... ٧٧
ب ـ قوة الجسم ..... ٧٧
من فوائد هذه الآية ..... ٧٩
٤ ـ ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ..... ٧٨
**ثالثاً**: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ..... ٨٠
تفسير الآية الكريمة ..... ٨٠
١ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ ..... ٨١
٢ ـ ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ ..... ٨١

٣ ـ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ ..... ٨١
٤ ـ ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ..... ٨٣
٥ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ..... ٨٤
**رابعاً**: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ... وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ٨٥
١ ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ... إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ .. ٨٥
٢ ـ ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ..... ٨٦
٣ ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ... بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ ٨٦
٤ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ... بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ..... ٨٧
٥ ـ حِكْمَة التعبير عن الشرب بالطعم ..... ٨٧
٦ ـ عدد الثّابتين مع طالوت بعدد الصّحابة في بدر ..... ٨٨
٧ ـ أنواع الصّبر ..... ٨٩
**الأول**: الصبر على طاعة الله ..... ٨٩
**الثاني**: الصبر على محارم الله ..... ٨٩
**الثالث**: الصبر على أقدار الله المؤلمة ..... ٨٩
٨ ـ مراحل تمحيص جيش بني إسرائيل ..... ٨٩
**الأولى**: أن كثرتهم قد تولت بمجرد أن كتب عليهم القتال .... ٨٩

**الثانية**: سقوط معظم الجند أمام الامتحان الأول ..... ٨٩
**الثالثة**: استمر طالوت في السير نحو المعركة ..... ٨٩
**الرابعة**: قبل خوض المعركة الفاصلة إذ حدث في الجيش
فرز شديد ..... ٩٠
**خامساً**: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ . . . وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ..... ٩٠
١ ـ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ ..... ٩١
٢ ـ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ..... ٩١
٣ ـ ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ .... ٩١
**سادساً**: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . . وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ..... ٩٤
تفسير الآية الكريمة ..... ٩٤
١ ـ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ..... ٩٤
٢ ـ ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ ..... ٩٥
٣ ـ ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ .... ٩٦
أ ـ معنى داود ..... ٩٦
ب ـ قال الشيخ محمد بن عثيمين ..... ٩٦
ج ـ قال الشيخ محمد أبو زهرة ..... ٩٧

٤ ـ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ . . . وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . . . . . ٩٩

٥ ـ قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ . . . . . ١٠١

٦ ـ أهم السُّنَن في حياة الأمم والشُّعوب من قصّة طالوت . . . . . ١٠٢

السنة الأولى . . . . . ١٠٢

السنة الثانية . . . . . ١٠٣

السنة الثالثة . . . . . ١٠٣

السنة الرابعة . . . . . ١٠٣

السنة الخامسة . . . . . ١٠٣

السنة السادسة . . . . . ١٠٤

السنة السابعة . . . . . ١٠٤

الشروط التي تعدّ في اختيار الرجل في الملك . . . . . ١٠٤

الاستعداد الفطري للشخص . . . . . ١٠٤

السعة في العلم الذي يكون به التدبير . . . . . ١٠٤

بسطة الجسم المعبّر بها عن صحته . . . . . ١٠٤

توفيق الله تعالى بإيجاد الأسباب له . . . . . ١٠٤

السنة الثامنة . . . . . ١٠٤

السنة التاسعة . . . . . ١٠٥

السنة العاشرة ..... ١٠٥
السنة الحادية عشرة ..... ١٠٥
السنة الثانية عشرة ..... ١٠٥
السنة الثالثة عشرة ..... ١٠٥
٧ ـ بداية المملكة القوية لبني إسرائيل ..... ١٠٨
٨ ـ نزع التّمكين وزواله من الظّالمين ..... ١٠٩
٩ ـ وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم ..... ١١٠
١٠ ـ اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم ..... ١١١
**المبحث الثّاني: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة (ص)** .. ١١٥
تفسير الآيات الكريمة ..... ١١٦
**أولًا**: قال تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ... وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ ..... ١١٦
١ ـ ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ ..... ١١٦
أ ـ ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ..... ١١٦
ب ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا﴾ ..... ١١٧
ج ـ ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ ..... ١١٩
د ـ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ ..... ١١٩
٢ ـ ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ ..... ١٢٠
تسبيح الجبال والطير على الحقيقة ..... ١٢١

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ . ١٢٦
أ ـ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ . . . . . ١٢٦
ب ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ . . . . . ١٢٧
ج ـ ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ . . . . . ١٢٨
ثانياً: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ . . . وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ١٢٩
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ١٢٩
١ ـ ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ . . . . . ١٢٩
أ ـ ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ . . . . . ١٢٩
ب ـ ﴿ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ . . . . . ١٣٠
ج ـ ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ . . . . . ١٣٠
٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ . . . إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ . . . . . ١٣٢
أ ـ ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ . . . . . ١٣٢
ب ـ ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ﴾ . . . . . ١٣٢
ج ـ ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ . . . . . ١٣٢
د ـ ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾ . . . . . ١٣٣
هـ ـ ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ . . . . . ١٣٣
و ـ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ﴾ . . . . . ١٣٣
ز ـ ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ . . . . . ١٣٣

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ ١٣٣
أ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ ١٣٣
ب ـ ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ ١٣٤
ج ـ ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ ١٣٤
د ـ ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ ١٣٤
٤ ـ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ١٣٥
أ ـ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ١٣٥
ب ـ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ١٣٥
ج ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ١٣٦
د ـ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ١٣٦
٥ ـ قال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ١٣٨
٦ ـ رفض الإسرائيليات قصة الخصمين ١٣٨
٧ ـ داود عليه السلام لم يخطئ في تخصيص الليل لعبادة الله تعالى ١٤٠
٨ ـ حكم سجدة التلاوة في سورة (ص) ١٤٢
**ثالثاً**: قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ ١٤٤
١ ـ قواعد الحكم ١٤٧
أ ـ ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ ١٤٧
ب ـ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ١٤٧
٢ ـ ما يترتب على اتباع الهوى ١٤٩

٣ ـ دولة داود عليه السلام ومدى اتِّساعها . . . . . ١٥٠
رابعاً: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ . . . وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ١٥٢
١ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا . . .﴾ . . . . . ١٥٤
أ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ . . . . . ١٥٤
ب ـ ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ . . . . . ١٥٤
ج ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ . . . . . ١٥٤
٢ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ . . . ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ . . . ١٥٥
أ ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . ١٥٥
ب ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ . . . . . ١٥٥
٣ ـ قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ . . . وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ . . . . . ١٥٦
أ ـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ . . . . . ١٥٦
ب ـ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ . . . . . ١٥٦
خامساً: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ . . . بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ ١٥٧
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ١٥٧
١ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ . . . . . ١٥٧
أ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ . . . . . ١٥٨
ب ـ ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ . . . . . ١٥٩
٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ . . . . . ١٦٠
أ ـ ﴿إِذْ﴾ . . . . . ١٦٠

ب ـ ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ..... ١٦٠
ج ـ ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ ..... ١٦٠
د ـ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ ..... ١٦٠
الصفن ..... ١٦١
الخيل الجياد ..... ١٦١
٣ ـ قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ ... بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ ١٦٢
السوق ..... ١٦٣
٤ ـ القول الرّاجح في المسح بالسوق والأعناق ..... ١٦٧
٥ ـ خيل سليمان والأجنحة ..... ١٦٩
٦ ـ تجارة الخيول في عهد سليمان عليه السلام ..... ١٦٩
**سادساً: قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ١٧٠
١ ـ سبب هذه الفتنة ..... ١٧٢
٢ ـ أقوال العلماء في هذه الفتنة ..... ١٧٣
أ ـ قال صلاح الدين الخالدي ..... ١٧٣
ب ـ قال الشنقيطي ..... ١٧٣
ج ـ قال ابن كثير ..... ١٧٤
د ـ قال النسفي ..... ١٧٤
هـ ـ قال القاضي عياض ..... ١٧٤
و ـ قال الشيخ عثمان الخميس ..... ١٧٥

ز ـ قال الأستاذ همام حسن يوسف سلوم ..... ١٧٥
**سابعاً**: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ... وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ..... ١٧٧
١ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ..... ١٧٧
٢ ـ ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ ..... ١٧٨
٣ ـ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ..... ١٨٠
**ثامناً**: قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ... وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ..... ١٨١
تفسير الآيات الكريمة ..... ١٨١
١ ـ قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ .... ١٨١
٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ... فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ .... ١٨٢
٣ ـ قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ..... ١٨٣
أ ـ قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ ..... ١٨٤
ب ـ قال ابن كثير ..... ١٨٤
٤ ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ..... ١٨٥
**تاسعاً**: فوائد وعِبر في قصّة داود وسليمان عليهما السلام ..... ١٨٥
١ ـ داود وسليمان عليهما السلام في موكب الأنبياء والمرسلين . ١٨٥
٢ ـ النّبيّ والرسول ..... ١٨٩
٣ ـ حقيقة النُّبوّة ..... ١٩٠
أ ـ الحكمة من بعث الرسل والأنبياء ..... ١٩١

ب ـ خصائص الأنبياء والمرسلين . . . . . ١٩٢
٤ ـ الإيمان بالأنبياء والمرسلين أحد أركان الإيمان . . . . . ١٩٢
٥ ـ الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً . . . . . ١٩٤
أ ـ نوح عليه السلام والرسل . . . . . ١٩٦
ب ـ إبراهيم عليه السلام كان ممن حمل رسالة الإسلام بعد نوح ١٩٦
ج ـ إسماعيل عليه السلام يحمل رسالة الإسلام مع أبيه إبراهيم ١٩٧
د ـ دين لوط عليه السلام هو الإسلام . . . . . ١٩٧
هـ ـ إسحاق ويعقوب والأسباط مسلمون . . . . . ١٩٧
و ـ يوسف عليه السلام كان مسلماً . . . . . ١٩٧
ز ـ موسى عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام . . . . . ١٩٨
ح ـ أنبياء بني إسرائيل يدعون إلى الإسلام . . . . . ١٩٨
ط ـ داود وسليمان يدعوان إلى الإسلام . . . . . ١٩٨
ي ـ المسيح عيسى ابن مريم يدعو إلى اعتناق الإسلام . . . . . ١٩٩
ك ـ استمرار الإسلام حتى نزول القرآن الكريم . . . . . ٢٠٠
ل ـ سيدنا محمد ﷺ يدعو إلى الإسلام . . . . . ٢٠٠
٦ ـ الزّبور الذي أنزل على داود عليه السلام . . . . . ٢٠٢
أ ـ الزبور بين التوراة والإنجيل . . . . . ٢٠٤
ب ـ سبب التسمية . . . . . ٢٠٥
ج ـ محتوى الزبور . . . . . ٢٠٥
د ـ الزبور في المصادر الإسلامية جمعاً ودراسة . . . . . ٢٠٦

هـ ـ متى أنزل الزبور على داود عليه السلام . . . . . ٢٠٨
و ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . . ٢٠٨
٧ ـ فوائد السعدي من قصّة داود وسليمان عليهم السلام في سورة (ص) . . . . . ٢٠٩
٨ ـ الرد على الأخطاء التي نسبت إلى داود عليه السلام في الأسفار اليهودية . . . . . ٢١٣
٩ ـ وفاة داود عليه السلام . . . . . ٢١٥
**المبحث الثّالث: قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة النمل** . ٢١٩
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ٢٢٠
لماذا سميت سورة النمل بهذا الاسم . . . . . ٢٢٢
مغزى دقيق لأصحاب الجاه والسلطان والعظماء والملوك . . . . ٢٢٢
**أولًا**: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ . . . ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ . . ٢٢٤
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ٢٢٤
١ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ . . . كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . . . . . ٢٢٤
٢ ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ . . . . . ٢٢٩
٣ ـ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا . . . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ . . . . . ٢٣١
**ثانياً**: قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ . . . فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٢٣٥
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ٢٣٥
١ ـ قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ . . . وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . ٢٣٥
أ ـ قال عبد الحميد بن باديس . . . . . ٢٣٧

ب ـ قال صلاح الدين الخالدي ..... ٢٣٨
ج ـ قال الدكتور محمد رائق رأفت المصري ..... ٢٣٩
٢ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ... وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ... ٢٣٩
دلالات علم النمل ..... ٢٤١
أ ـ قال الرازي ..... ٢٤٢
ب ـ قال المراغي ..... ٢٤٢
ج ـ قال الشيخ همام حسن سلوم ..... ٢٤٣
٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا... فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٢٤٣
أ ـ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ ..... ٢٤٤
ب ـ ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ ..... ٢٤٥
ج ـ ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ..... ٢٤٦
**ثالثاً**: قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ... فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ ..... ٢٤٨
تفسير الآيات الكريمة ..... ٢٤٨
١ ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ... بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ . ٢٤٨
أ ـ قال السعدي رحمه الله ..... ٢٥٠
ب ـ قال الشيخ عبد الحميد بن باديس ..... ٢٥٢
تعليم وقدوة ..... ٢٥٣
تعليل وتحرير ..... ٢٥٤

تدقيق لغوي وغوص علمي ..... ٢٥٤
المعنى ..... ٢٥٥
توجيه واستنباط ..... ٢٥٥
تقدير العقوبة ..... ٢٥٦
تنبيه وإرشاد ..... ٢٥٧
الحق فوق كل أحد ..... ٢٥٧
ج ـ قال ابن العربي المالكي ..... ٢٥٧
٢ ـ قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ . . . مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ..... ٢٥٩
أ ـ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ..... ٢٥٩
ب ـ ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ ..... ٢٦٠
ج ـ ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ..... ٢٦٢
٣ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً . . . وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ..... ٢٦٥
٤ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ . . فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ .. ٢٧٤
رابعاً: قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ . . . فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ٢٧٨
تفسير الآيات الكريمة ..... ٢٧٨
١ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ . . . أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ . ٢٧٨
أ ـ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ ..... ٢٧٩
ب ـ ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ..... ٢٨١
ج ـ ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ..... ٢٨٣

معاني الإسلام في القرآن . . . . . ٢٨٤
**الأول**: الإسلام بالمعنى العام . . . . . ٢٨٤
**الثاني**: الإسلام بالمعنى التاريخي . . . . . ٢٨٥
**الثالث**: الإسلام بمعناه الخاص . . . . . ٢٨٥
٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ . . . أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ . . . . . ٢٨٦
أ ـ ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ . . . . . ٢٨٧
ب ـ ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ . . . . . ٢٨٧
٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ . . . فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ . . . . . ٢٨٧
٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ . . . وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ . . . . . ٢٨٩
أ ـ قال المكي الناصري رحمه الله تعليقاً على الآية الكريمة . . . ٢٩١
ب ـ قال الشنقيطي رحمه الله في مقدمة الأضواء . . . . . ٢٩١
٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ٢٩١
**خامساً**: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ . . . أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٢٩٥
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ٢٩٥
١ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ . . . بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ . . . . ٢٩٥
٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ . . . وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ . . . . . ٣٠٠
أ ـ قال محمد أبو زهرة في تفسيره للآية . . . . . ٣٠١
ب ـ وقال الدكتور عبد الكريم زيدان . . . . . ٣٠١

٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ . . . أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ . . . . . ٣٠٣
٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ، ، ، وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ . . . . ٣٠٤
أ ـ معنى العفريت . . . . . ٣٠٧
ب ـ الفرق بين العفريت وبين الشيطان . . . . . ٣٠٨
ج ـ شخصية غير بشرية في مجلس سليمان عليه السلام . . . . . ٣٠٨
٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ . . . قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ . . ٣٠٩
أ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ . . . . . ٣٠٩
ب ـ من هو الذي عنده علم من الكتاب؟ . . . . . ٣١٠
ج ـ رأي الدكتور صلاح الدين الخالدي رحمه الله . . . . . ٣١١
د ـ ما قاله الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر . . . . . ٣١٢
**المبحث الرّابع: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة الأنبياء وسبأ** . . . . . ٣١٥
**أولًا**: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة الأنبياء . . . . . ٣١٥
تفسير الآيات الكريمة . . . . . ٣١٥
١ ـ قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ . . . لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ . . . . . ٣١٥
أ ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ . . . . . ٣١٦
ب ـ ﴿إِذْ﴾ . . . . . ٣١٦
ج ـ ﴿يَحْكُمَانِ﴾ . . . . . ٣١٦
د ـ ﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ . . . . . ٣١٦

هـ ـ ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ ..... ٣١٧
٢ ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ ..... ٣١٧
أ ـ أثنى الله على سليمان عليه السلام في حكمه ..... ٣١٧
ب ـ ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ ..... ٣١٧
٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا ... وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ٣٢٢
أ ـ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ﴾ ..... ٣٢٣
ب ـ ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ..... ٣٢٤
٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ ..... ٣٢٤
أ ـ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ ..... ٣٢٤
ب ـ ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ﴾ ..... ٣٢٥
ج ـ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ ..... ٣٢٦
د ـ أهمية تعلم الحرف ..... ٣٢٧
٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ ..... ٣٢٩
أ ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ ..... ٣٢٩
ب ـ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ ..... ٣٢٩
ج ـ ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ ..... ٣٣٤
٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ ..... ٣٣٥

**ثانياً**: قصّة داود وسليمان عليهما السلام في سورة سبأ ..... ٣٣٨
قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ... فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ . ٣٣٨
تفسير الآيات الكريمة ..... ٣٣٨
١ ـ قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ..... ٣٣٨
أ ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ..... ٣٣٨
ب ـ ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ ..... ٣٣٩
ج ـ ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ..... ٣٤١
٢ ـ قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ..... ٣٤٥
أ ـ ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ ..... ٣٤٥
ب ـ معنى السرد في قوله ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ ..... ٣٤٥
ج ـ ﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ..... ٣٤٧
د ـ ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ..... ٣٤٧
٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ... عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ٣٤٨
أ ـ ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ ..... ٣٤٨
ب ـ ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ ..... ٣٤٩
ج ـ ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ ..... ٣٥١
د ـ ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ..... ٣٥٣

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ . . . وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ ٣٥٣
أ ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ . . . . . ٣٥٣
ب ـ ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ . . . . . ٣٥٤
ج ـ ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ . . . . . ٣٥٧
د ـ ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ . . . . . ٣٥٨
هـ ـ ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ . . . . . ٣٥٩
٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ . . . فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ . ٣٦٣
أ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ . . . . . ٣٦٥
ب ـ ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ . . . . . ٣٦٥
ج ـ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ . . . . . ٣٦٦
د ـ ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ . . . . . ٣٦٦
هـ ـ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ٣٦٧
عمره حين مات . . . . . ٣٦٩
أين مكان قبر سليمان عليه السلام؟ . . . . . ٣٦٩
**ثالثاً**: اتهام اليهود لسليمان عليه السلام بالسحر . . . . . ٣٧٠
١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ . . . لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٧٢
٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ . . . يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ٣٧٤
أ ـ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ . . . . . ٣٧٤
ب ـ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ . . . . . ٣٧٤

ج ـ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ ..... ٣٧٥
د ـ ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ..... ٣٧٥
٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ... نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ٣٧٦
(ما) نافية أو موصولة؟ ..... ٣٧٧
٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ ٣٨١
٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ .... ٣٨٢
٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ..... ٣٨٣
أ ـ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ ..... ٣٨٣
ب ـ ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ..... ٣٨٣
٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ..... ٣٨٤
أ ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ..... ٣٨٤
ب ـ ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ..... ٣٨٤
٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ..... ٣٨٤
من فوائد هذه الآية الكريمة ..... ٣٨٦
٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ ..... ٣٨٧
**رابعاً**: أهم صفات سليمان عليه السلام القيادية ..... ٣٨٨
١ ـ دوام الشكر لله ..... ٣٨٩

٢ ـ العلم ..... ٣٨٩
٣ ـ التنظيم والضبط ..... ٣٩١
٤ ـ اليقظة والمتابعة والتفقد ..... ٣٩٢
٥ ـ الحزم والصرامة ..... ٣٩٣
٦ ـ قدرة سليمان عليه السلام على بناء العلاقات ..... ٣٩٤
أ ـ التبسم مع أضعف المخلوقات ..... ٣٩٤
ب ـ السعي للعمل الصالح ..... ٣٩٥
ج ـ المرونة مع الجنود ..... ٣٩٥
د ـ اللطف والأدب في المعاملة حتى مع الأعداء ..... ٣٩٥
٧ ـ الكرم وحسن الاستقبال ..... ٣٩٦
٨ ـ التواضع ..... ٣٩٦
٩ ـ العدل وقبول العذر ..... ٣٩٨
١٠ ـ الهيبة والوقار ..... ٣٩٨
١١ ـ التثبت من الأخبار ..... ٣٩٩
١٢ ـ حسن التصرف بذكاء ..... ٤٠٠
أ ـ اختيار الصادق وتعزيز الثقة في الجنود ..... ٤٠٠
ب ـ معرفة مواطن القوة والضعف واستثمارها ..... ٤٠٠
ج ـ اختبار ذكار ملكة سبأ وعقلها ..... ٤٠١
١٣ ـ سَعَة الصدر وحسن الاستماع ..... ٤٠١

١٤ ـ التدرج في تحقيق الأهداف ..... ٤٠٢
١٥ ـ توظيف المهارات والمواهب والإمكانات ..... ٤٠٣
١٦ ـ التعالي على حطام الدُّنيا والثّبات على المبدأ ..... ٤٠٣
١٧ ـ الثّبات على المبدأ ..... ٤٠٤
١٨ ـ الاستماع لكبار مستشاريه ..... ٤٠٤
١٩ ـ القدرة على الحسم ..... ٤٠٥
٢٠ ـ الشِّدّة مع المعاند ..... ٤٠٥
٢١ ـ حب الجهاد ..... ٤٠٦
٢٢ ـ عدم الاعتزاز بالنفس أو القوة العسكرية ..... ٤٠٦
٢٣ ـ الصّبر ..... ٤٠٧
٢٤ ـ الفهم والحِكمة ..... ٤٠٨
٢٥ ـ البناء والإبداع ..... ٤٠٨
٢٦ ـ علو الهمة ..... ٤١٠
٢٧ ـ الانفتاح على الآخرين ..... ٤١١
٢٨ ـ القدرة على التخطيط والتنفيذ ..... ٤١٢
٢٩ ـ مؤيد ..... ٤١٤
أ ـ التسخير ..... ٤١٥
المقصود بالتسخير ..... ٤١٥
تسخير الرياح ..... ٤١٥

تسخير النحاس ..... ٤١٥
تسخير الجن والشياطين ..... ٤١٥
تسخير ما في البحار ..... ٤١٦
ب ـ التمكين ..... ٤١٦
**خامساً**: مقوِّمات الحُكْم الرشيد في دولة سليمان عليه السلام .. ٤١٦
١ ـ المقوِّمات الاجتماعية والعلمية ..... ٤١٧
أ ـ التنشئة الاجتماعية ..... ٤١٨
ب ـ التنشئة العلمية ..... ٤١٩
٢ ـ المقوِّمات الإدارية (التنظيمية) والاقتصادية ..... ٤٢١
أ ـ نظام الموارد البشرية ..... ٤٢١
ب ـ الإصلاح المالي والإداري ..... ٤٢٢
ج ـ وضوح الرؤية في السياسة الاقتصادية ..... ٤٢٣
٣ ـ المقوِّمات التشريعية والسياسية ..... ٤٢٦
أ ـ الشفافية وسيادة الحقوق والقانون العدالة ..... ٤٢٦
ب ـ المشاركة في اتخاذ القرار وحرية التعبير ..... ٤٢٨
ج ـ الرؤية الاستراتيجية السياسية ومراعاة الأعراف الدبلوماسية ٤٣٠
**سادساً**: ثمرات الحُكْم الرشيد في عهد سليمان عليه السلام ... ٤٣١
١ ـ النهضة العلمية ..... ٤٣١
٢ ـ النهضة الإعلامية ..... ٤٣٢

٣ ـ النهضة العمرانية ..... ٤٣٢
٤ ـ نهضة المواصلات والاتصالات ..... ٤٣٣
٥ ـ النهضة العسكرية ..... ٤٣٣
٦ ـ النهضة الصناعية ..... ٤٣٣
٧ ـ النهضة البحرية ..... ٤٣٤
٨ ـ النهضة التجارية ..... ٤٣٤
**سابعاً**: الملك العظيم ..... ٤٣٥
**ثامناً**: ملكة سبأ وحديث الرسول ﷺ ..... ٤٣٧
**تاسعاً**: تجديد بناء المسجد الأقصى، ولمحات من تاريخه .... ٤٤٩
١ ـ الأقصى بُني بعد الكعبة بأربعين عاماً ..... ٤٤٩
٢ ـ المسجد الأقصى في عهد سليمان عليه السلام ..... ٤٥١
٣ ـ طلبات ثلاثة لسليمان عليه السلام ..... ٤٥٣
٤ ـ فضائل المسجد الأقصى ..... ٤٥٥
أ ـ مسرى رسول الله ﷺ ..... ٤٥٥
ب ـ منطلق معراجه ﷺ إلى سدرة المنتهى ..... ٤٥٦
ج ـ أولى القبلتين ..... ٤٥٦
د ـ الندب لشد الرحال إليه ..... ٤٥٧
هـ ـ فضل الصلاة في المسجد الأقصى ..... ٤٥٧
و ـ مقر الطائفة المنصورة ..... ٤٥٧

٥ ـ المسجد الأُقصى بعد الفتح العمري للقدس ..... ٤٥٩
٦ ـ المسجد الأقصى وصلاح الدين الأيوبي ..... ٤٦٢
**عاشراً**: بنو إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام ..... ٤٦٩
١ ـ الحُكْم العراقي ..... ٤٧١
٢ ـ الحُكْم الفارسي ..... ٤٧٤
أ ـ تحريف أحبار اليهود للتوراة ..... ٤٧٧
ب ـ التوراة ما بين وفاة سليمان عليه السلام وما قبل السبي
البابلي ..... ٤٧٩
ج ـ القرآن الكريم يثني على التوراة التي أنزلت على موسى
عليه السلام ..... ٤٨٧
د ـ القرآن لا يعترف بالتوراة اليهودية المحرفة ..... ٤٨٨
هـ ـ القرآن يفصل القول فيما اختلف فيه اليهود ..... ٤٨٩
٣ ـ الحضارة الإغريقية ..... ٤٩٠
ـ المادة الغليظة ..... ٤٩٣
٤ ـ الحُكْم الرُّوماني ..... ٤٩٤
أ ـ ملك اليهود هيرودس ..... ٤٩٤
ب ـ عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام في عهد الدولة الرومانية ٤٩٥
ج ـ حكم بطليموس الروماني ..... ٤٩٦

**الحادي عشر**: عهد عيسى عليه السلام ..... ٤٩٧
١ ـ المكر بعيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء ..... ٥٠٢
أ ـ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ . . . فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ..... ٥٠٥
ب ـ معنيان للتوفي في القرآن: الموت والنوم ..... ٥٠٦
ج ـ توفى الله عيسى مرتين: وفاة نوم ووفاة الموت ..... ٥٠٩
د ـ ألقى الله النوم على عيسى ثم رفعه ..... ٥٠٩
٢ ـ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ..... ٥١١
أ ـ من مسلسل جرائم اليهود ..... ٥١٢
ب ـ من أسباب لعنة الله لليهود ..... ٥١٣
ج ـ اليهود ما قتلوا عيسى ولا صلبوه ..... ٥١٦
٣ ـ ما الذي جرى ليلة القبض على الشبيه ..... ٥١٧
٤ ـ نظرات في الآيات التي تحدّثت عن قتل الشبيه ..... ٥٢٦
٥ ـ اضطراب الأناجيل في أحداث تلك الليلة وأقربها إنجيل برنابا ٥٢٩
٦ ـ اضطهاد اليهود للنصارى ..... ٥٣٢
٧ ـ ثورة اليهود على الرُّومان وتدمير القدس ..... ٥٣٥
أ ـ إيلياء وخربة اليهود ..... ٥٣٦
ب ـ منع اليهود من دخول القدس وتشريدهم ..... ٥٣٧
٨ ـ الإمبراطور قسطنطين يعنف المسيحية ..... ٥٣٧
مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) قرر ألوهية المسيح ..... ٥٣٨

٩ ـ انقسام الإمبراطورية وحكم هرقل ..... ٥٣٩
١٠ ـ الفُرْس يطردون الرُّوم من القدس ..... ٥٤٠
أ ـ وعد القرآن بأن الروم سينتصرون مرة أخرى على الفرس في بضع سنين ..... ٥٤١
ب ـ انحراف اليهود عن دعوة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وعزلهم عن منصب قيادة الإنسانية ..... ٥٤٣
١١ ـ الرُّوم يستردون القدس (عام ٥هـ، ٦٢٧م) ..... ٥٤٥
١٢ ـ النصارى يضطهدون اليهود ..... ٥٤٦
**الثاني عشر**: هيكل سليمان المزعوم ..... ٥٤٧
١ ـ معنى الهيكل ..... ٥٥١
٢ ـ جبل الهيكل ..... ٥٥٢
٣ ـ الهيكل الأول ..... ٥٥٢
٤ ـ الهيكل الثّاني ..... ٥٥٤
٥ ـ هيكل هيرودس ..... ٥٥٤
٦ ـ الهيكل الثّالث ..... ٥٥٥
٧ ـ اختبار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى وسبب ذلك ..... ٥٥٦
٨ ـ مكانة الهيكل عند اليهود ..... ٥٥٨
٩ ـ حائط البراق أم حائط المبكى ..... ٥٦٣

١٠ ـ عدم قدسية الأسفار التي تتحدّث عن وجود الهيكل . . . . . ٥٦٥
١١ ـ علم الآثار، ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى ٥٦٧
١٢ ـ عقيدة أرض الميعاد . . . . . ٥٧٥
١٣ ـ رجال العقيدة اليهودية الصهيونية . . . . . ٥٧٨
١٤ ـ الدعم الأوربي والأمريكي لليهود . . . . . ٥٨٤
١٥ ـ تزييف الحقائق وادعاء الحقّ اليهودي في قضية فلسطين . . ٥٩٨
أ ـ الحق التاريخي . . . . . ٥٩٨
ب ـ الحق الديني . . . . . ٦٠٢
ج ـ الحق القومي . . . . . ٦٠٤
د ـ الحق الإنساني . . . . . ٦٠٦
هـ ـ الحق القانوني . . . . . ٦٠٨
**الخلاصة** . . . . . ٦١٣
**المصادر والمراجع** . . . . . ٦٣٧
**كتب صدرت للمؤلف** . . . . . ٦٦٣
**الدكتور محمد علي الصلابي مفكر ومؤرخ وفقيه** . . . . . ٦٦٩
**فهرس الموضوعات** . . . . . ٦٧٣

❊ ❊ ❊